

مائة مقالة
في الحركة والجهاد

كتبها

أبو شعيب طلحة محمد المسير

الطبعة الأولى

١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م

حقوق الطبع غير محفوظة

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه، والصلاة والسلام على سيدنا وقائدنا وقدوتنا نبينا محمد، وعلى آله الأطهار وصحابته البررة الكرام، وعلى من سار على نهجهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين.. وبعد؛

فقد أنعم المولى جل وعلا علي بنعم عظيمة وآلاء جسيمة، ومنها أن أخذ بيدي لساحة العمل الإسلامي العام، وتكرم علي بمعايشة بعض قضايا الأمة الإسلامية الحركية والجهادية ومنها الربيع العربي في العشر سنين الأخيرة (١٤٣٢هـ - ١٤٤٢هـ) خاصة بمصر وسوريا، وكان من شكر تلك النعمة أن أستخدم القلم في الدعوة إلى الله تعالى مسددا ومقاربا إزاء الوقائع والمستجدات المتلاحقة، فتجمّع من ذلك بعض كتب ومقالات وفتاوى وتغريدات..

ووجدت أن المقالات وإن تعددت مواضيعها وظروفها وأسلوبها إلا أنها أقرب لتصور الأحداث المتعاقبة والظروف المتغيرة، فعمدت تذكرة لنفسي وتواصيا بالحق والصبر مع إخواني العاملين للإسلام إلى جمع بعض المقالات التي يغلب عليها الطابع الحركي وتناول القضايا الجهادية في هذا الكتاب، أما المقالات التي يغلب عليها طابع الفتاوى أو الطابع الإداري أو الفصائلي أو الخاص وما شابه ذلك فلعله يصدر بعضها في كتاب آخر إن شاء الله، وجعلت عنوان الكتاب: "مائة مقالة في الحركة والجهاد"، وعدد المقالات أكثر من مائة، ولكن العدد يراد به هنا التقريب لا التحديد.

وقد اخترت من المقالات أكثرها عموما وعناية بالفكرة لا الأشخاص، مع وجود بعض المقالات التي ارتبطت بأحداث لشخصيات معينة يفيد ذكرها في هذا السياق الحركي والجهادي، وحاولت ترتيب المقالات حسب تقارب مواضيعها، ووضعت سنة كتابة كل مقال ليُعين على فهم السياق الزمني الذي كُتب فيه.

- وإني أعلم أنه ما كان لمثلي أن يتكلم في كثير من تلك القضايا لو كان الزمان غير الزمان، ولكنها الضرورة التي اقتضت سد بعض هذا الثغر قدر المستطاع، وحسبي قول سعيد بن جبير رحمه الله، "قد أحسن من انتهى إلى ما سمع"، ومما يطمئن النفس أن هذه المقالات كُتبت في أكثر من عشر سنين، وبعضها عُرض قبل نشره على أفاضل، وبعضها ذاع بعد نشره بين أفاضل، وكان القبول لها هو السائد بينهم، والحمد لله رب العالمين.

وجل مقالات هذا الكتاب متعلقة بالواقع الذي عايشته ومتعاطية معه محاولة التأثير فيه؛ فيوم أن كنت بمكة المكرمة ونزلت نازلة افتتاح جامعة مختلطة كانت مقالة: (سياسة الحكم الذاتي داخل جامعة الملك عبد الله للعلوم والتقنية) وتسبب ذلك في فصلي الفوري من العمل، ويوم كنت في القاهرة وجاء أوباما ليخطب فيها كانت مقالة: (خطيب المرتدين "بارك حسين أوباما"، لا مرحباً)، وعندما رأيت إهمال لبس الدروع في الجهاد كانت مقالة: (أهمية لبس الدروع عند الجهاد)، ولما نزلت نازلة الخوارج كانت عدة مقالات في الأمر، وكذلك لما حصلت مذابح حلب ومعارك الغوطة وتهجير درعا، وكذلك توجد مقالات عن أمور فكرية كانت تثار عن المنهج والحركة والقيادة والنخبة والأمة والسياسة الشرعية والرخص والضرورات والهدن..، ومقالات عن الهجرة والتحريض والثبات وإعداد العدة والردع والحذر والبدع الدخيلة على الجهاد، وبعض المقالات في الرد على مواقف مغلوطة وشبهات مردودة.. إلى غير ذلك.

أسأل الله جل وعلا أن يجعلها خالصة لوجهه الكريم، وأن يتقبل صالح العمل، وأن يغفر الزلل، والحمد لله رب العالمين.

طلحة محمد المسير

سوريا - شعبان ١٤٤٢ هـ

المشتاقون إلى الموت^١

روى مسلم في صحيحه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ خَيْرَ مَعَاشِ النَّاسِ هُمْ رَجُلٌ مُمَسِّكٌ عِنَانََ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، يَطِيرُ عَلَيَّ مَتْنِهِ، كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً أَوْ فَرْعَةً طَارَ عَلَيْهِ، يَبْتَغِي الْقَتْلَ وَالْمَوْتَ مَطَانَةً».

في هذا الزمان الذي استوطن الذل فيه قلوب كثير من الناس، وملك عليهم أمرهم، فأصبحوا بسوء هديه يقتدون، وعلى قبح منواله يسرون، نحتاج إلى أن نتذكر بعض معاني العزة التي حفل بها ديننا الحنيف، عسى أن ينفُضَ البعض عن جبينه عار الذل الذي تسربل به الكثيرون.

وهذا الحديث الشريف نص من نصوص شريفة لا تكاد تحصى، تنتظم جميعها في باب الحث على الجهاد، هذا الجهاد الذي يستخفي الكثيرون الآن بالحديث عنه، وتحذف آياته وأحاديثه من مناهج التعليم ومقررات الدراسة!! ولكن سيظل في الأمة -رغم كيد العدا- من ملاء الحديث عن الجهاد كيانه، وهز بالشوق إليه أركانه، وخفق بالتفكر فيه جنانه.

سيظل الجهاد -رغم حقد الحاقدين، وفجر الكافرين والمنافقين- خفاقة راياته، قوية صيحاته، مُرعبة صولاته، متتابعة جولاته.

سيظل سيف الحق مصلاً فوق رؤوس الطغاة المستكبرين، فلا انتصبت لهم قامة إلا قصمها، ولا دانت لهم أمة إلا قهرها، ولا اجتمعت لهم قوة إلا قلَّها، وسيظلون دهرهم مهزومين مدحورين، أدلاء مغلوبين.

قال ابن تيمية عن الجهاد: (لم يرد في ثواب الأعمال وفضلها، مثل ما ورد فيه، فهو ظاهر عند الاعتبار، فإن نفع الجهاد عام لفاعله ولغيره، في الدين والدنيا، ومشمول على

(١) كتبت سنة ١٤٣٣هـ.

جميع أنواع العبادات الباطنة والظاهرة)^١.

- هذا الحديث الشريف إنشائي اللفظ، ولكنه طلي المعنى؛ فهو يخبر المسلمين بما فيه الخير لهم في معاشهم؛ كي يتنافس المتنافسون؛ للتمنع في حصون العزة الشاخنة، ويتسابق المتسابقون؛ للترف في حُلل المجد السابغة، ويتقدم المتقدمون؛ للتوغل في صفوف الأعداء الشانقة.

* «مِنْ خَيْرِ مَعَاشِ النَّاسِ لَهُمْ»:

فإلى من يطلب العيش الهني، والرزق الوفي، هاك الطريق، فحي هلاً إن كنت ذا همة:

فَتَى لَا يُرِيدُ الْعِزَّ إِلَّا مِنَ التُّقَى وَلَا الرِّزْقَ إِلَّا مِنْ قَنَاءٍ وَسُيُوفٍ^٢

وليست خيرية المعاش هذه قاصرة على زمان أو مكان؛ بل هي خيرية تعم الحياة الدنيا بأسرها، وتنتقل مع صاحبها لينعم بها في جنان الخلد؛ فقد بشر الله جل وعلا في القرآن الكريم عباده المجاهدين بألوان من نعيم الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ الْمُؤْمِنِينَ﴾^٣.

وكذلك بشر النبي صلى الله عليه وسلم المجاهدين بخيري الدنيا والآخرة؛ فعن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «جعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمري»^٤، وعن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما:

١ السياسة الشرعية، لابن تيمية.

٢ من شعر ليلي بنت طريف، ترثي أخاها الوليد.

٣ سورة الصف: ١٠-١٣.

٤ رواه البخاري في صحيحه.

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف»^١، فما أهنا المجاهدين الذين أشهروا أسلحتهم عالية خفاقة، فأظلتهم رماحهم وسيوفهم، إنهم يتقلبون بين رزق في الدنيا عميم، وجنة في الآخرة ونعيم مقيم.

وخيرية المعاش في الدنيا، تشمل أنواعاً منها:

أ- عزة المؤمنين وشفاء صدورهم: فالجهاد سبيل عزة الأمة وكرامتها، وقهر الأعداء، وإغظتهم، والتنكيل بهم، وشفاء الصدر من جرائمهم، وكل هذا من النعيم الذي تسعى إليه كل أمة مسلمة، اصطفت خيرة بنبيها؛ ليصرفوا همتهم في جهاد الكفار، وليبدلوا جهدهم في النكاية فيهم، قال تعالى: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ وَيُذْهِبَ غِظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^٢.

ب- الرزق الوفير، والغنم الكبير: وذلك أن الله جل وعلا امتن على هذه الأمة بأن أباح لها الغنائم، قال تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾^٣، وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أُعْطِيَتْ خُمْسًا لَمْ يَعْطُهَا أَحَدٌ قَبْلِي؛ كَانَ كُلُّ نَبِيٍّ يَبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَيَبْعَثُ إِلَى كُلِّ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ، وَأَحَلَّتْ لِي الْغَنَائِمَ وَلَمْ تَحَلْ لِأَحَدٍ قَبْلِي...»^٤.

وقد جعل الله جل وعلا كسب الغنائم خيرًا للمجاهد، وخيرًا للأمة جمعاء، قال تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾^٥، قال السعدي: (وأما هذا الخمس، فيقسم خمسة أسهم؛ سهم لله ولرسوله، يصرف في مصالح المسلمين العامة، من غير تعيين لمصلحة؛ لأن الله جعله له ولرسوله، والله

١ رواه البخاري في صحيحه.

٢ سورة التوبة: ١٤-١٥.

٣ سورة الأنفال: ٦٩.

٤ متفق عليه.

٥ الأنفال: ٤١.

ورسوله غنيان عنه، فعلم أنه لعباد الله، فإذا لم يعين الله له مصرفاً دل على أن مصرفه للمصالح العامة. والخمس الثاني: لذي القربى، وهم قرابة النبي صلى الله عليه وسلم من بني هاشم وبني المطلب، وأضافه الله إلى القرابة دليلاً على أن العلة فيه مجرد القرابة، فيستوي فيه غنيهم وفقيرهم، ذكرهم وأتاهم. والخمس الثالث لليتامى، وهم الذين فقدت آباؤهم وهم صغار، جعل الله لهم خمس الخمس رحمة بهم؛ حيث كانوا عاجزين عن القيام بمصالحهم، وقد فقد من يقوم بمصالحهم. والخمس الرابع للمساكين، أي: المحتاجين الفقراء من صغار وكبار، ذكور وإناث. والخمس الخامس لابن السبيل، وهو الغريب المنقطع به في غير بلده^١.

* «رَجُلٌ مُمْسِكٌ عِنَانَ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، يَطِيرُ عَلَى مَتْنِهِ»:

ثم أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بالصفات التي تحقق هذه الخيرية في المعاش، وأول هذه الصفات أنه رجل، وكلمة رجل تحمل في طياتها معان؛ منها:

أ- جهاد الرجل بمفرده: كلمة رجل كلمة مفردة، وهذه اللفظة المفردة يقابلها لفظتان من ألفاظ الجمع، وهما كلمة الناس وكلمة لهم، في قوله صلى الله عليه وسلم في أول الحديث: «مِنْ خَيْرِ مَعَاشِ النَّاسِ لَهُمْ»، فلم يقل صلى الله عليه وسلم: رجال ممسكون بأعنة فرسهم... وفي هذا حث للمرء على أن يبادر لتحصيل هذا الفضل، دون أن يبرر قعوده بتخاذل هذا أو نكوص ذلك؛ متذكراً قوله تعالى: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾^٢.

ومن أبرز الأمثلة على مبادرة الرجل للجهاد ما فعله أبو بصير رضي الله عنه؛ فقد كان من بنود صلح الحديبية أن يرد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى قريش من جاء منهم مهاجراً، وقد قبل الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الشرط؛ لأن الله جل وعلا أعلمه أن هذا سيعقبه

١ تفسير السعدي.

٢ سورة النساء: ٨٤.

الخير، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «فاشترطوا على النبي صلى الله عليه وسلم: أن من جاء منكم لم نرده عليكم، ومن جاءكم منا رددتموه علينا، فقالوا: يا رسول الله، أنكتب هذا؟ قال: نعم، إنه من ذهب منا إليهم فأبعده الله، ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجا ومخرجا»^١، وقد روى البخاري قصة أبي بصير بطولها، فقال: «فجاءه أبو بصير، رجل من قريش، وهو مسلم، فأرسلوا في طلبه رجلين، فقالوا: العهد الذي جعلت لنا، فدفعه إلى الرجلين، فخرجا به حتى إذا بلغا ذا الحليفة، فنزلوا يأكلون من تمر لهم، فقال أبو بصير لأحد الرجلين: والله إني لأرى سيفك هذا يا فلان جيئاً، فاستله الآخر، فقال: أجل، والله إنه لجيد، لقد جربت به ثم جربت، فقال أبو بصير: أرني أنظر إليه، فأمكنه منه، فضربه حتى برد، وفر الآخر حتى أتى المدينة، فدخل المسجد يعدو، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآه: لقد رأى هذا ذعراً. فلما انتهى إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: قتل والله صاحبي وإني لمقتول، فجاء أبو بصير، فقال: يا نبي الله، قد والله أوفى الله ذمتك، قد رددتني إليهم، ثم نجاني الله منهم، قال النبي صلى الله عليه وسلم: ويل أمه مسعر حرب لو كان له أحد. فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم، فخرج حتى أتى سيف البحر، قال: وينقلت منهم أبو جندل بن سهيل، فلحق بأبي بصير، فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير، حتى اجتمعت منهم عصابة، فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها؛ فقتلوه، وأخذوا أموالهم، فأرسلت قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم تناشده بالله والرحم لما أرسل، فمن أتاه فهو آمن، فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم إليهم»^٢.

والأكمل في الجهاد أن يكون مع جماعة وإمام إذا تيسر ذلك، ولكن إن لم يتيسر ذلك؛ لفقد الإمام، أو تضييعه للجهاد، أو تحاذلت الجماعة، أو ما شابه ذلك، عاد الأمر بالجهاد

١ رواه مسلم في صحيحه.

٢ رواه البخاري في صحيحه.

إلى عموم الأمة؛ بحيث يبذل القادر جهده، ويطيع أمر ربه جل وعلا، قال ابن قدامة: (فإن عدم الإمام لم يؤخر الجهاد؛ لأن مصلحته تفوت بتأخيره، وإن حصلت غنيمة قسمها أهلها على موجب الشرع، قال القاضي: ويؤخر قسمة الإمام حتى يظهر إمام احتياطاً للفروج)^١، وقال الماوردي: (الذي يلزم من فرض الجهاد شيئان؛ أحدهما: كف العدو عن بلاد الإسلام أن يتخطفها؛ لينتشر المسلمون فيها آمنين على نفوسهم وأموالهم...، والثاني: أن يطلب المسلمون بلاد المشركين ليقاتلوهم على الدين؛ حتى يسلموا، أو يبذلوا الجزية إن لم يسلموا...، ولا يجوز للإمام وكافة المسلمين أن يقتصروا في الجهاد على أحد هذين الأمرين حتى يجمعوا بينهما؛ فيذبوا عن بلاد الإسلام، ويقاتلوا على بلاد الشرك، فإن وقع الاقتصار على أحدهما، حُرِّج أهل الجهاد؛ لإخلائهم بفرض الكفاية)^٢، وقد نقل الشيخ عبد الرحمن القاسم عن الشيخ عبد الرحمن بن حسن قوله: (بأي كتاب، أم بأية حجة، أن الجهاد لا يجب إلا مع إمام متبع؟! هذا من الفرية في الدين، والعدول عن سبيل المؤمنين؛ والأدلة على إبطال هذا القول أشهر من أن تذكر؛ من ذلك عموم الأمر بالجهاد، والترغيب فيه، والوعيد في تركه...، وكل من قام بالجهاد في سبيل الله فقد أطاع الله، وأدى ما فرضه الله، ولا يكون الإمام إماماً إلا بالجهاد)^٣.

ب- جهاد المرأة والطفل: وكلمة رجل تدل كذلك على أحد نوعي الإنسان وهو الذكر، وتدل على الفتوة، وهذا هو المراد في هذا الحديث؛ لأنه يصف من أعدَّ نفسه للقتال أنى وقع في مشرق أو مغرب، وهذا لا يتأتى من المرأة والطفل؛ فالأصل أن المرأة والطفل لا يجب عليهما الجهاد، قال الشافعي: (لم أعلم فيه مخالفاً من أهل العلم)^٤. ولكن يجوز لهما المشاركة مع جيوش المسلمين بما يستطيعانه، فعن الربيع بنت معوذ، قالت: «**كنا نغزو مع**

١ المغني، لابن قدامة.

٢ الحاوي، للماوردي.

٣ الدرر السننية، لعبد الرحمن القاسم.

٤ الأم، للشافعي.

النبي صلى الله عليه وسلم، فنسقي القوم، ونخدمهم، ونرد الجرحى والقتلى إلى المدينة»^١. وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: «أن أم سليم اتخذت يوم حنين خنجرًا فكان معها، فرآها أبو طلحة، فقال: يا رسول الله، هذه أم سليم معها خنجر، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما هذا الخنجر. قالت: اتخذته إن دنا مني أحد من المشركين بقرت به بطنه. فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك»^٢.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: «حدثني أم حرام أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يومًا في بيتها، فاستيقظ وهو يضحك، قالت: يا رسول الله، ما يضحكك؟ قال: عجبت من قوم من أمي يركبون البحر كالمملوك على الأسرة. فقلت: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: أنت معهم. ثم نام، فاستيقظ وهو يضحك، فقال مثل ذلك مرتين أو ثلاثًا، قلت: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، فيقول: أنت من الأولين. فتزوج بها عبادة بن الصامت، فخرج بها إلى الغزوة، فلما رجعت قربت دابة لتركبها، ف وقعت فاندقت عنقها»^٣.

وهذا الجهاد للمرأة مقصور على ما يناسب ضعفها، ويحفظ أمرها، ويحقق المقصود، بلا نفي عام منهن، فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، أنها قالت: «يا رسول الله، نرى الجهاد أفضل العمل، أفلا نجاهد؟ قال: لا، لكن أفضل الجهاد حج مبرور»^٤.

أما عند اشتداد الضرورة في جهاد الدفع، فيتعين على المرأة الجهاد إن استطاعت أن تدفع العدو، قال الكاساني: (إذا عم النفي بأن هجم العدو على بلد فهو فرض عين، يفترض على كل واحد من آحاد المسلمين ممن هو قادر عليه...، فإذا عم النفي لا يتحقق القيام به إلا بالكل، فبقي فرضًا على الكل عينًا، بمنزلة الصوم والصلاة، فيخرج العبد بغير

١ رواه البخاري في صحيحه.

٢ رواه مسلم في صحيحه.

٣ متفق عليه.

٤ رواه البخاري في صحيحه.

إذن مولاه، والمرأة بغير إذن زوجها)^١.

* «مُمْسِكٌ عِنَانَ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»:

فهو استجاب لأمر الله جل وعلا القائل: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾^٢.

ووصفه بأنه ممسك بعنان فرسه يدل على لزومه الإمساك بما يمكِّنه من قيادة فرسه، فهو لطول جهاده على فرسه ولكثرة تعهده، أصبح كأنه ملازم لفرسه ليل نهار. ويا فوز هذا الرجل الممسك بعنان فرسه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من احتبس فرساً في سبيل الله، إيماناً بالله، وتصديقاً بوعده، فإن شبعه وريه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة»^٣، فما أكل فرسه ولا شرب، ولا تروث ولا بال، إلا جازاه الله ثواباً من عنده ورضواناً.

وإذا ذُكر الخيل ذُكر معه الخير، فهما متلازمان؛ كما في هذا الحديث: «مِنْ خَيْرِ مَعَاشِ النَّاسِ لَهُمْ رَجُلٌ مُمْسِكٌ عِنَانَ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»، وكما في حديث عروة البارقي رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «الخيال معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة؛ الأجر، والمغنم»^٤.

وقد أخلص هذا الرجل نيته لله جل وعلا، فكان يبتغي بعنايته بفرسه وجه الله جل وعلا، لا يبتغي دنيا يصيبها، ولا يستعلي على المسلمين بعدته وعتاده، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الخيال ثلاثة؛ فهي لرجل أجر، ولرجل ستر، ولرجل وزر، فأما التي هي له أجر؛ فالرجل يتخذها في سبيل الله، ويعدها له، فلا تُغيب شيئاً في بطونها إلا كتب الله له

١ بدائع الصنائع، للكاساني.

٢ سورة الأنفال: ٦٠.

٣ رواه البخاري في صحيحه.

٤ متفق عليه.

أجرًا...، وأما الذي هي له ستر؛ فالرجل يتخذها تكريمًا وتجمالًا، ولا ينسى حق ظهورها وبطونها، في عسرها ويسرها، وأما الذي عليه وزر؛ فالذي يتخذها أشرًا وبطراً وبذخًا ورياء الناس»^١.

* «يَطِيرُ عَلَى مَتْنِهِ»:

وما أنبل هذا الفارس وأشجعه، فهو وإن أعد الخيل السريعة النجبية سلسلة القيادة، إلا أنه مع ذلك قد جمع في نفسه وفرسه كل ما يوصله لبغيته بأسرع وقت، سرعة تفوق كل سرعة معتادة.

إنه قد قطع كل العوائد التي تشغله، والعلائق التي تحجزه، والعوائق التي تصرفه، حتى يصل إلى بغيته، فلو سابق الطير لسبقها، ولو رام الذرى الشاهقات لصعداها، ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾^٢.

لم يتدثر بالشُّبه الواهية، والأعذار الزائفة، والأخبار المرجفة، والحيل الماكرة، والأُماني الكاذبة، ففعل كل رعديد جبان، ساقط الهمة، واهن العزيمة؛ كالمنافقين الذين قال الله جل وعلا فيهم: ﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمِنِدٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾^٣، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نَزَلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذِكْرٌ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾^٤.

كيف لا يكون هذا الفارس بهذه الهمة والبطولة، وأسوته رسول الله صلى الله عليه

١ رواه مسلم في صحيحه.

٢ سورة الطلاق: ٣.

٣ سورة آل عمران: ١٦٧.

٤ سورة محمد: ٢٠.

وسلم، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس، وكان أجود الناس، وكان أشجع الناس، ولقد فرغ أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق ناس قبل الصوت، فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعًا وقد سبقهم إلى الصوت، وهو على فرس لأبي طلحة عُرِي في عنقه السيف، وهو يقول: لم تراعوا لم تراعوا!»^١، قال النووي: (وفيه فوائد؛ منها: بيان شجاعته صلى الله عليه وسلم، من شدة عجلته في الخروج إلى العدو، قبل الناس كلهم؛ بحيث كشف الحال ورجع قبل وصول الناس)^٢.

وإن يعجب المرء لهذا الرجل الذي يطير على ظهر فرسه، فليزدد عجبه من فروسية هذا البطل الهمام؛ حيث تملك زمام فرسه، وأحكم قيادته، فلم تسقطه سرعة السير ولا شدته؛ بل قد اصطحب عدة القتال وأدوات الحرب، وأخذ ما يحتاجه من طعام وشراب وكسوة؛ فلم يغفل عن فرسه، ولا عن نفسه، ولا عن سلاحه، ولا عن زاده وزاد فرسه.

والفروسية الحقّة تحتاج إلى فارس ذي مهارة ودربة، وتحتاج كذلك إلى عناية بالغة بالخيل، ومعرفة بوسائل ترويضها وأساليب تغذيتها؛ ولذلك لا يتصف بالفروسية إلا القليل من الأبطال، ولطالما سقط من على ظهور الخيل من تقحم الميدان بلا خبرة تكفيه، أو تقدم للنزال على فرس معيب لا يغنيه، ومن عرف ذلك لم يعجب إذا علم أن الإسلام جعل للفارس المجاهد الذي اصطحب فرسه إلى الجهاد ثلاثة أسهم من الغنيمة، وجعل للمجاهد على رجله بلا فرس سهمًا واحدًا منها، روى البخاري في صحيحه، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: «قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر للفارس سهمين وللرجل سهمًا» ثم قال البخاري: (فسره نافع فقال: إذا كان مع الرجل فرس فله ثلاثة أسهم، فإن لم يكن له فرس فله سهم)^٣.

١ متفق عليه.

٢ شرح النووي على مسلم.

٣ رواه البخاري في صحيحه.

* «كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً أَوْ فَرْعَةً طَارَ عَلَيْهِ»:

إن الشغل الشاغل لهذا الفارس، والعمل الدءوب الذي انقطع له، والمهمة السامية التي سار إليها، هي تتبع أماكن الخطر، ومواطن النزال المحتدم، فهو دومًا كذلك، هكذا كان ماضيه، وهذا حاضره ومستقبله، يرهف أذنه، ويصغي سمعه؛ متحسسًا أخبار النزال والقتال؛ هنا أو هناك أو هنالك، حتى إذا سمع عن ملمة نزلت، أو فاجعة حلت، أو صيحة أو صرخة، أو هيعة أو فرعة، قال: أنا لها، وسبق إلى الصوت سبقًا، فلم يؤخره اعتراض نهر ولا بحر، ولا سهل ولا وعر، ولا واد ولا جبل، لا يعرف حدودًا مصطنعة، ولا إجراءات خرقاء بالية.

وإذا حضر الوغى، وتقحم الصعاب، لم يتشاغل عن إخوانه، ولا أصمه صخب الأصوات عند القتال؛ فتراه يسعف ذا بالميمنة، ويدفع عن ذا بالميسرة، ويشد على العدو بالمقدمة، ويسد خرقًا بالمؤخرة، عنده شجاعة وبطولة قل نظيرهما، "قد لانت له أعطاف الأمور، وعنت له رقابها، وأمكنته من قيادها، واستسلمت إليه بأعنتها، وألقت إليه مقاليدها"^١.

ومن أراد أن يعرف كيف يطير هذا الرجل إلى مواطن الهيعات والفرعات إذا سمع بها، فلينظر إلى سلمة بن الأكوع رضي الله عنه، الذي أقدم وحده ليستنقذ إبل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه، قال: «خرجت قبل أن يؤذن بالأولى، وكانت لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم ترعى بذي قرد، قال: فلقيني غلام لعبد الرحمن بن عوف، فقال: أخذت لقاح رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: من أخذها؟ قال: غطفان، قال: فصرخت ثلاث صرخات، يا صباحاه. قال: فأسمعت ما بين لابتي المدينة، ثم اندفعت على وجهي حتى أدركتهم بذي قرد، وقد أخذوا يسقون من الماء، فجعلت أرميهم بنبلي، وكنت رامياً، وأقول: أنا ابن الأكوع، واليوم يوم الرضع،

١ مقتبس من كتاب نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد، لإبراهيم اليازجي.

فأرتجز، حتى استنقذت اللقاح منهم، واستلبت منهم ثلاثين بردة»^١.

* «يَبْتَغِي الْقَتْلَ وَالْمَوْتَ مَطَانَهُ»:

إن هذا الفارس الذي تقحم الأخطار، وخاض الصعاب والأهوال، يتطلب القتل، ويبحث عن الموت، ولكنه قتل يرضي الله جل وعلا، وموت يستشفع به عند ربه سبحانه وتعالى.

وعموم القتل يحمل معان؛ منها: قتله لمن شرع الله قتله من الكفار، ومقتله على يد الأعداء الذين شرع الله قتالهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ﴾^٢.

أ- قتل من شرع الله قتله من الكفار: وهذا هدف من أهداف الجهاد، أن نقصم ظهور قوى الكفر والعناد، وأن نقطع دابر كيدهم ومكرهم، وأن نذيقهم الذل والهوان، وليست المعركة مكاناً للحنان الباهت والشفقة المفتعلة على هؤلاء الكفرة المجرمين؛ قال تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً﴾^٣.

فأبطال المسلمين يقتلون من أمر الله جل وعلا بقتلهم، ويتسارعون إلى الفتك بهم، ودق أعناقهم، وجز رقابهم، قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أِنِّي مَعَكُمْ فَتَيَّبُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتَنِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾^٤، وقال جل وعلا: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبِ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَتَخْتَمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَتَاقَ﴾^٥، وقال سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ

١ متفق عليه.

٢ سورة التوبة: ١١١.

٣ سورة التوبة: ٨.

٤ سورة الأنفال: ١٢.

٥ سورة محمد: ٤.

حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ^١، وقال تعالى: ﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا تَفْتُلُوا أَخِذُوا وَقُتِّلُوا تَفْتِيلًا﴾^٢.

بل إن هذا القتل هو بأمر الله جل وعلا، وعونه، ومدده، وما المجاهد إلا سوط عذاب حاق بهؤلاء القوم الجرمين، قال تعالى: ﴿فَلَمَ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^٣.

ب- طلب القتل والشهادة في سبيل الله: وهذه أمنية من أسمى أمانى المؤمن، يسعى لها سعيًا حثيثًا، ويتطلبها، ويتشوق لها، متأسيا برسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي قال: «والذي نفسي بيده، لولا أن رجلاً من المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني، ولا أجد ما أحملهم عليه، ما تخلفت عن سرية تغزو في سبيل الله، والذي نفسي بيده لوددت أن أقتل في سبيل الله، ثم أحيأ، ثم أقتل، ثم أحيأ، ثم أقتل، ثم أحيأ ثم أقتل»^٤.
لسان حال هذا المؤمن:

وَأَلْزَمَ أَطْرَافَ الثُّغُورِ مُجَاهِدًا
إِذَا هَيْعَةٌ ثَارَتْ فَأَوْلُ نَافِرٍ

لَأَلْقَى حِمَامِي مُقْبِلًا غَيْرَ مُدْبِرٍ
بِسُمْرِ الْعَوَالِي وَالرِّقَاقِ الْبَوَاتِرِ

كِفَاحًا مَعَ الْكُفَّارِ فِي حَوْمَةِ الْوَعَى
وَأَكْرَمُ مَوْتٍ لِلْفَتَى قَتْلُ كَافِرٍ

فَيَا رَبِّ لَا تَجْعَلْ حِمَامِي بِغَيْرِهَا
وَلَا تَجْعَلَنِي مِنْ قَطِينِ الْمَقَابِرِ

١ سورة التوبة: ٥.

٢ سورة الأحزاب: ٦١.

٣ سورة الأنفال: ١٧.

٤ رواه البخاري في صحيحه

٥ من شعر ابن حزم الأندلسي.

والباحث عن الشهادة المتطلب للقتل في سبيل الله، له شأنه في الجهاد عامة، وإذا حمي الوطيس، وسالت الدماء، وتطارت الرقاب، خاصة، فلا تسل عند ذاك عن شأنه، فمن ذا تثبت قدمه حتى يعلم خبره؟ فهذا أنس بن النضر غاب عن قتال بدر، «فقال: يا رسول الله، غبت عن أول قتال قاتلت المشركين، لئن الله أشهدني قتال المشركين ليرين الله ما أصنع. فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون، قال: اللهم، إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء، يعني أصحابه، وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء، يعني المشركين. ثم تقدم، فاستقبله سعد بن معاذ، فقال: يا سعد بن معاذ، الجنة ورب النضر إني أجد ريجها من دون أحد، قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع، قال أنس: فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف، أو طعنة برمح، أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون، فما عرفه أحد إلا أخته بينانه»^١.

وهذا جليبيب رضي الله عنه، قاتل سبعة من المشركين فقتلهم وقتلوه، فوقف النبي صلى الله عليه وسلم عليه وهو مقتول في أرض المعركة، ثم قال: «قتل سبعة ثم قتلوه، هذا مني وأنا منه، هذا مني وأنا منه»^٢.

وهكذا يتطلب المجاهد القتل في سبيل الله، حتى إذا ناله، وحقق مراده، أنعم الله عليه بحياة أكمل وأتم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^٣.

١ متفق عليه.

٢ رواه مسلم في صحيحه.

٣ سورة آل عمران: ١٦٩.

- وقد يقدر الله لعبده السلامة من القتل في المعركة، فيمضي عمره في ساحات الوغى، وأرض البطولات، يكتسب الأجر والثوبة؛ وقد ينجو من قتل الكفار له ومع ذلك يقدر الله جل وعلا له موتاً في سبيله؛ كأن يصاب خطأ فيموت، كما وقع لعامر بن الأكوع في فتح خيبر؛ حيث كان سيفه قصيراً، فتناول به ساق يهودي ليضربه، فرجع ذباب سيفه، فأصاب عين ركبة عامر، فمات منه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ لَهُ لِأَجْرَيْنِ؛ إِنَّهُ لَجَاهِدٌ مُجَاهِدٌ**»^١، وجاهد مجاهد أي مجتهد في طاعة الله مجاهد في سبيله.

ومن طلب المنايا في سبيل الله، فلا حرج عليه مما يصيبه من بلاء يقدره الله عز وجل؛ سواء وقصته دابة، أم تردى من عل، أم أدركه الغرق، أم اجتاحه الطاعون، أم قضى عليه المرض، أم قتله الحر أو البرد، أم فاجأته المنية، قال تعالى: ﴿**وَلَنْ نُقَاتِلَكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ تُمْتَمَ لِمَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةً خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ**﴾^٢، وقال جل وعلا: ﴿**وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قَاتَلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقْنَهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ**﴾^٣ فيأتيه الموت، وهو فرح مستبشر بلقاء الله جل وعلا.

وختاماً: فإن الحديث عن الجهاد حديث شيق طويل، لا تنقضي عجائبه، ولا تنتهي غرائبه؛ إنه حديث يستكثر منه الكبير والصغير، والرجل والمرأة، والقوي والضعيف؛ لأنه يلامس شغاف القلب، ويحرك كوامن النفس، ويبعث فيها الأمل المنشود والعزم المعقود...

ولكن هل يحلو الحديث تتحقق الأماني؟

وهل بالتلذذ ببطولات المجاهدين يتأتى النصر؟

أما سمعنا وأبصرنا الهيئات والفرعات؟

فأين من يمسك بعنان فرسه؟

١ متفق عليه.

٢ سورة آل عمران: ١٥٨.

٣ سورة الحج: ٥٨.

وأين من يطير على متنه؟

وأين من يبتغي القتل والموت مظانه؟

تالله إن منهم بقية باقية، ظاهرة قائمة، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله؛ لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس»^١.

فأين نحن منهم؟ من الذي نصرهم؟ ومن الذي خذلهم وخالفهم؟ ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾^٢.

فيا رب انصر المجاهدين في سبيلك، وامددهم بمدد من عندك، وانتقم من عدوك وعدوهم، يا رب العالمين.

١ متفق عليه.

٢ سورة القيامة: ١٤ - ١٥.

رباط الخيل^١

قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُوهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ﴾..

هذه الآية المباركة تضع أساسا قرآنيا عظيما من أسس الجهاد في سبيل الله تعالى وهو أساس الإعداد للقاء العدو، وفيها توجيهات وآداب وفوائد كثيرة، نستعرض منها هنا بعض ما تتعلق به كلمة ﴿رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾، كالتالي:

١- معنى رباط الخيل:

قال ابن منظور في لسان العرب: "رباط الخيل: مرابطتها. والرباط من الخيل: الخمسة فما فوقها..، الرباط..: ارتباط الخيل وإعدادها..، قال القتيبي: أصل المرابطة أن يربط الفريقان خيولهما في ثغر كل منهما معد لصاحبه"..
وينحو هذا فسر المفسرون معنى رباط الخيل، قال البغوي في تفسيره: "وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ، يعني: ربطها واقتنائها للغزو".

وقال النسفي في تفسيره: "وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ، هو اسم للخيل التي تربط في سبيل الله"..
وقال الخازن في تفسيره: "وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ، يعني اقتنائها وربطها للغزو في سبيل الله، والربط شد الفرس وغيره بالمكان للحفاظ".

فالآية تأمر الأمة بإعداد كل ما تستطيعه من خيل مجهزة مدربة مفرغة مستعدة في مرابطها وقريبة من فوارسها جهادا في سبيل الله تعالى.

٢- سبب تخصيص رباط الخيل:

أمر الله تعالى الأمة بإعداد ما تستطيعه من قوة، فأمرها بذلك بكل أنواع القوة التي تفيد في الجهاد في سبيل الله تعالى من قوة بدنية وقوة سلاح وقوة مركب وقوة عقل وتخطيط..،

(١) كتبت سنة ١٤٤١ هـ.

وغير ذلك، ولكن جاء التخصيص بعد التعميم وورد ذكر رباط الخيل رغم دخوله فيما سبق تأكيداً عليه وتبنيها لأهميته وتشريفها لخصوصيته، قال القرطبي في تفسيره: "إن الخيل لما كانت أصل الحروب وأوزارها التي عقد الخير في نواصيها، وهي أقوى القوة وأشد العدة وحصون الفرسان، وبها يجال في الميدان، خصها بالذكر تشريفاً، وأقسم بغبارها تكريماً. فقال: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾".

وقال ابن حيان في تفسيره: "وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ، تنصيب على فضل رباط الخيل؛ إذ كانت الخيل هي أصل الحروب، والخير معقود بنواصيها، وهي مراكب الفرسان الشجعان". وقال أبو السعود في تفسيره: "وعطفها على القوة مع كونها من جملتها للإيذان بفضلها على بقية أفرادها كعطف جبريل وميكائيل على الملائكة".

* وقد ذكر بعض العلماء أن الحرب تعتمد على الرمي البعيد وعلى الانغماس القريب في أرض المعركة، والخيل هي أداة الالتحام والانغماس في صفوف العدو؛ فالرمي وحده لا يجر الأرض ما لم تكن هناك قوة ميدانية تقاتل فيها لتحريرها، والخيل هي أهم أداة لنقل المجاهد إلى تلك الأرض، كما قال صلى الله عليه وسلم: «من خير معاش الناس لهم رجل ممسك عنان فرسه في سبيل الله، يطير على متنه، كلما سمع هيعة أو فرزة طار عليه، يبتغي القتل والموت مظانه».

٣- فضل رباط الخيل:

قال أبو عبيدة في كتاب الخيل: "لم تكن العرب في الجاهلية تصون شيئاً من أموالها ولا تكرمه صيانتها الخيل وإكرامها لها؛ لما كان لهم فيها من العز والجمال والمتعة والقوة على عدوهم، حتى إن كان الرجل من العرب ليبيت طاويا ويُشبع فرسه ويؤثره على نفسه وأهله وولده، فيسقيه الحض ويشربون الماء القراح، ويعير بعضهم بعضاً بإذالة الخيل وهزائها وسوء صيانتها..، فلم تزل العرب على ذلك.. حتى جاء الله بالإسلام فأمر نبيه صلى الله عليه وآله وسلم باتخاذها وارتباطها لجهاد عدوه..، فاتخذها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحض المسلمين على ارتباطهم، فكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أرغب الناس فيها

وأصونهم لها وأشدهم إكراما لها وحبا وعجبا بها، حتى إن كان ليتسار بصهيل الخيل يسمعه، ويُسبق بينها ويعطي على ذلك السبق، ويمسح وجه فرسه بثوبه، حتى جاءت عنه بذلك الآثار ورواه الثقات من أهل العلم والصدق، وأسهم للفرس سهمين وللرجل سهمًا واحدا من المغنم".

ومن الأدلة على ذلك ما يلي:

- أقسم الله جل وعلا بالخيال التي تغير على الأعداء وذلك لشرفها وفضلها ولما فيها من الآيات الباهرة والنعم الظاهرة، قال تعالى: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا فَأَنْزَلَ بِهِ نَفْعًا فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا﴾.

- وقال صلى الله عليه وسلم: «الخيال معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة: الأجر والغنيمة».

- وقال صلى الله عليه وسلم: «من احتبس فرسا في سبيل الله إيمانا بالله وتصديقا بوعدته، فإن شبعه وربيه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة».

- وعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه، وروي نحوه مرفوعا: "والذي نفسي بيده، ما من فرس إلا وهو يدعو كل سحر، فيقول: اللهم أنت خولتني عبدا من عبادك، وجعلت رزقي بيده، فاجعلني أحب إليه من أهله وماله وولده"، قال الدمياطي في مشاعر الأشواق: "ولا يتعجب من دعاء الخيل، فإنها تتميز على غيرها من الحيوان المركوب بمزيد إدراك وفهم، وسرعة قبول للتهذيب ورياضة الأخلاق، وغير ذلك مما يشهد به العيان".

- أنه لا زكاة على من تملك الفرس لا للتجارة خلافا لهيمنة الأنعام كالإبل والبقر والغنم، قال صلى الله عليه وسلم: «ليس على المسلم في عبده ولا فرسه صدقة».

- أن الغنيمة التي تعطى لمن يجاهد على فرس أكبر من الغنيمة التي تعطى للرجل، ففي الحديث: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قسم في النفل، للفرس سهمين، وللرجل سهمًا».

* ولعناية النبي صلى الله عليه وسلم بالخيال فقد اعتنى المؤرخون بذكر أسماء وأخبار خيله

صلى الله عليه وسلم، فمن ذلك ما جمعه صاحب غاية المراد في الخيل الجياد، حيث قال: "فأما خيلُ النبي صلى الله عليه وسلم فهي: السَّكَب، والمُرْتَجِز، واللِّزَّاز، واللَّحِيف، وسَبْحَة، والطَّرِب، وذو اللُّمَّة، والسَّرْحان، والمُرْتَجِل، والأُدْهَم، ومُلاوِح، والوُزْد، والعُقَّال، واليَعْسُوب، واليَعْبُوب، ومزواح، والبحر، والسَّجَل".

٤- فضل الخيل بعض فضل الفرسان:

إن هذا الأمر الصريح بإعداد الخيل وتجهيزها في مرابطها وتدريبها والعناية بها ورعاية شؤونها وترتيب الفضل العظيم على ذلك هو تنويه وتنبيه من باب أولى على فضل العناية بالجهاد القوي الذي يجيد استخدام تلك الخيل، فماذا ينفع رباط الخيل إن لم يوجد المرابط؟! وماذا تنفع الخيل الجياد إن لم يكن هناك فارس يجيد قيادها؟! قال المتنبي:

وما تنفع الخيل الكرام ولا القنا

إذا لم يكن فوق الكرام كرامٌ

قال رشيد رضا في تفسير هذه الآية: "أمر الله تعالى عباده المؤمنين بأن يجعلوا الاستعداد للحرب.. بأمرين: (أحدهما) إعداد جميع أسباب القوة لها بقدر الاستطاعة. (وثانيهما) مرابطة فرسانهم في ثغور بلادهم وحدودها، وهي مداخل الأعداء ومواقع مهاجمتهم للبلاد، والمراد أن يكون للأمة جند دائم مستعد للدفاع عنها إذا فاجأها العدو على غرة قاومه الفرسان، لسرعة حركتهم، وقدرتهم على الجمع بين القتال، وإيصال أخباره من ثغور البلاد إلى عاصمتها وسائر أرجائها، ولذلك عظم الشارع أمر الخيل وأمر بإكرامها".

٥- رباط الخيل في واقعنا المعاصر:

لقد اعتنت الأمة عبر تاريخها بالخيل أيما عناية وحرصت على إعدادها للجهاد أشد الحرص، والمتتبع لكلام أهل العلم يجدهم يفصلون في ذكر أنواع الخيل وعربيها وهجينها والمكان الأنفع في الجهاد لذكورها وإناثها، والصفات المرغوبة فيها؛ فمن ذلك مثلا قول مؤلف غاية المراد في الخيل والجياد: "وتستحب قلة لحم الوجه، ورقته، ورقة قصبه أنفه. ويستحب عرض الجبهة وعربيها من اللحم، ولصوق جلدها بها. ويستحب ضيق النقرة

المنخفضة في العين. ويستحب سعة حدقة العين وصفائها، وسمو طرفها. ويكره في العين الزرقة، وعدم شدة السواد، وغلظ الجفن، وضيق البصر وضعفه، والتي في بياضها نكتة سوداء أو في سوادها نكتة بيضاء. ويستحب في الأنف أن يكون مصفحا مثل الشمم في الناس، ويكره فيه تطامس قصبه الأنف، ويكره فيه الحبس، وهو أن يكون شبه أنف البقر. ويستحب في الخدين عرضهما وإسالتهما وعريهما من اللحم..".

* واليوم قد تطورت وسائل الجهاد، ولكنها تقوم على نفس الأسس التي قامت عليها الحروب عبر الزمان، فهناك وسائل ومراكب لنقل المجاهد إلى أرض المعركة تساعده في صد العدو وتحرير الأرض، وتلك المراكب تقوم بمهام الخيل في الحروب، فالعناية بتلك المراكب أشد العناية والحفاظ عليها أشد المحافظة وتجهيزها في مرابطها انتظارا لساعة الصفر وترهيبا للعدو، هو من أهم طرق الإعداد التي يجب على المجاهدين العناية بها.

- وكما هو مؤلم أحيانا أن ترى إهمال تلك المراكب من سيارات وناقلات جند، فإذا جاءت المعركة وانطلقت تلك المركبة لهدفها تعطلت في منتصف الطريق أو توقفت قبيل الهدف بسبب إهمال صيانتها، فأريقت دماء المجاهدين الذين على متنها وتصيّدهم العدو بسبب إهمال فني بسيط، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

- ألا فليعلم كل قائم على صيانة مراكب المجاهدين وتجهيز ناقلاتهم أنه على ثغر عظيم فيه فضل كبير وتترتب عليه آثار جليلة، فليتقن عمله وليحكم صناعته، لئلا يؤتى مجاهد من قبله، فالأمر دين ودماء..

- وكذا ليحرص كل فارس امتطى صهوة مركبه أن يتفحص أمره وأن يتأكد من جاهزيته؛ فهو مؤتمن على نفسه وعلى من ركب معه من المجاهدين.

أسأل الله أن يحفظ المجاهدين بحفظه، وأن يرعاهم برعايته، وأن يكتب على أيديهم نصرا مؤزرا قريبا، والحمد لله رب العالمين.

حنظلة والنفير^١

* نفير الصحابة رضي الله عنهم:

سمع حنظلة بن أبي عامر المنادي ينادي للجهاد فوثب وثبة الأبطال، وخرج إلى أخذ مقاتلا الكفار، يصول ويجول يمينة ويسرة، يتتبع أئمة الكفر وزعماءهم، حتى أوشك على قتل أبي سفيان، ولكن أسرع أحد المشركين فقتل حنظلة قبل أن يقتل زعيمهم أبا سفيان. وانجلت المعركة وبدأ المسلمون بحصر الشهداء، فوجدوا الماء يقطر من حنظلة، فتعجبوا أشد العجب من ذلك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن صاحبكم تغسله الملائكة، فاسألوا صاحبته**»، فسألوا زوجته عن حاله، فقالت: «**خرج وهو جنب لما سمع الهائعة**» فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لذلك غسلته الملائكة**» رواه الحاكم في المستدرک، فسمي حنظلة غسيل الملائكة، وسمي ولده: بنو غسيل الملائكة، فما أعظم شرف هؤلاء القوم في الدنيا والآخرة.

هكذا كان الصحابة إذا دعا داعي الجهاد، يهبون سراعاً إلى منازل الأبطال بلا تأخر ولا تلكؤ، يقول قائلهم: «**والذي نفسى بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحر لأخضناها، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد لفعلنا**» رواه مسلم، فلا بحر يعيقهم، ولا بعد المكان يؤخرهم.

بل إن أطفال المسلمين ونساءهم وكهولهم وعميائهم كانوا يتسابقون للخروج في سبيل الله، فهذه الربيع بنت معوذ، تقول: «**كنا نغزو مع النبي صلى الله عليه وسلم، فنسقي القوم، ونخدمهم، ونرد الجرحى والقتلى إلى المدينة**» رواه البخاري، وهذه أم حرام خرجت للغزو فوقعت من على الدابة فاندقت عنقها وماتت.

(١) كتبت سنة ١٤٣٥ هـ.

وهذا عبد الله ابن أم مكتوم الأعمى يشهد معركة القادسية ويحمل فيها اللواء.

قوم إذا داعي الجهاد دعاهم

هبوا إلى الداعي بغير توان

* أهمية النفير:

إذا دعا داعي النفير، وطلب المسلمون من ينصرهم ويعينهم ويؤازرهم، فعلى المسلمين أن يهبوا جماعات وأفرادا لنجدتهم ونصرتهم، قال تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وإذا استنفرتم فانفروا» متفق عليه، وقال صلى الله عليه وسلم: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة» متفق عليه.

والنفير لنصرة المسلمين من أفضل الأعمال وتركه سبب للهلاك، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

* ضرورة النفير في بلاد الشام:

إن الجهاد في بلاد الشام يمر بمرحلة مفصلية، تقتضي تكاتف المجاهدين وتعاونهم وتأزرهم؛ لصد عادية المجرمين، والحفاظ على مكتسبات الجهاد المبارك، وأخذ زمام المبادرة مرة أخرى.

* وقد ظهرت في الساحة أخطاء بين بعض المجاهدين، يجب التنبيه لها والحذر من الوقوع في حباتها؛ ومن هذه الأخطاء المنتشرة:

– الجهاد المناطقي:

حيث يربط البعض جهاده بتحرير قريته أو مدينته، فإذا تحررت ألقى السلاح ولم يبال بحال إخوانه في بقية المناطق، وأقصى ما يبذله أن يتأسى ويتألم على حالهم، دون أن يحرك ساكنا، فلا هو في العير ولا في النفير، قال تعالى: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾، ويصدق فيه قول القائل:

ما بالنا نغمض الأجناف في دعة

ونحن كنا ذوي عزم أبيننا

كنا إذا ما دعا داعي الجهاد بنا

رأيت أفواجنا جمعا ملبيننا

وليحذر أولئك القوم عقاب الله جل وعلا في الدنيا قبل الآخرة؛ لأن من شكر نعمة التحرر الوقوف مع القرى التي لم تتحرر بعد، فترك نصرتهم تبديل للنعمة، وقد قال الله عز وجل: ﴿وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

– انشغال البعض بالمفضول وترك الفاضل:

حيث ينشغل البعض بأعمال تخدم الجهاد خدمة غير مباشرة، وكلما طلب منه النفير للجهاد تعلق بأنه مشغول بتلك الأعمال التي اختارها من نفسه، ويرى الأمراء أن غيرها أولى منها، مع أن الأصل أنه يكون حيث وضعه الأمير لا حيث يشتهي هو، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث رأسه مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقية كان في الساقية» رواه البخاري.

وليحذر هؤلاء فعال المنافقين الذين كانوا يريدون ترك الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدعوى الجهاد في الدفاع عن بيوتهم، فقال الله جل وعلا عنهم: ﴿وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾.

- الانشغال بالدنيا:

البعض يخرج للجهاد أياما ثم يعود لبيتي أسابيع وشهورا يسعى لتحصيل المال والعمل في التجارات...، بدعوى الحاجة للنفقة.

ومع أن توفير النفقة للأهل والعيال ضروري، ولكن لا بد من معرفة أن الجهاد مأخوذ من الجهد والمشقة، وأن نقص الأموال نوع من أنواع الابتلاء، قال تعالى: ﴿وَلَنْبَلُونَكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾.

فلا يسوغ تقديم السعي في تحصيل تلك الأرزاق على الجهاد في سبيل الله، بل الجهاد هو الأولى والأوجب، ومن ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه، وقد حاول بعض الصحابة أن يفعل قريبا من ذلك فنزل القرآن الكريم ينهاهم عن ذلك، فعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه، قال: «لما أعز الله الإسلام وكثر ناصروه، فقال بعضنا لبعض سرا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن أموالنا قد ضاعت، وإن الله قد أعز الإسلام وكثر ناصروه، فلو أقمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم يرد علينا ما قلنا: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ فكانت التهلكة الإقامة على الأموال وإصلاحها وتركنا الغزو» رواه أبو داود والترمذي.

- المنة عند نصرته إخوانه في القرى الأخرى:

حيث يفتخر البعض بنصرة إخوانه، ويمن عليهم أن قدم لنصرتهم، ويكثر من ذكر العصبية الجاهلية، ويستكثر ما قدمه في سبيل الله تعالى، وقد قال تعالى: ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْتُوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ

صَادِقِينَ، فله وحده المنة بأن فتح باب الجهاد ووفق عبيده لطاعته؛ فالإسلام يجمعنا والعصبيات المناطقية تفرقنا، فالحذر أن نستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، فنخسر الأولى والآخرة.

- استئصال الجهاد خارج القرية:

يستثقل البعض مفارقة الديار والأهل والأحباب، والتغرب في القرى المختلفة، ويتعذر بالعلل الواهية حتى لا ينفر نصره لإخوانه، وقد قال تعالى: **﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعَدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾**.

اللهم وفقنا لحسن الجهاد في سبيلك، إنك ولي ذلك والقادر عليه.

التحريض على القتال^١

التحريض على القتال من العبادات الشرعية التي خوطبت بها الأمة وهو أحد أفراد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن دعائم الجهاد في سبيل الله تعالى.

والتحريض كما نقل ابن منظور في لسان العرب: "التَّحْرِيسُ عَلَى الْقِتَالِ الْحَثُّ وَالِإِحْمَاءُ عَلَيْهِ..، وتَأْوِيلُ التَّحْرِيسِ فِي اللُّغَةِ أَنْ تَحْتَّ الْإِنْسَانُ حَثًّا يَعْلَمُ مَعَهُ أَنَّهُ حَارِصٌ إِنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ..، والحَارِصُ الَّذِي قَدْ قَارَبَ الْهَلَكَ".

- وقد ورد الأمر بالتحريض على الجهاد في قوله تعالى مخاطبا نبيه صلى الله عليه وسلم:

﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا﴾، وقوله جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾، قال ابن كثير في تفسيره: "بتحريضك إياهم على القتال تنبعث همهم على مناجزة الأعداء، ومدافعتهم عن حوزة الإسلام وأهله، ومقاومتهم ومصابرتهم" ..

ولأن الإسلام دين يخاطب العقل والنفس والعاطفة، ويراعي واقع الإنسان ومشاعره واحتياجاته، ويوازن بين الروح والجسد، فقد تعددت وسائل التحريض على القتال في السيرة النبوية، وهذا تعداد لبعض تلك الوسائل:

١- التذكير بأن المعركة معركة عقيدة:

فالجهاد هو في سبيل الله تعالى ومن أجل الدين والعقيدة وتحقيق العبودية لله جل وعلا، وهذا من أعظم الدوافع للجهاد في سبيل الله؛ لأن الجهاد فيه تعريض النفس للموت وهذا لا

(١) كتبت سنة ١٤٤١هـ.

ينبغي أن يكون إلا ما هو أعظم من النفس والحياة بأسرها وهو حفظ الدين، وقد تكرر هذا التنبيه كثيرا، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾، قال الطبري في تفسيره: "الذين صدقوا الله ورسوله، وأيقنوا بموعود الله لأهل الإيمان به ﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، يقول: في طاعة الله ومنهاج دينه وشريعته التي شرعها لعباده ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾، يقول: والذين جحدوا وحدانية الله وكذبوا رسوله وما جاءهم به من عند ربهم ﴿يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾، يعني: في طاعة الشيطان وطريقه ومنهاجه الذي شرعه لأولياءه من أهل الكفر بالله..، مقوِّيًا عزم المؤمنين به من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومحرضهم على أعدائه وأعداء دينه من أهل الشرك به".

وقال سبحانه مبينا أن الكفر بالله جل وعلا سبب للجدد في الجهاد: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾..

وقال جل وعلا: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾. وقال سبحانه: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾، قال ابن كثير: "لما كان الجهاد فيه إزهاق النفوس وقتل الرجال، نبه تعالى على أن ما هم مشتملون عليه من الكفر بالله والشرك به والصد عن سبيله أبلغ وأشد وأعظم وأطم من القتل".

وقال صلى الله عليه وسلم: «اغزوا باسم الله وفي سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله» رواه الترمذي وابن ماجه.

٢- الترغيب في ثواب الله تعالى:

المؤمن يعبد الله تعالى حبا له راجيا رحمته جل وعلا وثوابه، لذاكثر تحفيز المجاهدين على القتال بذكر ثواب الله جل وعلا الذي أعده للمجاهدين في جنانه، قال تعالى: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾.

وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ

تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ يَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ.

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَاهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَيُصْلِحَ بَاهُمْ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ﴾.

وقال جل وعلا: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَلَيْنَ فَتَلْتَمُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مِتُّمْ لَمَغْفِرَةً مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةً خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾.

وقال جل وعلا: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةِ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

وقال صلى الله عليه وسلم: «من قاتل في سبيل الله من رجل مسلم فواق ناقة وجبت له الجنة» رواه أبو داود والترمذي.

وقال صلى الله عليه وسلم: «إن أبواب الجنة تحت ظلال السيوف» رواه مسلم.

وقال صلى الله عليه وسلم: «إن في الجنة مائة درجة أعدتها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض» رواه البخاري.

ومن الترغيب في ثواب الله تعالى معرفة أن الله ما شرع الجهاد إلا لتنزل الخيرات على الصالحين، وأن لله جل وعلا الحكمة البالغة، قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ

لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٠﴾.

وقال سبحانه: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، وقال جل وعلا: ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾.

٣- الترهيب من عقاب الله جل وعلا:

الركن الثالث الذي تقوم عليه العبادة بعد الحب والرجاء هو الخوف من عقاب الله تعالى، والجهاد في سبيل الله تعالى ذروة سنام الإسلام ومن أهم وسائل حفظ العقيدة وتحقيق العبودية لله في الأرض، وبدونه يكثر الشرك بالله والصد عن سبيل الله تعالى؛ لذا كان من طرق التحريض على الجهاد ذكر وعيد الله جل وعلا والعذاب الأليم للتارك لما وجب عليه من جهاد، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اتَّقِلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلَ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

وقال سبحانه: ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُنُدَعُونَ إِلَى قَوْمِ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُوهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ فَإِنْ تَطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

وقال جل وعلا: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

وعقاب الله جل وعلا كما أنه يكون في الآخرة فإنه يكون في الدنيا كذلك، قال تعالى:

﴿وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن، فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: حب الدنيا، وكرهية الموت» رواه أبو داود.

٤- استشارة مشاعر النخوة والمروءة والانتقام من العدو:

من أساليب التحريض لقتال العدو استشارة مشاعر الأمة من عزة وكرامة ونخوة ومروءة؛ فقد جاء الرسول صلى الله عليه وسلم ليتمم صالح الأخلاق، قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ قال الأستاذ سيد قطب في تفسيره: "كيف تقعدون عن القتال في سبيل الله واستنقاذ هؤلاء المستضعفين من الرجال والنساء والولدان؟ هؤلاء الذين ترسم صورهم في مشهد مثير لحمية المسلم، وكرامة المؤمن، ولعاطفة الرحمة الإنسانية على الإطلاق؟ هؤلاء الذين يعانون أشد المحنة والفتنة؛ لأنهم يعانون المحنة في عقيدتهم، والفتنة في دينهم".

وقال جل وعلا: ﴿أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بغيرِ حَقِّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ﴾. وقال سبحانه: ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقَفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمُوهُمْ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾، قال ابن كثير: "قوله: ﴿الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾ إنما هو تهييج وإغراء بالأعداء الذين همتهم قتال الإسلام وأهله".

وقال جل وعلا عن ملائكة بني إسرائيل: ﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجَنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا﴾.

وقال تعالى: ﴿أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكُوثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ

مَرَّةً أَخْشَوْهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾

وقال سبحانه: ﴿وَلْيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ

ادْفَعُوا﴾

٥- الوعد بالنصر والتمكين والمعية للمؤمنين:

مما يطيب النفوس ويحفزها ويشجعها علمها بعاقبة عملها؛ لذا كان الوعد بالنصر والتمكين للمؤمنين وأن العاقبة للمتقين من طرق التحريض للجهاد، وكذلك الشعور بمعية الله جل وعلا لعباده المجاهدين، قال تعالى: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَيُذْهِبَ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾

وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلُوا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يجدُونَ وِليًا وَلَا نصيرًا

سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾

وقال جل وعلا: ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾

وقال تعالى: ﴿لَنْ يَضُرَّوْكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلْوَكُمْ يُؤَلُّوْكُمْ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾

وقال سبحانه: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ

يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ

غِلظَةً وَعَلِّمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾

وقال سبحانه: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأَلْتَنِي فِي

قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾

٦- المكافأة المالية:

المجاهدون هم خلاصة عباد الله الصالحين، ولكنهم كذلك بشر ضعيف له متطلبات وعندة مسؤوليات وفي نفسه حاجات، لذا راعى الإسلام تلك البشرية فكان من وسائل التحريض على الجهاد والقتال تشجيع النفس بالمال، قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾.

وقال سبحانه: ﴿فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.
وقال جل وعلا عن المجاهدين: ﴿فَاتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.

وقال صلى الله عليه وسلم: «جعل رزقي تحت ظل رمحي» رواه البخاري، وقال صلى الله عليه وسلم: «الخيال معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة؛ الأجر والمغنم» متفق عليه، وعن ابن عمر رضي الله عنهما، «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث سرية قبل نجد وأن سهمانهم بلغت اثني عشر بعيرا، ونُقلوا سوى ذلك بعيرا» رواه مسلم، وقال صلى الله عليه وسلم: «من قتل قتيلا له عليه بيعة فله سلبه» رواه مسلم.

٧- عقاب المتخاذل عن القتال:

النفوس تتفاوت في استجابتها؛ فمنها ما يكون حاديه الأكبر هو الشوق ومنها ما يكون حاديه الأكبر هو الخوف، لذا كان من طرق التحريض على القتال عقاب المتخاذل المفرط في هذا الواجب العظيم قطعا للنفس عن العلائق التي تمنعها من فعل الخير، قال تعالى: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ فَلْيَضْحَكُوا

قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ
لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُفَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْفُجُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ
فَافْعَدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ».

وقد اشتهرت حادثة كعب بن مالك رضي الله عنه حين تخلف عن غزوة تبوك بلا عذر،
فعاقبه النبي صلى الله عليه وسلم ومن كان مثله بهجر الناس لهم، ثم قبل الله توبة كعب رضي
الله عنه ومن معه، قال جل وعلا: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِقُوا حَتَّىٰ إِذَا صَاحَتْ عَلَيْهِمْ
الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَصَاحَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ
عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾.

وقال سبحانه: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا
فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ
بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ
الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزَيْنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا
بُورًا وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ
إِلَىٰ مَعَانِمِ لِنَأْخُذُوهَا ذُرُوعًا وَنَضَعُكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ
اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ نَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يُفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

وقال جل وعلا: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ
جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا
أَمْرًا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَىٰ اللَّهِ
فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ
يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾.

وقال صلى الله عليه وسلم: «من لم يغز أو يجهز غازيا أو يخلف غازيا في أهله بخير،
أصابه الله بقارعة قبل يوم القيامة».

٩- تخصيص المقاتلين بمزيد مناصرة:

الولاء للمسلمين أصل ثابت تنبثق منه مراتب متعددة، فكلما كمل إيمان المسلم كلما ازداد حق الولاء له، وكلما ضعف إيمان المسلم كلما نقص حقه من الولاء، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾، قال ابن كثير: "إن استنصروكم هؤلاء الأعراب، الذين لم يهاجروا في قتال ديني، على عدو لهم فانصروهم، فإنه واجب عليكم نصرهم؛ لأنهم إخوانكم في الدين، إلا أن يستنصروكم على قوم من الكفار ﴿بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ﴾ أي: مهادنة إلى مدة، فلا تخفروا ذمتكم، ولا تنقضوا أيمانكم مع الذين عاهدتم".

وفي حديث بريدة الأسلمي رضي الله عنه، قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمر أميراً على جيش أو سرية، أوصاه في خاصته بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيراً، ثم قال: اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله..، ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك، فاقبل منهم، وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين، وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها، فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين».

ورغم أن هذا الحكم الوارد في هذه الآية فيه أمور منسوخة مثل وجوب الهجرة إلى المدينة النبوية، إلا أنه يوضح وجود فرق بين حالة السعة والقدرة وغيرها من الحالات، خاصة في زمن الاستضعاف الكبير الذي تعيشه الأمة في الأزمنة المتأخرة؛ حيث يعجز المجاهدون غالباً عن الدفاع عن كل المستضعفين وسد كل ثغور الأمة، فيضطرون للموازنة وتقدير الأولويات.

١٠ - إذكاء روح التنافس بين المقاتلين:

من محفزات النفوس للعمل بث روح التنافس في الأمة ومدح السابقين للخيرات، قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

وقال جل وعلا: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلُوا﴾.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «قال رجل: أي الناس أفضل يا رسول الله؟ قال: مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله» متفق عليه.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «قيل: يا رسول الله، ما يعدل الجهاد في سبيل الله؟ قال: لا تستطيعونه، فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثا، كل ذلك يقول: لا تستطيعونه!، ثم قال: مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يفتر من صيام، ولا صلاة، حتى يرجع المجاهد في سبيل الله» متفق عليه.

- تلك عشر وسائل تعين من تأسى بالنبي صلى الله عليه وسلم في تحريضه الأمة للجهاد في سبيل الله تعالى، ليضيف المرء إلى حسناته حسنات من استجاب فخرج للجهاد في سبيل الله، قال صلى الله عليه وسلم: «من دعا إلى هدى، كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا» رواه مسلم.

والحمد لله رب العالمين.

قاتلوهم^١

قال جل وعلا: ﴿قَاتِلُوهُمْ
يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ
وَيُخْزِهِمْ
وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ
وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ
وَيُذْهِبَ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ
وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾..

هذا أمر من الله جل وعلا مقتن بالبشرى والجزاء العاجل في الدنيا قبل الآخرة..
أمر للذين أخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيله وتسلط عليهم الكفار وامتألت قلوبهم
غضبا وغيظا من فعال المجرمين ..

أمر لهم بأن يقاتلوا المشركين.

وأعقب هذا الأمر وعد من الله جل وعلا للمؤمنين، وعد يهون عليهم كلفة المخاطرة
بالمهجة، وعد بأن يبارك الله تبارك وتعالى في قتالهم، فيعذب الله جل وعلا الكفار بأيدي
المؤمنين، وهو قادر سبحانه على أن يجعل العذاب كله من عنده بلا عمل من المؤمنين،
ولكن تسليط الله المؤمنين على الكافرين وكونهم المباشرين لعذاب الكافرين فيه انشراح لنفوس
المؤمنين ومباشرة للانتقام من القوم الكافرين.

وكم سيصيب الكافرين من أنواع العذاب بسبب قتال المؤمنين لهم من قتل وأسر وجرح وتشريد..

ومع العذاب الذي يصيب الكافرين يلحق الخزي والعار والهوان بهم كذلك فمن مات لحقته اللعنة ومن عاش كافرا عاش ذليلا.

ثم تذكر الآية أنه يقترن بالعذاب والخزي النصر المؤزر للمؤمنين عليهم، ذلك النصر الذي يذهب بالآلام الماضي وآثاره ويجدد الروح والنفس فيطيب الصدر من كل ما شابه من جراح وينسى القلب كل ما اعتراه من أسي.

ولم تجعل الآية شفاء الصدور وذهاب الغيظ متعلقا بالمخاطبين بالقتال فقط كما في الوعود السابقة ﴿بِأَيْدِيكُمْ﴾ ﴿وَيَنْصُرْكُمْ﴾ بل جعلتها نكرة ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ لتشمل هؤلاء وغيرهم من النساء والضعفاء وعامة الأمة في كل زمان ومكان؛ سواء من شهد قتال هؤلاء المشركين أو من لم يشهد قتالهم، وسواء من شهد هذه الأحداث وعاصرها أو من جاء بعدها؛ حيث يرى المؤمن في كل زمان ما تقرّ به عينه، وينشرح به صدره، حين يحدثه التاريخ عن هزيمة الباطل وانتصار الحق، وامتداد ظلّ الإسلام، وانكماش دولة الكفر والضلال...

ومع هذا النصر المبين المؤزر يحتتم الله جل وعلا الآيتين بنصر أكبر وهو نصر الإيمان على الكفر في نفوس البشر، فيتوب الله على من يشاء من هؤلاء الكافرين فيدخلون الإسلام وتجمعهم أخوة الإسلام بمن كانوا يحاربونهم بالأمس، فيصيرون جندا للإسلام حربا على الكفار، وذلك فضل من الله العليم الحكيم.

وقد جمع الله عَزَّ وَجَلَّ في هذه الآية أنواعا عديدة من الخير الذي يكون في القتال مع العدو، من وعد النصر للمؤمنين عليهم، وإدخال السرور في صدورهم، ونفي الحزن عنهم، وتعذيب أولئك بأيديهم، ودخول بعض الكافرين في الإسلام.

وقد نزلت هاتين الآيتين عند فتح مكة، وتكررت مشاهدتها عبر التاريخ في أيام الله الكثيرة؛ كالكادسية واليرموك وحطين وعين جالوت وقهر السوفييت في أفغانستان وهزيمة الأمريكان في العراق وأفغانستان، ورأيانها في بلاد الشام حين حررنا بفضل الله القرى والمدن والثكنات العسكرية والمطارات، فعذبهم الله جل وعلا بأيدينا وأخزاهم ونصرنا عليهم وشفنا صدور المؤمنين وأذهب غيظ قلوبهم، ولا زال الوعد الرباني قائم للمؤمنين الذين يستجيبون لربهم فيقاتلون أعداء الدين ويجاهدون في سبيل الله حق الجهاد.

فالبدار البدار أيها المجاهدون؛ فالسوق قائمة والسلعة حاضرة والتمن موجود والنصر قريب بإذن الله..

والحمد لله رب العالمين.

معركة الثبات^١

"ارجع عن دينك" هذا هو ما طلبه الملك المتجبر من الراهب وجليسه والغلام، فلما أبى كل واحد منهم عاجله بالقتل.

- فلماذا يطلب منهم الرجوع عن دينهم ولا يقتلهم فوراً؟

- ما الفائدة التي تعود عليه لو عادوا إلى دينه؟ وما الضرر الذي يلحقه إن ماتوا على غير دينه؟

- ولماذا بعد آلاف السنين يطلب الطاغية جمال عبد الناصر كتابة استرحام من الأستاذ سيد قطب ليترك قتله؟

- ولماذا أبى هؤلاء الإجابة لما يدفع عنهم القتل واستسلموا للقتل في سبيل الله تعالى؟

إن المعركة الكبرى مع الشيطان وحزبه وأوليائه هي معركة ثبات أو ركون، ثبات على الحق أو ركون للباطل، قال تعالى: ﴿وَأِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَخَذُوكَ خَلِيلًا وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا إِذَا لَأَذْفَنَّاكَ فِي سَفْتِنَا لَنَكْفُرَنَّ بِكَ وَلَنَجْعَلَ لَكَ خَلِيلًا وَسِعْفَ الْحَيَاةِ وَزِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾.

وقد كان مشركو مكة يُعملون التعذيب الشديد في المسلمين ليردوهم عن دينهم؛ لأنهم يعلمون أن موتهم على الإسلام نصر للمسلمين واستهزاء بقوة الكافرين.

(١) كتبت سنة ١٤٤٢ هـ.

ومن هذا المنطلق عمل أعداء الإسلام في العصر الحاضر على استخدام كل الوسائل لصد طلائع المسلمين عن دينهم وعن الحق الذي أذاعوا به؛ فأغروهم بالمال والمناصب، وضيعوا عليهم في الحل والترحال، وسلطوا عليهم علماء السوء وجامعي الشبهات، وضغطوا عليهم بالقهر والسجون، وصبروا سنين طويلة بل وعشرات السنين على مكر الليل والنهار واستخدام وسائل الترغيب والترهيب والافتراء والتشكيك عليهم يصدوا عالما عن دينه أو مجاهدا عن الحق الذي يدعو له؛ فإذا ظفروا بشيء من ذلك أذاعوا به ونشروه وجعلوا ذلك اليوم عيدا يرتشفون فيه كأس النصر..

ثم إنهم بعد ذلك يعملون على تصدير ذاك المنحرف وتقديمه ليكون معول هدم يكمل طريقهم ويفتح لهم الثغور التي صعبت عليهم ويكسر شوكة الثابتين رغم الصعاب..

لذا لا غرابة أن ينظر المرء اليوم في مشرق الأرض ومغربها لير أن حامل لواء الباطل اليوم هم قوم كانوا بالأمس طلبة علم أو مجاهدين زلت أقدامهم فسارت بهم إلى صفوف العدو، وما قاديروف في الشيشان ورباني في أفغانستان وشيخ شريف في الصومال وهاني بن بريك في اليمن وسعيد رسلان في مصر وغيرهم عنا ببعيد.

فالثبات الثبات أخا الجهاد، واحذر ترغيب المفتونين وتخويف الغاوين وشبهات المنقلبين، وانج سعد فقد هلك سعيد.

*** واعلم أن من أعظم المنبتات:**

- مدرسة كتاب الله تعالى: ﴿وَكَلَّا نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ااعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ وَاَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ

الأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤٧﴾..

- وصدق الإيمان بوعد الله جل وعلا ووعيده: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾..

- ونصرة دين الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾.

- والدعاء الصادق: ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾..

* أخوا الجهاد: عليك بطريق الحق ولا تستوحش من قلة السالكين، وإياك وطريق الباطل ولا تغترن بكثرة الهالكين..

اللهم احفظ عبادك المجاهدين في سبيلك من مضلات الفتن ما ظهر منها وما بطن.

الثبات الثبات يا أبطال الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله..، وبعد؛

فقد أمر الله جل وعلا بالجهاد في سبيله، وبين لنا فضائل الجهاد وأحكامه وآدابه، ومن ذلك أن الله تعالى أمر المؤمنين بالصبر على مشاق النزال، والثبات عند لقاء العدو، وذكر الله القوي القهار ذكرا كثيرا يرسخ في القلوب حقيقة معية الله جل وعلا للمؤمنين.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ

تُفْلِحُونَ﴾.

وقال جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ

تُفْلِحُونَ﴾.

ومع الأمر بالثبات جاء النهي عن التولي والفرار من الزحف، هذا الفرار الذي يشجع أهل الباطل على باطلهم، ويطعن المجاهدين في ظهورهم، ويفتح ديار الإسلام للأعداء الحاقدين.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ

وَمَنْ يُولُوهُمْ يَوْمَئِذٍ ذُبُرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اجتنبوا السبع الموبقات. قيل: يا رسول الله،

وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل مال

الْيَتِيمِ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الرَّحْفِ، وَقَدْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْعَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ» متفق عليه.

فالثبات الثبات أيها المجاهدون الأبطال لا يؤتى الإسلام من قبلكم، ولا تنتهك الحرمات بسبب تقصيركم، واعملوا جاهدين على رد عدوان المعتدين، وخذوا حذرکم فھیؤوا العدة للقاء عدوكم، وضعوا السواتر، واحفروا الخنادق، ولغموا الطرقات، ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفَّ بِأَسِ الدِّينِ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بِأَسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾.

ويا أمراء الجبهات: كونوا بين الجنود، شاركوهم وأعينوهم، وشاوروهم وأكرموهم، ولا تتركوهم فريسة للشيطان، ولا عرضة للتخبط والفوضى، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّمَا الْإِمَامُ جُنَّةٌ يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ وَيُتَّقَى بِهِ﴾ متفق عليه.

نسأل الله أن يثبت عباده المجاهدين وأن يمكن لهم دينهم وأن يفتح على أيديهم.

تالله لينتصرن المجاهدون^١

نعم قد خسرنا بعض القرى بريف حماة ولكن قسما بالله ليحررن المجاهدون حماة وحلب ودمشق، شاء من شاء وأبي من أبي.

ومن أغاظه كيد العدا وضعف الصادقين، فضعف يقينه وبحث عن نصر سريع شامل دائم بغير طريق شرعي؛ فأمامه:

- خوض غمار السياسة غير الشرعية..
 - أو الغوص في مستنقع التحالفات الدولية المذلة..
 - أو القبول بتسوية الوضع مع النصيرية..
 - أو إلقاء نفسه في البحر..
- ثم لينظر هل تذهبن هذه الأفعال غير الشرعية ما أغاظه من كيد بشار..

* قال جل وعلا بعد أن تكلم عن الذين يعبدون الله على حرف فإن أصابهم خير اطمأنوا به وإن أصابتهم فتنة انقلبوا على عقبهم: ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ﴾.

قال الطبري: "وذلك أن الله تعالى ذكره ذكر قومًا يعبدونه على حرف وأنهم يطمئنون بالدين إن أصابوا خيرا في عبادتهم إياه، وأنهم يرتدون عن دينهم لشدة تصييبهم فيها، ثم أتبع ذلك هذه الآية، فمعلوم أنه إنما أتبعه إياها توبيخا لهم على ارتدادهم عن الدين، أو على شكهم فيه نفاقا، استبطاء منهم السعة في العيش، أو السبوغ في الرزق .. من كان يحسب أن لن يرزق الله محمدا صلى الله عليه وسلم وأمته في الدنيا، فيوسع

(١) كتبت سنة ١٤٣٩ هـ.

عليهم من فضله فيها، ويرزقهم في الآخرة من سني عطاياه وكرامته، استبطاء منه فعل الله ذلك به وبهم، فليمدد بجبل إلى سماء فوقه: إما سقف بيت، أو غيره مما يعلق به السبب من فوقه، ثم يحتنق إذا اغتاض من بعض ما قضى الله، فاستعجل انكشاف ذلك عنه، فلينظر هل يذهب كيده اختناقه كذلك ما يغيظ، فإن لم يذهب ذلك غيظه حتى يأتي الله بالفرج من عنده فيذهب، فكذلك استعجاله نصر الله محمداً ودينه لن يُؤخَّر ما قضى الله له من ذلك عن ميقاته ولا يعجل قبل حينه".

شدائد في حياة الأنبياء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.. وبعد؛

فإن الله جل وعلا أرسل رسوله الكرام وجعلهم قدوة للأنام يهتدي بهديهم كل صاحب قلب سليم، قال تعالى عن أنبيائه: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَفْتَدِهِ﴾ وجعلهم الله جل وعلا بشرا يصيبهم ما يصيب البشر من بلاء ومحن لا تعارض الرسالة فكانوا نعم الأسوة للمؤمنين: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾.

والأنبياء هم صفوة الله من خلقه اختارهم واجتباهم وأنعم عليهم واصطفاهم رضي عنهم ورضوا عنه، وشاء الله العلي القدير أن يعرضهم للبلاء لحكم جليلة وعظات بليغة، سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أي الناس أشد بلاء؟ فقال صلى الله عليه وسلم: الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل» رواه الترمذي، وهذه الحكم فيها الخير العميم؛ لأنها من لدن حكيم خبير: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

وكان ذلك الابتلاء والامتحان للأنبياء عين الكرامة في حقهم، فظاھر في صورة ابتلاء وامتحان، وباطنه فيه الرحمة والنعمة، فكم لله من نعمة جسيمة ومنّة عظيمة تُجنى من قطوف الابتلاء والامتحان.

بعض الحكم من ابتلاء الأنبياء:

- أن هذا البلاء زيادة في شرفهم وفضلهم ليلبغوا الدرجات الرفيعة والمنازل الكريمة بسبب عظيم الأجر الذي ينالونه جزاء صبرهم، قال تعالى: ﴿وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَخَيْرًا﴾.

- البلاء سبب للإكثار من بعض أنواع العبادات كالدعاء والتضرع والرضا والصبر والحمد وإظهار الخضوع لله والإخبات إليه، وهذه أمور يحبها الله ويرضاها، وقد وصف الله جل وعلا حال زكريا عليه السلام في قوله: ﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾.

- أن البلاء سبب لتعجيل النعم في الدنيا، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾.

- ليتأسى بالأنبياء من بعدهم من المؤمنين فإذا رأوا ما جرى على الرسل والأنبياء صبروا ورضوا واطمأنوا، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْتُمُ الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَزُلْزَلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾.

- بيان منزلة متاع الدنيا وزخرفها من مال وبنين وصحة وأوطان؛ لأن هذا البلاء قد وقع على خير خلق الله وهم الأنبياء الذين اصطفاهم واختارهم، فلو كانت التقوى لا تتحصل إلا بتلك الوسائل لكان للأنبياء النصيب الأوفر منها، ولكن الحقيقة هي ما أخبر الله تعالى به في قوله: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ بل إن الله جل وعلا توعدهم بالعقاب والنكال من قدم محبة تلك الأشياء على محبة الله ورسوله بقوله جل وعلا: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

- ليزداد المجرمون بإيذائهم للأنبياء كفرهم، فيحقيق بهم ما أعد الله لهم من النكال العاجل في الدنيا والعقوبة الآجلة في الآخرة، فينتقم الله منهم بسبب بغيتهم وعداوتهم للمؤمنين، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ وقال جل وعلا: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾.

- في وقوع الابتلاء على الأنبياء دفع لما يلقيه الشيطان في قلوب بعض الناس من غلو في تعظيم الأنبياء يصل أحيانا إلى حد عبادتهم من دون الله جل وعلا، فإذا كانوا لا يملكون نفعا ولا ضرا من دون الله فكيف يعبدهم الجهال طالبين منهم شفاء الأمراض وجلب الأرزاق، قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

صور من الابتلاء الذي نزل بالأنبياء:

وقد تنوع الابتلاء الذي نزل ببعض أنبياء الله جل وعلا فاشتمل على كثير مما يصيب الإنسان حسا ووجدانا ومن ذلك مثلا:

- تكذيب الكفار وتنقصهم للأنبياء: كان المجرمون من كل قوم يواجهون الأنبياء بوصفهم بصفات مشينة مثل الكذب والسحر، وهذه أوصاف مشينة تؤذي المشاعر، قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ أَنْتَ وَاصْوَا بِهِ بَلْ لَهُمْ قَوْمٌ طَاعُونَ﴾ وقال جل وعلا: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾.

- الهجرة من الأوطان: إن حياتنا الدنيا على الأرض ليست أبدية بل هي مرحلة للعبور إلى الآخرة، وعندما يتعارض البقاء في أرض بعينها مع الحفاظ على الدين فإن الحفاظ على الدين مقدم دوماً، وكان الكفار يخبرون أنبياء الله بين العقيدة والبقاء في منازلهم، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ فكان تشريع الهجرة للمؤمنين إلى الأرض التي يعبد فيها الله وحده حفاظاً على العقيدة والدين، وحذر الله من فضل البقاء في وطنه مضيعاً عقيدته، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَوْفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾.

- القتل والإيذاء: تجرأ الكفار المجرمون على أنبياء الله وقاموا بإيذائهم، وقتلوا من الأنبياء من قتلوا؛ قتلوا زكريا ويحيى عليهما السلام ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ وحاولوا قتل إبراهيم الخليل فألقوه في النار: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ونال سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم من الأذى ما ناله وهموا بقتله صلى الله عليه وسلم قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾.

- المرض: المرض عارض ينتاب البشر ومنهم الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه، فناهم من الألم ما ناهم، فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصيبه المرض فيقول له عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «يا رسول الله إنك لتوعك وعكا شديداً؟ قال: أجل إني أوعك كما يوعك رجلان منكم، قلت: ذلك أن لك أجريين، قال: أجل ذلك كذلك، ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها إلا كفر الله بها سيئاته كما تحط الشجرة ورقها» رواه

البخاري، وهذا نبي الله يعقوب عليه السلام يصاب بفقد البصر حيناً من الدهر قال تعالى: ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ وهذا أيوب عليه السلام أصيب بالمرض وصبر فجعله الله ذكراً للعابدين قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدَنَا وَذَكَرَى لِلْعَابِدِينَ﴾.

- الجوع وقلة المال: أصاب الجوع الأنبياء وتحملوا شدائد قلة المال برضا وقناعة، فهذا موسى عليه السلام خرج من بلده إلى مدين وتضرع إلى الله قائلاً: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ وهذا أبو طلحة الأنصاري رضي الله عنه يقول: «لقد سمعت صوت رسول الله صلى عليه وسلم ضعيفا أعرف فيه الجوع» رواه البخاري، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه يدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيرى أثر خشونة الحصر في جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيبكي ويقول: «يا رسول الله إن كسرى وقيصر فيما هما فيه وأنت رسول الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة» رواه البخاري.

- تمرد الزوجة: ابتلى الله نبيين صالحين هما نوح ولوط عليهما السلام بزوجتين متمردتين قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾.

- الابتلاء في الأبناء: الأولاد نعمة جليلة امتن الله بها على البشر قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ وشاء الله جل وعلا أن يبتلي بعض أنبيائه بصور من الابتلاء المتعلق بالأبناء مثل:

أ- غياب الأبناء: ابتلي إبراهيم الخليل بترك زوجته هاجر وابنه إسماعيل بواد غير ذي زرع ثم لما شب إسماعيل أمر الله جل وعلا إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه فاستجاب وانقاد لأمر الله، ولما استعد لتنفيذ الأمر عبادة لله وخضوعاً لحكمه جاءه النداء: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَقْتَ الرَّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ إِنَّ هَذَا هُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾، وابتلي يعقوب بغياب يوسف وادعى إخوة يوسف أن الذئب أكله كما قال تعالى: ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾.

ب- موت الأبناء: للموت وقع على النفس ففيه فراق للأحبة وبعد عن الأهل، وقد مات في حياة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أبناؤه القاسم وزينب ورقية وأم كلثوم وعبد الله وإبراهيم أي مات جميع أبنائه صلى الله عليه وسلم في حياته عدا السيدة فاطمة رضي الله عنها، ويحكي أنس بن مالك رضي الله عنه وقع فراق إبراهيم ابن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فيقول: «جعلت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم تذر فان، فقال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه: وأنت يا رسول الله، فقال: يا ابن عوف إنها رحمة، ثم أتبعها بأخرى، فقال صلى الله عليه وسلم: إن العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضى ربنا وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون» رواه البخاري.

ج- تأخر إنجاب الأبناء: ابتلي الله نبيه زكريا بعدم إنجاب زوجته للأبناء مدة طويلة فصبر ودعا حتى أتته البشرية قال تعالى: ﴿كَهَيْعِصَ ذَكَرُ رَحْمَةٍ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِئُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا﴾ بل إن زوجة سيدنا إبراهيم عليه السلام لما أتتها البشرية وقد بلغت من الكبر ما بلغت تعجبت عجا

شديدا كما حكى الله حالها في قوله: ﴿فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ قَالُوا كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ وفي قوله: ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾.

د- كفر الأبناء: الهداية بيد الله جل وعلا يمن بها على عباده، ومن أعظم ما يتمناه الوالد لولده أن يكون عبدا شكورا، وشاء الله لحكمته أن يتبلي نوحا عليه السلام بهلاك ابنه على ملة الكفر قال تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمَغْرِقِينَ﴾.

وختاما:

فإن هذه المقتطفات من الشدائد التي أصابت الأنبياء مع أنهم عباد مخلصون تبين لنا أن المسلم في الحياة الدنيا قد باع نفسه وماله وحياته ووطنه وأهله في سبيل مرضاة الله تعالى مرددا: ﴿إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

بعد قرار مجلس الأمن حول سوريا.. نقول: هذا ما وعدنا الله ورسوله..^١

- ١- قرر مجلس الأمن العمل على وقف إطلاق النار بسوريا والحل السياسي بناء على مؤتمر فيينا والترحيب بتحديد الأردن للجماعات الإرهابية.
- ٢- لم يكن هذا القرار مفاجئا فهو واحد من مئات القرارات الدولية المشابهة التي تتسق مع سياق العداوة التاريخية بين الإسلام والكفر..
- ٣- وليست مشكلتنا في القرار بقدر ما هي في التهويل الذي يصطنعه البعض حول خطورة مثل هذه القرارات الدولية..
- ٤- ألم يقرر مجلس الأمن انسحاب إسرائيل من الجولان وعودة اللاجئين وتدويل القدس..
- ٥- ألم تضع أمريكا حماس وحزب الله وحركة تحرير مورو وحزب العمال الكردستاني على قوائم الجماعات الإرهابية..
- ٦- ألم تقرر المحكمة الجنائية الدولية إيقاف البشير رئيس السودان.. ألم تضع السعودية الإخوان المسلمين في قائمة الجماعات الإرهابية.
- ٧- ألم تقرر منظمات حقوق الإنسان كثيرا من القرارات المتعلقة بالدين والمرأة والطفل ولم تعمل بها كثير من البلدان...
- ٨- إن السيسي هو الرئيس المعترف به دوليا وأي عمل ضده هو حسب القوانين الدولية إرهاب، فهل يعني ذلك الاستسلام!
- ٩- لم تأخذ الشعوب المسلمة الثائرة قرارا من الأمم المتحدة عندما ثارت، ولن يوقفها بإذن الله قرار..
- ١٠- إن التضحيات التي قدمها السوريون الصامدون عظيمة، ولكن لا بديل سوى الصبر والمصابرة أو مذابح كمنذجة رابعة وتسلط كتسلط الحوثيين..

- ١١- والشام هي أرض الملاحم، وما يفعله النصيرية اليوم فعل مثله الصليبيون في معركة النعمان، وتيمور لنك في حلب..، ثم كان النصر حليفنا.
- ١٢- وأذكر عندما كان بعض المنتسبين حديثا للجهاد يلح على الشيخ أبي خالد السوري رحمه الله للمشاركة بالمعارك يقول: اصبروا فالمعركة طويلة..
- ١٣- والإعراب الصحيح لعموم القرارات الدولية هو أنها في محل مفعول به لا فاعل، فهي ردت أفعال لصراع تحسمه القوة المنتصرة على الأرض..
- ١٤- وعلى المجاهدين تجاهل تلك القرارات والمضي في الجهاد، والعمل "دون مدهانة" على تفريق الأعداء وتحييد واستمالة بعضهم وإشغال بعضهم..
- ١٥- والمرجعون يهولون من قيمة هذه القرارات ويظنون أن السبل قد أغلقت ولا حل إلا بالرضوخ للكافرين واستجداء رحمتهم..
- ١٦- ويصرخ المنافق: دمرت الثورة بأسلمتها، قال تعالى: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾.
- ١٧- ويردد المؤمنون قول الله: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾.
- ١٨- ﴿هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾، قال ابن كثير: "أي هذا ما وعدنا الله ورسوله من الابتلاء والاختبار والامتحان الذي يعقبه النصر القريب" ..

هذا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه^١

عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فوجد اليهود صياما يوم عاشوراء، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما هذا اليوم الذي تصومونه، فقالوا: هذا يوم عظيم أنجى الله فيه موسى وقومه وغرق فرعون وقومه، فصامه موسى شكرا فنحن نصومه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فنحن أحق وأولى بموسى منكم. فصامه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر بصيامه».

كان صيام يوم عاشوراء عاما في العرب قبل الإسلام مع اختلاف دياناتهم، وقد كانت قريش رغم عبادتها للأصنام تصوم يوم عاشوراء، فعن عائشة رضي الله عنها: «أن قريشا كانت تصوم يوم عاشوراء في الجاهلية، ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصيامه حتى فرض رمضان...»

ولعل هذا التوافق على صيام يوم عاشوراء بين العرب قبل الإسلام وثنيهم ويهوديهم هو من البقايا الصحيحة التي ورثوها عن أجدادهم الذين كانوا على الدين الصحيح.

وأما يوم إنجاء الله تعالى موسى عليه السلام وقومه وإغراق فرعون وقومه فهو يوم عظيم جليل جعله الله عبرة للناس إلى يوم الدين، وقد تكرر ذكره في القرآن الكريم في مواضع عديدة منها:

- قال تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (٤٩) وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾.

- وقال سبحانه: ﴿فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا

(١) كتبت سنة ١٤٤٠ هـ.

غَافِلِينَ (١٣٦) وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَعَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ (١٣٧) وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ ﴿١٣٧﴾.

- وقال جل وعلا: ﴿وَإِذْ أُنجَيْنَاكُم مِّن آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾.

- وقال تعالى: ﴿كَذَّابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ﴾.

- وقال سبحانه: ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْعُرْقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتَ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩٠) الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٩١) فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ﴾.

- وقال جل وعلا: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾.

- وقال تعالى: ﴿فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَفِرَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا (١٠٣) وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾.

- وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرْكًا وَلَا نَحْشَىٰ (٧٧) فَأَتَبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ (٧٨) وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىٰ (٧٩) يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ مِنْ عَدُوِّكُمْ وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَىٰ﴾.

- وقال جل وعلا: ﴿فَلَمَّا تَرَاءَى الْجُمُعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ (٦١) قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ (٦٢) فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطُّودِ الْعَظِيمِ (٦٣) وَأَزَلَّفْنَا تَمَّ الْآخِرِينَ (٦٤) وَأُنجَيْنَا مُوسَىٰ

وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ (٦٥) ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْأَخْرِينَ (٦٦) إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ (٦٧) وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦٧﴾.

- وقال تعالى: ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ (٣٩) فَأَخَذْنَا هُوَ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانَظَرُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾.

- وقال سبحانه: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَعْرَفْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٥) فَجَعَلْنَا هُمْ سَلْفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾.

- وقال جل وعلا: ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ (٣٠) مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾.

- وقال تعالى: ﴿فَأَخَذْنَا هُوَ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾.

- وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذْرُ (٤١) كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَا هُمْ أَخَذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ﴾.

- وقال جل وعلا: ﴿فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخَذًا وَبِيلاً﴾.

- إن يوم نجاة موسى عليه السلام وقومه وإهلاك فرعون وقومه ليس مجرد يوم تاريخي، بل هو إعلان عن نهاية كل قوى الكفر والكبر والجبروت والإجرام البشري في كل عصر ومصر، وهو ميلاد لقوى الخير والإيمان والصلاح والفلاح.

- إن يوم النجاة هو يوم وفاة أمة ظالمة مستبدة، وميلاد أمة أخرى تأخذ حظها من العمل والاختبار فتسير على طريق الهدى أو الضلالة.

- إن يوم النجاة هو يوم بلوغ الشدة والكرب مداه، ثم بلوغ الفرج والفرح أقصاه فينقلب حزن المؤمن في طرفة عين لبشر وسرور، وينقلب حال الكافر من فرح لشدة ما أقساها وانتقام ما أشده فيأخذه الله جل وعلا ﴿أَخَذًا وَبِيلاً﴾ يأخذه ﴿أَخَذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ﴾ سبحانه..

- إن يوم النجاة هو يوم انقطاع الرجاء بالأسباب الأرضية بعد اتخاذها وتعلق الأمل بالله وحده لا شريك، فيسبب سبحانه أسبابا لا تخطر على بال إنس ولا جان فينقلق البحر

فلقتين.

- إن يوم النجاة هو يوم تمادي الكبر والطغيان لأقصى حد له، فيمضي الطاغية للبحر الذي فلقه الله للمؤمنين الذين يوقن فرعون في قرارة قلبه أنهم على الحق، ولكنه يمضي لمصرعه إرضاء لغروره وكبريائه، فيحيط به الماء من كل جانب.

- إن يوم النجاة هو يوم تنساق الجنود الحمقى لحتفها وتسير لهلاكها لا لشيء إلا لأنها خنعت للطاغية وخافت على شهواتها الحيوانية أن تنقص إن تخلفت عن طريق الردى الذي تسير فيه، فتهلك تلك الجموع كلها في بحر شهواتها الذي يغرقها في اليم وهم ينظرون.

- إن يوم النجاة هو يوم يلخص مسيرة البشرية وعمر الحضارات ومآلات الشعوب، فلكل طاغية في التاريخ بحر يغرقه ويهلكه ويجعله آية، ولكل مؤمن مستضعف طريق ينفلق أمامه كالطود العظيم فينجو من خلاله.

- إن يوم النجاة هو اليوم الحقيقي الذي يجب أن يكون محل نظر الناس وترقبهم في كل زمان ومكان؛ لأنه عاجل حساب الدنيا قبل حساب الآخرة.

* إن قصة موسى عليه السلام مع فرعون هي أطول قصة ذكرها القرآن الكريم من قصص الأنبياء السابقين، وهي بطولها توضح البون الشاسع بين قوة وجبروت الظالم وضعف وانكسار المظلوم، ولكنها قوة وهمية لا حقيقة لها وهو ضعف ظاهري محدود لا يعبر عن حقيقة القوة في الدنيا فضلا عن الآخرة.

- إن بشار والسيسي وحفتر وأمثالهم اليوم ما هم إلا فراعنة استعبدوا الشعوب وعاشوا وهم القوة واغترتوا بالجنود وغفلوا عن مصيرهم القريب والقريب جدا، فما أيام الدنيا وشهورها وسنينها إلا كلمح البصر أو هي أقرب، ثم يأتي يوم كعاشوراء الميمون فيهلك الله جل وعلا الطاغية المتفرعن وينجي الله المؤمنين، ويستخلفهم في الأرض فينظر كيف يعملون، ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾.

منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة^١

بعد غزوة أحد نزل القرآن الكريم يبين للمسلمين وللأجيال من بعدهم كثيرا من المعاني والحكم والآداب والخفايا التي حصلت في المعركة؛ فجاءت آية في سورة آل عمران تتحدث عن المعركة ودروسها..

ومن الكلمات اللافتة في تلك السورة الكريمة قوله تعالى للمسلمين المجاهدين في غزوة أحد: ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾، وليس المراد بهذه الآية المنافقين الذين عادوا للمدينة مع ابن سلول ولم يشاركوا في المعركة أصلا، بل هذا الخطاب من الله جل وعلا هو عن الصحابة الذين شاركوا في معركة أحد وقُتل منهم مَنْ قُتل وجُرح منهم مَنْ جُرح، يكشف عن حقيقة سبب البلاء الذي نزل بهم يومها، يقول ابن جرير الطبري في تفسيره: "يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا﴾ الذين تركوا مقعدهم الذي أقعدهم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم في الشعب من أخذ لخيل المشركين، ولحقوا بعسكر المسلمين طلب النهب إذ رأوا هزيمة المشركين، ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾ يعني بذلك: الذين ثبتوا من الرماة في مقاعدهم التي أقعدهم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، واتبعوا أمره، محافظة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وابتغاء ما عند الله من الثواب بذلك من فعلهم والدار الآخرة".

ولم يكن هذا الكشف القرآني هو التنبيه الوحيد للجماعة المسلمة إلى ما اعتراهم في الطريق من نقائص وما تلبسوا به من مخالفات يوم أحد، فقد جاءت في نفس سياق التعليق على غزوة أحد إشارات أخرى عديدة؛ مثل قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فِشَلْتُمْ﴾، ﴿وَتَنَارَعْتُمْ فِي الأَمْرِ﴾، ﴿وَعَصَيْتُمْ﴾، ﴿تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ﴾، ﴿الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ التَّنْقِي الجَمْعَانِ﴾، ﴿اسْتَرْهَبُوا الشَّيْطَانَ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾، ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾...

(١) كتبت سنة ١٤٤١ هـ.

وفي التعليق على هذا التنبيه القرآني يقول الأستاذ سيد قطب في الظلال: "القرآن يسلط الأضواء على خفايا القلوب، التي ما كان المسلمون أنفسهم يعرفون وجودها في قلوبهم..، وبذلك يضع قلوبهم أمامهم مكشوفة بما فيها ويعرفهم من أين جاءتهم الهزيمة ليتقوها! وفي الوقت ذاته يكشف لهم عن طرف من حكمة الله وتدبيره وراء هذه الآلام التي تعرضوا لها ووراء هذه الأحداث التي وقعت بأسبابها الظاهرة..، إنه سبحانه تركهم يذوقون عاقبة تصرفاتهم تلك، وابتلاهم ذلك الابتلاء الشاق المرير ولكنه لم يطردهم خارج الصف..، لقد قبل ضعفهم هذا ونقصهم، ورباهم بالابتلاء، ثم رباهم بالتعقيب على الابتلاء، والتوجيه إلى ما فيه من عبر وعظات..، ليعرفوا ويدركوا وينضجوا، وكشف لهم ضعفهم، ومخبات نفوسهم، لا ليفضحهم بها، ويرذلهم، ويحقرهم، ولا ليرهقهم ويحملهم ما لا يطيقون له حملاً، ولكن ليأخذ بأيديهم".

* واليوم في إدلب ونحن نرى هذا البلاء العظيم الذي نزل بنا، ونشاهد التراجع الذي أصيبت به الأمة في جبهات معركة النعمان، نوقن أن الله جل وعلا بالمؤمنين رؤوف رحيم، وأن ما نزل هو بسبب ما اعتدى صفوف المجاهدين من: التفات أفراد منهم عن مقصود الجهاد، وإرادة للدنيا، وتقصير في الإعداد، وركون للظالمين، وظلم للنفس والعباد..

وأول طريق العلاج معرفة الداء وأول خطوة في طريق النصر هي التوبة والإنابة، ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾..

- يا قومنا: النصر قادم ولكن لمن نصر الله حقاً، قال جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾.

- يا قومنا: لا يهولنكم مكر العدا، فالله جل وعلا يقول: ﴿وَإِن تَصَبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾.

- يا قومنا: تهويل قوة روسيا هي طريقة الشيطان الذي يعمل على إخافة المؤمنين من

المشركين، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا مِنِّي إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

- يا قومنا: بالإحسان إلى المجاهدين وإلى جموع الشعب الصابرين تنزل رحمت رب العالمين، قال سبحانه: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

- يا قومنا: التقوى التقوى فالزموها، ولا تغرنكم الأمانى والشعارات فيكون الهلاك، فكم خالف عمل قوم قوهم فوالهم سوء العذاب، قال تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾.

- يا قومنا: هبوا إلى الثغور، وانشغلوا بمدافعة العدو، فكم من بركة حلت ورحمة تنزلت كرامة لصادق هنا أو هناك، قال جل وعلا: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَن يَكْفِيَ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾.

- يا قومنا: قد جربتم خداع الضامن المتآمر والمفاوض الساذج والمنسق الجاهل، فعضوا بالنواجذ على كلمتكم الصادقة: "ما لنا غيرك يا الله"، قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾.

- يا قومنا: البدار البدار والنزال النزال، فاليوم يوم الملحمة، يوم التسابق إلى الطعان والمسارة إلى الجنان؛ فشهد مستبشر بمن خلفه، ومنتصر متشوق لمن سبقه، والله لا يضيع أجر المحسنين.

* فاللهم تب علينا لتتوب، ووقفنا لما فيه خير الإسلام والمسلمين، وانصر المجاهدين في إدلب وفي كل مكان، والحمد لله رب العالمين.

وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ

هذا هو أمر الله جل وعلا لنبيه موسى عليه السلام أن يذكر بني إسرائيل ويسترجع معهم ذكرى نعم الله تبارك وتعالى عليهم، ولطفه بهم، ونصرهم في أيام الضيق والشدة والكرب؛ فقد أنقذهم من فرعون وجنده بعد أن ساموهم سوء العذاب، وأغرق عدوهم بعد أن قال بنو إسرائيل إنا لمدركون، وأورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم.

ورغم أن الأيام كلها لله جل وعلا إلا أن تخصيص بعض الأيام وإضافتها لله جل وعلا إنما هو لزيادة شرف ما أنعم الله جل وعلا به على عباده في تلك الأيام وعظيم شأنه كما قال تعالى: ﴿هَذِهِ نَافَةٌ لِلَّهِ﴾، وقال: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾..

وقد تكرر في القرآن الأمر بالتذكير بنعم الله وتذكرها خاصة نعمه للمؤمنين في مواجهة الكافرين، قال جل وعلا: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُدَجِّجُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾، وقال سبحانه: ﴿وَادْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾.

فهناك أمران إلهيان هما تذكّر أيام الله جل وعلا، والتذكير بها، ليبقى المجتمع المؤمن قوي الإيمان بالله سبحانه يأخذ من ماضيه شعلة يستضيء بها في حاضره ومستقبله، فما من محنة إلا وقد سبقتها محن لطف الله فيها، وما من بلية إلا وقد مرت قبلها بلايا رأى المؤمنون

فيا مجاهدي الشام: تذكروا أيام الله التي أنعم بها عليكم، تذكروا يوم كنا مستضعفين في الأرض يجهر المجرمون بكفرهم ويستعلنون بباطلهم ويسومون المؤمنين سوء العذاب، ثم بدل الله خوفنا أمنا وذلنا عزا وضعفنا قوة.

تذكروا يوم كانت مظاهراتنا تقض مضاجع الكافرين.

وتذكروا يوم حررنا بتكبيرنا القلاع والحصون.

تذكروا أيام الله في حلب وحماة وإدلب والساحل والرقعة ودير الزور وحمص والقلمون ودرعا ودمشق والقنيطرة فكلها مواطن تنزلت فيها علينا البركات ورأينا بها الكرامات.

كم من مطارات حررناها، وثكنات فتحناها، وقلاع وطئناها، وحصون أخذناها، ومستودعات غنمناها، وجيوش هزمنها، وأرتال نسفناها، ومؤامرات أفشلناها... وما ذلك بجولنا وقوتنا بل لله في ذلك كله المنة والفضل.

فيا أيها الدعاة ذكروا الناس بأيام الله وتذكروها، فالله متم نوره ولو كره الكافرون.

والحمد لله رب العالمين.

زجروا يا أسود - انتفاضة الشباب المسلم

أصول الانتفاضة..

- انقلاب السيسي انقلاب علماني كافر يحارب الإسلام..

- المعركة مع الانقلاب جزء من معركة عالمية، وأي نصر في ثغر ما تتردد أصداؤه في بقية الثغور؛ في تونس وليبيا ومصر وفلسطين واليمن وسوريا والعراق وأفغانستان..، وكل هزيمة في ثغر تؤثر على بقية الثغور..

- المعارك العالمية تكاليفها باهضة، لكن الدخول فيها حتمي لا خيار فيه ولا مفر منه، ونتائجها حاسمة ومصيرية وممتدة لعقود طويلة.

- لا بد أن يزيد التصعيد ويرتفع، عبر مراحل منتظمة تراعي المرحلة؛ فتفتيت الأعداء، وتحييد بعضهم، والتركيز على أئمة الكفر وأكابر المجرمين، وقصر مواجهة أذنان الطغاة الهمج الرعاع أتباع كل ناعق على مقدار ما ينههم ويردعهم ويخلخل صفوفهم، مع حسن الحفاظ على الطليعة المؤمنة، أساس لبداية العمل المثمر.

- الجيش والشرطة مؤسستان تحاربان الإسلام، وهما خنجر في ظهر الأمة وسهم في كنانة اليهود والنصارى، ويجب الانشقاق الفوري عنهما لجميع الضباط والعساكر والمجندين، إلا لمن يعمل حقيقة لا توها على إفشال مخططاتهم من الداخل وتفكيك بنيانهم وقلب نظام الحكم العلماني.

- لا يجوز أن يتكلف المرء التكلم فيما يجهله ولا يعلمه مما يحتاج إلى نظر وتأمل من أمور تكفير الأعيان والطوائف، فليس الحكم قبل عموم المواجهة ووضوحها كالحكم بعدها؛ فهناك أسس ثابتة للحراك الشعبي في بداياته، ينتشر علمها ولا تحتاج إلى كبير تأمل؛ منها: اعتبار كل قوة تواجه المتظاهرين أو تستعد لمواجهتهم كالكمائن والآليات الحربية وأقسام الشرطة كعدو يدفع شره ويردع، حسب ميزان قوة المتظاهرين والعدو ومكان المواجهة وزمانها.

- عدم الانخداع بزخارف كلام الخوارج السفهاء الذين يكفرون المسلمين ويدمرون الثورة والجهاد، ولا يرون بأسا من تكفير حازم أبي إسماعيل ولا عبود الزمر ولا أيمن الظواهري ولا الجبهة السلفية ولا طالبان ولا القاعدة، وعندهم قتال حماس والإخوان أوجب من قتال اليهود والعلمانيين، فحقيقة فعلهم تقارب حقيقة فعل الرافضة عندما قاتلوا اليهود ثم توجهوا بسيوفهم إلى أهل السنة والجماعة.

- أبشروا يا أسود مصر، فالمسلمون في مكة المكرمة، والمدينة المشرفة، والأقصى السليب، وثغور حلب ودمشق، ومرتفعات الشيشان.. قلوبهم معكم وأنظارهم إليكم، يعلقون عليكم آمالا وأعمالا.

سدد الله خطاكم يا أسود مصر، امضوا على بركة الله فلا يأس ولا استسلام...
قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار.

الجهاد التطوعي^١

تقدمت مرة للعمل في مركز مرموق للبحوث الإسلامية وتم قبولي فيه، وجلس معي مدير المركز ليشرح طبيعة عمل المركز، ومما قاله لي: إننا في المركز لا نقبل العمل التطوعي بلا راتب! تعجبت منه، وتساءلت: ما المانع من الاستفادة من الباحثين المتطوعين، فأجابني: المركز عنده خطة عمل ومعدل إنجاز شهري، والأصل في المتطوع أنه لا يلتزم بإنجاز العمل في الموعد المحدد، وفي آخر الشهر يعتذر بالمرض أو السفر أو الانشغال..، وليس عند الباحث المتطوع ما يخاف خسارته عند تأخيره للعمل، ويبقى المركز هو المتضرر من التأخير، أما الباحث المتفرغ للعمل الذي يتقاضى راتباً وينظم حياته بناء على هذا الراتب، فإنه يحرص على إنجاز العمل وإلا فإن تأخيره للعمل يعني خسارة الراتب واضطراب وضعه المعيشي!

كثيراً ما أتذكر هذا الموقف عندما أرى حالة "الجهاد التطوعي" التي استشرت بين عدد من المجاهدين؛ فيجاهد المرء متى أراد ويتغيب متى أراد، ويتقن ما أراد ويهمل ما أراد..، ويكون انضباط الجند راجعاً فقط لوازع التقوى في النفوس...

وهذا داء لا بد له من دواء، وقد قيل: سؤدد بلا جود كملك بلا جنود، وجود الرجل يحبه إلى أصداده ويخله بيغضه إلى أولاده.

نسأل الله أن يغني المجاهدين من فضله.

الجهاديون.. الله دَرُّهم!

الجهاديون جمع لكلمة الجهادي، والجهادي مكون من اسم الجهاد لحقته ياء النسب التي تنسب الشخص إلى أمر محدد كقبيلة أو بلد أو صنعة، كما يقال: طائي ومكي ونحوي..

وانتساب المرء للجهاد حتى يصبح جهاديا يحتاج إلى ملازمة الجهاد ودوام الالتصاق به، قال ابن الوراق في علل النحو: "النسب معناه إضافة شيء إلى شيء، وإنما تشدد ياءه لأن النسبة تصير لازمة للمنسوب، فصارت هذه الإضافة أشد مبالغة من سائر الإضافات فشددوا ياءها ليدلوا على هذا المعنى"، وقال القلقشندي في صبح الأعشى في صناعة الإنشا: "وبالجملة فقد اصطلحوا على أن يكون ما لحقت به ياء النسب أرفع رتبة مما تجرد عنها.. أما كون ما لحقت به ياء النسب أرفع رتبة من المجرد عنها فظاهر؛ لأن المبالغة تقتضي الرفع ضرورة".

- وقد انتشر استخدام مصطلح "الجهاديين" في العقود الأخيرة سواء داخل الحركات الإسلامية أو في الدراسات الدولية، ويُعنى به غالبا صنف من المجاهدين وهم الذين اتخذوا الجهاد سبيلا دائما ونذروا حياتهم في خدمة الجهاد وقضاياه.

والجهاد في الإسلام من أجل العبادات وملازمته في الزمن الأول زمن الانتصارات والفتوحات وجهاد الطلب صفة الصفوة من عباد الله تعالى، قال صلى الله عليه وسلم: «والذي نفس محمد بيده، لولا أن يُشَقَّ على المسلمين ما قعدت خلاف سرية تغزو في سبيل الله أبدا، ولكن لا أجد سعة فأحملهم، ولا يجدون سعة، ويشق عليهم أن يتخلفوا عني، والذي نفس محمد بيده، لوددت أني أغزو في سبيل الله فأقتل، ثم أغزو فأقتل، ثم

أغزو فأقتل» متفق عليه.

وقال صلى الله عليه وسلم: «من خير معاش الناس لهم رجل ممسك عنان فرسه في سبيل الله، يطير على متنه، كلما سمع هيعة أو فرزة طار عليه، يبتغي القتل والموت مظانه» رواه مسلم.

وفي غزوة الخندق جدد المهاجرون والأنصار عهد الجهاد الأبدي منشدين:
نحن الذين بايعوا محمدا ... على الجهاد ما بقينا أبدا

- فإذا كان هذا هو الحال في زمن عز الإسلام وانتصار المسلمين فكيف يكون الحال في زمن الجهاد العيني لضعف المسلمين وتكالب الأعداء وانتهاك المقدسات!؟

* لذا فإن ظاهرة "الجهاديين" الذين تخصصوا في الجهاد ووهبوا حياتهم لنصرة الإسلام وقاتل أعدائه هي من مفاخر أمة الإسلام في هذا العصر، ولكم رأينا أناسا شابته لحاهم في الثغور فهم منذ عشرات السنين يجوبون المشرق والمغرب، كلما جدت قضية وثارت مأساة طاروا إلى الجبهات يبتغون القتل والموت مظانه، فالجهاد قضيتهم الكبرى، وأما وسائلهم فكثيرة؛ فهم يجاهدون يوما في ثغر محلي وفي يوم آخر في ثغر عالمي، ويكونون مرة في صفوف طليعة من نخب الأمة وفي مرة أخرى يلتحمون بجموع الشعوب النائرة المجاهدة، وينتظمون حيناً في جماعات وفي حين آخر يكون أحدهم جيشاً وحده يقارع الكافرين.. كل ذلك وغيره حسب الأحوال والظروف والمستجدات والمصالح التي تخدم قضية الجهاد في سبيل الله تعالى.

- وإننا اليوم في الشام المباركة لا بد أن نزيد ترسيخ الانتماء الجهادي للأفراد؛ بحيث

يتمزج حب الجهاد والعمل الجهادي بشخصية المسلم المجاهد، فأعمال الجهادي في الثغور أو التدريب أو الدعوة أو التعليم أو التطبيب أو الإعلام أو الإغاثة.. هي أعمال يختار منها ما يخدم قضيته الجهادية على المستوى القريب والبعيد.

- وليعلم العبد الصالح المجاهد أن من أعظم مؤامرات الأعداء التي يراد منها إضعاف ثورة الجهاد الشامي تحويل المجاهدين عن وصفهم الجهادي الملازم لهم إلى مقاتلين ضرورة؛ أي أنهم قاتلوا بسبب ظرف محلي وعدوان نصيري ويمكنهم ترك القتال عند ضعف مرحلي، أو ضغط إقليمي، أو توفر فرص عمل، أو إيجاد منطقة للمقاتلين آمنة، أو انشغال بتنمية..، فالحذر الحذر من كيد وتآمر المجرمين.

سدد الله خطأ عباده الجهاديين، ويسر طريقهم، وقصم شوكة عدوه وعدوهم، والحمد لله رب العالمين.

الذئب المنفرد الأسد المصور البطل المقدم عمر أبو ليلى رحمه الله^١

شاب فلسطيني في مقتبل حياته، لم يتخرج في جامعات شرعية ولا كليات عسكرية، ولكنه علم أن الجهاد في سبيل الله تعالى من أفضل الأعمال عند الله جل وعلا، لم يكن يملك من أسباب القوة العسكرية شيئا البتة، ولكنه يملك قلبا محبا للقاء الله جل وعلا؛ فهجم بسكين صغير لا يكاد يشق الفاكهة عادة على صهيوني، قطعنه وغنم سلاحه المتطور وأرداه به قتيلا، ثم غنم سيارة عسكرية وتجول في الأراضي المحتلة بفلسطين يقتل ويصيب من اليهود، حتى وافته منيته مقبلا غير مدبر، نور الله ثراه..

لا أدري أهى الفطرة النقية هدته لتلك البطولة أم كان يحفظ معها قوله تعالى: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾؟.

ولا أدري هل كان يعلم تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾؟.

ولا أدري هل سعى للاستجابة لقوله سبحانه: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾؟.

ولا أدري هل شعر أنه بفعله ذلك يطبق قوله تعالى: ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَفْتَمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجَكُمُ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾؟.

ولا أدري هل نوى الأجر المذكور في قوله جل وعلا: ﴿وَلَا يَطْنُونَ مَوْطِنًا يَعْغِطُ الْكُفَّارَ
وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ
الْمُحْسِنِينَ﴾؟.

ولا أدري هل سمع من قبل قوله صلى الله عليه وسلم: «من خير معاش الناس لهم،
رجل ممسك عنان فرسه في سبيل الله، يطير على متنه، كلما سمع هبيعة أو فزعة طار عليه
يبتغي القتل والموت مظانه»؟.

ولا أدري هل خطر بباله أن "الميسور لا يسقط بالمعسور، والمقدور عليه لا يسقط
بسقوط المعجوز عنه، وما لا يدرك كله لا يترك كله"؟.

لا أدري، ولكني أعلم أنه أحد رجال الأمة الأبطال الذين فهموا الدين بيسره وشموله
فقاتلوا اليهود والصليبيين والمجوس والملاحدة كل حسب طاقته وزمانه ومكانه، ولم يلتفتوا
لأراجيف المرجفين وسوفسطائيات المتفلسفين ونظريات البطالين.

إن من أعظم الخطأ تحويل قضايا العلم الشرعي، والدعوة إلى الله عز وجل، والأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر، وجهاد الكفار والمنافقين، إلى قضايا فلسفية معقدة، يقوم
البعض -بزعم حفظها من الخطأ والخلل- بتنفيذ الناس عن القيام بها، ويحاولون إحاطتها
بسياج من التفصيلات والتفريعات لا يبلغ لها إلا أقل القليل من الخواص.

إن الأصل هو دفع الكافرين الصائلين ومدافعهم، وهذا الأصل لا يجوز الانصراف عنه
لشبهة ما، ولا يلتفت فيه لفتوى ظنية تضادها فتوى؛ فاليقين لا يزول بالشك، والتكليف لا
يسقط بمظنة العجز، بل تضارب الفتاوى من المنتسبين للعلم يجعل العمل بالأصل هو

المتعين؛ وشتان بين العلوم التي يقدم المتبحر فيها في مواطن الجهاد الخاصة والعلوم التي يقدم المتبحر فيها في مواطن الفتيا العامة؛ فليس كل من زعم عدم إدراكه لوجه المصلحة يكون قوله مسموعاً؛ فالمصلحة والمفسدة من الفعل إما قطعية لا خلاف حولها، فهنا يجب العمل بمقتضاها، أو ظنية -وهي الأعم الغالب في واقعنا المعاصر- وهنا لا إنكار فيها، بل ولا يصح الإرجاف بين المجاهدين بسببها.

ولو أن مجرد الخوف من المفسد كان سبباً للتوقف عن عمل الخير لما قام في عالم اليوم جهاد في فلسطين ولا سوريا ولا أفغانستان ولا الشيشان، لا جهاد نخبة ولا أمة، ولا جهاد محلي ولا عالمي، بل ولا قام أمر بمعروف ولا دعوة ولا وعظ ولا تعليم ولا تربية، وما أسعد الكفار يومها بالجهلة بميزان المصالح الذين كلما ضغط عليهم الكفار انضغطوا وكلما آذوهم خضعوا وانقادوا، وحاولوا تعميم واقعهم على واقع الكرة الأرضية كلها..، وقد عاينا هؤلاء الجهلة الذين يقفون ضد كل عمل إسلامي لا يخرج من عباءتهم بزعم الموازنة بين المصالح والمفاسد فوجدناهم مقلوبى الموازين مضطربى النظر منساقين لأوهامهم الشخصية.

وبالعموم فإن ظاهرة الذئب المجاهدة المفردة في عالم اليوم هي بشرى خير لأمة الإسلام، وخطوة في طريق بناء صرح المجد التليد، وليحرص الذئب المنفرد على التزود من العلوم الشرعية والثقافة المعاصرة وتوجيهات من يحسن الظن بهم ممن هم أهل لإحسان الظن، وقد "أحسن من انتهى إلى ما سمع"، والحمد لله رب العالمين.

المبادرة أصل الثورة

لقد كان رأس مال الثورة السورية حين انطلاقها مبادرات متعددة اجتمعت على حرب الفساد واستخدمت الوسائل التي وصلوا لها؛ فليس في الثورة شيء يقال عنه وسائل متاحة، بل إن الحاجة أم الاختراع والحاجة تفتق الحيلة، ولكن الحاجة لا تفتق الحيلة وحدها ولا تعين على الاختراع ما لم تصادف نفسا طموحة مبادرة لا ترضى بالارتهاق للحاجات المفقودة.

وعندما تكون تلك الحاجة في سبيل الله تعالى وعملا لمرضاته جل وعلا؛ فإن البشري القرآنية قائمة لعباد الله المتقين: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾، ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَّهْدِينِ﴾.

وهكذا قامت الثورة في بدايتها مستقلة في مسيرتها عن التطويع والاحتواء الذي لا يلي حقيقة تضحيات أبناء الإسلام في هذه الأرض المباركة، ولو قبلت الثورة يومها أن تسير في فلك النظام الدولي لسارعت الدول المتآمرة إلى إزاحة الطاغية المحترقة صورته ولؤسدت طاغية جديدا لا معرفة للناس به.

وإننا اليوم بعد عشر سنين من الجهاد في سبيل الله تعالى بأرض الشام المباركة لنلحظ كما يلحظ عامة الناس كيف أن الدول المتآمرة تسعى لاحتواء الثورة عبر الترغيب والترهيب والابتزاز والكذب والخداع واستهداف الفاعلين والتضييق على الصادقين، ولكن..، ولكن أرى لهم أن يحققوا هدفهم إن كانت الأمة ولودا، وفي كل شعب من شعابها حمزة الخطيب، وفي

كل قرية من قرأها حسين هرموش وعبد القادر الصالح وأبو عمر سراقب، واستشهاديون، وانغماسيون، ومُبدِعون، مجدّدون لطرق الثورة، مبادرون.

وعلى طلائع المجتمع ونخبه الواعية الصادقة أن تبادر لاختراع الوسائل وتجديد الطرق التي تخرج بهم وبالامة عن الإطار التوظيفي لمصالح الآخرين لتصب جهودهم في النفع الحقيقي للامة وتحقيق مطالبها المشروعة والدفاع عن دينها وحرمتها والثأر لإسلامها وشهداء أمتنا الأبرار.

- إن المبادرة تعني ألا يحتقر أحدنا جهده لو بذل فيه وسعه وألا يستبطئ ثمرته، و«**إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبَدِدَ أَحَدِكُمْ فَسَيْلَةً، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَلَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ**».

- وتعني عدم التهرب من المسؤولية بإلقاء العبء والتقصير على آخرين، بل المسؤولية الفردية أصل التكليف، وتقصير الغير لا يبيح تقصير الفرد، ﴿**فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا**﴾.

- وتعني البحث الجاد عن وسائل جديدة، وتفعيل الوسائل القديمة المهملة، وإرشاد المبادرين إلى ما يعينهم في الطريق.

- وتعني الاستجابة للمبادرات الصادقة واستكمالها واستغلال الفرص السانحة.

- وتعني العمل الحقيقي على إحداث تغيير جذري عميق في مسيرة الصراع مع العدو الكافر يغير موازين القوى على الأرض ويحقق مصالح المسلمين.

- وتعني ألا يقتصر المرء على المكرر المعروف والعمل المألوف، بل لعل في الزوايا والخبايا أبوابا من الفرج والفتح المبين.

بالله يا قومنا هبوا لشأنكم

فكم تناديكم الأشعار والخطب

فشمروا وانهمضوا للأمر وابتدروا

من دهركم فرصة ضنت بها الحقب

لا تبتغوا بالمني فوزاً لأنفسكم

لا يصدق الفوز ما لم يصدق الطلب

لنطلبن بجد السيف مأربنا

فلن يخيب لنا في جنبه أرب

ونتركن علوج الكفر تندب ما

قد قدمته أياديها وتنتحب

ومن يعيش ير والأيام مقبلة

يلوح للمرء في أحداثها العجب

* فبادر أخوا الإسلام، فلعلك تفتح بابا يلج منه الصادقون، وينكسر بسببه جيش

الغاصبين، و «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا».

بذل الوسع في جهاد الدفع

لم يكن يعلم الناس أن سفر المجد على موعد بإدلب يحط فيها رحاله ويشيد فيها بنيانه ويكتب فيها معاني العزة والكرامة..

فإدلب رغم عراققتها إلا أن حلب أشهر ودمشق أعظم وبلاد الشام ملأى بالمدن العريقة، ولكنه القدر المكتوب، أن تكون إدلب اليوم هي فسطاط المجاهدين وليس غيرها ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾..

ولأنها اليوم هي خط الدفاع الأول والثاني عن مشرق الإسلام، وهي محط آمال المسلمين، كان التكليف على قدر التشريف، والمسؤولية على قدر الأهمية، والواجب على قدر الأمانة، فبذل الوسع في جهاد الدفع بإدلب من أوجب الواجبات في هذا الزمان. * لقد تكررت كلمة "جهاد الدفع" في العصور الأخيرة كثيرا وكثيرا جدا، حتى فقدت عند الكثيرين بريقها، ولم تعد عند أكثر سامعيها محفزا لمزيد من التضحية والبذل والجهاد في سبيل الله تعالى، خاصة بعد تضخم التصورات المغلوطة لمفاهيم القدرة والعجز، والمصلحة والمفسدة، وتزاحم الأولويات...

وليست مناقشة أعذار المتخلف عن ميادين جهاد الدفع هي محل الكلام هنا، ولكن الكلام هنا عن مقدار الجهد الواجب على من خرج في سبيل الله تعالى يدافع عن دين ودماء وأعراض وأراضي الأمة الإسلامية في إدلب وما حولها..

لقد نفر للجهاد في سبيل الله تعالى شباب وشيب وبذلوا وقدموا..، ولكن! لم تكن الحرب في سوريا يوما ولا يومين، ولا شهرا ولا شهرين، ولا سنة ولا سنتين، بل امتدت تسع سنين متواصلة، ولا أحد يدري متى تضع الحرب أوزارها في سوريا، وهذا الطول في الأمد الذي لم يكن في حسابان الكثيرين جعل الوسع المبذول والجهد المقدم في جهاد الدفع يختلف مع الأيام، فالغالب أن من كان يغيب عن بيته شهورا ما عاد يغيب أكثر من أيام معدودة،

ومن كان ينشغل بالجهاد عن عمله ومهنته اتكأ على مال مخزون أو أهل أو جيران أصبح يشغل كثيرا من وقته بعمله وقليلًا منه بالجهاد..، وهكذا لم يعد الأمر كما كان ولا الجهد كما سبق، وأصبح التحذير متعينا من حال من قال الله تعالى فيهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾..

* وقد نتجت عن ذلك ظاهرتان سلبيتان:

الأولى: أصبح أكثر المجاهدين يعتقد أن مجرد ذهابه خمسة أيام أو عشرة في الشهر للرباط التقليدي هو إسقاط للواجب المكلف به، أو أن مجرد عمله الوظيفي في التدريس أو التمريض أو المعابر أو الإغاثة أو ما شابه ذلك هو قيام بكل ما أوجبه الله تعالى عليه، أو أن مجرد انتسابه لفصيل أو شراء لبارودة أو دعمه لمجموعة هو جهاده الذي فرضه الله عليه..

الثانية: ظهر مع الأيام تفريغ كثير من الثغور العسكرية من أصحاب الخبرات الحياتية سواء كانوا أكاديميين أو تجارا أو حرفيين..، وشغلهم بالأعمال الخدمية والتنظيمية، وأصبحت كثير من الثغور العسكرية مكانا لمن لا مكان له في تلك الأعمال، مما أنتج ضعفا في الإعداد القتالي والتخطيط العسكري والتحصين وغير ذلك، والعدر الدارج لهجر الثغور العسكرية أن "كله جهاد" ..

* إن تلك الظاهرتين تدفعان لمزيد التأمل في معنى جهاد الدفع ومقصوده ودرجاته ومرتبته في الحياة، والوسع الواجب بذله فيه، ومما يعين في ذلك معرفة:

- أن الجهاد ليس مجرد وظيفة بل هو رسالة، فالمطلوب في جهاد الدفع هو بذل الوسع في حماية بيضة الأمة وسد الثغور قدر الإمكان والطاقة، فمن استطاع سد ثغرين فارغين فهو مكلف بهما، ومن استطاع سد ثلاثة أو أربعة من الثغور الفارغة تعين ذلك عليه، وليعلم المجاهد أن الثغر الذي يمكن لغيره أن يقوم فيه مقامه، ويوجد له فيه بدائل، فإن القيام فيه

فرض كفاية، خلافا للثغر الذي لا يجد من يسده فإن القيام فيه فرض عين، وليس من السداد الانشغال بفروض الكفاية عن فروض العين.

- وهذا لا يعني انكفاء المرء عن وظائفه ولا عن مصالحه، ولكنه يسعى فيها بقدر ما تعينه على القيام بواجب سد الثغور، فدراسته وزواجه وعمله هو فرع عن جهاده لا أصل له، فيتزود من ذلك بما يساعده على إكمال مسيرة الجهاد، وهو يرتب حياته وأعماله تلك بناء على أولويات ما يستطيع سده من الثغور التي لا تجد من يسدها، ولا يرتب الثغور بناء على مصالحه الشخصية التي يريد القيام بها خاصة إن كانت مرتبة مصالحه كمالية لا ضرورية، والجمع عند التعارض أولى من الترجيح، فإن تعذر الجمع ففروض الأعيان أولى.

- أما التنظيمات الإدارية والتكاليف الشخصية التي توضع داخل كتيبة أو فصيل في جهاد الدفع، فهي أمور مساعدة للدفع ومعيونة للمجاهد، ولكنها ليست أوامر جامعة مانعة تُعفي المجاهد في سبيل الله تعالى عن سد الثغور الأخرى الفارغة التي يستطيع سدها؛ فالقدرة التي أعطها الله جل وعلا للمرء هي مناط التكليف، فطالما وجدت القدرة على العمل ووجد الثغر الفارغ تعين سده، وإن كان المرء قد سد غيره كذلك، ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾، ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، ﴿لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾..

* إن معرفة المجاهد بحقيقة الصراع وخطورته يدفعه لمضاعفة الجهود وحمل هم الثغور والمسارعة لكف بأس العدو، فليست المعركة نزهة عابرة ولا صراعا محدودا ولا معركة مؤقتة، فالיום له ما بعده، والسعيد من وجد صحيفته ملاءى بالخيرات ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلِّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾..

فيا أيها المجاهد في إدلب العز، الهمة الهمة والجد الجد والبدار البدار:

قد رشحوك لأمر لو فطنت له

فأربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

اللهم أمض لأصحابي هجرتهم

هذا هو دعاء النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بعد أن أتم الله دينه وأكمل نعمته ودخل الناس في دين الله أفواجا؛ حين مرض سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وخشي أن يموت بمكة بعد أن هاجر منها إلى المدينة وتركها لله جل وعلا، فدعا الرسول صلى الله عليه وسلم أن يتمم الله جل وعلا الهجرة لأصحابه ولا يُنقصها فقال: «اللهم أمض لأصحابي هجرتهم ولا تردهم على أعقابهم لكن البائس سعد ابن خولة» فوصف سعد ابن خولة بالبائس أي الفقير سيئ الحال رثاء له وحزنا عليه؛ لأنه مات بمكة وهي الأرض التي هاجر منها.

قال ابن حجر: "قال القرطبي:.. من فر بدينه من موضع يخاف أن يفتن فيه في دينه فهل له أن يرجع إليه بعد انقضاء تلك الفتنة؟ يمكن أن يقال: إن كان تركها لله كما فعله المهاجرون فليس له أن يرجع لشيء من ذلك، وإن كان تركها فرارا بدينه ليس له ولم يقصد إلى تركها لذاتها فله الرجوع إلى ذلك. انتهى، وهو حسن متجه".

هذا أيها المهاجرون كلام أهل العلم فيمن هاجر من بلده فرارا بدينه ونصرة للإسلام ثم جاء الفتح وأمن في بلده وتمت نصرة من هاجر إليهم، فكيف بمن هاجر ولم تكتمل بعد الغاية من هجرته فلا زال الأعداء يحاربون الإسلام ويقتلون المسلمين وينتهكون الأعراض ويسلبون المال ويهجرون الشعوب ويحرقون المدن ويسرقون المال ويجهرون بالكفر والعصيان. ولا زالت البلاد التي هاجر منها المهاجرون تحت قهر الطغاة وغضب المجرمين، أيعقل أن يرتد مهاجر على عقبه ويخذل إخوانه ويخون أمانته بعد أن من الله جل وعلا عليه فاصطفاه واجتباها واختاره ليكون من عباده المهاجرين المجاهدين!!

إن المهاجرين الثابتين الصابرين هم الذين عرفوا حقيقة الدنيا فباعوها وحقيقة الآخرة فعملوا لها، تركوا العوائد، وقطعوا العلائق، وتخطوا العوائق، فهم الفائزون في الدنيا والآخرة.

إنهم المهاجرون: الذين خرجوا يبتغون: ﴿فَصَلًّا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾.

وهم المهاجرون المجاهدون الذين ينتظرون ثواب الآخرة الجزيل: ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾.

ورغم أن هؤلاء المهاجرين لم يطلبوا دنيا بهجرتهم إلا أن الله جعل هجرتهم سببا للبركة في دنياهم ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾، ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبُوِّنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآجِرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

وقد رزق الله المهاجرين أنصارا أوفياء ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾.

أيها المهاجر: ما تركت أهلك رغبة عنهم، ولا جئت أرض الجهاد تفضلا، إنما لبيت النداء المقدس وبعث الروح الغالية، فتقصيرك ليس كتقصير غيرك، لقد عرفت الطريق فالزمه، وليس من ذاق واغترف كمن هو دونه.

أيها المهاجر: لا تجزع لتدخل الروس ولا الأتراك، ولا يفتن في عضدك ما لم يخطر ببالك قبل كقتال الغلاة وتأديب المميعة، ولا تحزن إن وجدت أثره أو فاقه، ولا تلتفت لقليل ولا قال.

أيها المهاجر: ﴿اصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾.

والحمد لله رب العالمين.

واغوظتاه آه وواحلباه^١

استعدت اليوم وأنا أشاهد المجازر التي يرتكبها النصيرية والروس في غوطة دمشق مآسي حلب الحبيبة، وتذكرت الملاحم العظام التي خاضها المجاهدون في حلب الشهباء أعادنا الله لها فاتحين، فهاجت الذكريات وماجت:

ولا تسل عن دمشق الشام ما لقيت

نكباء يرتاع منها الإنس والجان

من هولها باتت الأبصار خاشعة

ولم يزل عندنا عزم وإيمان

حزم وعزم وإنصاف ومرحمة

فلم يقف دونها فرس ورومان

لسنا عبيدا ولا كنا ذوي ضعة

وليس يرهنا قيد وسجان

وقد كانت في محنة حلب دروس كثيرة أذكر بعضها تذكرا للأبطال المجاهدين:

١- هدف القصف الطيراني الهمجي هو إشغال المجاهدين بأهاليهم وخطوطهم الخلفية عن جبهات القتال، وسياسة الأرض المحروقة لا تفيد العدو في التقدم إن ثبت الأبطال ولم يتزعزعوا.

٢- لا بد من تجهيز قوى مدافعة مدربة على صد الهجوم من أي محور كان؛ تجيد الكمائن، والتدشيم، وحفر الخنادق والحفر الفردية، وتوزع المجاهدين فلا يجتمعون في سيارة ولا بناء ولا حفرة، وتستخدم المفخخات الدفاعية..

٣- لا بد من حشد الأمة للجهاد وتفعيل الطاقات في ذلك وتجنيد مجاهدين جدد

(١) كتبت سنة ١٤٣٩هـ.

وتهيئتهم السريعة للالتحاق بالجبهات.

٤- يعمد النصيرية إلى سياسة الأمواج المتتابعة؛ فيهجم على المكان عشر مرات أو عشرين مرة، ويخسر في ذلك الكثير من جنوده وهم غالباً من الجنود العاديين عنده ممن يزجهم للحرق وليسوا نخب قواته، ويعول في سياسته هذه على استنزاف المجاهدين حتى تنهار دفاعاتهم فيستقدم نخب قواته ويتقدم بها، ومما يساعد في مقاومة ذلك تبديل المجموعات المتواجدة في النقاط المشتعلة وعدم حصر الدفاع عن تلك النقاط في مجموعات محددة، وعدم جعل القوى المدافعة من نخب المجاهدين فقط بل الاستفادة من بقية المجاهدين في الصد كذلك؛ بحيث يكون ثلث القوى المدافعة من النخب والثلثان من بقية المجاهدين الجيدين، ويفيد كذلك في إفشال طريقتهم تلك التحول من الدفاع إلى الهجوم؛ لأنه طالما تعينت المواجهة وبدأ الاستنزاف فلأن يكون الاستنزاف في هجمات تتقدم بها خير من أن يكون في دفاع قد يتقدم معه العدو.

٥- أخطر سلاح يستخدمه العدو في حملاته هو سلاح الإرجاف والشائعات والكذب، فبه تتهاوى الجبهات قبل أن يصلها العدو، فكونوا قريبين من الناس ثبتوهم وأعينوهم وأشركوهم في هم الجهاد والدفاع عن الأمة.

٦- وما يجلب الهزائم خوف مجاهدي منطقة من الحصار؛ حيث يعمد العدو إلى الالتفاف على منطقة، فيشعر المجاهدون بقرب انقطاع الطريق فيتراجعون من المنطقة وإن كانت كبيرة ومحصنة، وهذا خطأ تنبغي معالجته فالغالب أنه مع ثبات المجاهدين ينقطع طريق إمداد العدو المهاجم ويقع هو في الحصار.

٧- ومن الأخطاء الشهيرة أنه مع الضغط وقلة الثابتين يتخذ البعض قراراً بالتراجع إلى مناطق خلفية ظناً منه أنه بذلك يقل عدد نقاط الرباط فيستطيع تغطيتها بشكل جيد، وهذا غير واقعي غالباً؛ حيث إنه مع التراجع ينهار تنظيم كثير من المرابطين ولا يستطيع القائد سد كامل الرباط الجديد؛ فعلاج خلل الرباط في النقاط المتقدمة خير من علاجه في النقاط الخلفية، يضاف إلى ذلك أن التراجع يؤدي لدخول مناطق جديدة في دائرة القصف الجنوبي

الذي يستهدف تدمير منطقة الدفاع مما يزيد في خسائرنا البشرية خلافا للرباط القديم المتقدم الذي يكون قد نزع سكانه غالبا.

٨- ومن الأخطاء المتكررة أنه مع اشتداد المعارك مع رأس حربة العدو يفقد البعض الأمل في الدفاع فينتقل من مواجهة رأس الحربة إلى ضرب خاصرة العدو، فتتقدم رأس حربة العدو بسرعة كبيرة تفشل معها خطة ضرب الخواصر، والصحيح أنه لا بد من صد رأس حربة العدو ولا بد من مجموعات أخرى تضرب الخواصر، فيكون الأداء تكامليا بين العاملين.

٩- وأخيرا فيا أهل الشام: عدوكم ضعيف مهزوم، ولكنه يتفرد بالمناطق منطقة منطقة، وينقل قواته من مكان إلى آخر، ولن يستثني منطقة، فهبوا هبة واحدة، وافتحوا المعارك في درعا، وخوضوا الحرب في حمص، واقتحموا من القلمون، وتقدموا من إدلب، وهاجموا من مارع، ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾.

أسأل الله القوي العزيز الجبار المنتقم أن ينتقم من بشار وجنده وبوتين وجيشه، وأن ينصرنا عليهم، وأن يحفظ الغوطة وأهلها من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيماهم وعن شمائلهم، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

والحمد لله رب العالمين.

وحاذر فما الحزم إلا الحذر^١

هذا شطر بيت لابن نباتة جمع فيه بين الحزم والحذر، وهما صفتان من أهم صفات الفرسان الشجعان؛ لذا جاء الأمر بالحذر للرجال الحازمين المجاهدين في سبيل الله تعالى، كما قال جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا﴾، وقال جل وعلا: ﴿وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أذىٌ مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ وقال جل وعلا عن المنافقين: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرهُمْ﴾.

قال القرطبي: "وهذا يدل على تأكيد التأهب والحذر من العدو وترك الاستسلام؛ فإن الجيش ما جاءه قط مصاب إلا من تفرط في حذر".

وإننا اليوم وبعد عشر سنين من الثورة السورية المباركة نجد أنه من الواجب على المجاهدين التأكيد على أهمية الحذر، فالمعركة لم تنته بعد، بل هي فصول وقد تكون بعض فصولها لم تبدأ بعد.

وإن هذه الثورة المباركة التي أذهلت العالم بثباتها وتضحياتها قد تكالب عليها الحاقدون من كل حذب وصوب وتبادل الأعداء الأدوار؛ فللمحتل الروسي والإيراني دوره، وللشبيحة دورهم، ولملاحدة ال ب ك ك دورهم، وللتحالف الصليبي دوره، وللدواعش دورهم، وللدول المتآمرة دورها، وللصوص الثورة دورهم..

(١) كتبت سنة ١٤٤١هـ.

وإن تجارب الثورة شهدت تقلبات أناس لهم معرفة بدخائل المجاهدين؛ فمنهم من التحق بالشبيحة، ومنهم من التحق بالفرقة الرابعة أو الخامسة في الجيش النصيري، ومنهم من التحق بملاحدة الكرد، ومنهم من التحق بالبنتاجون، ومنهم من التحق بالدواعش، ومنهم من التحق بلصوص الثورة، ومنهم آخرون لا تعلمونهم الله يعلمهم. وإن ما نشهده اليوم من تزايد مؤامرات الحاقدين على المجاهدين، وتنوع مصادر الأذى الذي يراد إيصاله للصالحين، خاصة مع الحديث عن مناطق بحماية روسية وأخرى بحماية تركية، ليوجب المزيد من الحيطة والحذر حيال تلك المستجدات. وإن العاقل الحازم يبذل وسعه في جهاد الكفار دون أن يخلع ثوب الحذر، فمسيرة الجهاد أطول من الواقع الميداني اليوم، والواجبات المناطة بطلائع الأمة الصادقين أكبر وأعظم مما يظنون.

ومما يعين المرء على الحذر: اللجوء إلى الله تعالى وصدق التوكل عليه، ثم قطع العلاقات التي تربط المرء بالأرض وتغيير العوائد التي تظهر للناس، فتلك مداخل إبليس وجنده التي منها يتلصصون على المجاهدين ومن خلالها يتبعونهم، فليس للسكن ولا للعمل ولا للعلاقات الاجتماعية ولا لأجهزة التواصل صورة واحدة لا محيد عنها، بل ما أكثر الوسائل التي تحقق الغايات النبيلة مع الحذر من مصائد الأعداء.

فالْحَذَرُ الْحَذَرُ فَمَا الْحَزْمُ إِلَّا الْحَذَرُ.

حقيقة خوف الكفار من الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.. أما بعد؛ فقد كثر الكلام عن انتشار ظاهرة خوف الكفار من الإسلام، وخوف الاتجاهات العلمانية من الحكم الإسلامي، وقام بعض المسلمين بنشر خطاب دعوي، يجتري من الإسلام وتعاليمه ما يحاول به طمأننتهم، وإزالة شعور الخوف والقلق من نفوسهم. وقد استخدم هؤلاء الدعاة الذين حملوا مهمة طمأنة الأعداء، أسلوب الهروب من مناقشة الجزئيات، والاكتفاء بالنظر إلى زاوية واحدة من زوايا نظرة الإسلام إلى أعدائه، ثم قاموا بتعميم هذه الزاوية؛ لتصبح كأنها رؤية شمولية للإسلام. ولكن ما حقيقة هذا الخوف الذي يصيب أعداء الإسلام؟ وهل في دين الإسلام ما ينتج عنه ظهور شعور الخوف والفرع والقلق لدى الكافرين والمنافقين؟

ولا بد للإجابة على هذا السؤال من النظر في حقائق الأمور بعزة الإسلام، بلا موالاة للأعداء ولا مدهانة؛ وبلا كتمان للحق ولا خلط له بالباطل.

أولاً: لم يخاف الأعداء من انتشار الإسلام؟

أعداء الإسلام، الذين لم يدخلوا في دين الله جل وعلا، ولم يستسلموا لشرعه، ولم يدعنا لحكمه، يتهافتون على الدنيا، ويحرصون على ما بأيديهم من متع باطلة، ويهلعون ويجزعون إذا فاتهم شيء مما يؤملون، وهم يرون الإسلام عائقاً يصددهم عن كل ذلك، فيخافون من انتشار دعوته، ويحذرونه حذراً شديداً.

فهذا فرعون الطاغية، يصيبه الخوف من موسى عليه السلام ودعوته، إنه يخاف أن

يقضي موسى عليه السلام على عبادة قوم فرعون له واستخفافه بهم، قال تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذُرِّيَّتِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾^١.

وهاهي ملكة سبأ خافت أن تنقلب حالها من العزة إلى الذلة إذا دخل سليمان عليه السلام بلدها فاتحاً، قال تعالى: ﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾^٢، وقد توعدهم سليمان عليه السلام بالذلة والصغار إن لم يستجيبوا لنداء الحق، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيَتِكُمْ تَفْرَحُونَ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾^٣.

وهاهم المشركون يخافون من المسلمين أن يصدوهم عن آلهتهم، قال تعالى: ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْفِكَنَا عَنِ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾^٤، ويخافون أن تذهب سيادتهم؛ فيزعمون أن الأنبياء ما أتوا إلا ليتفضلوا عليهم، قال تعالى: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ﴾^٥.

وكذلك عبيد الدنيا يضيقون صدرًا بما يحول بينهم وبين نزواتهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾^٦.

إن أعداء الإسلام يخافون إذا حكمهم الإسلام وهم على كفرهم ونفاقهم، أن يمنعهم من المحرمات التي اعتادوا اقترافها؛ سواء كانت تلك المحرمات تتعلق بالمأكل، أو المشرب، أو الملبس، أو العادات الاجتماعية، أو المعاملات التجارية، أو الأنشطة الفكرية والثقافية

١- غافر: ٢٦.

٢- النمل: ٣٤.

٣- النمل: ٣٦-٣٧.

٤- الأحقاف: ٢٢.

٥- المؤمنون: ٢٤.

٦- المعارج: ١٩-٢٢.

ولنضرب مثلاً على ذلك، إن أعداء الإسلام يعلمون أن الإسلام يفرق بين الناس على أساس الإيمان والعمل الصالح؛ فليس المسلم كالكافر، ولا التقى كالفاجر، وهذه التفرقة لها أثرها في التعامل، والحياة المعيشية، والعلاقات الاجتماعية، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾^١؛ لذا فهم يخافون إذا انتشر الإسلام بينهم أن يفرق الإسلام شملهم، ويمزق وحدتهم وجماعتهم، تماماً كما فرق الإسلام من قبل بين مسلمي مكة وكفارها، فتعلو رابطة الإسلام على روابط: النسب، والوطن، والجنس، واللغة..، قال ابن القيم: "والدين كله فرق، وكتاب الله فرقان، ومحمد فرق بين الناس، ومن اتقى الله جعل له فرقاً...، فالهدى كله فرقان، والضلال أصله الجمع كما جمع المشركون بين عبادة الله وعبادة الأوثان"^٢.

ثم إذا اشتد ساعد المسلمين فإن أعداء الإسلام يعلمون أن المسلمين سيخبرونهم بين الإسلام، والجزية، والحرب، والكفار يعلمون يقيناً أن الجزية ليست مجرد مساهمة مالية في الدولة كما يحاول البعض خداعهم؛ بل هي نوع صغار مضروب على أعناقهم بسبب كفرهم، قال تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾^٣، قال ابن جرير الطبري: "معناه وهم أذلاء مقهورون"^٤، وبذلك فأعداء الإسلام يحسبون عزتهم وسعادتهم في ما عندهم من الباطل، ويرون أن هذه العزة والسعادة المزعومة مهددة إذا انتشر الإسلام بينهم؛ فهم يبذلون جهدهم في تخويف أقوامهم من انتشار الإسلام، ويعملون في الصد عن سبيل الله جل وعلا.

١ - الجاثية: ٢١.

٢ - كتاب الروح، لابن القيم.

٣ - التوبة: ٢٩.

٤ - تفسير الطبري، تفسير سورة التوبة.

قال سيد قطب: ﴿وَلَيْنَ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾^١ فهم في عناد يقوده الهوى، وتورثه المصلحة، ويحدوه الغرض، وإن كثيراً من طيبي القلوب ليظنون أن الذي يصد اليهود والنصارى عن الإسلام أنهم لا يعرفونه، أو لأنه لم يُقدّم إليهم في صورة مقنعة، وهذا وهم، إنهم لا يريدون الإسلام لأنهم يعرفونه! يعرفونه فهم يخشونه على مصالحهم وعلى سلطانهم؛ ومن ثم يكيدون له ذلك الكيد الناصب الذي لا يفتر، بشتى الطرق وشتى الوسائل^٢.

ثانياً: هل يمكن إزالة إحساس الأعداء بالخوف من الإسلام؟

إن خوف أعداء الإسلام من المسلمين شعور يفشو عند من أعرض عن الحق واستمر على كفره، وهو نوع من أنواع العقاب الذي ينزله الله جل وعلا على الكافرين الظالمين، وهو نعمة من الله جل وعلا بها على المؤمنين الصادقين؛ قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾^٣، وقال جل وعلا: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾^٤، فبين سبحانه وتعالى أن إشراكهم سبب لإلقاء الرعب في قلوبهم.

وقد أمرنا الله جل وعلا بأخذ الأسباب التي تخيف وترهب جميع الأعداء الذين نعرفهم والذين لا نعرفهم، قال الله جل وعلا: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُوهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾^٥، فبين

١- البقرة: ١٤٥.

٢- تفسير في ظلال القرآن، تفسير سورة البقرة.

٣- النحل: ١١٢.

٤- آل عمران: ١٥١.

٥- الأنفال: ٦٠.

سبحانه وتعالى أن من مقاصد إعداد العدة إرهاب أعداء الإسلام الذين نعرفهم وأعداء الإسلام الذين لا نعرفهم، وقد حاول بعض المفسرين تعداد هؤلاء الأعداء الذين تُرهبهم بإعداد العدة ونحن لا نعلمهم، حتى ذكر بعضهم المنافقين الذين يعيشون بين المسلمين، بل وذكر بعض المفسرين أننا بذلك نرهب حتى كفار الجن^١.

بل إن عدم خوف الكفار من بعض المسلمين يدل غالبًا على تفريط هؤلاء المسلمين، وتقصيرهم، وابتعادهم كثيرًا عن منهج الله جل وعلا، فعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها. فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن. فقال قائل: يا رسول الله، وما الوهن؟ قال: حب الدنيا وكراهية الموت»^٢.

ثالثًا: ما الحكمة من وجود هذا الخوف في قلوب أعداء الإسلام؟

من الحكم المترتبة على شعور أعداء الإسلام بالخوف من الإسلام ظهور فضل الله على أمة الإسلام وإكرامه لهم وإعزازهم به، قال تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^٣، وقال جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^٤، قال السعدي: "فهم للمؤمنين أذلة من محبتهم لهم، ونصحهم لهم، ولينهم، ورفقهم، ورأفتهم، ورحمتهم بهم، وسهولة جانبهم، وقرب الشيء الذي يطلب منهم. وعلى الكافرين بالله، المعاندين لآياته، المكذبين لرسوله، - أعزة، قد اجتمعت همهم وعزائمهم على معادتهم، وبذلوا جهدهم في كل سبب يحصل به

١ - ينظر في ذلك تفسير الطبري وابن كثير والألوسي، لسورة الأنفال.

٢ - رواه أبو داود في سننه، كتاب الملاحم، باب في تداعي الأمم على الإسلام.

٣ - آل عمران: ١٣٩.

٤ - المائدة: ٥٤.

الانتصار عليهم"^١.

وكذلك من الحكم المترتبة على شعور أعداء الإسلام بالخوف من الإسلام، أن هذا الخوف نوع من أنواع رحمة الله جل وعلا بهم؛ حيث إن الشعور بالأمن مع بقائهم على كفرهم قد يصددهم عن الإيمان، فيصيبهم العذاب الأليم الخالد في نار جهنم، وقد بين الله جل وعلا أن من رحمته بالناس أنه لم يخص الكافرين بنعم الدنيا ولذاتها، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً جَلَعْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِنْ فِصَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾^٢، قال الألوسي: "حقارة متاع الدنيا ودناءة قدره عند الله عز وجل...، لولا كراهة أن يجتمع الناس على الكفر ويطبقوا عليه لأعطيناه على أتم وجه من هو شر الخلائق وأدناهم منزلة، فكراهة الاجتماع على الكفر هي المانعة من تمتيع كل كافر والبسط عليه... الله تعالى شأنه علم أنه لو فعل ذلك لدعا الناس إذ ذاك حبههم للدنيا إلى الكفر"^٣.

إن هذا الخوف الذي يصيب أعداء الإسلام قد يدفعهم إلى التفكير في سبب خوفهم وفرعهم، طارحين رداء الكبر الذي يغطي أبصارهم، فيهدي الله جل وعلا من شاء منهم لصراطه المستقيم، وللأمن في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾^٤.

رابعاً: ما الموقف من قضية طمأنة أعداء الإسلام؟

إن من أساليب العزة الإسلامية أن نواجه تخوف أعداء الإسلام على ما استساغوه من متع الدنيا إذا انتشر الإسلام، بأن نعلم أن من منهج الإسلام في دعوة أعدائه أن يزيد من إثارة مشاعر الخوف الشديد في قلوبهم؛ بأن يكثر من ذكر ما ينتظر الكافرين يوم القيامة من

١- تفسير السعدي، تفسير سورة المائدة.

٢- الزخرف: ٣٣.

٣- تفسير الألوسي، تفسير سورة الزخرف.

٤- الأنعام: ٨٢.

عذاب الله جل وعلا، وانتقامه منهم، وتنكيله بهم، وأن يذكر لهم ألوان العذاب التي سئصب على القوم المجرمين، في يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار.

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بشيرًا ونذيرًا، يبشر من أطاعه بالسعادة في الدنيا والآخرة، وينذر من عصاه بالشقاء والهلاك في الدنيا والآخرة، وفي القرآن الكريم آيات كثيرة جدًا مكية ومدنية، تخوف الكافرين بذكر أهوال جهنم وما ينتظرهم فيها من سوء المصير.

ورغم أن الكافر ليس مؤمنًا بالإسلام، إلا أن هذا التخويف بعذاب جهنم، عندما يصدر من دعوة الحق، فإن له أثرًا كبيرًا ووقعًا عظيمًا في النفس الإنسانية، ذلك أنه يفجر شكوك الكافر فيما عنده من أباطيل، وما توارثه من خرافات وأكاذيب، ويدفعه هذا التخويف الشديد للتأمل في هذا الدين الذي يتوعده إن هو ظل معرضًا عنه، قال تعالى:

﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادٌ فَاتَّقُونَ﴾^١

وتخويف الكفار بنار جهنم يدفع بعضهم للإسلام؛ فينجو من الهلاك، ويتحلى بتاج العزة الإسلامية، ويتبقى فريق منهم، تبلدت مشاعرهم وأحاسيسهم، فلم يلتفتوا لهذا الوعيد، ولم يعبأوا به، وأصرروا على كفرهم وباطلهم، فكثر بعدم استجابتهم لهذا التخويف طغيانهم، وازدادوا رجسًا إلى رجسهم، وباءوا بغضب على غضب، قال تعالى: **﴿وَتُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ**

إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾^٢

١- الزمر: ١٥ - ١٦.

٢- الإسراء: ٦٠.

وإن مما يؤسف له أن بعض المهزومين نفسيًا انبرى يرسل للأعداء رسائل تلو رسائل، فحواها محاولة التبرؤ من كثير من شعائر الإسلام؛ ظنًا منه أنه بذلك يسدي الجميل للإسلام أو للمسلمين، ووجد بغيته في الاختصار المخل، والتلاعب اللفظي، وفوضى المصطلحات...، إلى غير ذلك من أمور لا يجمعها سوى البعد عن اعتزاز المسلم أو المسارعة في رضا الأعداء.

- ماذا يقصد من ينادون باشتراكية الإسلام، وديمقراطية الإسلام، ورأسمالية الإسلام؟

- ماذا يقصد من يعلنون أنهم لن يطبقوا الحدود في العقوبات، ولن يمنعوا الربا، ولن يفرضوا الجزية؟

- ماذا يقصد من يطلقون أن الإسلام دين حرية العقيدة، والمساواة بين البشر، والمواطنة بين كل الطوائف؟

- ماذا يقصد من يروجون لثقافة التعايش السلمي، وحوار الأديان، والتسامح مع الآخر؟

- ماذا يقصد هؤلاء وغيرهم ممن يختارون التعمية في خطابهم؟

ألا يخشون أن يكونوا من الذين يلوون ألسنتهم بالحديث عن الإسلام وشرعه، ويحرفون الكلم عن مواضعه، ويلبسون الحق بالباطل، ويكتمون الحق وهم يعلمون.

والعجب أنهم إذا عوتبوا، يحاولون تبرير فعلهم بالحديث عن: العجز والضعف، أو الإدارة والتقنية، أو الحيلة والخدعة، أو الذكاء والحكمة، أو المصلحة والمنفعة...، ويجمعون المبررات التي يظنون أنها تنفعهم في تقديم خطاب يتباهون به أمام الكفرة والفجرة، من أنهم قد اقتربوا من مبادئهم ونظمهم، وشاركوهم حضارتهم ومدنيتهم، وصاغوا فلسفة تضاهي فلسفتهم.

كلا أيها القوم، إن الإسلام شامخ جليل، والمؤمن عليّ عزيز، ولا مجال للمذلة أمام الأعداء ولا الخنوع، وستظل العداوة والبغضاء بيننا وبينهم بادية ظاهرة، كما قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾^١، نعم، ستظل العداوة والبغضاء بين المسلمين والكافرين بادية أبدًا على سبيل الدوام والاستمرار، في "مفاصلة حاسمة جازمة، لا تستبقي شيئًا من الوشائج والأواصر، بعد انقطاع وشيجة العقيدة وآصرة الإيمان"^٢.

نعم، هناك بعض المخاوف المبنية على أكاذيب وافتراءات، أو تشويهات وتحريفات، يحاول الأعداء إلصاقها بالإسلام، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُّقْتَرِفُونَ﴾^٣.

وليس هناك ما يمنع من بيان زيف هذه الافتراءات أو التحريفات، التي أدت إلى مزيد من الخوف، ولكن لا بد أن يكون هذا البيان متسقًا مع إسلام المؤمن وجهه لله جل وعلا، واستمسাকে بالشرع الحكيم.

ويدل على ذلك حديث أم سلمة رضي الله عنها، في قصة هجرة الحبشة، وقدم عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة إلى النجاشي يسألانه أن يرد المسلمين إلى قريش،

١- الممتحنة: ٤.

٢- من تفسير الظلال للأستاذ سيد قطب، تفسير سورة الممتحنة، بتصرف يسير.

٣- الأنعام: ١١٢-١١٣.

قالت رضي الله عنها: (قال عمرو بن العاص: والله لأنبئتهم غدًا عيبيهم عندهم، ثم استأصل به خضراءهم، قالت: فقال له عبد الله بن أبي ربيعة - وكان أتقى الرجلين فينا-: لا تفعل فإن لهم أرحامًا وإن كانوا قد خالفونا، قال: والله لأخبرنه أنهم يزعمون أن عيسى ابن مريم عبد، قالت: ثم غدا عليه الغد، فقال له: أيها الملك، إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولًا عظيمًا، فأرسل إليهم فاسألهم عما يقولون فيه، قالت: فأرسل إليهم يسألهم عنه، قالت: ولم ينزل بنا مثله، فاجتمع القوم، فقال بعضهم لبعض: ماذا تقولون في عيسى إذا سألكم عنه؟ قالوا: نقول والله فيه ما قال الله، وما جاء به نبينا، كائنًا في ذلك ما هو كائن، فلما دخلوا عليه، قال لهم: ما تقولون في عيسى ابن مريم، فقال له جعفر بن أبي طالب: نقول فيه الذي جاء به نبينا، هو عبد الله، ورسوله، وروحه، وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول، قالت: فضرب النجاشي يده إلى الأرض، فأخذ منها عودًا، ثم قال: ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود)^١.

هكذا فليكن دعاة الإسلام، وهكذا فلتكن دعوتهم ومواجهتهم للأباطيل، قال تعالى:

﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ بِمَا تَصِفُونَ﴾^٢.

١- رواه أحمد في مسنده، مسند أهل البيت.

٢- الأنبياء: ١٨.

لا جديد في أحكام الصلاة ولا الجهاد

"لا جديد في أحكام الصلاة" هو عنوان رسالة للشيخ بكر بن عبد الله أبي زيد رحمه الله كتبها لما رأى "مفاهيم..، في العبادات الظاهرة المتكررة والشعائر المعظمة لا عهد للعلماء بها منذ صدر الإسلام حتى عصرنا" وسبب هذه المفاهيم الطارئة هو "التوغل في فهم السنن تارة، وعدم الالتفات إلى المعاني والأصول اللسانية والحديثية والفقهية تارة أخرى، وهذا من خطر التجريد في دليل التقرير، والغفلة عن سنة الوسطية والاعتدال في الصلاة، والإعراض عن كتب الفقه والخلافات للوقوف على علل الأحكام ومداركها وخلافهم فيها" ..

والجهاد مثل الصلاة شعيرة عظيمة اكتملت معالمها واتضحت أحكامها في عهد النبوة وطبقها المسلمون عبر تاريخهم الطويل وتناولها العلماء بالشرح والتفصيل، فلا جديد فيها..

ففضل الجهاد وأنواعه ومراحله وأهدافه وأحكامه، وكذلك أسباب النصر وعوامل الهزيمة، وما يعترض المجاهد في طريقه من: عجز الثقة، وجلد المنافق، وإرجاف الجبان، وخذلان الفاسق، وخيانة المندس، وتربص المجرم، وحقد الكافر...

وما يراه في طريق الجهاد من كرامات الأولياء ومدد الملائكة، ومكر الكافرين بالليل والنهار، ومداولة الأيام بين الناس..

كل ذلك يجعله مطمئنا في طريق الجهاد يردد دوما في كل أطواره: ﴿هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾.

وتلك الطمأنينة تدفعه إلى أن يكون في طريق الجهاد متبعا لا مبتدعا فلا جديد في أحكام الجهاد، ولم يكلفه الله جل وعلا أن يبتدع طريقا أو أن يسلك سبيلا غير شرعي لنصرة الدين، فما النصر إلا من عند الله، وإلا تنصروه فقد نصره الله.

وتلك الطمأنينة تدفعه للرجوع إلى المنهل العذب الصافي وتدارس الوحيين وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وأخبار الخلفاء الراشدين وكلام العلماء العاملين دراسة متزود مستبصر مجد لمعالم الجهاد السني الحق بعيدا عن الغلو والإفراط والتضييع والتفريط، فلن يزيد الغلو أو التضييع الأمة إلا خبالا والجهاد إلا ضعفا، والله متم نوره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

جدلية جهاد النخبة و جهاد الأمة^١

هذا قدرنا.. أن نتلى بين كل فينة وأخرى بمعارك جدلية؛ تضرب نصوص الشرع بعضها ببعض، ولا تراعي حرمة معالم الشريعة، وتهيج العوام على الحديث في أدق القضايا، وتصنف عموم التيار الإسلامي تصنيفات يوالى ويعادى عليها، ولا حول ولا قوة إلا بالله.. ومن ذلك الموقف من جهاد النخبة و جهاد الأمة..

وحقيقة الأمر أن الإجمال والإبهام أساس جل المصائب الفكرية التي تمر بها ساحتنا، وأن البيان والتفصيل هو علاج لكثير من الإشكاليات وجواب لكثير من الاستفسارات..، لذا فإن مما يفيد ذكره في هذا المقام:

١- أن الواجب الموسع هو الأصل في جهاد الدفع؛ فيجاهد البر والفاجر، والشجاع والخبان، والحكيم والأحمق.. بما لا يصادم الدفع المراد شرعا.

٢- خلافا للأصل، فإن الفاسق يستشار في الجهاد ويؤمن على الأسرار ويؤمر على الجنود، إذا كان هذا أنفع وأصلح؛ فالمحظورات التي تبيحها الضرورات تراعى بقدر رفعها لهذه الضرورة، والاستثناءات التي تنتاب جهاد الدفع ترتبط بحصول حقيقة الدفع؛ فإذا لم يقد الاستثناء في الدفع عاد للأصل غالبا.

٣- أنه لا يكفي للحكم في الوقائع الحاصلة أن يتحدث رجل عن جيل التمكين وآخر عن فقه الاستضعاف؛ فيضربا النصوص بعضها ببعض كعادة أهل البدع؛ فلكل حادثة حديث، ولكل واقع ما يناسبه؛ وهذا هو الأساس الذي رفض به عموم المجاهدين في الشام دولة البغدادي والهدنة مع النظام..

٤- اعتبار المآلات كتعظيم الشرع ودفع الصائل مقصد شرعي؛ يقتضي حيننا الانفصال عن عموم المجتمع حفظا لبيضة المسلمين، ويقتضي حيننا آخر الاندماج بهم حفظا لمسيرة الجهاد، ويقتضي حيننا ثالثا التصدر فيهم حفظا لمعالم الشريعة..

٥- أن تعدد الواجبات قد يستوجب من جماعة ما لا يستوجبه من أخرى؛ فيقع خلاف تنوع لا يضر إحدى الجماعتين.

٦- الأصل أن الجماعات ما قامت إلا لمصلحة الأمة؛ فمصلحة الجماعة الخاصة من مصلحة الأمة العامة، ما لم تعارض المصلحة الخاصة المصلحة العامة.

٧- أن مداراة الفساق، وتألف قلوبهم، ومشاركتهم، وتقديمهم عند الحاجة، لا تعني اتخاذهم أخلاء وأوداء.

٨- أن العالم يتأمل كل نازلة على حدة؛ ليفتي فيها بتقديم هذا هنا وتأخيرها هناك، وإشراك هذا هنا وحجبه هناك...

٩- أن معايير اختيار مجاهدي جماعة ما أمر اجتهادي بما يحقق مصلحة الجهاد؛ سواء أكانت تلك المعايير هي: التقوى، أو السبق، أو القبيلة، أو الوظيفة... (إلا من اغترف - لا يتبعني رجل قد ملك بضع امرأة وهو يريد أن يبني بها ولم يبن - وفي حمراء الأسد: لا يخرج معنا إلا من شهد القتال - وفي فتح مكة: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام رضي الله عنه على المهاجرين...).

١٠- أن التجارب الجهادية والثورية قد تشبه واحدة منها الأخرى ولكنها لا تتطابق معها، وتبقى لكل تجربة بيئة محيطة بها تحتاج إلى اجتهاد وتأمل واستبصار.

= باختصار: لا توجد أحكام مستقلة بذاتها يُكتفى بها عند تحليل المواقف تتعلق بجهاد نخبة وجهاد أمة، ولا جهاد محلي وجهاد عالمي، ولا عدو قريب وعدو بعيد، ولا بناء أمة انطلاقاً من الحاضنة الشعبية وبناء أمة انطلاقاً من الطائفة المنصورة...

بل يوجد أهل علم يلجمون العوام عن الخوض الباطل في هذا الكلام، ويتأملون ويجهدون في ملابسات كل واقعة على حدة؛ ليفتوا فيها بما استبان لهم أنه الحق الذي يرضي الله جل وعلا.

نسأل الله الهداية والتوفيق.

فائدة: حول معنى قولهم "قتال الدفع لا يشترط له شرط" ^١

اشتهر قول ابن تيمية رحمه الله: "وأما قتال الدفع فهو أشد أنواع دفع الصائل عن الحرمه والدين فواجب إجماعاً؛ فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه، فلا يشترط له شرط بل يدفع بحسب الإمكان".

وقد فهم البعض من هذا الكلام أن تعدد الجماعات في جهاد الدفع سائغ لا حرج فيه ولا يجب السعي إلى توحد المجاهدين؛ لأنه بحسب فهمه جهاد دفع لا يشترط فيه شرط. وهذا خطأ نتج عن الخلط بين شروط الجهاد وواجبات المجاهد؛ ففي جهاد الطلب تشترط لوجوب الجهاد شروط منها: أن يكون حراً ذكراً، ويراعى إذن الإمام والدائن والوالدين.. أما في جهاد الدفع فلا تشترط تلك الشروط؛ فقد يجب جهاد الدفع على العبد والمرأة وعلى المدنين وعلى من لم يأذن له أبواه..

وهذا يختلف عن واجبات المجاهد في جهاده طلباً كان أو دفعاً؛ فيجب على المجاهد في جهاد الطلب وفي جهاد الدفع: إعداد العدة، ورص الصفوف، وطاعة الأمير، والثبات عند اللقاء..

فمن خرج للمعركة يجاهد في جهاد الدفع بسكين مع قدرته على الجهاد بالرصاص فهو آثم على تفريطه في الإعداد الذي أمره الله جل وعلا به.

ومن خرج للمعركة يجاهد بصفوف متفرقة وأحزاب متناثرة مع قدرته على الجهاد صفا كالبنين المرصوص، فهو آثم على تقصيره في جمع الكلمة الذي أمر الله جل وعلا به.

إن جهاد الدفع يدفع للتحصيل الأتم والعمل الدؤوب لتحقيق أسباب النصر الشرعية والكونية، فما كان منها واجبا في جهاد الطلب فهو في جهاد الدفع أوجب وأكثر، وأي تقصير في تحقيق تلك الأسباب هو تفريط في الأمانة التي حملنا الله جل وعلا إياها وعلقتها الشعوب في رقابنا.

والحمد لله رب العالمين.

هل يشترط العلم في أمراء الجماعات الشامية الكبرى؟^١

- كثير من جماعات الشام الكبرى تعمل في جهاد العدو، وشؤون السياسة، وتعيين القضاة، وصرف الأموال...، وهذه بالمجمل مهام وزارة التفويض وإمارة الاستكفاء.
- وجمهور العلماء على أنه يشترط لمن تولى وزارة التفويض أو إمارة الاستكفاء أن يكون عالماً مجتهداً.
- بل إن إمارة الجماعة قد تستلزم مزيد عناية بالعلم؛ لأن الخليفة يراقب وزير التفويض وأمير الاستكفاء فيقر ويستدرك، وهذه المراقبة لا تتوفر في كثير من الجماعات.
- والإمارة في جل الجماعات الشامية الكبرى تكون نتيجة شورى ونظر واختيار؛ لذا وجب على أهل الشورى مراعاة العلم الشرعي عند الاختيار.
- والدعوة لتولية أهل العلم ليست دعوة لاختيار عالم يخالف سياسة الجماعة كأمر للجماعة؛ بل هي دعوة لتولية أحد علماء الجماعة المعروفين بتبني مشروعها.
- وعدم وجود عالم مجتهد في الجماعة لا يعني إغفال شرط العلم؛ بل لا بد من تقديم الأمثل علماً فالأمثل..
- ونحن لا ندعو للنظر للعلم وإغفال غيره، فيشترط كذلك شروط منها: العقل والشجاعة والعدالة والكفاية والرأي..
- وعند عدم توفر من استكمل شروط الإمارة تتم الموازنة بين الصفات، وللعلم ثقل كبير في الموازنة خاصة في ظل الجهاد الشامي والمؤامرات المحيطة به.
- واختيار أحد علماء الجماعة الأكفاء ليكون في منصب الأمير يطمئن الأفراد، ويضبط المسار، ويحجم ظاهرة انقلاب الأمراء على العلماء، وقبل ذلك كله هو طاعة لله جل وعلا.

- اللهم ول علينا خيارنا..

(١) كتبت سنة ١٤٣٧ هـ.

أحكام الجهاد مع الإمام الفاجر*

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.. وبعد؛

فإن من مسائل الجهاد المعروفة مسألة الجهاد مع الفاجر والغزو مع أئمة الجور، وأي مسألة لها مدلولها العملي المحدد الذي تنطبق عليه وتحتف بها أحوال تدخل تحتها أو لا تدخل؛ لذا كانت هذه المقالة التي نتحدث عن:

- اشتراط العدالة في الإمامة وأن الفاسق إن أصبح إماماً فهذا لا يسقط وجوب الجهاد معه، فمصلحة الجهاد أعلى من مفسدة البقاء في جيش الفاجر.
- وأنه إن كان الفاجر معروفاً بتضييع المسلمين والقتال معه سبب لزيادة المعاناة فالأمر يختلف.

- وأنه عند تعدد الأمراء فهل يختار المجاهد القتال مع الأمير العدل أو الفاجر.
- وأن الجهاد مع الفاجر هو فيما ثبت شرعاً أنه جهاد مشروع لا في أي قتال.
- وعلى المجاهد مع الفاجر أن يتجنب الفجور وأن يأمر بالمعروف قدر المستطاع.

* ومسألة القتال مع البر والفاجر يوردها الفقهاء عادة في أبواب الجهاد، وترد كذلك في كتب العقيدة عند ذكر المسائل العملية التي يخالف فيها أهل السنة والجماعة فرق الشيعة والخوارج.

* أولاً: الجهاد ماض مع الإمام الفاجر:

يشترط للولايات العامة الأتقياء العدول، قال جل وعلا في قصة إبراهيم الخليل: ﴿إِنِّي

جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ»، قال مجاهد في تفسير الآية: "الظالم لا يكون إماماً"، وقد نقل القرطبي الإجماع على ذلك فقال في تفسيره: "لَا خِلَافَ بَيْنَ الْأُمَّةِ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ تُعَقَّدَ الْإِمَامَةَ لِفَاسِقٍ".

فإن حصل وتولى الإمامة فاسقٌ سواء لفسق من اختاره أو لظوء الفسق عليه بعد ذلك أو لتغلب الفاسق واستتباب الأمر له، أو لغير ذلك، فإن الجهاد في سبيل الله تعالى لا يتوقف عند ذلك ولو كان الأمير فاسقاً، بل تجاهد الأمة معه - إن كان يجاهد - تحصيلاً لمصلحة الجهاد في سبيل الله تعالى ودفعا لما يترتب على القعود من مفساد أكبر، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾، فطاعة أولي الأمر مشروعة طالما كانت في طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

وقال صلى الله عليه وسلم: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» وهذا يدل على استمرار الجهاد زمن ولاية الجور.

ووردت أحاديث فيها بعض ضعف تنص على ذلك مثل ما رواه أبو داود في باب الغزو مع أئمة الجور: «الجهادُ ماضٍ منذُ بعثني اللهُ إلى أن يقاتلَ آخرُ أمتي الدجالَ، لا يبطلُهُ جَوْرُ جائِرٍ ولا عدلُ عادلٍ»، و «الجهادُ واجبٌ عليكم مع كلِّ أميرٍ، برّاً كان أو فاجراً». وقد نقل الصقلي في الجامع لمسائل المدونة مذهب الصحابة في ذلك قائلاً: "وقال الصحابة حين أدركوا من الظلم فكلهم قالوا: اغز معهم على حظك من الأجر، ولا تفعل ما يفعلون من فساد وخيانة وغلول".

وفي مسائل الإمام أحمد: "سألت أبا عبد الله عن القوم يكونون بطرسوس فيقعدون ولا يغزون، ويحتجون يقولون: متى ما غزونا إنما نوفر الفياء على ولد العباس. قال أبو عبد الله: هؤلاء قوم سوء، هؤلاء القعدة، هؤلاء جهال، وإن لم يكونوا يعلمون، ولا لهم علم بالعلم، فيقال لهم: أرايت لو كان أن طرسوس وأهل الثغور جلسوا عما جلسوا عنه هؤلاء، أليس كان قد ذهب الإسلام؟ هؤلاء قوم سوء".

وقال البرهاري في شرح السنة: "والجهاد مع كل خليفة"، وقال الطحاوي في عقيدته:

"والحج والجهاد ماضيان مع أولي الأمر من المسلمين برهم وفاجرهم إلى قيام الساعة، لا يبطلهما شيء ولا ينقضهما".

وقال ابن حزم في المحلى: "أَلَا إِنَّكُمْ بَعْدَ الْكُفْرِ أَعْظَمُ مِنْ إِيْتَمٍ مَنْ هَمَى عَنْ جِهَادِ الْكُفَّارِ وَأَمَرَ بِإِسْلَامِ حَرِيمِ الْمُسْلِمِينَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَجْلِ فَسَقِ رَجُلٍ مُسْلِمٍ لَا يُحَاسِبُ عَيْرَهُ بِنَفْسِهِ".

* ثانيا: إن لم تتحقق مصلحة الجهاد بالجهاد مع الفاجر اختلف الحكم:

الجهاد شرع لتحقيق غايات عظيمة من حفظ دين المسلمين وأنفسهم وأعراضهم وأرضهم وكذا قتال الكفار حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله، فإن تعدى جور الإمام الفاجر نفسه إلى غيره حتى اختلفت موازين الأمور ولم يعد القتال معه إلا محققا لنقيض مقصود الجهاد من ازدياد تسلط الكفار على المسلمين وتضييع جيش المجاهدين؛ فلا عدوا صد ولا مجاهدا حفظ، فهذا ليس جهادا؛ فلا يقاتل مع الإمام الفاجر حينها، ويُنظر لما يحقق مصلحة الإسلام من جهاد بغير طريقه هذا الفاجر، قال الشاطبي في الموافقات: "لَوْ قَدَرْنَا تَقْدِيرًا أَنَّ الْمَصْلَحَةَ التَّكْمِيلِيَّةَ تَحْصُلُ مَعَ قَوَاتِ الْمَصْلَحَةِ الْأَصْلِيَّةِ، لَكَانَ حُصُولُ الْأَصْلِيَّةِ أَوْلَى" فمصلحة القتال مع الفاجر تتعارض هنا مع مصلحة حفظ بيضة المسلمين، فلا التفات لمصلحة القتال مع الفاجر.

وقد نص الأئمة على أن الجهاد مع الفاجر مشروط بعدم تضييعه المسلمين، قال ابن قدامة في المغني: "قال أحمد: لا يعجبني أن يخرج مع الإمام أو القائد إذا عرف بالهزيمة وتضييع المسلمين، وإنما يغزو مع من له شفقة وحيطة على المسلمين..، ولا يستصحب الأمير معه مخذلا.. ولا مرجفا..، وإن كان الأمير أحد هؤلاء لم يستحب الخروج معه؛ لأنه إذا منع خروجه تبعاً فمتبوعاً أولى، ولأنه لا تؤمن المضرة على من صحبه"، وقال البهوتي في كشف القناع: "وَلَا يَكُونُ الْأَمِيرُ مَخْذُولًا وَلَا مُرْجِفًا وَلَا مَعْرُوفًا بِالْهَزِيمَةِ وَتَضْيِيعِ الْمُسْلِمِينَ لِعَدَمِ الْمَقْصُودِ مِنْ حِفْظِهِ الْمُسْلِمِينَ".

وذكر بعض العلماء أنه لا يجاهد مع الإمام الغادر فشؤم الغدر عظيم قد يذهب بمصلحة الجهاد، قال القرطبي في المفهم: "«ولا غادر أعظم غدرًا من أمير عامة».. لما في غدر الأئمة من المفسدة، فإنهم إذا غدروا، وعُلم ذلك منهم، لم يأمنهم العدو على عهدٍ ولا صلح، فتشتد شوكته، ويعظم ضرره، ويكون ذلك منفراً من الدخول في الدين، وموجباً لدم أئمة المسلمين. وقد مال أكثر العلماء إلى أنه لا يقاتل مع الأمير الغادر بخلاف الخائن والفاسق، وذهب بعضهم إلى الجهاد معه. والقولان في مذهبنا".

وهذا ابن تيمية يمدح من امتنع عن جهاد الدفع ضد التتار في جيش أهل الشام لَمَّا رأى أن الأسباب توجب الهزيمة وخسارة الدنيا والآخرة وعدم حصول نصرته المستضعفين به، لوجود من يستغيث بغير الله في جيش أهل الشام، فقال في كتاب الاستغاثة: "هؤلاء الذين تستغيثون بهم لو كانوا معكم في القتال لانهمزوا، كما انهزم من انهزم من المسلمين يوم أحد، فإنه كان قد قضى أن العسكر ينكسر لأسباب اقتضت ذلك، ولحكمة كانت لله عز وجل في ذلك، ولهذا كان أهل المعرفة بالدين والمكاشفة لم يقاتلوا في تلك المرة لعدم القتال الشرعي الذي أمر الله به ورسوله، ولما يحصل في ذلك من الشر والفساد وانتفاء النصره المطلوبة في القتال، فلا يكون فيه ثواب الدنيا ولا ثواب الآخرة لمن عرف هذا وهذا، وإن كان كثيراً من المقاتلين الذين اعتقدوا هذا قتالاً شرعياً أُجروا على نياتهم".

* ثالثاً: فإن كان المجاهد مخيراً بين إمام عدل وآخر فاجر فالعمل بالأصل قدر

الإمكان:

قد يحصل أن جيوش المسلمين تتوزع بين عدد من القادة ويخبر الناس بينهم، أو قد لا يكون هناك إمام عام وإنما جيوش أو فصائل متعددة يسد كل منها ثغراً، فالأصل هو الجهاد مع العدل قال تعالى: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾، وقال سبحانه: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾، إلا إن كانت هناك مصلحة راجحة في الجهاد مع الفاجر فتقدم تلك المصلحة

الراجحة، قال ابن تيمية في السياسة الشرعية: "إِذَا تَعَيَّنَ رَجُلَانِ أَحَدُهُمَا أَعْظَمُ أَمَانَةً وَالْآخَرُ أَعْظَمُ قُوَّةً: فَدِمَّ أَنْفَعُهُمَا لِتِلْكَ الْوِلَايَةِ وَأَقْلَهُمَا ضَرراً فِيهَا؛ فيقدم في إمارة الحروب الرَّجُلُ الْقَوِيُّ الشُّجَاعُ وَإِنْ كَانَ فِيهِ فُجُورٌ عَلَى الرَّجُلِ الضَّعِيفِ الْعَاجِزِ وَإِنْ كَانَ أَمِينًا؛ كَمَا سُئِلَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ عَنِ الرَّجُلَيْنِ يَكُونَانِ أَمِيرَيْنِ فِي الْعَزْوِ، وَأَحَدُهُمَا قَوِيٌّ فَاجِرٌ وَالْآخَرُ صَالِحٌ ضَعِيفٌ، مَعَ أَيُّهُمَا يُعْزَى؛ فَقَالَ: أَمَّا الْفَاجِرُ الْقَوِيُّ فَقُوَّتُهُ لِلْمُسْلِمِينَ وَفُجُورُهُ عَلَى نَفْسِهِ، وَأَمَّا الصَّالِحُ الضَّعِيفُ فَصَلَاحُهُ لِنَفْسِهِ وَضَعْفُهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَيُعْزَى مَعَ الْقَوِيِّ الْفَاجِرِ".

* رابعاً: الجهاد مع الفاجر يكون فيما ثبت شرعاً أنه جهاد مشروع لا في أي قتال:

المقصود من الجهاد مع الأمير الفاجر الذي تجب طاعته هو الجهاد الشرعي الذي أمر به الله تبارك وتعالى؛ كجهاد اليهود والنصارى والمرتدين وما شابه ذلك، أما إذا تحول السلاح لقتال على ملك وفتن على دنيا وتسلط على المسلمين؛ فليس هذا جهاداً، ولا يقاتل مع الفاجر في ذلك، قال صلى الله عليه وسلم: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا؛ قَوْمٌ مَعَهُمْ سِبَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَأَسْيَاتِ عَارِيَاتٍ مُمِيلَاتٍ مَائِلَاتٍ، رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُحْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ وَلَا يَخْرُجْنَ مِنْهَا، وَإِنْ رِيحُهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا» رواه مسلم.

وفي الحديث الذي رواه ابن حبان: «لِيَأْتِيَنَّ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءٌ يُقَرِّبُونَ شِرَارَ النَّاسِ، وَيُؤَخِّرُونَ الصَّلَاةَ عَنْ مَوَاقِيتِهَا، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَلَا يَكُونَنَّ عَرِيفاً وَلَا شَرِطِيّاً وَلَا جَابِيّاً وَلَا خَازِناً».

وفي مثل ذلك نقل الصقلي في الجامع لمسائل المدونة عن مالك قوله: "دعه وما يراد منه؛ ينتقم الله من ظالم بظالم ثم ينتقم من كليهما".

* خامسا: إن جاهد مع الفاجر تجنب فجره ونصحه:

الجهاد المشروع مع الفاجر ليس موالاة تامة له بل هو طاعة لله جل وعلا العليم بمصلحة عباده، وهذا لا ينافي أن على المجاهد أن يحذر على دينه من أن تصيبه فتنة بسبب هذا الفاجر أو أن يتلوث بطريقته أو أن يرضى بفجره أو أن يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حسب استطاعته الشرعية، قال جل وعلا: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾، وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾، وقال صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ، وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِذَا تَخَلَّفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةٌ خَرْدَلٍ».

قال ابن تيمية في السياسة الشرعية بعد أن ذكر ما قد يطرأ على الولايات من نقص: "يجب مع ذلك السعي في إصلاح الأحوال حتى يكمل في الناس ما لا بد لهم منه من أمور الولايات والإمارات ونحوها".

* أسأل الله أن يولي على المسلمين خيارهم وأن يكف شر شرارهم، والحمد لله رب العالمين.

أهمية لبس الدروع عند الجهاد^١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.. أما بعد؛

فهناك قوم لا يهابون العدا، ومناهم أن يستشهدوا.

هؤلاء هم أبطال المجاهدين في سوريا، الذين قدموا نماذج من أروع الأمثلة في التضحية والفداء والإقدام والإقبال، رجال لا يملكون إلا إيماناً صادقاً، وصدوراً عارية، وبقية من عتاد متهالك.

ورغم سقوط آلاف القتلى والجرحى منهم؛ إلا أن ذلك لم يفت في عضدهم، ولم يقل عزيمتهم، ولم يحد إقبالهم، فنعم الرجال هم، والله درهم، وهو مولاهم، فنعم المولى ونعم النصير. وضناً بهم، وحرصاً عليهم، تأتي هذه الكلمات حثاً لهم على استكمال العدة بلبس الدروع والخوذات، التي نعلم أنها لن ترد قدر الله تعالى، ولكنها سبب من الأسباب التي قدر الله جل وعلا أن يجعل فيها نوعاً من الحماية للإنسان.

وقد أرشد الله جل وعلا نبيه داود عليه السلام إلى طريقة صناعة الدروع، قال تعالى: ﴿وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ أَنْ أَعْمَلَ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرَ فِي السَّرْدِ﴾ "سبأ: ١٠ - ١١" فقد ألان الله جل وعلا له الحديد، ويسر له استخدامه، وأمره أن يعمل الدروع السابغات، وأن يجعل الحديد حلقة يدخل بعضها في بعض.

وبين الله جل وعلا أن هذه الدروع التي تكون سبباً في الحماية من الأخطار نعمة من النعم العظيمة، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْ لَكُمْ سَرَائِيلَ تَقِيَكُمْ الْحَرَ وَسَرَائِيلَ تَقِيكُمْ بِأَسْكُمْ كَذَلِكَ يُنِمْ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ "النحل: ٨١" أي أن من نعم الله جل وعلا أن يسر للإنسان اتخاذ ألبسة تقيه الحر، وألبسة تقيه وقت البأس والحرب؛ كالدرع، والترس، والخوذة، والمغفر.

(١) كتبت سنة ١٤٣٤ هـ.

وهذه النعمة يجب شكر الله جل وعلا عليها، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صِنْعَةَ لُبُوسٍ لَكُمْ لِيُحَصِّنْكُمْ مِنْ بِأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ "الأنبياء: ٨٠"، فالله جل وعلا يمن علينا بتعليمه نبيه داود عليه السلام صنع ما يلبسه الإنسان من عتاد يقي الإنسان ويحصنه من ضرب العدو، ثم يرشد الله جل وعلا إلى شكر هذه النعمة بقوله تعالى: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ "الأنبياء: ٨٠".

* وكان من هدي النبي صلى الله عليه وسلم لبس بعض هذه الألبسة التي تساعد عند الحرب في الوقاية من ضرب الأعداء؛ فمثلاً:

- في غزوة بدر: دعا النبي صلى الله عليه وسلم ربه، وناشده عهده، وهو لابس درعه، ثم خرج للقتال وهو يقول: ﴿سَيَهْرُمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْهَى وَأَمْرٌ﴾ "القمر: ٤٥ - ٤٦" "رواه البخاري".

- وفي غزوة أحد: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا ينبغي لنبى يلبس لأمته فيضعها حتى يحكم الله» "رواه البخاري"، واللامعة هي الدرع.

بل وفي هذه المعركة لبس النبي صلى الله عليه وسلم درعين اثنين؛ جعل أحدهما فوق الآخر، ففي الحديث: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ظاهر يوم أحد بين درعين» "رواه أبو داود".

وفي هذه المعركة كذلك لبس رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الدرع الذي يقي الصدر بيضة تقي الرأس؛ فعن سهل بن سعد قال: «جرح وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكسرت رباعيته، وهشمت البيضة على رأسه» "متفق عليه".

- وفي فتح مكة: لبس النبي صلى الله عليه وسلم كذلك تلك العدة التي تقي المرء؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عام الفتح وعلى رأسه المغفر» "متفق عليه" والمغفر هو أداة تنسج من الدروع على قدر الرأس.

* ولم يكن لبس الدروع وما يشبهها خاصاً برسول الله كداود ومحمد صلى الله عليه وسلم، بل كان أمراً عاماً شائعاً بين الجنود المؤمنين؛ ففي يوم حنين لم يكتف رسول الله صلى

الله عليه وسلم بما مع المسلمين من دروع، بل استعار من أحد الكافرين عددًا من الدروع، على أن يردّها بعد المعركة؛ فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «يا صفوان هل عندك من سلاح؟ قال: عارية أم غصبًا؟ قال: لا بل عارية. فأعاره ما بين الثلاثين إلى الأربعين درعا، وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم حنينًا، فلما هُزم المشركون جمعت دروع صفوان، ففقد منها أدرعا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لصفوان: إنا قد فقدنا من أدرعك أدرعًا، فهل نغرم لك؟ قال: لا يا رسول الله؛ لأن في قلبي اليوم ما لم يكن يومئذ» "رواه أبو داود".

بل وكانت لخالد بن الوليد رضي الله عنه كثير من الدروع، وجعلها وقفًا في سبيل الله جل وعلا، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن خالدًا احتبس أدراعه في سبيل الله» "متفق عليه".

بل وعند الحاجة كان الرجلان يتترسان بترس واحد؛ فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: «كان أبو طلحة يتترس مع النبي صلى الله عليه وسلم بترس واحد» "متفق عليه".

= بناء على ما سبق:

- يجب شكر الله على نعمة خلق الدروع: استجابة لقوله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صِنْعَةَ لُبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بِأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ "الأنبياء: ٨٠"، ومن وسائل الشكر استخدام الدروع فيما يرضي الله من جهاد أعدائه، والتحصن من عتادهم.

- ينبغي قبل القتال توفير الدروع والخوذات للمقاتلين عامة، ولسرايا الاقتحاميين خاصة: فهي من إعداد العدة الذي أمر الله به في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْحَبْلِ﴾ "الأنفال: ٦٠".

- يحرم على الأمير التفريط مع القدرة في حماية المجاهدين: وهذا التفريط يندرج تحت قول النبي صلى الله عليه وسلم: «ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصحه إلا لم يجد رائحة الجنة» "متفق عليه".

- يتعين على المجاهدين الاهتمام بلبس الدروع والخوذات: وهي من أخذ الحذر الذي

أمر الله جل وعلا به في قوله: ﴿وَأُخَذُوا حِذْرُكُمْ﴾ "النساء: ١٠٢"، وفي قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ "النساء: ٧١".

- يستحسن التدرب على لبس الدروع: وكذلك التدرب على تحمل الصعوبة التي قد تصاحب لبسها مدة طويلة؛ فطالما كان هذا في سبيل الله فمرحبًا مرحبًا، قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

- يجوز شراء الدروع والخوذات للمجاهدين من أموال الزكاة والصدقات: لأنها جهاد في سبيل الله عز وجل، كما تجوز استعارتها ممن يملكها، أو استئجارها منه، أو شراؤها ببعض الذخيرة والأسلحة التي تفيض عن حاجة الكتيبة المجاهدة.

- يا حبذا لو قام البعض بالتخصص في مهمة تجهيز الدروع والخوذات: سواء كان ذلك بالبحث عنها وشرائها من مظانها، أو كان ذلك بتدليل العقبات التي تواجه مستخدميها؛ مثل تغيير لون الخوذات إلى ألوان تغاير الألوان المعتادة عند خوذات العدو، أو إيجاد بديل للدروع والخوذات المعتادة إذا كان ثقلها يعوق بعض المجاهدين في جهادهم؛ وذلك بصنع دروع وخوذات أخف ثقلًا، كأن تكون من مادة البلاستيك بسمك مقداره ٢ سم مثلاً، فهذه لا شك ستخفف كثيراً من فاعلية بعض أسلحة الأعداء، والقاعدة الشرعية تقول: "ما لا يدرك كله لا يترك كله".

أسأل الله أن يحفظ الجهاد والمجاهدين عامة، وفي بلاد الشام خاصة، وأن يبارك في جهادهم، وأن ينصر بهم الإسلام، ويعز بهم المسلمين.

الردع في الجهاد^١

الجهاد في سبيل الله تعالى له أهداف عديدة؛ مثل: الدفاع عن المستضعفين، وحماية ديار المسلمين، وتحرير الأرض من حكم الطغاة الظالمين، ولتلك الأهداف وسائل عديدة يراد منها تحقيق المقصود؛ مثل: النكاية في العدو، والشدة على الكفار، ورد العدوان بمثله، والردع...، والمطلوب في طريق الجهاد هو بذل الوسع والطاقة وتقديم الدنيا بما فيها في سبيل الله تعالى، قال جل وعلا: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾، قال الطبري في تفسيره: "حق الجهاد: هو استفراغ الطاقة فيه".

ومقال اليوم هو عن الردع الذي هو من أهم الوسائل الضرورية لتحقيق مقاصد الجهاد.

أولاً- تعريف الردع في الجهاد:

الردع لغة كما في لسان العرب: "الكَفُّ عَنِ الشَّيْءِ. رَدَعَهُ يَرُدُّعُهُ رَدْعًا فَارْتَدَعَ: كَفَّهُ فكَفَّ".

وهذا المعنى هو الذي يستخدمه الفقهاء في تعبيراتهم التي يوردون فيها كلمة الردع ومشتقاتها، كقول العز بن عبد السلام في الفوائد: "ولما علم أن في عباده من يصلو على النفوس والأبضاع والأموال بالضرب والجزر والتهديد وبقطع الأغنياء وقتل النفوس شرع ردعهم حفظاً للنفوس والأبضاع ومنافع الأموال"، وكقول ابن الحاج في المدخل عن قتال البغاة: "يقاتلون بنية ردعهم"، ونقل الشاطبي في الموافقات قول الشافعي: "ويلاحظ القواعد الكلية أولاً، ويقدمها على الجزئيات، كما في القتل بالثقل؛ فتقدم قاعدة الردع على مراعاة الاسم الوارد في الجزئي".

وجاء تعريف الردع في الكتب العسكرية المعاصرة كما في كتاب الردع والإستراتيجية: بأنه: "منع دولة معادية من اتخاذ قرار باستخدام أسلحتها أو منعها من العمل أو الرد، وذلك

(١) كتبت سنة ١٤٤١هـ.

باتخاذ مجموعة من التدابير والإجراءات التي تشكل تهديدا كافيا".

وفي كتاب فن الحرب الإسلامي، الردع هو: "إرغام الخصم على التقيد ببعض الحدود في إلحاق الضرر والتخلي عن تصعيد النزاع".

وبذلك يمكن القول بأن الردع في الجهاد هو: "الوسائل القتالية التي تجبر العدو على الكف عن بعض الأمور".

فالردع أخص من النكاية في العدو وأعم من الانتصار عليه، فليست كل نكاية في العدو هي ردعا، ولكن كل ردع هو نكاية في العدو، وليس كل ردع هو انتصارا كاملا، ولكن كل انتصار كامل هو ردع للعدو.

ثانيا- من أدلة الردع في الجهاد:

١- قال تعالى: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفِكَ بِأَسِ الدِّينِ كَفَرُوا﴾، قال ابن كثير في تفسيره: "أي بتحريضك إياهم على القتال تنبعث همهم على مناجرة الأعداء، ومدافعتهم عن حوزة الإسلام وأهله، ومقاومتهم ومصابرتهم"، فالجهاد من أهدافه كف بأس الكفار وردعهم عن المسلمين.

٢- وقال سبحانه: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾، قال السعدي في تفسيره: "جهادكم على هذا الوجه من باب القتال والذب عن عيالاتكم وأولادكم ومحارمكم، لا من باب الجهاد الذي هو الطمع في الكفار، فإنه وإن كان فيه فضل عظيم ويلام المتخلف عنه أعظم اللوم، فالجهاد الذي فيه استنقاذ المستضعفين منكم أعظم أجرا وأكبر فائدة، بحيث يكون من باب دفع الأعداء"، فالجهاد من أهدافه استنقاذ المستضعفين ونصرهم ممن قهرهم، وهذا من ردع الكافرين عن المسلمين.

٣- وقال جل وعلا: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ

عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُوهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ»، قال الشربيني في تفسيره: "الكفار إذا علموا أن المسلمين متأهبون للجهاد مستعدون له مستكملون لجميع الأسلحة وآلات الحرب وإعداد الخيل مربوطة للجهاد خافوهم، فلا يقصدون دخول دار الإسلام".

٤- وقال سبحانه: **﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ هَدَمْتَ صَوَامِعَ وَبِيَعٍ وَصَلَوَاتٍ وَمَسَاجِدٍ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾**، قال السعدي في تفسيره: "لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لاستولى الكفار على المسلمين فخرّبوا معابدهم وفتنّوهم عن دينهم، فدل هذا أن الجهاد مشروع لأجل دفع الصائل والمؤذي، ومقصود لغيره".

٥- وقال تعالى: **﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِيْنَةٍ أَوْ نَزَعْتُمْهَا فَأِنَّهَا عَلَىٰ أَسْوَأَ مِنَّا وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أُوجِفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**، قال ابن كثير في تفسيره عن غزوة بني النضير: "ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما حاصرهم أمر بقطع نخيلهم إهانة لهم، وإرهاها وإرعابا لقلوبهم...، وفيه نكاية بالعدو وخزي لهم وإرغام لأنوفهم"، وقد أدى ذلك الردع هدفه فجلى بنو النضير عن المدينة بلا قتال.

٦- وقال جل وعلا: **﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَ بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِمَدْيِنَتِكُمْ تَفْرَحُونَ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾** فهو عليه السلام هددهم وخوفهم فردعهم واستسلموا وأسلموا.

٧- وقال صلى الله عليه وسلم: **«نصرت بالربع مسيرة شهر»**، قال ابن هبيرة في الإفصاح: "يعني الخوف الذي وضعه الله تعالى منه في القلوب، فإنه نصره به، فكفاه كثيراً من القتال".

٨- كثير من الغزوات والبعوث والسرايا التي تهدف لردع المشركين: ومن ذلك ما ذكره المباركفوري في الرحيق المختوم عن غزوة نجد في السنة الرابعة من الهجرة: "تحشّد جموع

البدو والأعراب من بني محارب وبني ثعلبة من غطفان، فسارع النبي صلى الله عليه وسلم إلى الخروج، يجوس فيأبني نجد، ويلقي بذور الخوف في أفئدة أولئك البدو القساوة، حتى لا يعاودوا منكرهم التي ارتكبوها مع المسلمين. وأضحى الأعراب الذين مردوا على النهب والسطو لا يسمعون بمقدم المسلمين إلا حذروا وتمنعوا في رؤوس الجبال. وهكذا أربب المسلمون هذه القبائل المغيرة وخلطوا بمشاعرهم الرعب، ثم رجعوا إلى المدينة آمين".

٩- ردع أبي بصير وأبي جندل لقريش: وذلك بعد صلح الحديبية الذي كان من شروطه رد المسلمين من يأتي من قريش مسلما، وبذلك فقد ضعفاء مكة المأوى الذي كانوا يهاجرون له بالمدينة، ففر أبو بصير وأبو جندل من كفار قريش إلى ساحل البحر، وفر بعض المسلمين كذلك إليهم، وأصبحوا يعترضون قوافل قريش، حتى اضطروا مشركي قريش إلى التنازل عن هذا الشرط، قال البخاري رحمه الله: «فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير، حتى اجتمعت منهم عصابة..، فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم، فأرسلت قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم تناشده الله والرحم لما أرسل إليهم فمن أتاه فهو آمن، فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم إليهم».

١٠- معاقبة أئمة الكفر: وذلك حتى يكونوا عبرة لغيرهم وردعا لقومهم، فمن ذلك أنه صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الأسيرين النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط بعد غزوة بدر ولم يقتل صلى الله عليه وسلم بقية أسرى بدر السبعين بل قبل منهم الفداء.

ثالثا- أهمية الردع في الجهاد:

يعد الردع من أهم وسائل القتال عامة والجهاد في سبيل الله تعالى خاصة؛ وذلك لأنه:
أ- يصون كثيرا من ديار المسلمين عن كثير من الاعتداءات، ويجعلها آمنة من أكثر المخاطر التي تنتاب الأمم الضعيفة، فالأمة الضعيفة التي لا تقدر على ردع عدوها تكون مستباحة، بل وهذا حاصل كذلك في عالم الحيوان، وفي الحديث قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم: «بينما راع في غنمه عدا الذئب، فأخذ منها شاة فطلبها حتى استنقذها، فالتفت إليه الذئب، فقال له: من لها يوم السَّبْع ليس لها راع غيري» رواه البخاري.

ب- يمنع كثيرا من الأعداء من مواجهة المسلمين ويخوفهم من التعرض لهم أو مواجهتهم، وبذلك تحافظ الأمة على قوتها من أن تستنزف في المعارك التي لا تريدها، كما قال تعالى عن المنافقين: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُوهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُولُنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾، فأخبر سبحانه أن رهبة المنافقين من المسلمين سبب في عدم نصرتهم اليهود والفرار من المعارك.

ج- يشيع روح العزة في قلوب أبناء الأمة ويحفزهم على الجهاد في سبيل الله تعالى، فالمصالح الملحوظة لأي طاعة هي بشائر عاجلة تثبت القلوب وتريدها اطمئنانا، ولا زالت الأمم تفتخر بحماية حماها، قال صلى الله عليه وسلم: «ألا وإن لكل ملك حمى»، قال النووي في شرح مسلم: "معناه أن الملوك من العرب وغيرهم يكون لكل ملك منهم حمى يحميه عن الناس ويمنعهم دخوله؛ فمن دخله أوقع به العقوبة، ومن احتاط لنفسه لا يقارب ذلك الحمى خوفا من الوقوع فيه".

رابعاً- مقومات الردع في الجهاد:

يصف بعض المعاصرين الردع بأنه ظاهرة سيكولوجية أي نفسية، يتم فيها تصور وفهم طريقة صنع القرار عند العدو ثم وضع الوسائل التي تؤثر على قراره، وبذلك يمكن تصور أهم مقومات الردع فيما يلي:

- أن يكون الردع فيه نكاية شديدة بالعدو يجعله يتألم منه، وليس مجرد إيذاء عابر لا

يبالي به.

- أن يكون الردع مبنيا على قدرة حقيقية على إيقاع وسائله بالعدو، وليس مجرد تهديدات كلامية أو إعلامية.
- إظهار القدرة على ممارسة الردع؛ ليعلم العدو أن هناك ردعا حقيقيا؛ بحيث لا يجترئ على فعل حماقة ظنا منه عدم وجود قدرة على الرد.
- القدرة على الاستمرار في وسائل الردع؛ بحيث إن امتص العدو آثاره مرة يعجز عن امتصاصها ثانية وعاشرة وعلى المدى الطويل.
- معرفة ما يمتلكه العدو من وسائل يظنها رادعة؛ بحيث يكون ردع المجاهدين أشد أثرا من ردادات فعل العدو وردعه، فيفقد ردع العدو فاعليته أو يضعف تأثيره أمام ردع المجاهدين.
- البعد عن نقاط الضعف أو التأثير التي يمكنها التحكم في مسار عمليات الردع، كفك التحالف مع قوى لا تتحمل الدخول في تحدي الردع، أو التمايز عن سكان منطقة محددة كي لا يعيقوا الردع المنطلق من أماكنهم..

خامسا- أحكام الردع في الجهاد:

الأصل في أحكام الردع أنها داخلة في الأحكام الفقهية العامة للجهاد في سبيل الله تعالى؛ سواء في وسائل الجهاد أو أدواته أو طرقه أو ما يجوز للمجاهد وما لا يجوز له. ولكن الردع ألصق في حالات كثيرة بأحكام الضرورة وما يتعلق بها من موازنة بين المصالح والمفاسد؛ لأنها قائمة على تحصيل وسائل حفظ دين ودماء وأعراض المسلمين، بالتعرض لدماء ومصالح أعدائهم.

وعن الموازنة بين المصالح والمفاسد قال السرخسي في المبسوط: "إذا لم نجد بدا من نوع ضرر رجحنا أهون الضررين على أعظمهما"، وقال الآمدي في الإحكام: "ارتكاب أدنى الضررين يصير واجبا نظرا إلى رفع أعلاهما"، وقال ابن عبد الهادي في الصارم المنكي: "فهاهنا أمران يمتنعان كون الفعل قرينة: استلزامه لأمر مبعوض مكروه وتفويته محبوب هو أحب إلى الله من ذلك الفعل".

إن النظر في المصالح والمفاسد والموازنة بينها خاصة عند التعارض والتقارب علم جليل يحتاج إلى دقة وضبط، ومن أهم الضوابط التي تعين على ذلك، وينبغي مراعاتها عند النظر في تعارض المصالح والمفاسد ما يلي:

أ- الرجوع للموازنة بين المصالح والمفاسد لأمثل أهل العلم العاملين المطلعين على أحوال الناس: لأن النظر في هذا الباب دقيق جدا، والخلط في تلك المسائل من أوسع الأبواب التي يدخل منها الشيطان على الصالحين؛ حيث يعظم الصغائر ويصغر العظام ويشكك في الحقائق ويؤكد الظنون والتخرصات ليزيغوا، وبالرجوع إلى أهل الذكر تتبين المصالح والدقائق والاعتبارات والمآلات التي تخفى على الكثيرين.

ب- تعذر الجمع بين المصالح كلها وتعذر دفع المفاسد كلها: فكلما أمكن جمع المصالح ودفع المفاسد تعين ذلك، ولا يصار إلى الترجيح طالما أمكن الجمع، فإن تعذر الجمع تحول إلى الترجيح بين المصالح والموازنة بين المفاسد.

ت- معرفة مراتب المصالح والمفاسد: وما كان منها كلياً أو جزئياً، وعاماً أو خاصاً، وضرورياً أو حاجياً أو تحسينياً، وقطعياً أو ظنياً، ثم الموازنة في كل مسألة بين الخيارات المطروحة وما يحققه كل خيار من مصالح ويتلبس به من مفاسد.

ث- تقديم فعل المصلحة الكبرى على ما دونها: وتقديم دفع المفسدة الكبرى على ما دونها، وارتكاب أخف الضررين اتقاء لأشدهما.

ج- أعلى المصالح التي يجب على الفرد المحافظة عليها هي أصل إيمانه أولاً، ثم أصل إيمان المسلمين، وهو مقدم على حفظ النفس والعقل والنسل والمال، ثم بعد ذلك تكون الموازنة بفقده بين المصالح والمفاسد؛ فرغم أن حفظ الدين مقدم على حفظ النفس وحفظ النفس مقدم على حفظ العقل والنسل والمال إلا أن الموازنة مثلاً بين ما يعم الأمة من حفظ العقل مع ما يخص بعضها من حفظ النفس أو بين ما يحفظ المال قطعاً ويحفظ النفس ظناً يجعل للموازنة الحقيقية دوراً مهماً في ترجيح أعلى المصلحتين.

ح- تقدر ضرورة الترجيح بين المصالح والمفاسد بقدرها: فمتى أمكن جمع المصالح

ودفع المفاسد تعين الرجوع للجمع وترك الترجيح.

* وما تكثر فيه الحاجة للموازنة عند الردع مسائل استهداف غير المحاربين من العدو كالنساء والأطفال: فالأصل أنه لا يجوز تقصد قتل نساء المشركين وأطفالهم، فعن رباح بن ربيع رضي الله عنه، قال: «كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة، فرأى الناس مجتمعين على شيء، فبعث رجلا فقال: انظر علام اجتمع هؤلاء، فجاء فقال: على امرأة قتيل. فقال: ما كانت هذه لتقاتل. قال: وعلى المقدمة خالد بن الوليد، فبعث رجلا فقال: قل لخالد: لا يقتلن امرأة ولا عسيفا» رواه أبو داود، وعن بريدة الأسلمي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تعدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا» رواه مسلم.

وقد قتل وعذب مشركو مكة نساء المسلمين، ومع ذلك لم يردّ النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك بقتل وتعذيب نساء المشركين، فهذه سمية رضي الله عنها قتلها المشركون بمكة ومع ذلك لم يقتل النبي صلى الله عليه وسلم نساء قريش.

وهذا فرعون وجنده قال الله جل وعلا عنهم: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمُ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمُ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾، ومع ذلك لم يقتل بنو إسرائيل أطفال المصريين عند خروجهم من مصر، مع أنه ورد أنهم أخذوا أموالا منهم عند الخروج من مصر.

ولطالما قتل المشركون من صليبيين وتتار وغيرهم نساء وأطفال المسلمين عبر قرون طويلة، ولم يكن علماء المسلمين في تلك القرون يجيزون تقصد نساءهم وأطفالهم بالقتل، فتقصد قتلهم كأن يكونوا أسرى بأيدينا فنقتلهم مخالف للإجماع على حرمة تقصد قتل نساء وأطفال المشركين بلا سبب شرعي، قال ابن عبد البر: "وأجمع العلماء على القول بذلك ولا يجوز عندهم قتل نساء الحربين ولا أطفالهم؛ لأنهم ليسوا ممن يقاتل".

- وأشد من تقصد قتل النساء تقصد قتل الأطفال فهذا أشد حرمة.

- ولكن، يجوز قتل نساء المشركين وأطفالهم للحاجة أو الضرورة في حالات التترس

والتبئيت ورميهم بالمنجنيق وإذا قاتلوا، لأدلة كثيرة؛ منها حديث الصعب بن جثامة أن النبي صلى الله عليه وسلم: «سئل عن أهل الدار يُبَيِّتُونَ من المشركين فيصاب من نسائهم وذرائعهم، قال: هم منهم» رواه البخاري.

- وإن كان نساء العدو من المرتدات فالأمر في قتلهن أوسع من نساء الكفار الأصليين؛ لما هو معلوم من تغليظ الشريعة لأحكام المرتدين، قال صلى الله عليه وسلم: «من بدل دينه فاقتلوه» رواه البخاري.

- أما إن كان الردع لا يحصل إلا بتقصد قتل نساء وأطفال المشركين، فينظر حينها في درجة الحاجة لهذا الردع، فإن كان هو الردع العام الذي لا تخلو الحاجة منه في كل عصر وفي كل جيش، فهذه ليست الضرورة التي يخالف النص من أجلها؛ لأن النهي ورد في زمن الحاجة لمثل هذا الردع العام.

- أما إن كانت الضرورة تقتضي ردعا خاصا كأن يكون المشركون يقتلون أطفال ونساء المسلمين ولم يمكن ردعهم عن هذا إلا بتقصد قتل نسائهم وأطفالهم، فحفظ أطفالنا ونسائنا أولى، فهنا يجوز ردعهم بتقصد قتل غير المحاربين منهم ردعا لهم، وتقدر الضرورة بقدرها.

- [وينبغي ملاحظة أن الكلام كله هنا عن الرجال الكفار وزوجاتهم الكافرات وأولادهم الكفار، ولا يدخل في ذلك من ثبت إسلامه من زوجاتهم وأبنائهم، ومن ذلك المسلمة زوجة المرتد الذي ليست رده معلومة من الدين بالضرورة فهي على أصل إسلامها ما لم تأت هي بناقض].

* أسأل الله أن يحفظ المسلمين، وأن ينصر المجاهدين، وأن يرد كيد الكافرين، والحمد لله رب العالمين.

بدعة الجهاد الأليف^١

- دماء وأشلاء..

- مهجرون ومشردون..

- إرث عظيم وأمانة ثقيلة..

وبعض هذا فضلا عن كله يقتضي وضع اليد على الجرح ومعرفة الداء بتجرد وتقديم مصلحة الإسلام والمسلمين.

لقد مرت الحركات الإسلامية المعاصرة بتجارب عديدة واستخدمت وسائل وطرائق متنوعة فحصلت كل حركة المآل الذي يتناسب مع اختياراتها.

ومن التجارب التي سار فيها بعضٌ في الثورة السورية وأثرت سلبا على الواقع الميداني وكانت من أهم أسباب التراجع الحالي هو تلك التجربة التي يمكن تسميتها "الجهاد الأليف" ..

ومنشأ تلك التجربة هو محاولة جهاد النصيرية ومن يساندها من المعسكر الشرقي مع الخوف من محرقة على يد أمريكا والمعسكر الغربي على غرار ما حصل لجماعة البغدادي، مع قناعة بأنه لا جدوى من خداع أمريكا، وأنه من الضروري تطمين المعسكر الغربي، لتستمر مواجهة وجهاد روسيا والمعسكر الشرقي في سوريا.

فأرادت تلك التجربة أن تكون مجاهدة أمام المعسكر الشرقي وأليفة أمام المعسكر الغربي..

(١) كتبت سنة ١٤٤١ هـ.

* وبما أن لدى المعسكر الغربي مخاوف ومحاذير ولديه استخبارات ويعمل على جمع المعلومات، فإن من سار في هذا الطريق عمل على إرسال الرسائل العملية المطمئنة للغرب بأنه تحت السيطرة ولا خطر يهددهم حاليا من الجهاد ضد المعسكر الشرقي..

- فمثلا يتخوف المعسكر الغربي من أن تكون سوريا منطلقا لأعمال خارجية في دول العالم، فكان العمل على سؤونة الصراع، وعدم العمل الخارجي حتى ولو كان داخل دول المعسكر الشرقي التي تحارب الإسلام في سوريا.

- ويحذر الغرب من أساليب القتال الفردية وحرب الشوارع والأعمال النوعية؛ لأنه لا يمكن السيطرة على الأفراد والمجموعات التي تعمل بتلك الأساليب، فكان اختيار أساليب قتال الجيوش وإهمال غيرها من الأساليب رسالة طمأنة للمراقبين، بل تم إعلان رفض قيام أي حركة إسلامية في العالم باستخدام أسلوب الذئب المنفرد ضد المعسكر الغربي.

- ويرفض الغرب فكرة الردع الذي يجعل للمجاهدين الكلمة المحورية في الصراع، خاصة إن كان باستهداف الطوائف المحاربة لنا معاملة لهم بالمثل، فتم تهميش الردع في الصراع الدائر.

- ويراقب الغرب تطور الصناعة العسكرية وتأثيرها، فكان التركيز على محدودية التطوير وضعف فاعلية الصناعة المحلية في المعارك.

- ولا يجب الغرب كثرة الجماعات والمجموعات التي تبتعد عن العين، فكان الدمج والجمع الذي أطر المجموع، بل بدل أن تكون المركزيات متكاملة مع الأفرع والمضافات أصبحت بديلا عنها لا متكاملة معها، وبعد أن كانت كل كتبية ومجموعة تتقن فنون القتال

وتستخدم المدافع وتملك الرشاشات المتوسطة والثقيلة وتعمل في التلغيم إلى غير ذلك من فنون القتال، أصبح المجتمع الثوري والجهادي مشلولاً لا يملك إلا القتال بالبارودة بزعم تخصص المركزيات، رغم أن المركزيات لم تستطع وحدها تغطية الواقع الميداني عندما اشتدت المعارك، مما سبب انهيار كثير من المناطق.

- والغرب يخشى من السرية والكتمان التي قد تحمل في طياتها ما لا يحبه، فتحول الجهاد الشامي في كثير من الأحيان لجهاد على الهواء مباشرة لا أسرار فيه ولا أُمْنِيات.

- ويسعى الغرب دوماً لتحديد أعداد الجيوش وتقييدها في مستوى معين، كضمان من ضمانات تفوقه، وهو ما طُبّق واقعا بتقييد أعداد الجيوش والفصائل بأعداد محددة.

- ويخشى الغرب من توافد الغربيين المسلمين لسوريا، فكان التضييق على الغربيين الراغبين في الجهاد، واستيعاب واستهلاك من تواجد منهم في المعركة الحالية مع المعسكر الشرقي.

* لقد وقعت هذه التجربة في تناقض بين واجب الإعداد لجهاد المعسكر الشرقي ومحاذير التعامل الأليف مع المعسكر الغربي، فعدت وسائلها ومخططاتها وأساليبها قديمة جامدة لا تقدر على الدفاع الأتم عن الدين والعرض والأرض والنفوس، واجتاحت المعسكر الشرقي أكثر الأراضي التي كانت محررة، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

* نعم، ليس من الصواب أن نستفز كل الأعداء ليجتمعوا علينا، ولكن ليس من الصواب كذلك أن نفرط في الإعداد الواجب لصد العدو الغاشم الصائل على ديننا ودمائنا وأرضنا..

فتحييد عدو من الأعداء لا يعني القبول بالوصاية التي يفرضها ولا إعطاء الضمانات التي يرتضيها، فالمعسكر الغربي الذي لم يقبل بالبشير في السودان ولا مرسي في مصر لن يترك المجال لنجاح أي حركة إسلامية في سوريا إلا مضطرا لذلك تحت ضغط نجاحاتها الميدانية واستقلالية مسيرتها الجهادية عن توظيف المعسكر الشرقي والغربي.

نعم، يمكن للمعسكر الغربي أن يتغاضى مؤقتا عن بعض الجماعات الوظيفية ولكن بهدف استنزافهم في المعركة مع المعسكر الشرقي ليكمل هو حربه لاحقا وهم مستنزفون مقيدون بالأغلال التي فرضها عليهم في مرحلة من المراحل بدعوى معاملتهم معاملة "المعتدلين".

* فالإعداد أيها المجاهد الإعداد، والبصيرة البصيرة، وتذكر قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ

وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾.

والحمد لله رب العالمين.

هكذا نصره

نصرة النبي صلى الله عليه وسلم من أسس الإسلام، فقد اختاره الله جل وعلا لأداء الرسالة الخاتمة التي فيها صلاح الدنيا والآخرة، وهو كذلك صاحب الشمائل الرفيعة والمناقب الجليلة والحصل الأتم الحميدة.

والله جل وعلا هو الذي حفظ نبيه وعصمه وكفاه ورد كيد عدوه، وتفضل على من اختار من عباده لينالوا شرف النصر والأجر الجزيل في دفاعهم عن خير خلق الله أجمعين؛ قال تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾، وقال تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ اللَّهِ﴾، وقال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾، وقال تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾، وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي آيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾.

وعندما يكون الحديث عن إساءة الأراذل الأشرار للنبي صلى الله عليه وسلم فإن المقام هنا إنما هو مقام نصرته وانتقام بالمعنى الخاص، فلكل فعل انفعال، ولكل مقام مقال.

وقد اجتهد الصحابة الكرام في تحقيق معنى الانتصار للنبي صلى الله عليه وسلم، ومن ذلك:

* أولاً- الانتصار بالسنان:

ومنه ما حصل يوم أحد؛ فطلحة بن عبيد الله وأبو دجانة رضي الله عنهما يتقيان النبل بجسديهما عن النبي صلى الله عليه وسلم، وأم عمارة رضي الله عنها تنحاز إلى الرسول الكريم تباشر القتال بالسيف وترمي بالقوس، وأحاط الكفار بالنبي صلى الله عليه وسلم وبين يديه سبعة من الأنصار فتقدموا واحدا بعد الآخر يردون الكفار حتى استشهدوا جميعا، وهذا سعد

(١) كتبت سنة ١٤٤٢ هـ.

بن الربيع في سكرات الموت يرسل لقومه قائلاً: "لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى نبيكم وفيكم عين تطرف"، فكان فعلهم تطبيق عملي لقوله جل وعلا: ﴿التَّيُّ أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾.

وعندما آذى طاغوت اليهود كعب بن الأشرف الله ورسوله انطلق إليه محمد بن مسلمة فما تركه حتى قطع رأسه، وكذا عبد الله بن عتيك رضي الله عنه يذهب لليهودي أبي رافع الذي آذى النبي صلى الله عليه وسلم فيأتيه في قلب حصنه فيقتله.

بل إن صحابيا أعمى البصر بصير القلب كانت عنده أم ولد شتمت النبي صلى الله عليه وسلم فنهاها فلم تنته، فأخذ المغول وهو أشبه بالسيف القصير فوضعه في بطنها واتكأ عليه فقتلها.

أما معاذ ومعوذ ابنا عفراء فهما فتیان صغيران هُتَمَا يوم بدر قتل أبي جهل لأنه سب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فانقضا عليه وقتلاه.

وفي فتح مكة عم الأمان أهل مكة وقيل لهم: أنتم الطلقاء، إلا نفرًا يسيرًا صفة أبرزهم أنهم آذوا النبي صلى الله عليه وسلم، منهم ابن خطل ومغنيتان له كانتا تهجوان النبي صلى الله عليه وسلم، فقتل الصحابة ابن خطل وإحدى المغنيتين، أما الثانية فأدركت نفسها وطلبت الأمان وأسلمت فنجت من القتل.

ثانياً- الانتصار باللسان:

وهو ثغر مهم فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت حاضاً له على هجاء المجرمين الطاعنين: «اهْجُؤْهُمْ، وَجِزْبِلْ مَعَكَ»، وقال: «اهْجُؤْ قُرَيْشًا، فَإِنَّهُ أَشَدُّ

عَلَيْهَا مِنْ رَشَقِ الْبَتْلِ». فأنشده حسان قصائده الشهيرة التي مطلع إحداها:

هَجَوْتُ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ ... وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءِ

هَجَوْتُ مُحَمَّدًا بَرًّا حَنِيفًا ... رَسُولَ اللَّهِ شَيْمَتُهُ الْوَفَاءِ

فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعَرِضِي ... لِعَرَضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءِ

وعندما أسرت قريش ابن الدثنة رضي الله عنه وهموا بقتله، سأله: "أتحب أن محمدا الآن عندنا مكانك نضرب عنقه وأنت في أهلك؟ فقال: والله ما أحب أن محمدا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه وإني جالس في أهلي".

إن العلاقة مع المستهزئ بالنبي صلى الله عليه وسلم يوضحها قول النبي صلى الله عليه وسلم لمشركي قريش لما غمزوه بالكلام وهو يطوف حول الكعبة قبل الهجرة: «تَسْمَعُونَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَمَا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالذَّبْحِ».

* فاللهم صل وسلم على سيدنا وحبينا محمد، واقصم ظهر كل مجرم يطعن فيه، يا رب العالمين.

قتل شاتم الرسول صلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.. وبعد؛

فإن الله جل وعلا اختار عبده محمدا صلى الله عليه وسلم ففضله وكرمه واجتباها واصطفاه على العالمين، فرفع ذكره وأعلى شأنه وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة، وخصه صلى الله عليه وسلم بختم النبوة وعموم الدعوة وأرسله رحمة للعالمين.

وفرض على الناس تعظيمه وتوقيره والتأدب معه وصيانة اسمه الشريف عن ذكره كذكر عامة الناس للناس ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾.

وتوعد سبحانه بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة المنتقص للنبي صلى الله عليه وسلم الشاتم لجنابه الشريف، ويدخل في الشتم كما قال القاضي عياض في الشفا: "من سب النبي صلى الله عليه وسلم، أو عابه، أو ألحق به نقصا في نفسه أو نسبه أو دينه أو خصلة من خصاله، أو عرّض به، أو شبهه بشيء على طريق السب له أو الإزراء عليه أو التصغير لشأنه أو الغض منه والعيب له..، تصريحاً كان أو تلويحاً، وكذلك من لعنه أو دعا عليه، أو تمنى مضرة له، أو نسب إليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم، أو عبث في جهته العزيزة بسخف من الكلام وهجر ومنكر من القول وزور، أو غيره بشيء مما جرى من البلاء والمحنة عليه، أو غمصه ببعض العوارض البشرية الجائزة والمعهودة لديه".

- ومن العذاب الأليم في الدنيا قتل شاتم الرسول صلى الله عليه وسلم وإهدار دمه، ويتضح تفصيل ذلك فيما يلي:

* أولا- دل الكتاب والسنة والإجماع على قتل من شتم الرسول صلى الله عليه

وسلم:

* أ- من أدلة القرآن الكريم:

- قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا﴾.

- وقال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

- وقال جل وعلا: ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾.

- وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا

ذَلِكَ الْخِزْيِ الْعَظِيمِ﴾.

- وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾.

- وقال تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾.

- وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ

الْعِقَابِ﴾.

- وقال تعالى: ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ

الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾.

فقتل المجرم شاتم الرسول صلى الله عليه وسلم هو من مفهوم هذه الآيات التي فيها: "لعن مؤذيه في الدنيا"، "وتوعده بالعذاب الأليم"، "وتكفير المستهزئ به صلى الله عليه وسلم"، "والخزي العظيم والذلة التامة لمن حاده عليه الصلاة والسلام"، "وانقطاع أمر شأنه"، "والعقاب الشديد لمن شاقه"، "وقتل أئمة الكفر الطاعنين في دينه" ..

*** ب- من أدلة السنة النبوية:**

- قال صلى الله عليه وسلم: «من لكعب بن الأشرف؟ فإنه قد آذى الله ورسوله»، فقال محمد بن مسلمة: يا رسول الله، أتحب أن أقتله؟ قال: «نعم» متفق عليه.

- «بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي رافع اليهودي رجلاً من الأنصار، فأمر عليهم عبد الله بن عتيك، وكان أبو رافع يؤدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعين عليه.. فقال عبد الله..: ثم وضعت ظبة السيف في بطنه حتى أخذ في ظهره فعرفت أنني قتلته» رواه البخاري..

- عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أن أعمى كانت له أم ولد تشتم النبي صلى الله عليه وسلم وتقع فيه فينهاها فلا تنتهي، ويزجرها فلا تنزجر، قال: فلما كانت ذات ليلة جعلت تقع في النبي صلى الله عليه وسلم وتشتمه، فأخذ المغول فوضعه في بطنها، واتكأ عليها فقتلها..، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ألا اشهدوا أن دمها هدر» رواه أبو داود والنسائي.

- في فتح مكة أعطى الرسول صلى الله عليه وسلم لأهلها الأمان إلا بضعة نفر اشتد أذاهم للإسلام، فأمر الرسول صلى الله عليه وسلم «بقتل قينتين لابن خطل كانتا تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم» رواه البيهقي في السنن والطبراني في المعجم.

- لما غمز مشركو قريش النبي صلى الله عليه وسلم بالكلام وهو يطوف حول الكعبة قبل الهجرة، قال لهم: «تسمعون يا معشر قريش، أما والذي نفس محمد بيده، لقد جئتكم بالذبح» رواه أحمد.

- واستأنس العلماء مع ما سبق بحوادث متعددة وردت في كتب السنة والسير بأسانيد حسنة أو فيها بعض ضعف؛ كقتل خالد بن الوليد لمن كان يسب النبي صلى الله عليه وسلم، وأن يهودية كانت تقع في النبي صلى الله عليه وسلم فخنقها رجل فماتت فأهدر النبي صلى الله عليه وسلم دمها، وأن كلمة «لا ينتطح فيها عنزان» قالها النبي صلى الله عليه وسلم إقراراً لمن قتل امرأة هجته صلى الله عليه وسلم، وكقتل النضر بن الحارث وعقبة بن أبي

معيط وعدم قبول الفداء فيهما كما قبل من غيرهما من المشركين لما كان من أذاهما للنبي صلى الله عليه وسلم، وأن رجلا أغلظ على أبي بكر الصديق رضي الله عنه في الكلام فأراد أبو برزة رضي الله عنه أن يضرب عنقه لأنه شتم أبا بكر الصديق، فنهاه أبو بكر رضي الله عنه وأخبره أن عقوبة قتل الساب مختصة بمن سب الأنبياء لا الصحابة فهي "ليست لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم".

* ج- دليل الإجماع:

- قال إسحاق بن راهويه "ت ٢٣٨ هـ" كما في تعظيم قدر الصلاة: "وما أجمعوا على تكفيره وحكموا عليه كما حكموا على الجاحد، فالمؤمن الذي آمن بالله تعالى وما جاء من عنده ثم قتل نبيا أو أعان على قتله، وإن كان مقرا ويقول: قتل الأنبياء محرم، فهو كافر، وكذلك من شتم نبيا".

- وقال ابن المنذر "ت ٣١٩ هـ" في الإشراف على مذاهب العلماء: "أجمع عوام أهل العلم على أن من سب النبي صلى الله عليه وسلم يقتل".

- وقال الخطابي "ت ٣٨٨ هـ" في معالم السنن: "وفيه بيان أن سب النبي صلى الله عليه وسلم مقتول، وذلك أن السب منها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ارتداد عن الدين، ولا أعلم أحدا من المسلمين اختلف في وجوب قتله".

- وقال ابن عبد البر "ت ٤٦٣ هـ" في التمهيد: "روي عن ابن عمر أنه قيل له في راهب سب النبي صلى الله عليه وسلم، قال: لو سمعته لقتلته، ولا مخالف له من الصحابة علمته".

- وقال القاضي عياض "ت ٥٤٤ هـ" في الشفا: "جميع من سب النبي صلى الله عليه وسلم أو عابه أو ألحق به نقصا في نفسه أو نسبه أو دينه.. يقتل.. وهذا كله إجماع من العلماء وأئمة الفتوى من لدن الصحابة رضوان الله عليهم إلى هلم جرا..، ولا نعلم خلافا في استباحة دمه بين علماء الأمصار وسلف الأمة، وقد ذكر غير واحد الإجماع على قتله

وتكفيره".

- وقال ابن تيمية "ت ٧٢٨هـ" في مجموع الفتاوى: "أذى الرسول من أعظم المحرمات؛ فإن من آذاه فقد آذى الله، وقتلُ سائِه واجب باتفاق الأمة".

* ثانيا- هل تقبل توبة الساب:

من تردى في مستنقع الإجرام وتجراً على شتم النبي صلى الله عليه وسلم أظلم قلبه وضل ضلالاً مبيناً فليحذر ألا يوفق لتوبة، قال السبكي في السيف المسلول: "نخاف على من يصدر ذلك منه خاتمة السوء، نسأل الله العافية، فإن التعرض لجناح النبي صلى الله عليه وسلم عظيم، وغيره الله له شديدة، وحمايته بالغة، فنخاف على من يقع فيه بسب أو عيب أو تنقيص أو أمر ما أن يخذله الله تعالى فلا يرجع له إيمانه ولا يوفقه لهداية".

ولا تجب استتابة شاتم الرسول صلى الله عليه وسلم بل الأصل فيه القتل، يدل على ذلك حادثة الذين كانوا آذوا النبي صلى الله عليه وسلم بمكة، فعن سعد بن أبي وقاص قال: «لما كان يوم فتح مكة أمّن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلا أربعة نفر وامرأتين، وسماههم وابن أبي سرح» رواه أبو داود، فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتلهم ولم يذكر استتابتهم، وفي قصة العرنين التي رواها الشيخان حين قدموا إلى المدينة ثم ارتدوا وقتلوا راعي النبي صلى الله عليه وسلم، فقتلهم النبي صلى الله عليه وسلم ولم يستتبهم.

- فإن جاهد الشخص نفسه وأدركته رحمة الله تعالى فتاب إلى الله جل وعلا واستغفر من ذنبه وندم على ما اقترفت يدها قبل أن يلحقه القتل، فإن التوبة يتعلق بها أمران:

أ- مغفرة الله تعالى ذنوب التائب:

الله جل وعلا هو التواب الرحيم الغفور الودود، يقبل توبة التائبين ويغفر ذنب المنيبين، فلا قنوط من رحمة الله، طالما لم تبلغ الروح الحلقوم ولم تخرج الشمس من مغربها، فمن تاب إلى الله عز وجل من تلك الجريمة النكراء تاب الله عليه وغفر ذنبه ولم يؤاخذ به يوم القيامة بما اقترفت يدها في تلك الفعل الشنيعة.

قال جل وعلا: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنْبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾.

وقال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

وقال تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

وقال صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها» رواه مسلم.

ب- هل التوبة تمنع قتل الساب؟

أما هل تُسقط التوبة عن شاتم الرسول صلى الله عليه وسلم عقوبة القتل في الدنيا؛ فالناس قبل الشتم أصناف ثلاثة: مسلم، وكافر معاهد أو مستأمن، وكافر حربي.

- **الصنف الأول:** من كان مسلماً فارتد وشتم الرسول صلى الله عليه وسلم ثم تاب، فقد اختلف أهل العلم في قتله على أقوال لخص أهمها ابن تيمية في الصارم المسلول بقوله: "المشهور عن مالك وأحمد أنه لا يستتاب ولا تسقط القتل عنه توبته، وهو قول الليث بن سعد وذكر القاضي عياض أنه المشهور من قول السلف وجمهور العلماء وهو أحد الوجهين لأصحاب الشافعي، وحكى مالك وأحمد أنه تقبل توبته، وهو قول أبي حنيفة وأصحابه وهو المشهور من مذهب الشافعي"، فالمسألة على قولين:

١- أنه يؤخذ على شتمه فيقتل بعد التوبة، ويستدل القائلون بهذا القول بالأدلة السابق ذكرها في وجوب قتله، وبأنه حد من حدود الله لا يسقط بالعتو ولا بالتوبة، وبأن حكمه حكم الزنديق الذي ثبت كفره ولا تُعلم حقيقة توبته، وبأن قتل الساب حق للنبي صلى الله عليه وسلم لم يعف عنه فلا يحق لأحد العفو.

وقد عدد ابن تيمية في الصارم المسلول سبعا وعشرين طريقة شرحها في قرابة ثمانين صفحة، يستدل بها على هذا القول، ومن استدلالاته فيها قوله: "هذا الساب المذكور من المحاربين لله ورسوله الساعين في الأرض فسادا.. وكل من كان من المحاربين الداخلين في هذه الآية فإنه يقام عليه الحد إذا قدر عليه قبل التوبة سواء تاب بعد ذلك أو لم يتب.. ساب النبي عليه الصلاة والسلام يقتل حدا من الحدود لا مجرد الكفر وكل قتل وجب حدا لا لمجرد الكفر فإنه لا يسقط بالإسلام.. أذى الله ورسوله علة للانتداب إلى قتل كل أحد فيكون ذلك علة أخرى غير مجرد الكفر والردة.. أهدر عام الفتح دماء نسوة لأجل أنهن كن يؤذينه بألسنتهن.. وقتل هؤلاء النسوة أدل شيء على قتل المرأة السابة من مسلمة ومعاهدة وهو دليل قوي على جواز قتل السابة وإن تابت.. عبد الله بن سعد بن أبي سرح كان قد ارتد وافترى على النبي صلى الله عليه وسلم.. فأهدر النبي صلى الله عليه وسلم دمه.. ثم جاء تائبا ليباع عليه الصلاة والسلام ويؤمنه فصمت رسول الله عليه الصلاة والسلام طويلا.. ففي هذا دلالة على أن المفترى على النبي عليه الصلاة والسلام الطاعن عليه قد كان له أن يقتله وأن دمه مباح وإن جاء تائبا من كفره وفريته..، إذا كان له أن يقتل من آذاه وسبه من مسلم ومعاهد وله أن يعفو عنه علم أنه بمنزلة القصاص وحد القذف وتعزير السب كغير الأنبياء من البشر وإذا كان كذلك لم يسقط عن مسلم ولا معاهد بالتوبة كما لا تسقط هذه الحدود بالتوبة..، من تغلظت رده أو نقضه بما يضر المسلمين إذا عاد إلى الإسلام لم تسقط عنه العقوبة مطلقا بل يقتل إذا كان جنس ما فعله موجبا للقتل..، العقوبة إذا تعلق فيها حق لآدمي لم يسقط بالتوبة كالحد في المحاربة فإنه يتحتم قتله ثم لو تاب قبل القدرة عليه سقط حق الله من اختام القتل والصلب ولم يسقط حق الآدمي من القود كذلك هنا..، كل من جاز قتله وقد جاء مسلما تائبا مع علمنا بأنه قد جاء كذلك جاز قتله وإن أظهر الإسلام والتوبة..، الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه مطلقة بقتل سابه لم يؤمر فيها بالاستتابة ولم يستثن فيها من أسلم كما هي مطلقة عنهم في قتل الزاني المحصن..، أخبر سبحانه أن شأنه هو الأبتّر والبتر القطع.. فيجب أن نبتر من أظهر شأنه وأبدى عداوته

وإذا كان ذلك واجبا وجب قتله وإن أظهر التوبة بعد القدرة".

٢- أن التوبة تجب ما قبلها فلا يقتل؛ وفرق بعضهم بين التوبة قبل القدرة عليه فلا يُقتل وبعد القدرة عليه فيقتل إلحاقا له بالحاربة، وفرق بعضهم بين ما كان شتما بلا قذف فلا يقتل بعد التوبة أما إن كان معه قذف فيقتل وإن تاب.

وقد رجح السبكي في السيف المسلول القول بعدم قتل المسلم الذي ارتد بشتيم النبي صلى الله عليه وسلم ثم تاب، واستدل القائلون بذلك من الشافعية والحنفية وغيرهم بأدلة قبول التوبة السابق ذكرها وكذلك بلعن الله تعالى المرتدين بعد إيمانهم واستثنى منهم: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وقيل إن هذه الآية نزلت في الحارث بن سويد ارتد ثم أسلم وحسن إسلامه.

وبقوله تعالى عن المستهزئين بالله وآياته ورسوله: ﴿إِنْ نَعَفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾.

وبقوله تعالى: ﴿يَجْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكْ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ فذكر سبحانه أنهم نقموا أن أغناهم الله ورسوله من فضله، ثم رغبتهم جل وعلا في التوبة وحذرهم إن لم يتوبوا بعذاب أليم في الدنيا، فدل على أن توبتهم تجب عنهم القتل.

وبقبول النبي صلى الله عليه وسلم في فتح مكة إسلام عبد الله بن أبي سرح وإحدى القينتين اللتين كانتا تغنيان بسب النبي صلى الله عليه وسلم، بعد أن كان أهدر دمهما. وكذلك استدلوا بإجماع الصحابة على حقن دماء عامة من أسلم ممن ارتدوا من العرب بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم.

وبالقياس على قول جمهور العلماء بعدم قتل المسلم الذي ارتد بسب الله جل وعلا ثم تاب، فالأقرب أن سب الله جل وعلا هو كذلك سب للنبي صلى الله عليه وسلم في واقع

الأمر، فحقن دمه بعد التوبة يدخل فيه حقن دم التائب من سب النبي صلى الله عليه وسلم. ولأن المعلوم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه ما خير بين أمرين إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً، ولم يكن ينتقم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله، مستجيباً لقوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾.

قال السبكي في السيف المسلول: "ولأننا لا نحفظ أن النبي صلى الله عليه وسلم قتل أحداً بعد إسلامه".

ولعل هذا القول الثاني هو الأقرب ومن تأمل في مسألة الردة في العهد الأول وعبر التاريخ علم أنها في حقيقتها سفاهة وإجرام فلا تنفك في أصلها الغالب عن أذى الرسول صلى الله عليه وسلم، وتحتيم قتل المرتد الساب حتى بعد أن يتوب يعني قتل عامة المرتدين.

- تبقى مسألة من ادعى التوبة وظهرت عليه علامات عدم الصدق كأن تكرر السب منه أو أظهر الاستخفاف بجرمات الله وفرائضه، فيُنظر في حكم هذا في أحكام الزنديق.

- **الصنف الثاني:** من كان كافراً معاهداً أو مستأمناً في دار الإسلام فأظهر شتم الرسول صلى الله عليه وسلم ثم أسلم، فقد اختلف أهل العلم في قتله على أقوال أهمها:

١- أنه يؤخذ على شتمه فيقتل بعد الإسلام، وهذا قول مشهور في مذهب المالكية والحنابلة؛ لأنه حق للنبي صلى الله عليه وسلم وجب لانتهاكه حرمة وقصده إلحاق النقيصة والمعرة به، فلم يكن رجوعه إلى الإسلام بالذي يسقطه كالحقوق التي وجبت عليه للمسلمين قبل إسلامه من قتل وقذف.

٢- أن إسلامه يدرأ عنه القتل، وهو قول جمهور العلماء، وأن ذلك يدخل في عموم الآيات الداعية للكفار إلى التوبة كقوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ

سَلَفٌ، قال سحنون: "فإن قال قائل: فهو إذا أسلم وقد سب النبي صلى الله عليه وسلم تركتموه، وإذا أسلم وقد قتل مسلماً قتلتموه؟ قلت: لأن هذه من حقوق العباد لا تزول بإسلامه، وذلك من حقوق الله تزول بالتوبة من دينه إلى ديننا"، **ولعل هذا القول الثاني هو الأقرب.**

- **الصنف الثالث:** من كان كافراً حربياً في دار الحرب فأظهر شتم الرسول صلى الله عليه وسلم ثم أسلم، فإن الإسلام يُجِبُّ ما قبله، قال ابن تيمية في الصارم المسلول: "الحربي إذا أسلم لم يؤخذ بشيء مما عمله في الجاهلية لا من حقوق الله ولا من حقوق العباد من غير خلاف نعلمه".

أما مسألة شتم الحربي للرسول صلى الله عليه وسلم في دار الحرب هل تسقط أمانه إن دخل مسلم لتلك الدار وقد أعطاهم الأمان الشرعي المعتبر؟ فلم أجد تخصيصاً لهذه المسألة بعينها عند العلماء، إلا قول ابن تيمية في الصارم المسلول، وفيه: "والمهادن المقيم ببلده يظهر ببلده ما شاء من منكرات الأقوال والأفعال المتعلقة بدينه ودينه ولا ينتقض بذلك عهده حتى يجارب، فعُلم أن الهجاء من جنس الحرب وأغلظ منه وأن الهاجي لا ذمة له"، ولكن تبقى المسألة محل نظر فإن كفار قريش شتموا النبي صلى الله عليه وسلم وأغروا به سفهاءهم ونساءهم سنين طويلة، قال ابن عبد البر في التمهيد: "وما أظن أحداً منهم امتنع في حين كفره ومحاربتة له من سبه"، فلو لم تكن الهدنة أو الصلح مانعة من قتلهم زمن الهدنة لما كان لصلح الحديبية أثر في الواقع، ويمكن النظر في تخصيص القول الذي ذكره ابن تيمية بشتم خاص مستجد بعد الهدنة.

* تنبيهان:

١- في زمن الحرب الشاملة على الإسلام والمسلمين، وفقدان الأمة لسلطة مركزية تواجه تلك المؤامرات والتحديات وتُوَجِّه جنود الأمة لواجباتهم، وقيام كل جماعة أو فرد بما استبان له

في ذلك عملا بالميثاق: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾، فإن الخلاف الفقهي المعتبر يبقى أصلا لإعذار المخالف، مع بذل الوسع في تحري الأصبوب والأصح.

٢- ما ذكر في هذه المقالة هو إشارات لتقريب المسألة، وتبقى نصوص أهل العلم ومباحثهم هي المرجع لمن أراد الاستقصاء، ومن أهم الكتب التي عاجلت تفاصيل تلك المسألة أربعة كتب هي: "الشفاء بتعريف حقوق المصطفى" للقاضي عياض المالكي المتوفى سنة ٥٤٤هـ، و"الصارم المسلول على شاتم الرسول" لأبي العباس ابن تيمية الحنبلي المتوفى سنة ٧٢٨هـ، و"السيف المسلول على من سب الرسول" لتقي الدين السبكي الشافعي المتوفى سنة ٧٥٦هـ، و"تنبيه الولاة والحكام على أحكام شاتم خير الأنام أو أحد أصحابه الكرام عليه وعليهم الصلاة والسلام" لابن عابدين الحنفي المتوفى سنة ١٢٥٢هـ، ومن أراد الاقتصار على أحدها فلعل كتاب السبكي أولى.

* فاللهم صل وسلم على سيدنا وإمامنا وقائدنا محمد، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه، وأرنا اللهم في شائته هذه الأيام العبر والآيات، والحمد لله رب العالمين.

دفع الصائل^١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.. وبعد؛

فمع اتساع رقعة الأراضي المحررة، والحاجة الملحة لتنظيم وإدارة تلك الأماكن، بادر الكثيرون إلى المساهمة في ذلك، عن طريق العمل في كثير من المجالات، التي من أهمها الحفاظ على الأمن والأمان؛ بإقامة الحواجز، وتعقب المجرمين، وفصل القضاء بين المتخاصمين... وقد استغل بعض الأشرار حاجة الأمة لهذه الأمور، فعملوا على تحقيق مآربهم الحقيرة، عن طريق ادعاء العمل في بعض تلك المجالات؛ فقتلوا الأنفس المعصومة، وانتهكوا الأعراض، ونهبوا المنازل، وفرضوا المكوس، وسرقوا الأموال...

وقد حرم الله جل وعلا الظلم، وشرع دفع الظالم عن ظلمه، قال صلى الله عليه وسلم: «**إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب**» رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه.

وأمام هذا الواقع لا بد من بيان بعض الحالات المتعلقة بدفع الصائل المعتدي:

١- إذا أمكن دفع الاعتداء بلا مفسدة أكبر:

ففي هذه الحالة ينبغي دفع الاعتداء، والأخذ على يد الظالم، قال جل وعلا: ﴿**وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾ (سورة البقرة: آية ١٩٠).

وقال تعالى: ﴿**وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ**﴾ (سورة الشعراء: الآيتان ١٥١ - ١٥٢).

وقال تعالى: ﴿**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ**

(١) كتبت سنة ١٤٣٤هـ.

عَنِ الْمُنْكَرِ ﴿ (سورة التوبة: آية ٧١).

وقال صلى الله عليه وسلم: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان» رواه مسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي، قال: فلا تعطه مالك. قال: أرأيت إن قاتلني، قال: قاتله. قال: أرأيت إن قتلني، قال: فأنت شهيد. قال: أرأيت إن قتلته، قال: هو في النار» رواه مسلم.

وعن عمران بن حصين رضي الله عنه: «أن رجلا عض يد رجل، فنزع يده من فيه، فوقعت ثنيتاه، فاختموا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يعض أحدكم أخاه كما يعض الفحل! لا دية له» متفق عليه.

= ويدخل في ذلك إذا كان الفعل اعتداء بتأويل وأمكن دفعه بلا مفسدة أكبر، وذلك بأن يتصرف المعتدي بناء على شبهة عرضت له، فيظن المعتدي أن فعله ليس اعتداء، فيشرع دفعه، خاصة إذا كانت الشبهة ضعيفة، قال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾ (سورة الحجرات: آية ٩).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «انصر أخاك ظالما أو مظلوما. فقال رجل: يا رسول الله، أنصره إذا كان مظلوما، أفرأيت إذا كان ظالما، كيف أنصره؟ قال: تحجزه أو تمنعه من الظلم، فإن ذلك نصره» رواه البخاري.

٢- إذا لم يمكن دفع الاعتداء إلا بمفسدة أكبر:

فإذا كان الضرر الأكبر متعلقا بمن يدفع الاعتداء فقط ولا يتعداه لغيره، فيجوز له دفع الاعتداء وإن وقع عليه الضرر الأكبر، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن

قتل دون أهله فهو شهيد» رواه أبو داود والترمذي والنسائي.

أما إذا كانت هذه المفسدة الكبرى الناتجة عن المبادرة إلى دفع الصائل تتعدى إلى غير من يدفع الاعتداء، فحينها تكون هذه المفسدة عذرا يوجب تأخير دفع الاعتداء إلى حين تغيير الأمور، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (سورة البقرة: آية ٢٨٦)، وقال جل وعلا: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ (سورة الطلاق: آية ٧)، وقال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ (سورة التغابن: آية ١٦).

ومثال ذلك أن يعتدي مجرمون على إحدى العائلات، ويأخذوا أموالها بالقوة، وقد تؤدي مقاومة العائلة إلى قتل الأطفال والنساء..، فحينها يكون دفع الأموال للمجرمين أولى من مقاومتهم.

ولكن لا بد مع ذلك من اتخاذ التدابير التي تقلل من فرص تعرض المجرمين للآمنين، وكذلك التدابير التي تؤدي ولو بعد طول زمن إلى رد هذا العدوان وردع المعتدين.

= ويدخل في ذلك إذا كان الفعل اعتداء بتأويل ولم يمكن دفعه، وذلك بأن يتصرف المعتدي بناء على شبهة عرضت له، فيظن فعله ليس اعتداء، فحينها ينبغي التريث في رد العدوان إلى حين تمام القدرة، إلا إذا كانت الشبهة شديدة والتبس الحق على المرء، ولم يعد يميز بين المحق والمبطل، فحينئذ قد يتحول الأمر إلى فتنة ينبغي اعتزالها، فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنها ستكون فتنة، القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الساعي، قال: أفرايت إن دخل علي بيتي وبسط يده إلي ليقتلني؟ قال: كن كابن آدم» رواه الترمذي.

* أمور ينبغي مراعاتها عند دفع الصائل:

= إذا كان الاعتداء على عموم الأمة فحكمه أشد من الاعتداء الواقع على أحد الناس: فيتسامح في حق الواحد ما لا يتسامح في حق الأمة، قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ

نَصِيرًا ﴿ (سورة النساء: آية ٧٥)، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة» متفق عليه، وقال تعالى عن ابن آدم الذي تسامح في حق نفسه: ﴿لَنْ بَسَطْتَ إِلَى يَدِكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾ (سورة المائدة: آية ٢٨)، وقد أمر عثمان بن عفان رضي الله عنه الصحابة رضي الله عنهم بعدم قتال من أحاطوا ببيته، فجاد بنفسه خشية أن تراق الدماء..

= يراعى في رد العدوان التفريق بين مراتب العدوان: فالاعتداء المتعلق بأصول الدين، أو بالقتل، أو بانتهاك الأعراض، ليس كالأعتداء المتعلق بقليل من المال أو بيسير من الأذى، فالاعتناء بدفع الصائل على الدين أو النفس ينبغي أن يكون فوق الاعتناء بدفع الصائل على يسير المال.

= ينبغي عند دفع الصائل دفعه بما يلائم الجرم الواقع: فالغلام الصائل على بعض المال ليس كالفئة المسلحة التي تصول على النفس، فالأول يندفع بالعصا، أما الثاني فقد لا يندفع إلا بتكاتف ثلة من الرجال الشجعان المدججين بالسلاح والعتاد، قال الشاعر:

وَوَضِعُ النَّدَى فِي مَوْضِعِ السَّيْفِ بِالْعَلَا مَضْرٌّ كَوْضِعِ السَّيْفِ فِي مَوْضِعِ النَّدَى

نسأل الله أن يحفظ المسلمين من شر الأشرار وكيد الفجار، إنه نعم المولى ونعم النصير.

طاعة الأمراء في القتال بين الفصائل^١

- سؤال يطرح بين فينة وأخرى: هل نطيع الأمراء إن أمرونا بقتال فصيل ما أو لا نطيعهم؟

ومما يزيد البعض حيرة أن أمراءهم يأمرؤهم حيناً بالقتال في واقعة ما وينهرون من يمتنع عنه ويصفونه بالتخاذل والجهل، وحيناً ينهون عن القتال ويصفون من يقوم به بالتهور أو الظلم أو البغي...

ولا يوجد فصيل من الفصائل الكبرى إلا وقاتل وقوتل وامتنع عن القتال.

وبعد تأمل مقاصد الشرع وتكليف الواقع وحقيقة سلطة الأمراء في بيئتنا الجهادية ومشورة بعض طلبة العلم ظهر أن الأمر له حالات يشجع طاعة الأمراء في بعضها وعدم طاعتهم في البعض الآخر.

وترتبط هذه الحالات بأمرين هما:

أ- الثقة بالأمير أو الشرعي: فالرجل الثقة المعروف بالتقوى والحكمة والرجوع لأهل العلم يختلف قوله عن قول غير الثقة المعروف بالجهل والهوى والتهور والاستبداد بالأمر
ب- ظهور الجريمة وخفاؤها: فالجريمة الظاهرة كالإفساد في الأرض أو إيذاء المحدثين أو معاضدة الخوارج على جرائمهم تختلف عن الجريمة الخفية التي تحتاج إلى اجتهاد ونظر وفحص دقيق كالخلافات الفردية أو المشاحنات الشخصية.

= وبناء على ذلك فإن حالات القتال بين الفصائل تدور غالباً بين ست حالات يطاع الأمراء في ثلاث منها ولا يطاعون في ثلاث أخرى، وهي:

(١) كتبت سنة ١٤٣٦ هـ.

*** الحالات التي يطاع فيها الأمرء:

١- إذا كانت الجريمة ظاهرة وجاء الأمر بالقتال "سواء جاء الأمر من ثقة أو غير ثقة" ولم يعارض هذا القتال أحد.

٢- إذا كانت الجريمة ظاهرة وجاء الأمر بالقتال من ثقة وخالفه ثقة آخر.

٣- إذا كانت الجريمة خفية وجاء الأمر بالقتال من ثقة وخالفه من لا يعتد به.

*** الحالات التي لا يطاع فيها الأمرء:

١- إذا كانت الجريمة ظاهرة وجاء الأمر بالقتال من غير ثقة وخالفه ثقة فنهى عن القتال.

٢- إذا كانت الجريمة خفية وجاء الأمر بالقتال من غير ثقة.

٣- إذا كانت الجريمة خفية وجاء الأمر بالقتال من ثقة وخالفه ثقة آخر فنهى عن القتال.

نسأل الله أن يصلح ذات بيننا وأن يجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن.

قتيل قتال البغاة

كان نافع وهو أخ مصري مهاجر من خيرة الإخوة رحمه الله، مسافرا يوما ما في ريف حلب فانقلبت به السيارة وأنجاه الله جل وعلا من الموت، فكان يضحك ويقول: تصور أن الخبر يأتي لأهلي أن ابنكم هاجر للجهاد ثم مات بجداث سيارة! وبعدها استشهد في معارك البريج رحمه الله.

تذكرت هذا الموقف عندما رأيت البعض يقارن بين من يموت في قتال النصريرية أو في قتال الخوارج أو في قتال البغاة، ويخوف المجاهدين من أن يموتوا في غير قتال النصريرية، وكأن في الموت اختيار، فيختار الإنسان أن يموت هنا أو هناك، والله جل وعلا يقول: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾.

وقد طمأن الله المجاهد بأن أجره على الله جل وعلا سواء قتل في قتال الكفار أو قتلته دابته أو قتل بالخطأ نفسه أو أدركه الموت فجأة، قال تعالى: ﴿وَلَنْ نُقَاتِلَكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ أَنْتُمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾.

وقال جل وعلا: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

فهنيئا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه قتله الكافر، وهنيئا لعثمان وعلي رضي الله عنهما قتلهم الخارجي، وهنيئا لطلحة والزبير قتلهم الظالم.

فليس مطلوب من المجاهد اختيار طريقة الموت ولكن المطلوب منه طاعة أمر الله جل وعلا، فإن كان الأمر الشرعي بقتال الكفار قاتلهم، وإن كان بقتال الخوارج أو البغاة أو قطاع الطرق قاتلهم، وأجره على الله تبارك وتعالى، والله جل وعلا لا يضيع أجر من أحسن عملا سواء مات في قتال هؤلاء أو أولئك أو مات في بيته أو انقلبت به سيارته.

والحمد لله رب العالمين.

قلة عدد الصحابة المعتزلين لما جرى من قتال بين الصحابة رضي الله عنهم^١

مع المستجدات يرجع المرء لأهل العلم يتمعن في كلامهم ويفهم تعبيراتهم وبفضل الله ينتبه المرء بذلك لمسائل علمية وفوائد تاريخية. وقد تردد الكلام عن موقف الصحابة من القتال الذي حصل بين علي وطلحة ومعاوية رضي الله عنهم...، وقال البعض: إن أكثر الصحابة اعتزل القتال، فلما تأملت الأمر وجدت الآتي:

- كلام المؤرخين والباحثين متعدد؛ فمنهم من يرى أن أكثر الصحابة شارك فيه ومنهم من يرى أن أكثرهم لم يشارك، وهناك كلام لابن حجر والمسعودي وابن تيمية حول ذلك، وخلاف بعضهم لبعض يقتضي الترجيح.

- تصور أن يشارك كبار الصحابة كأكثر من كان حيا من العشرة المبشرين بالجنة، ويعتزل أكثر صغارهم بعيد التصور جدا.

- ما نقله بعض العلماء من قلة عدد من شارك قد يراد به عندهم قلة العدد من قدامى الصحابة وليس من عامتهم.

- من الخلط اعتبار من لم يذكر اسمه من الصحابة في أحداث الخلاف معتزلا؛ فالمؤرخون لم يستطيعوا إحصاء أهل بدر بدقة، فهل يستطيعون إحصاء من حضر معارك قيل إنه شارك فيها عشرات ومئات الآلاف.

(١) كتبت سنة ١٤٣٩ هـ.

- ومن الخلط كذلك اعتبار من لم يقاتل معتزلاً؛ فقد يترك المرء القتال لمرض أو سفر أو شيخوخة، فلا يعد معتزلاً، فالأحداث بدأت بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بأكثر من عشرين سنة مات فيها أغلب الصحابة، وأكثر من بقي كان في عمر الشيخوخة.

- يضاف إلى ذلك أن عامة الجهاد بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم كان فرض كفاية ولم يكن أكثر الصحابة يشاركون بشكل دائم في المعارك وقتها؛ حيث تعددت المهام المنوطة بهم في نشر الإسلام وتعليمه، فعدم مشاركة بعضهم في القتال بين الصحابة ليس دليلاً على الاعتزال.

- والصواب الذي ندين به الله جل وعلا أنهم كانوا مجتهدين وأنهم دائرون بين الأجر والأجرين، رضي الله عنهم أجمعين.

* للتنبيه: لا نمثل قتالنا اليوم للبغاة بقتال الصحابة رضي الله عنهم؛ لأن قتالهم كان أقل وضوحاً بما لا يقارن مع قتالنا اليوم للمتخالفين مع جيش الثوار القتلة المتخاذلين عن الجهاد المتأمرين على الثورة.

لا ينال عهدي الظالمين^١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.. أما بعد؛ فقد فوجئ عموم المسلمين بإعلان صوتي يزعم فيه صاحبه أن جماعته قررت إعلان الخلافة، ونصبوا خليفة تجب على المسلمين بيعته.

وإننا أمام هذا الإعلان نبين ما يلي:

أولاً: أن الرجوع لأهل العلم عامة وفي الأمور العظيمة خاصة، دين وعبادة وشريعة:

قال تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، وقال جل وعلا: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يُسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾.

قال الشاطبي: "الاعتبار إنما هو بالسواد الأعظم من العلماء المعتبر اجتهداهم، فمن شد عنهم فمات فميتته جاهلية".

وقال ابن تيمية: "الواجب أن يعتبر في أمور الجهاد برأي أهل الدين الصحيح، الذين لهم خبرة بما عليه أهل الدنيا، دون أهل الدين الذين يغلب عليهم النظر في ظاهر الدين، فلا يؤخذ برأيهم، ولا برأي أهل الدين الذين لا خبرة لهم في الدنيا".

أما تجنب طريق أهل العلم، وعدم المبالاة بنصح الأئمة الأعلام، واتباع أهل الأهواء الذين تنكبوا الطريق مرات ومرات، فهو سبيل الغلاة الظالمين قال جل وعلا: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَصْلُوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾، وقال تعالى: ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ

(١) كتبت سنة ١٤٣٥ هـ.

فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿١٠٥﴾.

فشتان شتان بين من سار على بينة من ربه جل وعلا واتبع سبيل المؤمنين، وبين من زين له الشيطان سوء عمله واتبع هواه، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾.

ثانيا: أن تأخير إقامة الخلافة للعجز عن إقامتها أو لحصول مفسدة أعظم لو أقيمت

محل اتفاق بين العلماء:

وهذا مبني على أصول عظيمة من أصول الشريعة، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾، وقال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيِّجَعُلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾، وقال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه» متفق عليه.

وقد بنى العلماء على مر القرون كثيرا من القواعد على هذه الأدلة القطعية، منها قولهم: "الضرورات تبيح المحظورات"، و"لا واجب مع العجز، ولا محرم مع الضرورة"، و"الواجب لا يترك إلا لواجب"، و"المشقة تجلب التيسير"، و"إذا تعارض واجبان فإنه يقدم الأكدر منهما وجوبا"، و"درء المفاسد أولى من جلب المصالح"، و"ما لا بد منه لا يترك إلا بما لا بد منه"، و"لا تتم الأحكام إلا بوجود شروطها وانتفاء موانعها"، و"المعجوز عنه في الشرع ساقط الوجوب، والمضطر إليه بلا معصية غير محذور"، و"الخرج مرفوع".

قال ابن تيمية: "من الأمور المباحة، بل والمأمور بها إيجابا أو استحبابا، ما يعارضها مفسدة راجحة تجعلها محرمة أو مرجوحة". وقال رحمه الله: "قتل القاتل إنما شرع عصمة للدماء، فإذا أفضى قتل الطائفة القليلة إلى قتل أضعافها لم يكن هذا طاعة ولا مصلحة، وقد قتل بصفين أضعاف أضعاف قتلة عثمان".

فلم يكن تأخير إعلان الخلافة منذ سقوطها قبل قرابة مائة عام بتواطؤ من العلماء والمجاهدين والدعاة والمصلحين على ترك واجب تعين القيام به وتوفير شروط أدائه؛ رغم

انتشار المسلمين في بقاع كثيرة من الأرض وإقامة الشريعة وتطبيق الحدود؛ حيث قامت سلطنة في نجد والحجاز وأقامت الشريعة فترة من الزمن، وسيطر المجاهدون على كثير من أرض أفغانستان قرابة عشرين سنة، وكذلك سيطر المجاهدون على أراض في البوسنة والشيشان ومالي وباكستان والجزائر واليمن، ولم يعلن كل أولئك إقامة الخلافة. بل ظلت جماعة دولة العراق تدعي التمكين في أرض العراق والشام فترة من الزمن، ومع ذلك لم تدع الخلافة.

ولم يكن تأخير إعلان الخلافة إلى توفر شروطها بدعا في تاريخ الأمة، بل قد خلت الأرض من خليفة أعواما عدة عندما دخل التتار بغداد وقتلوا الخليفة، رغم أن كثيرا من ديار الإسلام ظلت محكومة بالشريعة كالحجاز ونجد واليمن ومصر والمغرب وكثير من بلاد الشام.. فلم ينشغل المسلمون باختيار خليفة والتتار على الأبواب، وممالك المسلمين ممزقة، قال السيوطي: "ثم دخلت سنة سبع وخمسين والدنيا بلا خليفة..، ثم دخلت سنة ثمان وخمسين والوقت أيضا بلا خليفة..، ثم دخلت سنة تسع وخمسين والوقت أيضا بلا خليفة..، وكان مدة انقطاع الخلافة ثلاث سنين ونصفا".

ثالثا: أنه لا بيعة لخليفة لا تنقاد الأمة له:

فمن أهم شروط أهل الحل والعقد أن تنقاد الأمة ببيعتهم، قال الإمام أحمد: "تدري ما الإمام؟ الإمام الذي يجمع المسلمون عليه، كلهم يقول: هذا إمام". قال ابن تيمية في منهاج السنة النبوية: "لا يصير الرجل إماما حتى يوافق أهل الشوكة عليها الذين يحصل بطاعتهم له مقصود الإمامة"، وقال الجويني: "تبايع رجال لا يفيد مبايعتهم شوكة ومنة قهرية فلست أرى للإمامة استقرارا".

وليعتبر من شاء بالمسلمين في المدينة، فقد كانت المدينة معقل الإسلام الذي اجتمع فيه المسلمون وانقادوا للرسول صلى الله عليه وسلم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر: «اللهم آت ما وعدتني، اللهم إن تملك هذه العصاة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض» رواه مسلم. فليست الخلافة انحياز فئة من الناس في بقعة من الأرض منعزلين عن

أمصار المسلمين العامرة بقاطينها، ثم تريد تلك الفئة أن تبسط سلطانا على تلك الأمصار المترامية الأطراف بمجرد إعلانها الخلافة، دون أن تكون لها شوكة تنقاد بها الأمة لهم.

رابعا: أنه تناط بالخلافة واجبات وحقوق فإذا أدى قيامها لتضييع تلك الواجبات

والحقوق فهذا دليل عدم توفر شروط قيامها:

قال الشاطبي: "وافتقروا إلى إمام يقدمونه لجريان الأحكام، وتسكين ثورة الثائرين، والحياطة على دماء المسلمين وأموالهم".

وذكر الماوردي مهام الخليفة؛ فذكر منها: "حفظ الدين على أصوله المستقرة، وما أجمع عليه سلف الأمة، فإن نجم مبتدع أو زاغ ذو شبهة عنه، أوضح له الحجة، وبين له الصواب، وأخذ به بما يلزمه.

- وحماية البيضة والذب عن الحریم.

- وتحصين الثغور بالعدة المانعة والقوة الدافعة.

- وجهاد من عاند الإسلام.

- وتقدير العطايا وما يستحق في بيت المال من غير سرف ولا تقتير.

- واستكفاء الأمناء وتقليد النصحاء.

- وأن يباشر بنفسه مشاركة الأمور، وتصفح الأحوال؛ لينهض بسياسة الأمة وحراسة الملة، ولا يعول على التفويض تشاغلا بلذة أو عبادة، فقد يخون الأمين ويغش الناصح".

فأولى ما تقوم من أجله الخلافة هو توحيد الله جل وعلا والكفر بالطاغوت؛ فإذا أدى إعلان الخلافة إلى نقيض قصد الخلافة فتمزق المجاهدون تمزقا يتيح للطاغوت النصيري البقاء والحكم بالطاغوت ونشر الكفر بالله جل وعلا، فلتترك الخلافة التي تمزق المجاهدين تقدما للجهاد الذي يسعى لإزالة هؤلاء الطواغيت.

وإذا أدى إعلان الخلافة المزعومة إلى نشر عقيدة الخوارج، وتكفير المسلمين، وقتل الضعفاء وسلب أموالهم، وتسلب الرويضة على الأمة يغرقون سفينتها بجهلهم وضلالهم، فبئس ذاك الإعلان.

وإذا أدى إعلان الخلافة المزعومة إلى تضييع الثغور، وتشجيع الثارات القبلية، والاستخفاف بمصالح المسلمين، فهل هذه خلافة؟.

وإذا أدى إعلان الخلافة المزعومة إلى تكتيل الأعداء، وتوحيد صفوفهم، وتهيئة الأوضاع لهم للانتقام من ضعفاء المسلمين، فأى خلافة تلك؟.

قال ابن تيمية: "فإذا ازدحم واجبان لا يمكن جمعهما، فقدم أوكدهما لم يكن الآخر في هذه الحال واجبا، ولم يكن تاركة لأجل فعل الأوكد تارك واجب في الحقيقة".

وقال الشاطبي: "كل من ابتغى في تكاليف الشريعة غير ما شرعت له؛ فقد ناقض الشريعة، وكل ما ناقضها فعمله في المناقضة باطل، فمن ابتغى في التكاليف ما لم تشرع له فعمله باطل".

ولم يكن عجيبا أن يكون الشغل الشاغل عند إعلان هذه الخلافة المزعومة التأكيد على بطلان الجماعات الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها، والحرص على شق عصا الكيانات التي تواجه ملل الكفر ومخططات الطواغيت.

ولم يكن عجيبا أن يتناس المعلنون هوم الأمة الحقيقية؛ فلا الأقصى السليب يعينهم، ولا الأعراض المنتهكة تشغلهم، ولا مؤامرات العلمانيين والشيوعيين والقوميين والماسونيين تفرقهم، فما سل الخوارج الخنجر إلا لتطعن به ظهور المجاهدين والصادقين، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

وختاماً: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سيخرج ناس من قبل المشرق، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، كلما خرج منهم قرن قطع، حتى عدها النبي صلى الله عليه وسلم زيادة على عشر مرات، كلما خرج منهم قرن قطع، حتى يخرج الدجال في بقيتهم».

نسأل الله أن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه، وأن يرينا الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه، وآخر عوانا أن الحمد لله رب العالمين.

صفات الخوارج^١

كان ابن عمر رضي الله عنه يراهم شرار خلق الله، وقال: «إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين» رواه البخاري

بعض صفات الخوارج كما وردت في السنة النبوية:

- ١- «حدثاء الأسنان» [صغار السن].
- ٢- «سفهاء الأحلام» [حمقى].
- ٣- «يحسنون القيل ويسئون الفعل» [نفاق].
- ٤- «يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء» [كذبة].
- ٥- «يقتلون أهل الإسلام» [مجرمون].
- ٦- «يدعون أهل الأوثان» [متخاذلون].
- ٧- «يعبدون ويدأبون حتى يعجب بهم الناس وتعجبهم نفوسهم» [متكبرون].
- ٨- «ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء، ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء» [غلاة].
- ٩- «يقرءون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم» [جهلة].
- ١٠- «يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية» [فساق].

جزاؤهم النبوي:

- ١- «أينما لقيتهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجرا لمن قتلهم يوم القيامة».
- ٢- «لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد».
- ٣- «طوبى لمن قتلهم وقتلوه».
- ٤- «من قاتلهم كان أولى بالله منهم».

استتابة شرعي الدولة^١

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.. وبعد؛
فلما أكثر خوارج تنظيم الدولة من تكفير المسلمين واستباحة دمائهم وأموالهم، ودعوتهم
للتوبة من الردة التي افتروها عليهم، نظرت في عجلة إلى بعض كتابات كبير شرعيهم المدعو
تركي البنعلي "أبي همام الأثري"، فوجدته -على معاييرهم- أولى بالاستتابة من كثير ممن
اتهموهم بالردة، وهذه بعض كلماته التي لو التزموا أصولهم لاستتابوه من الردة أو لقتلوه فوراً
بلا استتابة؛ لأنه شرعي رده مغلظة!

*** ١ - الافتخار بالسجود لغير الله:

يقول تركي البنعلي في مقالة: "كلنا أبنأوك"

إذا بلغ الفطام لنا صبي *** تحر له الجبابر ساجدينا

*** ٢ - الاستعانة بغير الله:

أ- يقول في مقالة: "كلنا أبنأوك":

"ولما كان شيخنا أبو محمد حفظه الله في سجن المخابرات، وقف على طاقة زنزائته
عصفور، فكلفه شيخنا بإيصال بعض الأبيات لابنه عمر، فوصلت وما ذلك بالسكر! وهي
بعنوان: اذهب يا نغير إلى ابني عمير"...، ومن هذه الرسالة ذكر هذه الأبيات:

فاذهب لابني عمر يلقمك منه حجرة

اسمعي يا عمير اترك ذاك النغير

اذهب يا نغير إلى ابني عمير

أوصل له سلامي أبلغ له كلامي

بلغه ذي المقالة فإنها رسالة

ب- يعاهد الميت؛ فيخاطب الشيخ أسامة بن لادن بعد وفاته بقوله في رسالة "هطل الغمامة":

فيا أسد الإسلام إني وأحرفي.... وشعري وأبياتي وقلبي نعاهدك

ت- يطلب من الغائبين بقوله في مقالة: "الخور وأهل الثغور"

تنح يا خور الجنان عنا لا فيك قاتلنا ولا قتلنا

***** ٣- رأيه في تمثيل الكفر للمصلحة:**

سأله سائل كما في "مجموع فتاوى الشيخ أبي همام" بقوله: "في بعض ما يسمى بالأفلام الدينية: يأتون بأشخاص يمثلون الكفار..، يفعلون كفر كالركوع للتمثال، أو يرتدون الصلبان.. إلخ، ويعتقد البعض أن هذا ليس بكفر ويقولون هذا تمثيل. فنقول لهم: هذا كفر، وإن لم يكونوا مستحلين هذا بقلبيهم، وأن الكفر ليس محصوراً فقط في الجحود القلبي كما يقول المرجئة.. نسألکم التوضيح أكثر بارك الله فيكم".

فأجاب تركي البنعلي بقوله: "هذه المسألة التي تسأل عنها، وبعد طول تأمل ونظر، أرى أنها من قبيل نقل الكفر وحكايته، والقاعدة في مثل هذا: أن ناقل الكفر ليس بكافر..، مع مراعاة التفصيل الذي ذكره أهل العلم في شرح هذه القاعدة.. سجودهم للأصنام ولبسهم للصليب فهذه كلها أفعال مكفرة لا تجوز، ولكن نذكرك بالفرق بين تكفير الفعل وتكفير الفاعل، خاصة إن كان متأولاً..".

***** ٤- موالاة من يراه يجيز التحاكم للطاغوت، ومن يفتي بالمشاركة في**

الانتخابات الديمقراطية، ومن يستغله الطواغيت في جدال المجاهدين:

أ- يصف الأستاذ محمد رشيد رضا في "مجموع فتاوى الشيخ أبي همام" بالشيخ وأنه: "بدأ صوفياً ثم ترك التصوف إلى مذهب السلف"، مع أنه في نفس الفتوى يعتقد أن الشيخ رشيد رضا له: "فتواه التي أفتى فيها بجواز الحكم بالقوانين الإنجليزية الوضعية، وأجاز فيها تولى

المسلم لمنصب القضاء على أن يحكم بهذه القوانين".

ب- يثني كثيرا على الشيخ ابن جبرين، ويفرد مقالة في ترجمته بعنوان: "جبر الرين في رثاء الجبرين" يصفه فيها بقوله: "شيخنا العلامة الإمام عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين رحمه الله"، وفي مقالة: "ما الترجمة العلمية للشيخ أبي همام" يصنف شيوخه إلى صنف "العلماء والمشايخ" وصنف "المبتدعة"، ووضع أول شيوخه العلماء: "العلامة عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين رحمه الله.."، مع أن الشيخ ابن جبرين رحمه الله ممن أفتى بالمشاركة في الانتخابات الديمقراطية، وشارك في مناصحة المجاهدين المسجونين لدى طغاة الخليج، ولا يرى كفر من قاتل مع أمريكا ضد المجاهدين في العراق.

وكذلك يثني على عدد ممن أفتى بالمشاركة في الانتخابات الديمقراطية ويصف بعضهم بالعلامة كالشيخ أحمد شاكر والشيخ عبد الله عزام والشيخ علي بن حاج والشيخ عبد الله السعد..، وكثير غيرهم..

ت- يثني على أحد أقطاب الدعوة للمشاركة في الانتخابات الذي يقود كما يصفه البنعلي "حوارا بالصوت والوسط" بحضور الرئيس والوزراء وقادة الأركان لمجادلة المجاهدين المسجونين عند الطغاة، وهو الشيخ محمد الحسن ولد الددو، فيقول عنه في رسالة "حوار أم حوار": "لا زلت أذكر جيدا حين زاحمت دروس الشيخ العلامة محمد الحسن ولد الددو وقت الامتحانات النهائية للكلية الشرعية، فكنت أحرص كل الحرص على إنهاء الامتحانات سريعا لأشرف بثني الركب عند الشيخ"، مع أنه ألف رسالة بعنوان: "الهجر والتقبيح لأهل الانتخابات والترشيح" قال عنها في مقالته "ما الترجمة العلمية للشيخ أبي همام": "هي رسالة كتبتها بعد أن أحزني تبسم بعض الإخوة في وجوه النواب المشرعين من دون الله، وربما مصافحتهم، بل ربما الاستحياء من الخروج من خلفهم إن تقدموا للإمامة في مساجد المسلمين".

*** ٥ - يميز علاج جنود الطواغيت القائمين على عملهم لمصلحة الدعوة:

جاءه سؤال كما في "مجموع فتاوى الشيخ أبي همام" نصه: "هل يجوز علاج رجال الأمن الشرطية؟" فأجاب بقوله: "الأصل في ذلك قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾. فإن رجوت منه الخير والهداية فلا بأس في ذلك".

*** ٦ - يؤمن بالمظاهرات السلمية حتى وإن خرج فيها دعاة الكفر:

كتب عقب ثورة مصر التي أطاحت بمبارك مقالة بعنوان "فالיום ننجيك ببدنك" قال فيها: "وذلك بفضل الله ثم بجهود عوام أهل الإسلام، الذين خرجوا يدا واحدة، يهتفون: يا مبارك يا جبان، يا عميل الأمريكان، أزيحوا مبارك وضعوا خروف، ممكن يحكم بالمعروف! لن نخاف لن نطاطي، نحن كرهننا الصوت الواطي..، ولا يعكر عليهم بإذن الله خروج المتردية والنطيحة وما أكل الطاغوت؛ ممن ينادون بتحكيم الديمقراطية والحرية ونحوها من الكفريات. إذ إن هؤلاء اتفقوا من عامة أهل الإسلام في شق، وخالفوهم في شق".

=== يا جنود البغدادى: ليس للعامة توحيد وللخاصة آخر! وتدبروا قوله تعالى

لكفار قريش: ﴿أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾!.

فإما رجعتم للعلماء الراسخين ليحكموا بيننا وبينكم، وإلا فدونكم البنعلي فاستتبيوه أو اقتلوه.

نسأل الله الهداية والسداد.

حكم مشجعي تنظيم البغدادي^١

بسم الله الرحمن الرحيم

- الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.. وبعد؛
فقد ظهر ممن يدعي منابذة الديمقراطية والكفر بها، من هو متأثر بها، متلبس بكثير من
أوبائها، قد بنى ثقافته على أسسها ودعائمتها، فهو:
- يقدم هواه على قول العلماء الربانيين والأئمة المهديين.
 - يتكلم بما يحسنه وما لا يحسنه في أمور الأمة العامة والخاصة.
 - سلاحه إثارات إعلامية وأكاذيب صحافية تزييف الوعي وتقلب الحقائق.
 - يحكم بهواه وشهوته على الناس والجماعات والأفكار.
 - يعشق صخب الجدل ونشوة المماراة.
 - يوالي ويعادي بناء على موالاة حزبه ومعاداتهم.

* وتراه يقبل خبر العلماء عن صفات رب العالمين وشريعة أحكم الحاكمين، ولا يقبل
خبرهم عن جماعة البغدادي المارقة.

* وتراه يصدق ما وضعه مجاهيل المجرمين في افتراءهم على العلماء المجتهدين والمجاهدين
الصادقين، ولا يصدق العلماء الورعين الضابطين فيما ينقلونه بالتواتر من ضلالات تنظيم
البغدادي.

** وتراه يعتزل الصالحين فوق اعتزاله الفاسدين، ويفرح بالأناشيد والإصدارات والبيانات
فوق فرحه بقراءة القرآن الكريم، ويعتقد الشيء ويتبين له بعد زمن خطؤه، ثم يعتقد الشيء

ويتبين له مثل ذلك، وهكذا دواليك دون أن يراجع نفسه، ويعتقد في نفسه معرفة زلات للعلماء وطلبة العلم فوق ما يعرف عن زلات نفسه، ويعتقد أن زلاتهم من جنس الشبهات وزلاته من جنس الشهوات، فهو أكثر توفيقاً منهم، وهم أكثر ورعاً منه، يغرر بغيره لينصروا الخوارج بأنفسهم، ويتعذر غالباً رغم تيسر الطريق عن نصرتهم بنفسه هو.

فحكم هذا الصنف من الناس الذي يفرح بجرائم الخوارج، ويؤيدهم في تكفير المسلمين، ولا يبالي بقول العلماء فيهم، أنه من قعدة الخوارج المارقين من الدين مروق السهم من الرمية شرار الخلق والخليقة، ﴿وَلِيَحْمِلَنَّ أَثْقَاهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَاهُمْ وَلِيَسْأَلَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

نسأل الله أن يهدي ضال المسلمين، وأن يجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن.

مسألة التنسيق مع الطيران التركي ضد الخوارج^١

- ١- المسألة التي نتكلم فيها هي مسألة التنسيق مع الجيش التركي ليقاتل الجيش التركي معنا الخوارج.
- فيخرج عن البحث التنسيق مع الجيش التركي ليقاتل الجيش التركي معنا ملاحظة ال ب ك ك والنصيرية.
- ويخرج عن بحثنا استقبال الدعم المادي والعسكري وفتح الحدود لنقاتل نحن الخوارج، فهي لا تدخل في الاستعانة التي تكلم فيها الفقهاء بل تدخل في أبواب المعاملات كالبيع والشراء والهبة...
- تركيا دولة علمانية ينص دستورها على أن "المشاعر الدينية المقدسة لا تضمن في شؤون الدولة وسياستها كما يشترط مبدأ العلمانية..، الجمهورية التركية جمهورية ديمقراطية علمانية..، لا يجوز تعديل أحكام المادة.. ولا يجوز التقدم بمقترح لذلك".
- وتركيا عضو في حلف الناتو والتحالف الدولي، وشاركت في أفغانستان والعراق وسوريا، وتلتزم الاتفاقيات الدولية في هذه الشؤون.
- وصول أردوغان للحكم في تركيا، ووجود تأويل أو جهل لديه قد يمنع تكفيره، لا يعني أسلمة الدولة أو الجيش في تركيا، فقد كان النجاشي مسلما والحبشة دار كفر.
- وأقل ما يمكن به وصف السياسة التركية الداخلية والخارجية أنها سياسة علمانية كفرية تختار عندما يكون لها مجبوحه في الاختيار ما لا يتصادم مع العلمانية والإسلام.
- وقد أكدت الأحداث أنه لا يمكن الفصل بين التنسيق مع تركيا والتنسيق مع بقية التحالف الدولي.
- وقد كانت فتوى جواز التنسيق هي الضوء الأخضر الذي أفسح المجال لفصائل

(١) كتبت سنة ١٤٣٧هـ.

العمالة بالتواجد في الشمال بأرجحية.

- والفقيه يتأمل الواقع قبل إنزال الحكم عليه، فجدلا لو كانت الفتوى صحيحة قد يمنع الإفناء بها لفساد في الواقع؛ وقد أدت فتوى جواز التنسيق إلى اطمئنان كثير من الخوارج المترددين إلى صحة موقفهم، وشتت شمل كثير من الفصائل الصادقة، وانتشرت العداوة بين المجاهدين، وأصيب المخلصون بحيرة.

- وبعيدا عن أراجيف الإعلام فليس للخوارج في الشمال تلك القوة التي يزعمونها، بل ظلت الجبهة والأحرار تقاتل الخوارج في الشمال قرابة عامين ولا يستطيع الخوارج التقدم، وما انهارت جبهات الشمال إلا بعد فتوى التنسيق.

- والملاحظ أن الأعداء يريدون محرقة للفصائل خاصة الصادقة في الشمال؛ حيث يهلون من واقع المعركة لتبقى المناطق هناك في كر وفر يستنزف المجاهدين والخوارج.

- والمتأمل في تاريخ الريف الشرقي لحلب قديما وحديثا يعلم أن جل قرى هذا الريف لا قيمة لها عسكريا، وأنها تابعة لمدنها الرئيسية كالباب ومنبج وجرابلس، فإن سقطت الباب سقط ريفها وهكذا..، ولذلك تحرر الريف الشرقي بسهولة من بشار، واستولى عليه الخوارج بسهولة كذلك، فتحويل المعارك لتلك المنطقة قرية قرية جهل عسكري تاريخي.

- ويوجد فرق شاسع بين الاستعانة التي يتكلم عنها الفقهاء والتنسيق مع الجيش التركي والأمريكي ليقاتلوا الخوارج؛ فمن يبيح تلك الاستعانة يضع شروطا منها الظهور على من يستعان بهم، قال السرخسي: "وَلَا بَأْسَ بِأَنْ يَسْتَعِينِ أَهْلُ الْعَدْلِ بِقَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْبَغْيِ وَأَهْلِ الدِّمَّةِ عَلَى الْخَوَارِجِ إِذَا كَانَ حُكْمُ أَهْلِ الْعَدْلِ ظَاهِرًا؛ لِأَنََّّهُمْ يُقَاتِلُونَ لِإِعْزَازِ الدِّينِ، وَالِاسْتِعَانَةَ عَلَيْهِمْ بِقَوْمٍ مِنْهُمْ أَوْ مِنْ أَهْلِ الدِّمَّةِ كَالِاسْتِعَانَةِ عَلَيْهِمْ بِالْكَلَابِ"، وذكر ابن حزم أنهم "إِنْ أَشْرَفُوا عَلَى الْهَلَكَةِ وَاضْطَرُّوا وَلَمْ تَكُنْ لَهُمْ حِيلَةٌ، فَلَا بَأْسَ بِأَنْ يَلْجَأُوا إِلَى أَهْلِ الْحَرْبِ، وَأَنْ يَمْتَنِعُوا بِأَهْلِ الدِّمَّةِ، مَا أَيْقَنُوا أَنَّهُمْ فِي اسْتِنصَارِهِمْ لَا يُؤْذُونَ مُسْلِمًا وَلَا ذِمِّيًّا فِي دَمٍ أَوْ مَالٍ أَوْ حُرْمَةٍ مِمَّا لَا يَجِلُّ".

- والتحالف الدولي ومنه التركي يحدد مكان المعركة وزمانها وعلاقتها بالهجوم على الدواعش في العراق، وهدفها والفصائل المشاركة وأعداد المشاركين ومحاور الهجوم بل ويقود غرفة العمليات، فأى ظهور للفصائل هذا!!.

- والمعلوم من الواقع أن الأتراك غير جادين في قتال الخوارج، وأن لهم مصالح في بقاء الخوارج، وساعدوهم في مواطن عديدة، وأن قتالهم هو صوري لتحقيق مآرب أخرى.

- وقد ظهرت توابع للتنسيق مع الأتراك منها تقديم حكومة الائتلاف، وإنزال قوات برية تركية وأمريكية، بل وصرح الكثيرون أن المناطق المحررة ستكون شبه منزوعة السلاح!!.

- الدواعش خوارج مسلمون من أهل البدع وتكفير الدواعش كطائفة مخالف لأصول أهل السنة، ولا يحتاج له بأن بعض العلماء خالف الإجماع المنقول في عدم كفر الخوارج فحكم بكفرهم؛ لأن المناطق التي كفروهم بها لا تنطبق على الدواعش كتكفير الخوارج الأول لصحابة معلوم فضلهم من الدين بالضرورة أو إنكارهم للأحاديث...، وقد ظهرت طوائف من المكفرين لمسلمي عصرهم عبر التاريخ ولم يحكم عليهم العلماء بالكفر من أشهرهم ابن تومرت...

- وعلى فرض إمكانية استساغة القول بتكفير الدواعش فهذا كذلك لا يميز التنسيق مع الأتراك أو الأمريكان؛ لأننا مأمورون شرعا بالموازنة بين دركات المفسد؛ لذا أفتى العلماء بالقتال مع جيش صدام ضد الغزو الأمريكي؛ لأن دركات الكفر الأمريكي أشد من دركات الكفر البعثي، وكذلك دركات الغزو التركي والأمريكي أشد من دركات الحكم الخارجي، خاصة وأن المجتمع تحت حكم الخوارج يكون أقرب للإسلام، وتحت حكم الأتراك وأذناهم في الائتلاف يكون أقرب للبعد عن الإسلام، وكذلك لأن تحرير الأرض من الخوارج أيسر من تحريرها من الأتراك والأمريكان.

- وبالعموم فإن المصالح والمفاسد المترتبة على القتال المحلي ضد تنظيم الدولة تظل أفضل بكثير من تدويل معركتنا، وجعلها ألعوبة بيد صناع القرار الدوليين.

- والواقع في قتالنا لشار يؤكد أن المعارك عامة وضد تنظيم الدولة خاصة لا يحسمها

طيران، بقدر ما يحسمها صدق وتقوى المجاهدين، ووحدة صفهم، ووضوح قضيتهم، واستقلالية قرارهم، وثبات جنودهم.

- والكلام عن التنسيق مع الطيران التركي في ضربه لمواقع تنظيم البغدادي، يختلف عن الكلام عن الاستفادة بتلك الضربات إن وقعت رغم رفضنا لها وعدم التنسيق أو التواطؤ معها، ويختلف كذلك عن الكلام عن الاستفادة من صفقات السلاح.

- وتحريم وتجريم التنسيق مع القوات التركية لتقاتل القوات التركية الخوارج لا يعني ترك المنطقة للملاحدة ال ب ك ك ولا ترك قتال الخوارج، بل نقاتل ونفشل المؤامرات وفق الضوابط الشرعية، والواقع يؤكد أن الأتراك إن رأوا صاحب مبدأ ثابت يضع الشروط الشرعية سيضطرون لاحترام قوله والتعاطي مع رؤيته.

الحملة الصليبية

** هدف الحملة:

- قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

- وقال جل وعلا: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾.

= الحملة هي محاولة احتلال جديدة، تهدف إلى إفساد الجهاد الشامي والعالمي، والقضاء على الربيع العربي، وفرض تقسيم جديد للشرق الأوسط.

** الموقف من الاعتداء الدولي:

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ﴾.
﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصَرِّقُهُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ (١٤) وَيُدْهَبُ غِيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.
= هذا الاعتداء عدوان على المسلمين يجب جهاده وعداوته.

** التحذير من معاونة هذا الاعتداء الدولي:

﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبِتْغُونَ عَنْهُمْ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾.
قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ

بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَكَّفْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُضْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴿١٧١﴾.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ، بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾.

= البراءة من كل أشكال التعاون مع هذا العدوان الدولي أو التأييد له ومعاداة من يفعل ذلك.

** قطع الطريق على الجرمين الذين يستغلون هذه الحرب في تقوية إجرامهم من الخوارج والمرجفين والمخذلين والعملاء.

قال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾.

قال جل وعلا: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعِفُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمْ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ لَقَدْ ابْتَعُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ

الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١٧٢﴾.

= الخوارج يسعون لحشد العالم ضد أهل السنة في سوريا والعراق إشباعا لنفوسهم المتكبرة المريضة التي تحب المظاهر والتشبع بغير الحقيقة وعملا بجهالاتهم التي ترى أن توريط الجيوش الكافرة في احتلال بلاد المسلمين وسيلة سهلة لقتالهم بدل قتالهم في أمريكا وأوروبا.

**** ولكن تبقى المبشرات:**

قال جل وعلا: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتُّغْلِبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ ﴿١٧٣﴾.

قال تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ ﴿١٧٤﴾.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ ﴿١٧٥﴾.

قال تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ ﴿١٧٦﴾.

= مواجهة هذه المؤامرة بصدق التوكل على الله تعالى، ووحدة صف أهل السنة والجماعة، والحذر من مكر الرافضة وحماسة الخوارج وإرجاف العملاء، وسيخيب مكر كل الظالمين من الكفار والعملاء والرافضة والخوارج.

معركة شرق الفرات^١

إن البحث في النوازل المعاصرة ينبغي أن يكون بتجرد دون مجازاة ضغوط الإعلام غير الإسلامي الذي يقلب الحقائق ويروج الأباطيل ويدفع لتبني أمر ما وتجرير من خالف جاهليتهم المعاصرة..

وفي هذه النازلة وهي قتال الدولة التركية لحزب ال ب ك ك شرق الفرات ينبغي تأمل الحقائق التالية:

أولاً: أن هذه المعركة هي معركة بين دولة علمانية وحزب علماني ملحد، وليس الصراع بين الطرفين وليد اليوم أو أثر من آثار تسنم حزب أردوغان سلطة الحكم في تركيا.

ثانياً: هدف هذه المعركة المعلن والخفي هو حماية مصالح الدولة القومية التركية ضد الأطماع القومية الكردية؛ فهي حرب قومية بين القوميين الترك والقوميين الكرد، وليس هدفها نصرة الإسلام ولا المسلمين.

ثالثاً: نعم نتمنى أن ينتصر الجيش التركي على حزب ال ب ك ك، ولكن هذا لا يعني مشروعية المشاركة في المعركة؛ فقد جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ فقال صلى الله عليه وسلم: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله».

(١) كتبت سنة ١٤٤٠هـ.

رابعاً: من المقرر بناء على التجارب السابقة والحالية أن تلك المعارك هي في إطار غلق الملفات لإعادة الوضع لسابق عهده، فحلب مقابل الباب، وشرق السكة مقابل عفرين، ثم تهجير مجاهدي الغوطة والمصالحات في ريف حمص وحماة ثم درعا، ومعارك ال ب ك ك ضد الدواعش، والضغط على دروز السويداء، ثم معارك شرق الفرات المتربة الآن، لا يمكن النظر لكل ذلك إلا في إطار تسوية الوضع ووضع دستور وإقامة حكومة جديدة في سوريا موحدة، وهو ما تصرح به تركيا فضلاً عن غيرها من الدول؛ فقد استخدم النظام الدولي ال ب ك ك لينهكهم ضد الدواعش، وفي اليوم الذي سيطروا فيه على هجين أصبحوا لقمة سائغة للنظام التركي الذي يستقدم الجيش الحر لينهكه في معارك ضد ال ب ك ك؛ ليكون لقمة سائغة للنظام النصيري بعد أن يتخلص من ال ب ك ك ك، فهل من المعقول أن تركيا ذات السبعين مليون مواطن، وصاحبة جيش من أقوى جيوش العالم تتوقف معركتها على بضعة آلاف من الجيش الحر!!، أم أنها ترجهم لتوفر نزيف الدم التركي وتنهك المعارضة السورية..

والجميع يعلم أن تسليم تركيا لمناطق درع الفرات وعفرين للنظام الجديد الذي ترسمه مع روسيا وإيران ليس بمستبعد في ظل توصيف التدخل التركي بأنه تدخل في دولة لها سيادة بهدف القضاء على الإرهاب، فلا معنى لوجود الأتراك في الداخل السوري بعد إنهاك حزب ال ب ك ك.

خامساً: من المشاهد أن المنطقة الواقعة تحت سيطرة الثوار بأنواعهم تحوم الحشود النصيرية حولها واحتمالية قيام معركة قريبة كبيرة، وهناك نقص في الاستعدادات، فمن يترك الثغور الواجب سدها أو الواجب العمل على سدها للمشاركة في معركة سياسية دولية تركية فقد استبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، وهذا دليل انحراف نيته وعمله.

سادساً: أما اعتبار أن القتال هناك مع الجيش التركي هو من باب النكاي في أعداء الدين بإعانة نظام كافر على نظام أشد كفراً، فهذا مجاله إن قام به من:

عرف التزامه بأمر الشرع،

ببنية قتال الكفار،

ولم تترتب على المشاركة مفسدة أكبر،

وللأسف فكثير من المجموعات المشاركة هم من المعروفين باشتهار الفسق بأنواعه بينهم، ولا يباليون في الغالب بالحكم الشرعي أكان بالجواز أو المنع فهم سائرون مع الداعم حيث سار بهم، والمفاسد المترتبة على مشاركتهم من إغراء العدو النصيري بالمناطق المحررة، ودخولهم في محرقة استنزاف لا تعلم نهايتها يجعل احتمال وجود هذا التأويل ضعيف جدا جدا.

سابعاً: القول بتحريم المشاركة مع الجيش التركي في شرق الفرات في الواقع الحالي لا يعني تكفير المسلم الذي يشارك مع الجيش التركي العلماني في قتال حزب ال ب ك ك الأشد علمانية؛ بل يبقى على أصل إسلامه وهو فاسق ظالم لنفسه وأمته بتلك المشاركة..

والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله.

بخصوص الجيش الوطني في إدلب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله... وبعد؛

فقد أعلنت الجبهة الوطنية في إدلب الانضمام للجيش الوطني التابع لوزارة الدفاع التابعة للحكومة السورية المؤقتة التابعة للائتلاف الوطني لقوى المعارضة السورية..

وعملاً بواجب النصيحة أذكرهم باختصار بالتالي:

أولاً: الحذر من سبل الشيطان:

- قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا

حَكِيمًا﴾.

- وقال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ

مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾.

- وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا

وَدُؤًا مَا عُنْتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ

الآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

- وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾.

ثانياً: شكر الله على نعمه التي من بها على أهل إدلب:

واقع إدلب هو واقع جهادي فيه مقومات كبيرة بشرية وعسكرية وجغرافية واجتماعية

وإقليمية لا تحظر ببال، وما على المجاهدين إلا تقوى الله جل وعلا والصدق في القول

- والعمل، أما التفريط في تلك المقدرات انسياقا وراء الأوهام السياسية الإقليمية فمصيبة..
- فإدلب هي معقل الثورة السورية خلال سني الثورة التسع فيها أكبر القوى الجهادية والثورية، ومنها انطلقت الغزوات شرقا وغربا وجنوبا.
- وإدلب هي مجمع عشرات الآلاف من مجاهدي هذه المنطقة والمجاهدين المهجّرين والمجاهدين المهاجرين.
- وإدلب هي القلعة الأخيرة في وجه التسويات السياسية الذليلة التي تحاول إعادة تسويق النظام النصيري تحت غطاء دولي مقابل مكاسب للدول النافذة في الملف السوري كروسيا وإيران وتركيا وأمريكا..، فإظهار تبعية إدلب لتلك القوى المتآمرة خطير جدا.
- وإدلب فيها قرابة الخمسة ملايين مسلم، وعدد الشباب القادر على حمل السلاح فيها يقارب المليون شاب، وهناك أعداد كبيرة أخرى من الشباب كذلك يمكن لهم العودة إلى إدلب للمشاركة في الجهاد سواء من مناطق غصن الزيتون أو درع الفرات أو شرق الفرات أو تركيا..
- وفي إدلب كثير من الخبرات والمهارات والعلاقات في المجالات العسكرية والتصنيعية والفنية والتدريبية والتسليح لا تتوفر لبيئة أخرى غالبا، مع محيط إقليمي مشبع بالسلاح سواء في الجيش النصيري أو فصائل درع الفرات أو قوات ال ب ك ك أو في العراق ولبنان...، ومعلوم أن هذا المحيط هو بيئة خصبة لتجارة وشراء السلاح بكافة أشكاله.

ثالثا- الواقع الحقيقي للائتلاف والنظام التركي والقوى التابعة لهما:

- تاريخ الائتلاف والنظام التركي ومن يتبعهما يدل على أن:
- الائتلاف وتركيا ليسا جادين في قتال النصيرية، وقصارى الأمر هو تأطير وتقييد القوى المقاتلة ورهنها للداعم واستغلالها في الضغط السياسي لا التحرر الحقيقي، وتوجيهها في إطار تنفيذ الاتفاقيات الدولية، ولطالما صرح الطرفان بأن الحل في سوريا سياسي وأنهم يسعون لمرحلة حكم انتقالية تجمع المعارضة مع أطراف من النظام النصيري، وقد ظهر ذلك

عبر اللجنة الدستورية التي تناقش مع وفد النظام النصيري مسألة دستور مشترك.

- قد تكرر من الحكومة التركية والجيش الوطني التفريط في مناطق مهمة مراعاة للجيش النصيري، فما هي منبج وعين العرب وريف الرقة وغيرها من المناطق كانت تحت سيطرة ال ب ك ك فلما اقترب منها الجيش التركي اتفق ال ب ك ك مع الجيش النصيري فدخلها الجيش النصيري فتوقف الجيش التركي والوطني عن دخولها مراعاة لحال الهدوء السائد بينه وبين الجيش النصيري، فهذا يؤكد أن تلك المنظومة ليس من أهدافها القتال الحقيقي للجيش النصيري.

- مشروع الائتلاف الوطني والحكومة التركية ليس متعلقا بقوة جيشهم الوطني، بل أحيانا يكون انضمام فصيل للجيش الوطني سوريا فيما يبدو للفصيل، ولكنه في جوهره له هدف عند الائتلاف وهو استغلال ذلك الانضمام في تمرير تفاهات سياسية وملفات ضغط، فدخل فصائل من إدلب في الجيش الوطني هو تمرير للعملية السياسية التي ترعاها تلك الجهات الداعمة.

- تجارب القوى المرتبطة بالدول الإقليمية كتركيا والسعودية والأردن التي حصلت في حلب والغوطة ودرعا وغيرها تؤكد أنه في لحظة ما تقع تفاهات دولية فتتخلى تلك الدول عن القوات المدعومة من قبلها فيحصل الاضطراب والفوضى وتنهار المنطقة عبر مراحل ومصطلحات خادعة مثل الهدن وخفض التصعيد وإعادة الانتشار والمصالحة والتسوية..

- السياسة التركية كلها وفي فلكها الائتلاف الوطني لا تسير على خطا محددة فهي متقلبة بناء على عوامل وتوازنات خارجية وداخلية يخشى معها الحزب الحاكم في تركيا نفسه من الانهيار في أي لحظة، فبناء مشروع مقاوم في الداخل على مشروع متذبذب في الخارج ليس من الحكمة في شيء.

- مسألة التسليح الدولي للجيش الوطني التي يروج البعض لأهميتها ليست كما يشاع؛ بل الواقع يؤكد أن كثيرا من السلاح يتم وضعه في المخازن مرتعنا لأوامر الداعم ثم يذهب في النهاية للعدو بالمصالحات والتهجير كما حصل في حلب وحمص ودرعا وغيرها.

وهذا الدعم التسليحي أدى لإهمال الطرق الأخرى المعتادة لتسليح الثورات عن طريق تجار السلاح في المنطقة الذين يتعاملون مع الشبيحة وال ب ك ك وفصائل درع الفرات والدول المجاورة وغير ذلك، وهذا يؤثر سلبا على الثورة.

يضاف إلى ذلك أن التسليح الدولي غير مرتهن بالانضمام للجيش الوطني فكم جاءت أسلحة لغرف عمليات ولفصائل قبل أن يوجد الجيش الوطني.

رابعاً- الواجب على فصائل إدلب:

الواجب على فصائل ومجموعات ومقاتلي إدلب ألا ينضموا ولا يبقوا تحت إمرة أي جهة علمانية ومن ذلك الائتلاف الوطني، وما يشاع عن المصلحة المتوقعة من الدخول في الجيش الوطني بإدلب هي مصلحة ملغية موهومة وفي أعلى درجاتها مصلحة محتملة، تقابلها مفسد متيقنة في مخالفة أمر الله تبارك وتعالى، وتسييس المنطقة وإظهار خضوعها للمساومات الدولية، وإضعاف مجاهدي إدلب الذين هو الأقوى والأنكى في العدو عبر تاريخ الثورة السورية، وليتذكروا قوله تعالى: ﴿وَأِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾، وقوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

والحمد لله رب العالمين.

هم العدو

قد يكون الأيسر على البعض أن ينظر للواقع نظرة مثالية وأن يرى المجتمع كأنه مدينة فاضلة لا وجود للشر فيها، ولكن هذه النظرة لا تغير شيئاً من حقائق الواقع ولا من مسيرة التدافع الإنساني.

ومن ذلك حقيقة وجود المنافقين ضمن المجتمع المسلم خاصة وقت الجهاد وعملهم الدؤوب على عداوة المجاهدين؛ لذا جاء التعبير القرآني الواضح في بيان حقيقة هؤلاء المنافقين؛ فقال جل وعلا: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ فالمنافقون هم العدو الكامل في العداوة، وعداوة من سواهم أنقص من عداوتهم، وذلك لأن انشغال المجاهدين بجهاد العدو الخارجي قد يجعلهم غافلين عن هذا العدو الماكر المنتظر غفلة المجاهدين ليعلن انقلابه على عقبه، فجاء الأمر بالحدز منهم واتخاذ الأسباب التي تحبط مكرهم وتفشل سعيهم، والدعاء عليهم بقتال الله لهم.

وهؤلاء المنافقون يزداد سعارهم وتشد فتنتهم كلما حان وقت الجهاد ليتحولوا إلى سهام مسعورة تعمل جهدها لإطفاء نور الله جل وعلا..

- فهم إن جاء الأمر بالقتال اجتمعت عليهم الهموم، كما قال جل وعلا: ﴿فَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾.

- ثم يتعللون بالأعذار ليتخلفوا عن الجهاد، قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطُّولِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾، وقال جل وعلا: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي﴾.

- ولو اضطرب بعضهم للخروج إلى المعركة فإنهم يخرجون لإكمال إفسادهم، قال تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾، وقال جل وعلا:

﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾.

- وهم يراسلون العدو ويتآمرون معه ضد المجاهدين، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ﴾.

- وعندما ينتصر المؤمنون تمتلئ قلوبهم غيظا وتكلم ألسنتهم بما في قلوبهم، قال تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، وقال جل وعلا: ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾.

- وبعد العودة من المعركة يتكلم المتخلفون منهم بالأعذار ليسلموا من العقاب: قال تعالى: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾، وقال جل وعلا: ﴿سَيَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوْ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾.

- ثم يجتمعون بعد المعركة للتخطيط للكيد الجديد، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَخْلِفَنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾.

* ما سبق هو ذكر لبعض ما أخبرنا به الله جل وعلا من صفات المنافقين وأفعالهم في وقت الجهاد خاصة، والآيات والأحاديث في ذلك كثيرة جدا، فأخذ الحذر والتعامل الجاد مع هؤلاء المجرمين واجب بالعموم، وهو اليوم بعد أن ذقنا مرارة فعال المنافقين في الغوطة ودرعا وغيرها أشد وجوبا، قال تعالى: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا تُقِفُوا أُخِذُوا وَقَتِلُوا قَتِيلًا سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾.

والحمد لله رب العالمين.

المرجفون في المدينة

اختار الله جل وعلا لوصف يوم القيامة كلمات عديدة تدل على أهوال وأحداث هذا اليوم العصيب، ومن تلك الكلمات كلمة الراجفة المشتقة من الرجف لما تدل عليه هذه الكلمة من شدة الاهتزاز والاضطراب الشديد والزلزلة، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٦) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (٧) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (٨) أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ﴾ (سورة النازعات).. واختار الله جل وعلا كلمة الراجفة هذه لوصف المرجفين الذين يتلقون الأخبار السيئة والشائعات غير الثابتة فيحدثون بها في المجالس، ويخبرون بها من يسأل ومن لا يسأل، ويتكلمون عن سرايا المسلمين فيقولون: هُزِّمُوا أَوْ قُتِلُوا، أَوْ قَدْ أَتَاكُمْ عَدُوٌّ لَا قِبَلَ لَكُمْ بِهِ، أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ؛ لِإِيقَاعِ الشَّكِّ وَالْخَوْفِ وَالْاضْطِرَابِ فِي نَفُوسِ النَّاسِ..

قال جل وعلا عن هؤلاء المرجفين: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا (٦٠) مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثَقِفُوا أَخِذُوا وَقْتِكُمَا وَقْتًا لِنُنْفِئَهُمْ فِي الَّذِينَ يَخْلَوْنَ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ (الأحزاب).

فَارْغَمَ اللَّهُ قَوْمًا لَا حُلُومَ لَهُمْ

من مرجفين ذوي ضغنٍ وحسادٍ

* وقد حذر فقهاء الإسلام من خطورة هؤلاء المرجفين فنصوا على أنه "يرد مخذل عن الخروج في الجيش وهو من يخوف الناس كأن يقول عدونا كثير وخبولنا ضعيفة ولا طاقة لنا بهم، ومرجف وهو من يكثر الأراجيف كأن يقول قتلت سرية كذا أو لحقهم مدد للعدو من جهة كذا أو لهم كمين في موضع كذا" (أسنى المطالب).

* ونص كثير من الفقهاء على أنه إن حضر المرجف المعركة فلا نصيب له في الغنيمة لفساد نيته، فقالوا: "وان غزا المخذل أو المرجف على فرس فلا شيء له ولا للفرس" (الشرح الكبير)، "يسهم لهم.. لا لمخذل ومرجف ولو تركا ذلك وقاتلا ولا يرضخ لهم لعصيانهم" (الإقناع)، "ولا يستصحب الأمير معه مخذلا.. ولا مرجفا.. وإن خرج معه هؤلاء لم يسهم له ولم يرضخ وإن أظهر عون المسلمين؛ لأنه يحتمل أن يكون أظهره نفاقا وقد ظهر دليله، فيكون مجرد ضرر، فلا يستحق مما غنموا شيئا، وإن كان الأمير أحد هؤلاء لم يستحب الخروج معه؛ لأنه إذا منع خروجه تبعا فمتبوعا أولى، ولأنه لا تؤمن المضرة على من صحبه" (المغني).

* والأعجب من ذلك أن الفقهاء جعلوا منع المرجف من الغزو أصل وقاسوا عليه الاستعانة بالمشرك على المشرك! فقالوا: "ولا يستعان بمشرك إلا عند الحاجة إليه؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إنا لا نستعين بمشرك»؛ ولأنه لا يؤمن أن يدخل على المسلمين ضررا فأشبهه المرجف والمخذل" (العدة)!.
قل للألى ظنوا الظنون وأرجفوا

لا شيء يمنع أن تحول الحال

لله أمر في الممالك نافذ

تجري به الأقدار والآجال

لا تركزن إلى الوسوس واحترس

إن الوسوس للنفس ضلال

جاهدوا أبا ذنيبة قبل أن يصبح ضفدعا^١

نستيقظ كل فترة من الزمن على نقيق ضفدع خانت الجهاد وباعت الثورة، واستطاعت أن تسلم الأرض والعرض للكافر النصيري..

وظاهرة الردة ليست جديدة في تاريخ البشرية ولا مستغربة، إنما الذي يحزن القلب هو إهمال مواجهة الضفدع قبل ظهورها مما يجعل لها تأثيرا كبيرا بعد خروجها..

فالضفدع قبل أن يكون ضفدعا كاملا يكون أبا ذنيبة؛ مختلفا شكله عن الضفدع، فله ذيل طويل وخياشيم وليس له أرجل أو عنق وشكله قريب من السمك، ثم يتحول أبو ذنيبة إلى ضفدع فتظهر الأرجل وتتكون الرئتان ويتغير الجهاز الهضمي وتختفي الخياشيم والذيل..

فالعاقل عندما يرى أبا ذنيبة يعلم أنه أمام مشروع ضفدع، ويبحث عن السبل الشرعية للتعامل معه..

* فطائفة أبو ذنيبة من أهم صفاتها:

- ﴿الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يتوددون للدول الكافرة ويعادون المجاهدين الصادقين].

- ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ [خذلوا شرق السكة].

- ﴿قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبْعَانَاكُمْ﴾ [الحل عندهم سياسي فقط].

- ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَا تَبْعُوكُ﴾ [يشاركون فقط بمؤازرات خجولة].

- ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى﴾ [ترك الصلاة وشرب المخدرات سمّتهم

البارزة].

- ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ [يروجون لحكم الائتلاف الوثني وينهون

عن التصدي لمؤامرات المؤتمرات].

- ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِزْوَادًا لِمَنْ حَارَبَ

اللَّهِ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ [يشكلون فصائل وجبهات لحرب المجاهدين].

* والوجب أمام طائفة أبو ذنيبة هو:

- ﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾.

- ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرُوهُمْ﴾.

- ﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾.

- ﴿يَخْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ

الْفَاسِقِينَ﴾.

- قال صلى الله عليه وسلم: «لا تقولوا للمنافق سيد، فإنه إن يك سيذا فقد

أسخطتم ربكم عز وجل».

** عندما تعامل طائفة أبي ذنيبة وفق هذه التعليمات فإن تأثيرها سيضمحل ويضعف

عندما تتحول إلى ضفادع، ويبقى الثابتون على درب أبي بكر رضي الله عنه والحاملون سيف

خالد بن الوليد رضي الله عنه يطاردون الضفادع ويظهرون الأرض من رجسها..

أما لو كان التعامل مع طائفة أبي ذنيبة بغير ذلك وتم تقديمهم؛ لأنهم فضيل أو فصائل،

وبجلهم المرقعون فذكروا مجرميهم مسبوقين بلقب "شيخ" ويلحقهم الدعاء ب"حفظهم الله"،

فتلك هي النازلة التي أضاعت حلب والغوطة وحمص وأضررت مجاهدي درعا ولا زالت تنخر

في بنيان إدلب...

** أسأل الله أن ينتقم من المنافقين "فإن بلية الإسلام بهم شديدة جدا، لأنهم منسوبون إليه، وإلى نصرته وموالاته، وهم أعداؤه في الحقيقة، يخرجون عداوته في كل قالب، يظن الجاهل أنه علم وإصلاح وهو غاية الجهل والإفساد.

فلله كم من معقل للإسلام قد هدموه؟! وكم من حصن له قد قلعوا أساسه وخرّبوه؟! وكم من علم له قد طمسوه؟! وكم من لواء له مرفوع قد وضعوه؟! وكم ضربوا بمعاول الشُّبُه في أصول غراسه ليقلعوها؟! وكم عمّوا عيون موارد بآرائهم ليدفنوها ويقطعوها؟! "كما قال ابن القيم رحمه الله.

والحمد لله رب العالمين.

ظاهرة الانشقاق من درع الفرات إلى حوض النصرية^١

لم تكن حادثة انشقاق أبي الخير القائد في لواء السلطان مراد وذهابه إلى حوض النصرية الحادثة الأولى ولا الأخيرة في عمليات الخيانة التي يشهدها شمال حلب وفصائل درع الفرات فقد تكرر ذهاب المقاتلين إلى ال ب ك ك والنصرية.

ومن أسباب هذه الظاهرة:

١- أن كثيرا من مقاتلي شمال حلب اليوم هم من المرتزقة الذين يلهثون وراء الدولار، فكم ترك أناس جبهات حمص وحلب وحماة وإدلب وذهبوا للريف الشمالي بحثا عن الدولارات، فمن ترك الجهاد الحق من أجل دولارات سيترك مليشيات الشمال لمن يدفع أكثر.

٢- أن حالة الفوضى الأمنية والإجرام التي يشهدها الشمال تعتبر من أسوأ الحالات في سوريا فكثرت المشاكل والقتل والخطف بين مرتزقة الشمال.

٣- أن طريقة الجمع العشوائية لمرتزقة الشمال جعلت الشمال وفصائله ألعوبة في يد الاستخبارات التركية والأمريكية والروسية والإيرانية والنصرية وأصبح كثير من قادتهم يتقلبون من عمالة إلى أخرى.

٤- أن جرائم الأتراك في الباب التي لا تختلف عن جرائم النصرية في حلب ولا الأمريكان في الرقة ولا الحشد الشعبي في الموصل جعلت المرتزقة في الشمال يساوون بين تركيا والنصرية في الإجرام.

(١) كتبت سنة ١٤٣٨هـ.

٥- أن تكشف حقيقة الاحتلال التركي للشمال وظهور كذب الأتراك وتبين فشل المشروع التركي ومرتزقته بعد أن حاصرههم النصيرية وال ب ك ك واستغلال النصيرية ذلك في التوسع شرقا مع عجز الأتراك عن تقديم أي حل أفقد المرتزقة الأمل في العودة لديارهم في منبج والرقة فعادوا لها عن طريق بشار.

٦- ظهور الخلاف التركي الأمريكي والمخاوف من أن يؤثر ذلك على موقف مرتزقة الشمال جعل كثيرا من المرتزقة يفرون من الصف التركي لأنهم جاؤوا لتمشيط الأماكن الفارغة بعد تدميرها وإخراج تنظيم الدولة منها ولم يأتوا ليكونوا سندا لتركيا ضد أمريكا.

- والسبب الرئيسي والأهم هو أن هناك سنة ربانية لا تتبدل، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾.

الناس معادن، ومعادن النصرية هو الحقد^١

قتل واغتصاب واعتقال، هذه بعض الجرائم التي ارتكبتها النصرية في منطقة اللجاة بريف درعا التي دخل بعض مقاتليها في "المصالحات" ..

وتظن فصائل الهزيمة أنها باستسلامها الذي تسميه "مصالحة" وبخيانتها لدماء الشهداء ونسيانها للتضحيات وتنازلها عن الحقوق، ستفتح صفحة جديدة مع العدو النصيري، وتعود لحضن النظام النصيري، آمنين على أنفسهم وعلى أهاليهم..

نعم، قد تنسى الضفادع مآسيها وحقوقها، ولكن هل ينسى العدو مآسيه وآلامه وما حل به في سبيل قهر الشعب السوري؟! كما قال جل وعلا: ﴿إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾، وقال سبحانه: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾.

- هل سينسى النصرية في اللاذقية والقرداحة وجبله وطرطوس وبانياس ومصيف وسهل الغاب وتل كلخ والقنيطرة أنهم قدموا للحفاظ على قهرهم الشعب المسلم زهرة شبابهم النصيري؛ فقتل منهم عشرات الآلاف، وجرح منهم مئات الآلاف، وهُجّر منهم مئات الآلاف، وتحملوا الكثير الكثير في قتال الثوار.

- هل سينسى آباء الجنود النصرية تأرهم ممن قتل أولادهم؟
- وهل سينسى أطفال الجنود النصرية تأرهم ممن قتل آباءهم؟
- وهل ستنسى أرامل الجنود النصرية تأرهن ممن رملهن؟
- وهل سينسى جرحى الجنود النصرية تأرهم ممن أصابهم وأعاقهم ونغص عليهم

(١) كتبت سنة ١٤٣٩هـ.

حياتهم؟

- وهل سينسى المهجّرون النصيرية ثأرهم ممن بسببهم تركوا الأهل والبلد؟
- وهل سينسى التجار النصيرية ثأرهم من الثورة التي أفسدت عليهم ثرواتهم وتجاراتهم؟

إن الأرض لا تشرب الدماء، والتاريخ لا يعرف المجاملات، والأحقاد لا تذهبها المصالحات، وليس في الدنيا أحد يعرف شرف الخصومة وأمانة العهد سوى المجاهدين، ومن عداهم فأهل كذب وخيانة.

وإن سنحت الفرصة للنصيري واستسلم له الثائر، فقطعا سينتقم النصيري شر انتقام، بل وسيظلون يذيقون المسلمين أنواع الذل والهوان إلى أن ينتقم أحفاد النصيرية من أحفاد المسلمين.

لو استتب الأمر - لا قدر الله - للنصيرية مرة أخرى فسيرتكبون المجازر والمذابح، مرددين:

يا لثارات يوم المطار

ويا لثارات يوم اللواء

ويا لثارات يوم الكتبية

ويا لثارات يوم المدفعية

ويا لثارات يوم الكلية

ويا لثارات يوم كذا ويوم كذا من الأيام الكثيرة الكثيرة التي فتح الله فيها على المجاهدين

في ثورة الشام المباركة.

ويومها، فإن دماء أهل السنة جميعا لن تشفي قلوب النصيري الحاقد على فقد ابن له

فضلا عن فقدوا جيلا كاملا من شبابهم.

و«الناس معادن» كما قال نبينا صلى الله عليه وسلم، ومعدن النصيرية هو الغل والحقد والغدر والخيانة، يقول النصيري محمد أمين غالب في كتابه تاريخ العلويين مبررا غدرهم المتكرر المشهور: "كان العلويون كلما غضب السنيون أموالهم وحقوقهم يتوسلون بغدر السنيين عند سنوح الفرصة".

وقد اشتهر في التاريخ كيف أن النصيري تيمور لنك دخل دمشق صلحا ثم نقض العهد وقتل الرجال وانتهك أعراض النساء والأطفال وتركها خاوية على عروشها قاعا صنفصفا..
وقام النصيري حافظ الأسد بدافع الحقد الطائفي الذي يغلي في قلبه وقلب طائفته بقتل عشرات الآلاف من الفلسطينيين السنة في مخيمات لبنان..

ثم بعد زمن قليل قام النصيري حافظ الأسد بقتل عشرات الآلاف من السوريين السنة في حلب وحماة وجبل الزاوية، وبعد تلك المجازر ظل أهل السنة في سوريا ثلاثين سنة مضطهدين يسومهم النظام النصيري السجن والتعذيب والطرده والتضييق إلى أن جاءت الثورة المباركة التي يريد الضفادع اليوم حرق سفينتها وتسليمها لعدوها..

فيا أبطال الشام، ما هو إلا أن تنقضوا على عدوكم فتعود لكم الأمجاد وتسطروا البطولات بإذن الله، ولا بديل عن سيف الجهاد إلا سيف العدو يُقَطِّع أوصال المستسلمين..

فالله الله في العجائز والضعفاء والنساء والأطفال أن يؤتوا من قبلكم يا أبطال أمتنا المنصورة.

"فضائل بشار" في عيون عبيده

لم تعرف البشرية في عقودها الأخيرة مجرماً يفوق بشاراً الزنديق في إجرامه؛ فقد فاقت جرائمه جرائم اليهود والنصارى والمجوس والصرب والروس والأمريكان وغيرهم، وسجل التاريخ الموثق المصور مادة إجرامية لم يحصل على مثيلاتها من قبل. ورغم كل ذلك فقد ذهب الضفادع لمستنقع بشار الأثيم، وسبحوا بحمده ومجده وعظموه! رغم أنهم عاينوا إجرامه وذاقوه.

وهذه الظاهرة ليست جديدة في الحياة الدنيا، فهناك بشر انسلخوا من آدميتهم وتلذذوا بالعذاب تحت قهر طواغيتهم و﴿جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾..

فهذا تيمور لنك الذي فعل الأفاعيل وذبح الأمم ودمر البلاد وهو من طغاة التتار الذين حاربوا الإسلام وقتلوا المسلمين وعاثوا في الأرض فساداً، يحكم بالطاغوت ويعتقد بعقائد الباطنية، فمن فعالة في حلب مثلاً كما يذكر صاحب خطط الشام أنه: "دخل حلب جيش تيمور ينهون الأموال ويحرقون المباني ويخربونها ويقتلون الكبار والصغار ويفتضون الأبرار، يأخذون المرأة ومعها ولدها الصغير على يدها فيلقونه من يدها ويفسقون بها. فلجأ النساء عند ذلك إلى الجامع الكبير ظناً منهنّ أن هذا يقيهنّ من أيدي الكفرة، وصارت المرأة تطلي وجهها بطين أو بشيء يشوّه محاسنها، فيأتي ذلك العالج إليها ويغسل وجهها ويتناولها ويتمسح بالأوراق الشريفة.. وظل المسلمون في عقاب وعذاب وسبي وقتل وأسر، وجوامعهم ومساجدهم ومدارسهم وبيوتهم في هدم وحرق وتخريب ونهب..

ثم خرج تيمور لنك من حلب متوجهاً نحو دمشق، والمسلمون في أمر مريع والرؤوس تقطع، وأمر تيمور لنك أن يجعل من الرؤوس قبياً، فبنى عشر قبب شبه المآذن من رؤوس الرجال مرتفعة البناء، دورها تيّف وعشرون ذراعاً وعلوّها في الهواء نحو عشرة أذرع بارزة..

ومع كل ذلك الكفر والطغيان وغيره، ينقل محمد كرد علي رأي المجاهدين ورأي الضفادع فيقول: "والناس في أمر تيمور مختلفون: فمنهم من يعدّه كافرا باغيا..، ومنهم من يزعم أنه مصلح كبير لم يقصد من غاراته على بلاد المسلمين غير ردع ملوك الإسلام وجهادهم كي يكفوا عن مظالمهم التي كانوا يعاملون بها رعاياهم، ويرعووا عن قتل بعضهم البعض، حتى إنني سمعت من بعض علماء الأتراك القاطنين في بخارى - وقد جمعني وإياهم باخرة كنت ركبتهما في سفري إلى جهات غزة- أن عددا كبيرا من علماء تركستان وخواصهم يعدّون إيقاع تيمور بالبلاد الإسلامية جهادا مقدسا، ويعتقدون فيه الولاية والكرامة ويترضون عنه كما يترضون على أولياء الله وأصفيائه، وأن ما كان يصدر من جيوشه وعساكره من قتلهم البريعين وهتك أعراض المخدّرات لم يكن عن علم منه ولا رضاء به"!!!!!!.

بل الأعجب من ذلك أن فرعون اللعين الذي قال عنه جل وعلا: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ جاء ابن عربي الزنديق فادعى أن فرعون مؤمن ومن أولياء الله الصالحين!!.

وإن أردت أن يزداد عجبك فاعلم أن الشيطان الرجيم أصل الشرور والآثام كلها هناك من تعاطف معه، فكتب توفيق الحكيم الزنديق روايته التي يصف فيها إبليس بأنه شهيد!

فبشار على درب الأبالسة، والضفادع على درب الزنادقة، والمجاهدون بإذن الله لهم بالمرصاد، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

على حرف ا

قال تعالى في كتابه الكريم الهادي إلى سواء سبيل، المبين للناس سبيل رشادهم إلى يوم الدين: ﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾.

وستتناول شرح هذه الآيات في المحاور التالية:

أولاً: حال المنافق في عبادته.

ثانياً: حال المنافق بعد رده.

ثالثاً: منافقو المصالحات اليوم.

أولاً: حال المنافق في عبادته:

روى البخاري، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾. قال: كان الرجل يقدم المدينة، فإن ولدت امرأته غلاماً وولدت خيله، قال: هذا دين صالح، وإن لم تلد امرأته ولم تنتج خيله، قال: هذا دين سوء".
فهؤلاء المنافقون يعبدون الله كأنهم على حرف جبل يوشك أن يسقطوا منه عند أول اهتزاز، فهم يجربون الله تبارك وتعالى ويجربون دينه ابتغاء متع الدنيا الفانية، هم تجار مفلسون يبيعون كل شيء مقابل دنيا زهيدة..

فإن أصاب المنافق خيراً فجاءت الفتوحات وتتابعت الانتصارات وكثرت الغنائم وسيطر الثوار المجاهدون فرح واستبشر وسار في طريق الكفاح والسلاح..

أما عندما تأتي سنة الله في الابتلاء فيداول الله جل وعلا الأيام بين الناس، كما قال جل وعلا: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾، وكما قال سبحانه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾.

أَخْبَارَكُمْ.. عندها يهوي المنافق من الحرف ويسقط إلى الهاوية ويرتد على عقبه ويتقلب على وجهه ويتبدل حاله إلى حال شيطان رجيم عدو للإسلام لئيم ولا حول ولا قوة إلا بالله، قال تعالى: **﴿وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْلَىٰ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ (١٠) وَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾**.

ثانيا: حال المنافق بعد رדתه:

أما حال المنافق بعد رדתه فهو الخسارة التامة والهلاك المبين في الدنيا قبل الآخرة وفي العاجل والآجل وفي الأولى والآخرة، فيعاقبه الله جل وعلا بنقيض قصده **﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾**..

وخسارته تكون بطرق كثيرة من أهمها:

أ- الأول بعقاب المؤمنين لهم كما قال جل وعلا: **﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِبَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا (٦٠) مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا اتَّبَعُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا قَتِيلًا﴾**.. وقد ظهرت في التاريخ عند الحن بعض حركات الردة ولكن كانت سيوف المسلمين لها بالمرصاد فكسر الله شوكتهم وأبطل مكرهم وردهم على أعقابهم خاسرين، كما فعل أبو بكر الصديق رضي الله عنه بالمرتدين بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم حيث أرسل لهم الجيوش فقضت عليهم في زمن يسير.

ب- الطريق الثاني لخسارة المرتد هو بعداوة أسياده له، فتحل عليه لعنة الناس أجمعين أينما ذهب، قال جل وعلا: **﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٨٦) أَوْلَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾**، فالخونة دوما هم أول ضحايا أسيادهم الذين خانوا الدين من أجلهم..

ت- الطريق الثالث لخسارة المرتد هو العذاب الشديد يوم القيامة، قال جل وعلا:

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَعِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾، فكل نعيم الدنيا سيزول أثره مع أدنى مس من عذاب الله يوم القيامة، وسيضيع النعيم الذي فر لأجله من دين الله ولحق بسببه المجرمين هباء منثورا فما كان إلا غرورا..

ثالثا: مناقفو المصالحات اليوم:

وهم قوم رأوا سوق الجهاد رائجة فركبوا موجة الانتصارات وتسلقوا على أكتاف الشعب الصابر وتاجروا بدماء الصادقين حتى إذا جاءت الملحمة واشتد القتال عادوا لحظيرة العبودية للشياطين وباعوا آلام وآمال الملايين، بل وسلموا السلاح الذي انتزع من القاتل انتزاعا وأعادوا تسليمه للمجرم ليقتل به أهلهم وذويهم، وعادوا لحمل السلاح ولكن في صفوف النصيرية الكافرين يقاتلون به المسلمين..

وإن السبب الأهم في انقلاب هؤلاء المنافقين على أعقابهم هو إحسانهم الظن بالكافرين وانخداعهم بمؤامرات ومؤتمرات الداعمين، قال جل وعلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمَلَىٰ لَهُمْ (٢٥) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرَهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾، فانظر أبا الإسلام كيف أن طاعة الطغاة في بعض الأمر أدت بهم للردة التامة والطاعة في كل الأمر، فهي خطوات الشيطان ومزالق الفتنة ودركات الشر يؤدي بعضها لبعض.

= وليعلم الجميع أن من صالح النصيرية على تسليم السلاح لهم والدخول في جنديتهم هو منهم، وسينتقم الله جل وعلا منه ومن أوليائه النصيرية، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصِيبَهُمْ أَوْ يَنْقُضَهُمْ أَوْ يَنْقُضَهُمْ نَادِمِينَ (٥٢) وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهْلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ

أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَانُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ (٥٣) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾

= وليس حب الديار عذرا في مصالحة النصيرية، فالأرض لله ونحن عبيده، والمهجرة لا انقطاع لها، والله عز وجل حكى قصة من آثر الأرض على الدين والعرض، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٩٧) إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (٩٨) فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا غَفُورًا (٩٩) وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٩٩﴾

وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى

وفيها، لمن خاف القلى، مُتَعَزِّلٌ

وربك، ما بالأرض ضيق على امرئ

سرى راغباً أو راهباً، وهو يعقل

وختاما: فإن دماء الملايين وأعراضهم ليست ماء، ولا يضيع حق وراءه مطالب، وما ظاهرة الردة إلا أمانة على قرب انتصار جموع الصادقين، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾.

والحمد لله رب العالمين.

العمل الأمني آدابه وأحكامه^١

أولاً: أهداف العمل الأمني.

ثانياً: فضائل العمل الأمني.

ثالثاً: آداب العمل الأمني.

رابعاً: القواعد الشرعية للعمل الأمني.

خامساً: أحكام العمل الأمني.

سادساً: مهام أمنية.

أولاً: أهداف العمل الأمني:

١- صيانة الدين: الكفار ﴿إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ﴾ - المنافقون ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ - المتبدعة - المفسدون - المنحرفون - الحمقى "الانحراف الفكري والعقدي والإرجاف والشائعات" ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فليسأنه فإن لم يستطع فلينبه، وذلك أضعف الإيمان»، ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾، «فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً»، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الناس إذا رأوا الظالم، فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله تعالى بعذاب منه». قال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾.

٢- رد العدوان: الجواسيس- الثغرات- تأمين الأمة- ردع الظالمين ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾، ﴿فَقَاتِلُوا آلِي تَبَعِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾.

٣- إغاثة المجاهدين: اختراق العدو- دراسة الواقع- جمع المعلومات- تهريب العدو.

ثانيا: فضائل العمل الأمني:

١- أنه أمر بالمعروف ونهي عن المنكر وحسبة: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

٢- أنه جهاد: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا رجلٌ يأتيني بخبر القوم، جعله الله معي يوم القيامة؟ فسكتنا، فلم يجبه منا أحد»، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا».

٣- أنه نصرة للمستضعفين: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾، ﴿وَاحْفَظْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ «السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ، كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ». وَأَحْسِبُهُ قَالَ: «وَكَالْقَائِمِ الَّذِي لَا يُفْطِرُ، وَكَالصَّائِمِ الَّذِي لَا يُفْطِرُ» «انصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا».

٤- أنه عون للمسلمين: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة».

٥- أنه رباط وحراسة في سبيل الله: «عينان لا تسمهما النار عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله».

٦- أنه حماية للدين من المبتدعة: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُهَا دِينَهَا»..

٧- أنه حفظ لنعمة الأمن: ﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ﴾ ﴿وَلِيَبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾ «اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي».

ثالثا: آداب العمل الأمي:

١- الإخلاص: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا

فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾، أهداف لا تليق: "الشهرة - حب الظهور - التعالي - الشوكة والسطوة - نظام الحكم - الجماعة - الانتفاع المالي".

٢- حسن التوكل على الله: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾.

٢- المحاسبة والمراقبة ومراجعة النفس وتركيتها: «اتَّقُوا الظُّلْمَ؛ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ

الْقِيَامَةِ»، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ لَيَمْلِكُ لِلظَّالِمِ، فَإِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ»،

ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾، وَقَالَ

الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ > انحراف النية بعد زمن <.

٣- الجمع بينه وبين الجهاد بالنفس: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ

وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ﴾، ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ

الْمُتَّقِينَ﴾.

٤- حسن الخلق ولين الجانب والتواضع للمسلمين: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ

النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أَوْلَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾، «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟

كُلُّ عُنْتَلٍ جَوَاطِ مُسْتَكْبِرٍ»، «خِيَارُ أُمَّتِكُمُ الَّذِينَ يُحِبُّوهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ

وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ، وَشِرَارُ أُمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُوهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُوهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ»،

﴿وَإِخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾، «مَنْ لَا يَرْحَمِ النَّاسَ لَا يَرْحَمُهُ اللَّهُ».

٥- السمع والطاعة في المنشط والمكروه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا

الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾، ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ

الصَّابِرِينَ﴾.

٦- الصبر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ

تُفْلِحُونَ﴾.

٧- علو الهمة: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾.

٨- عدم التصدر فيما لا يتقنه والتفريق بين سلطات الإمام والقاضي: «القضاة ثلاثة؛ قاضيان في النار وقاض في الجنة، رجل قضى بغير الحق فعلم ذلك فذاك في النار، وقاض لا يعلم فأهلك حقوق الناس فهو في النار، وقاض قضى بالحق فذلك في الجنة»، «المتشيع بما لم يعط كلابس ثوبي زور».

٩- حفظ الأسرار وحسن الانتفاع بها: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾ ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ ﴿وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبِيٍّ يَقِينٍ﴾ "لو شهدت أمير المؤمنين أتاه رجل قال: إن فلاناً يقول لو مات أمير المؤمنين لبايعنا فلاناً" من كثر كلامه كثر سقطه، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾.

١٠- حسن الصحبة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُؤًا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾، ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾.

رابعاً: القواعد الشرعية للعمل الأمني:

١- الضبط الشرعي: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ»، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحَرَمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا»، قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ؛ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، «يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عورتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته فضحه ولو في جوف بيته»، «لو أن امرءاً اطلع عليك بغير إذن فحذفته بحصاة ففقات عينه، لم يكن

عليك جناح»، عن محمد بن كعب القرظي عن زيد بن أرقم قال: «كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك فقال عبد الله بن أبي: لن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعرز منها الأذل، قال: فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فأخبرته».

٢- الإعداد الجيد: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه».

٣- أصناف الجرائم: تؤدي للكفر- الكبائر- الحرام- البدع: ﴿إِنْ تَجَنَّبُوا كِبَائِرَ مَا تَنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾، ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾، ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾.

٤- أنواع مرتكبي الجريمة: متمرس- أحياناً- زلة- غير مقصود، ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا عَدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾.

٥- التعامل مع الشبهات والتثبت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾.

٦- الأولويات: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا﴾.

٧- مراعاة القوة والضعف: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾.

٨- رد الحقوق لأهلها: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من كانت له مظلمة لأحد من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل ألا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه».

٩- معرفة مآلات الأمور: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا

٨- حدود طاعة الأمراء في العمل الأمني:

لا يطاع	يطاع
جريمة جلية ولا ثقة في الأمير ولا الشرعي ويخالفه ثقة	جريمة جلية بلا معارض
جريمة خفية ولا ثقة في الأمير ولا الشرعي	جريمة جلية وشرعي أو أمير ثقة ويخالفه ثقة
جريمة خفية وشرعي أو أمير ثقة ويخالفه ثقة	جريمة خفية وشرعي أو أمير ثقة ويخالفه من لا يعتد به

٩- أحكام التعامل مع النساء: والضرورة في قول علي رضي الله عنه: «بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير والمقداد بن الأسود، قال: انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ، فإن بها ظعينة ومعها كتاب، فخذوه منها، فانطلقنا تعادى بنا خيلنا، حتى انتهينا إلى الروضة، فإذا نحن بالظعينة، فقلنا: أخرجي الكتاب، فقالت: ما معي من كتاب، فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لنلقين الثياب، فأخرجته من عقاصها».

١٠- الاستفسار عن الجرائم والذنوب.

١١- الأمان.

١٢- أحكام عين المسلم.

١٣- أحكام السجن: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾

نُطْعِمُكُمْ لِرُؤُفِهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴿﴾ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: «لما كان يوم بدر أتى بالأسارى وأتى بالعباس ولم يكن عليه ثوب فنظر النبي صلى الله عليه وسلم له قميصا فوجدوا قميص عبد الله بن أبي يقدر عليه، فكساه النبي صلى الله عليه وسلم إياه».

١٤- الكذب والخداع: ومعنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: «الحرب خَدَعَةٌ»،

«ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس ويقول خيرا وينمي خيرا قالت: ولم أسمع به يرخص في شيء مما يقوله الناس إلا في ثلاث: الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل

امراته، وحديث المرأة زوجها»..

١٥- الاغتيالات: ومعنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من لکعب بن الأشرف، فإنه قد آذى الله ورسوله، فقام محمد بن مسلمة، فقال: يا رسول الله أحب أن أقتله؟ قال: نعم، قال: فأذن لي أن أقول شيئاً. قال: قل.»

١٦- التصوير: فضيحة- ترويع للنساء والأطفال- ذريعة للمتهمين- ﴿وَلَيْشَهْدُ

عَدَايَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾

سادسا: مهام أمنية:

- ١- استقبال الدعوى: التيسير - .
- ٢- جمع المعلومات: وحالات السؤال- المراقبة- التصنت- التفتيش - .
- ٣- المداهمات: الإذن الشرعي- المداهمة الضرورية- خطر الترويع- الاستئذان- التفتيش- الجيران- مسئولية الأمير عن عناصره- ضمان التعدي- الحذر من التوسع في المشتبه بهم- إشكالية الضغط عن طريق إيقاف غير المتهم.
- ٤- التحقيق: الكفاءة- السرية- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّكُمْ تَحْتَصِمُونَ إِلَيَّ وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَنْ يَكُونَ أَحْنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ فَأَقْضِي لَهُ عَلَى نَحْوِ مِمَّا أَسْمَعُ مِنْهُ فَمَنْ قَطَعْتُ لَهُ مِنْ حَقِّ أَحِيهِ شَيْئًا فَلَا يَأْخُذْهُ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ بِهِ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ».

٥- السجن: ظاهرة الضرب والسب- المرضى- الطعام- الملابس- النظافة- تعليم الدين- صيانة النساء- حفظ أسرار السجناء- زيارة الأهل للسجين- حفظ الأمانات وعدم استعمالها.

٦- الإعدام: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ وَإِذَا دَبَّحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الدَّبْحَ وَلْيُحَدِّدْ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ فَلْيُرْحَ دَبِّحْتَهُ».

آداب إقامة الحواجز^١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله...، وبعد؛

فإن لإقامة الحواجز الأمنية آداب تنبغي مراعاتها؛ تحقيقاً لمصلحة المسلمين وحفاظاً

على حرمتهم، ومن تلك الآداب:

١- أن تكون إقامة الحاجز بناء على دراسة واقعية تبين فائدة هذا العمل وأنه يحقق مصلحة معتبرة للمسلمين، وليس الهدف منه مجرد التباهي بإظهار القوة والسيطرة.

٢- أن يتم تجهيز الحاجز بطريقة تخدم الهدف وتقلل من فرص حدوث إشكال؛ مثل أن يكون المرور على شكل مسارات ملتوية، أو أن توضع به مرتفعات صغيرة تهدئ سرعة السيارات، أو أن يتكون الحاجز من حاجزين متعاقبين يستطيع الثاني منهما التعامل بحكمة تتناسب مع المخالفة التي تمت في الحاجز الأول... إلى غير ذلك من وسائل تحقق المقصود وتتجنب الإشكاليات.

٣- ينبغي اختيار أفراد من الأكفاء الأقوياء الذين يستطيعون أداء مهمة الوقوف على الحاجز كما ينبغي.

٤- لا يجوز مطلقاً استخدام الرصاص على الموثوق من عدم خطرهم مجرد مخالفة التعليمات وعدم الوقوف في الحاجز.

(١) كتبت سنة ١٤٣٥هـ.

٥- عند الاضطرار لإجبار إحدى السيارات على الوقوف تراعى المصلحة مثل إمكانية التعاون مع الحاجز التالي في إيقافها، أو مطاردة السيارة وتضييق الطريق عليها، أو التدرج في استخدام القوة بالبدء بإطلاق الرصاص في الهواء ثم على عجلات السيارة ...، وهكذا.

٦- إتقان عناصر الحاجز عملهم بتوزيع نقاط تواجدهم، والتيقظ والتنبه، ومتابعة الأخبار على القبضات يقلل كثيرا من الأخطاء.

٧- ليحذر المجاهد الذي يقف على حاجز من الاستطالة على الناس، أو تعمد إذلالهم، أو استغلال مكانه في تحصيل مال حرام...

٨- يفضل ألا تبقى مجموعة واحدة مستلمة للحاجز فترة طويلة بل ينبغي إعادة توزيع الأفراد على الحواجز كل فترة تنشيطا للعمل ومنعا للتواطؤ على الإهمال.

٩- يلزم عمل زيارات دورية للحواجز من المكاتب الشرعية والأمنية لمعاينة الحواجز والوقوف على سير العمل فيها والمستجدات التي تنبغي مراعاتها.

الظلم باسم الأحكام السلطانية^١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.. وبعد؛

فإن من حفظ الدين وصيانة العلم تنزيه الشريعة الإسلامية عن البدع المحدثات التي يزينها الشيطان للناس محاولاً صد الناس عن سبيل الله تعالى وتشويه صورة الإسلام.

ومن تلك البدع التي ظهرت وكان لها أثر سيئ بدعة تسمية ظلم الناس والعدوان عليهم أحكاماً سلطانية؛ حيث تقوم مجموعة من الناس بتزعيم شخص عليهم، ثم يقيم هذا الزعيم قضاء يوكله لمن يختارهم من المشايخ، ولكن هذا القضاء لا تُعرض عليه كل القضايا؛ فهناك أشخاص يصدر الأمر بسجنهم أو ضربهم أو قتلهم من زعيمهم هذا الذي يسمونه سلطاناً، وهناك مجموعات أو فصائل تستباح دماءها أو أموالها بناء على أمر ذاك الزعيم، وهذا السلطان يصدر تلك الأوامر بناء على ما تهواه نفسه بلا نظر في الأدلة والبيانات وبلا سماع دفاع المتهم عن نفسه بل وعادة بلا علم شرعي عنده أصلاً ولا لرجوع لأهل العلم، فإن اعترض معترض على هذا الظلم، قيل له: هذا حكم سلطاني، اختص به السلطان لا القضاء، وهو من الأحكام السلطانية المذكورة في كتب الفقه؛ وبتلك الطريقة البدعية أزهقت أرواح كثيرة، وحبس رجال أطهار، وسُرقت أموال معصومة، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

* وهذا الفعل افتراء على الشرع وجناية على الناس وإفساد في الأرض، وبيان ذلك

كما يلي:

– أولاً: أن الله جل وعلا أمر بالعدل:

فالعدل والحكم بما أنزل الله تعالى واجب أوجبه الله سبحانه وأمر به ونهى عن مخالفته،

(١) كتبت سنة ١٤٤٢هـ.

قال جل وعلا: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾، وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّوا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَّ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾.

بل إن الله تبارك وتعالى حذر أنبياءه صلوات الله عليهم وسلامه من خطورة اتباع الهوى في الحكم، فقال جل وعلا: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾، وقال سبحانه: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾.

– ثانيا: أن العدل له طرقه ووسائله الشرعية التي يجب اتباعها:

فالعدل الذي أمر به الله جل وعلا هو ما أنزله سبحانه وشرعه في دينه الذي ارتضاه لنا وهو الإسلام، فالعدل يبحث عن حكم الله جل وعلا في الواقعة؛ لذا فهو يبذل وسعه في فهم أحكام الله تعالى وأوامره ونواهيه وحقوقه وحقوق عباده، ويبذل وسعه في فهم الواقع وتصوره على حقيقته وإلحاقه بالحكم الذي يرضي الله جل وعلا، ولا يستقيم بذل الوسع في فهم أحكام الله تعالى وتصور الواقع على حقيقته إلا بتجرد القلب لله تعالى والرجوع لأهل العلم وسؤال أهل الذكر والمشورة واستعفاء المرء مما لم يحسنه وتفويض من يحسنه..

ولذا اعتنى علماء الإسلام بشرح وتفصيل ما يؤدي للعدل سواء في تبين الأحكام الشرعية أو في تنزيلها على الوقائع وسواء كان العدل بمعناه العام في الحياة كلها أم بمعناه الخاص في تصرفات الولاة والقضاة، بل والعدل في أنواع القضاء سواء دخل في المعنى الاصطلاحي للقضاء أم لم يدخل، كما قال ابن تيمية: "والقاضي اسم كل من قضى بين اثنين وحكم بينهما، سواء كان خليفة، أو سلطانا، أو نائبا، أو واليا؛ أو كان منصوبا ليقضي

بالشرع أو نائباً له، حتى من يحكم بين الصبيان في الخطوط إذا تخايروا. هكذا ذكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو ظاهر"، واعتنوا بتفصيل العدل في كل جزئية من تلك العموميات، حتى ذكروا ما يلزم القاضي في خاصة نفسه وهيئة أَعوانه ومجلس قضاائه وسيرته مع المتخاصمين وتقريراته للبينات وإصدار الأحكام..

* لذا فلا غرابة أن يكون التنصيب على أن اتباع عدل الإسلام هو الواجب المتعين على المسلم لا ما يهواه أي أحد ويظنه عدلاً، قال ابن تيمية: "من استحل أن يحكم بين الناس بما يراه هو عدلاً من غير اتباع لما أنزل الله فهو كافر؛ فإنه ما من أمة إلا وهي تأمر بالحكم بالعدل، وقد يكون العدل في دينها ما رآه أكابره، بل كثير من المنتسبين إلى الإسلام يحكمون بعاداتهم التي لم ينزلها الله سبحانه وتعالى، كسوالف البادية، وكأوامر المطاعين فيهم، ويرون أن هذا هو الذي ينبغي الحكم به دون الكتاب والسنة. وهذا هو الكفر، فإن كثيراً من الناس أسلموا ولكن مع هذا لا يحكمون إلا بالعادات الجارية لهم التي يأمر بها المطاعون، فهؤلاء إذا عرفوا أنه لا يجوز الحكم إلا بما أنزل الله فلم يلتزموا ذلك، بل استحلوا أن يحكموا بخلاف ما أنزل الله فهم كفار، وإلا كانوا جهالاً".

– ثالثاً: تحري العدل أوجب على الولاة من غيرهم:

الولايات تكليف واختبار وهي امتحان من الله جل وعلا لعباده لينظر كيف يعملون، وكلما عظمت الولاية كلما عظم الوجوب وكان العدل أوجب، والتزام أوامر الشرع في وسائل العدل ومقاصده أكد، قال صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنْ أَمِيرٍ يَلِي أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ، ثُمَّ لَا يَجْهَدُ لَهُمْ وَيَنْصَحُ، إِلَّا لَمْ يَدْخُلْ مَعَهُمُ الْجَنَّةَ» متفق عليه.

فإذا كان العلم والمشورة وبذل الوسع واجبا على القضاة فهو على السلطان أوجب؛ فالأصل في السلطان أنه عالم مجتهد رتبته أعلى من رتبة المختص بالقضاء، وما القاضي إلا نائب عنه؛ لذا ذكر الماوردي أن شرط السلطان ومن ينوب عنه في إمارة عامة: "العدالة على

شروطها الجامعة والعلم المؤدي إلى الاجتهاد في النوازل والأحكام".

وقال القرافي: "الإمامة جزؤها القضاء والفتيا. ولهذا اشترط فيها من الشروط ما لم يشترط في القضاة والمفتين،... الإمامة لما عظم خطرهما اشترط الشارع فيها ما لم يشترطه في غيرها، وما عز شيء وعلا شرفه إلا عز الوصول إليه، وكثرت القواطع دونه".

وقال العز بن عبد السلام: "يتصرف الولاة ونوابهم بما ذكرنا من التصرفات بما هو الأصح للمولى عليه درءا للضرر والفساد، وجلبا للنفع والرشاد، ولا يقتصر أحدهم على الصلاح مع القدرة على الأصح إلا أن يؤدي إلى مشقة شديدة، ولا يتخيرون في التصرف حسب تخيرهم في حقوق أنفسهم مثل أن يبيعوا درهما بدرهم، أو مكيلة زبيب بمثلها لقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، وإن كان هذا في حقوق اليتامى فأولى أن يثبت في حقوق عامة المسلمين فيما يتصرف فيه الأئمة من الأموال العامة؛ لأن اعتناء الشرع بالمصالح العامة أوفر وأكثر من اعتناؤه بالمصالح الخاصة".

— رابعا: ما خرج عن العدل من أفعال الولاة فهو جور وظلم:

إذا خرجت أفعال الولاة عن العدل، فلم تكن قائمة على علم بالشرع وعلم بالواقع واجتهاد في تحصيل الحق فهي جور وظلم وباطل، ونسبتها لتحكيم الشريعة يدخل في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾، ولذا نص الفقهاء ليس على مجرد رد حكم الأمير إن لم يكن مبنيا على اجتهاد شرعي صحيح بل على ما هو أوسع من ذلك وهو رد فعله المصلحي إذا لم يراعي فيه مصلحة المسلمين، قال ابن عابدين: "إذا كان فعل الإمام مبنيا على مصلحة فيما يتعلق بالأمر العامة لم ينفذ أمره شرعا إلا إذا وافقها، فإن خالفها لا ينفذ".

وإن الإسلام بريء من ظلم الطغاة الذين تسلطوا على الأمة فأمرؤا بسجن هذا وقتل ذاك بلا علم شرعي أصلا ولا رجوع لأهل العلم ولا نظر في تفاصيل الأمور ولا مراعاة لمصالح

الأمة ولا سماع لدفاع المظلوم، بل وبلا ولاية أصلا لأكثرهم ولا سلطان!.

وإن نسبة ذلك الظلم للإسلام ولتطبيق الشريعة هو كذب على الله وعلى دينه وعلى قضائه الشرعي وعلى الإسلام والمسلمين، وقد كان علماء الأمة يسمون الأشياء على حقيقتها ولا ينسبون ظلم الطغاة للأحكام السلطانية والقضاء الشرعي، ويصفون الطغاة بالأوصاف التي تليق بهم؛ كما كان يقول الذهبي في سيره عن أمثال هؤلاء: "كان ظلوما عسوفاً..، كان ظلوما عاتياً..، كان ظلوما جباراً..، كان ظلوما متجبراً سفاكاً للدماء..، كان طياشا ظلوما..".

= إن التصور الساذج لسلطات السلطان وأنه مفوض تفويضاً تاماً، فيأمر بالقبض على من يهوى القبض عليه، ثم يقول وهو يحتسي كأساً من الشراب الساخن أو البارد: اقتلوه، فيقتلوه، ثم يقول عن الآخر: أطلقوه، فيطلقوه..، هذا تصور يصدق على حكم طواغيت الكنيسة الذين يخلون ويحرمون بأهوائهم، ويصدق على طواغيت الحكم الفرعوني والديكتاتور، ونسبته للشريعة كنسبة عبادة القبور ودعاء الأموات للإسلام.

والحمد لله رب العالمين.

السجون في الواقع الثوري (إشكاليات وحلول) ١

زرت يوماً أحد السجون فرأيت شاباً حسن الهمام، فسألت عن سبب حبسه، فقبل: إن ليلة زفافه كانت بالأمس، وقد حصل إطلاق نار فرحاً بالزفاف، وقد تقرر عندنا أنه إذا حصل إطلاق نار عند الزواج يتم حبس الزوج إلى أن يدفع أهله ثمن بارودة تعزيراً وزجراً عن هذا الفعل الذي قد يعرض حياة أبرياء إلى الخطر..

تأملت في هذه الحادثة، وصحيح أن هذه العقوبة قد تقلل ظاهرة إطلاق النار في الأعراس، ولكن الأثر السيئ الذي سيخلد في ذهن الزوج وزوجته وأهلها والبيئة المحيطة بهما لا يمكن التغاضي عنه.

لم يكن هذا الموقف الوحيد الذي لاحظته في سجون الثورة عبر الأعوام الماضية، بل هناك الكثير من المواقف والأحداث التي تؤكد وجوب مراجعة هذا الملف الخطير وعلاج الإشكاليات التي ظهرت في طريقة التعامل معه.

* أولاً- من أهم الإشكاليات المتعلقة بملف سجون الثورة ما يلي:

١- أن السجن تحول إلى عقوبة أصلية في عامة القضايا:

السجن والحبس مشروع في الأصل كعقوبة من ضمن عقوبات كثيرة أصلية وفرعية تهدف إلى تحقيق المصلحة ودفع المفسدة، وقد يستدل لها بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثَخِنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾، وقوله جل وعلا: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾..

فجواز الأصل وهو الحبس كعقوبة لا يعني جوازه وصلاحيته لكل عقوبة، فضلا عن أن يكون أصلا يصار له عند وقوع شخص في خطأ في أي قضية سواء أكانت جنائية أو جزائية أو مالية أو سياسية أو عسكرية أو إدارية..

بل وأصبح السجن أصلا يصار له كثيرا لا من أجل وقوع خطأ بل من أجل الاستيثاق والثبوت والاحتياط...، وأصبح قرار الحبس بيد عدد كبير من الجهات والاختصاصات. ومما يزيد الإشكال قيام بعض الجهات بتقنين عقوبة السجن وجعلها أمرا لازما وعادة متبعة لعدد كبير من التجاوزات، فلا يكون للقاضي خيارات أخرى. وهذا سبب زيادة أعداد السجناء، وزيادة الإشكاليات التي تترتب على ذلك.

٢- أن السجن في الواقع الثوري يزيد ضخامة الإشكاليات الاجتماعية:

لقد نتج عن الحرب المستمرة منذ تسع سنين في سوريا الكثير من الإشكاليات الاجتماعية؛ مثل انخفاض معدل الدخل، وازدياد الفقر، وتهجير كثير من السكان، وغربة كثير من الأسر في المناطق السكنية التي تنزح لها، وتفرق الأسرة الواحدة في عدة مناطق أو دول، يضاف إلى ذلك المخاطر المستمرة المتعلقة بالقصف الهمجي، والانقطاع المتكرر للخدمات الرئيسية كالكهرباء والماء وبعض أنواع الدواء، وتدني المستوى التعليمي للأولاد في المدارس..، إلى غير ذلك من إشكاليات ظاهرة تحتاج دوما إلى جهد ومتابعة لتجاوز بعض آثارها.

فإذا أضيفت لهذه الإشكاليات إشكالية السجن الذي يقع غالبا على رب الأسرة أو على شخص محوري فيها، فإن هذا يؤدي عادة إلى الارتفاع الشديد في مستوى المعاناة، مما يجعل الأسرة في مهبط الريح، لا تجد قوتها ولا تستطيع تحصيل مصالحها، مما يترتب عليه أحيانا عديدة التشريد والضياع لأسرة كاملة.

٣- عدم قدرة المؤسسات الثورية على توفير الرعاية المناسبة للسجين:

السجن ليس مجرد أمر بجس شخص، بل هو كذلك تولي مسؤولية شخص ورعاية أموره بعد منعه من مباشرة ذلك بنفسه خارج السجن، وهذا يستدعي توفير المكان المناسب للمقام فيه، وكذا الغذاء والفرش والدواء المطلوب... ويضاف إلى ذلك تيسير اطمئنانه على أهله واطمئنانهم عليه وزيارتهم له.

والسجن له هدف تربوي فلا بد فيه من مراعاة أحوال المساجين وأسباب سجنهم وأعمارهم وأخلاقهم، فللرجل سجن غير سجن الفتى، والمعروف بالاستقامة لا يوضع بين كبار المجرمين، ومن يراد الاستيثاق بحبسه تختلف معاملته عن من يراد كسر طغيان نفسه.

والمرأة المسجونة تحتاج إلى سجينات يحسن التعامل معها، وتحتاج إلى مراعاة حال أطفالها..

وكذلك اختيار المكان الآمن الذي يحميهم من قصف العدو ويقلل الخسائر لأدنى مستوى ممكن.

والواقع يؤكد أن كثيرا من تلك الأمور لا تتحقق، فيتم حشر الناس في سجون ضيقة يجد المرء فيها بصعوبة مكانا لنومه، مع الضعف الشديد في العناية الطبية فتنتشر الأمراض، ويعانون شدة الحر صيفا وشدة الرطوبة شتاء، ويكون الغذاء عادة متدني الجودة، ويجتمع في المكان الواحد الصالح مع الطالح والصغير مع الكبير، ويتم قصف السجون فيستشهد الكثيرون..، إلى غير ذلك من المآسي المعروفة.

٤- أن التوسع في السجن يتنافى مع الطبع الثوري للمجتمع:

ليست الثورة مجرد اعتراض ضد الطاغية، بل هي كذلك إعادة تشكيل لنفسية المجتمع الثائر؛ بحيث تزداد فيه معاني وأخلاق العزة والكرامة والأنفة والإباء، ويبتعد أكثر عن أخلاق الخنوع والذلة والهوان..

والتوسع في السجون في هذا المجتمع الثوري، مع العجز بسبب الظروف المحيطة عن تهيئة أجواء من العيش الكريم والمعاملة الحسنة للسجين وأهله، يؤدي إلى شعور المجتمع بالإهانة والظلم من المجموعات الثورية التي تدير المكان المحرر الذي يقطنون فيه، وتتولد الكراهية بين المجتمع الثوري والفصائل التي تدير تلك السجون، مما يضعف الحاضنة الشعبية لتلك الفصائل، ويهدد بثورة مجتمعية ضد مظاهر الظلم والإهانة التي يستشعرها هذا المجتمع الثوري الذي يأبى الهوان ولو كان باسم الثورة.

* ثانيا- من أهم الحلول لإشكاليات سجون الثورة ما يلي:

١- توسيع دائرة العقوبة والضمان ليكون اللجوء للسجن في أضيق الحدود:

السجن في جل الحالات في واقعنا هو خيار له بدائل كثيرة، فإن كان السجن لعقوبة تعزيرية فالعقوبات التعزيرية، يمكن العفو فيها، ومن تتبع السيرة النبوية علم أن العفو كأنه أصل في كثير من المواقف التي ارتكب فيها البعض أخطاء ولو كانت كبيرة، فإن لم يكن العفو فهناك الصلح والإصلاح، وهو وسيلة شرعية لتجاوز كثير من الإشكاليات.

وهناك عقوبات أخرى غير السجن يمكن منها اختيار ما يناسب كل شخص وواقعة وبيئة؛ فمن ذلك: الاعتذار، والتوبيخ، والجلد، والهجر، والعزل من الوظيفة، وحلاقة شعر الرأس أو حلاقة الشوارب، والإقامة الجبرية في المنزل، والتشهير الإعلامي، والتكليف بعمل في خدمة عامة، والتعزير المالي، والحجر المالي، وسحب الأوراق الرسمية، والمنع من السفر، والإخراج من منطقة سكنية معينة... وغير ذلك الكثير.

وهذا التعدد في اختيار العقوبات يقتضي التراجع عن التوسع في التقنين الذي ترتبت عليه زيادة أعداد السجناء؛ ليكون القاضي محيرا في الاجتهاد وتوخي المصلحة حسب الوقائع المحيطة بالقضية.

وكذلك يمكن تضيق السجن في حالات الاشتباه والاستيثاق عن طريق التوسع في:

الرهن، والضمان، والكفالة، والوكالة، والحجر، وتحديد الإقامة..، بناء على ظروف كل حالة على حدة.

٢- تضييق الدائرة المخولة بقرار وضع الشخص في السجن:

من الملاحظ في المناطق المحررة أن إجراءات سجن الشخص أيسر كثيرا من إجراءات الإفراج عن سجين؛ وسبب ذلك تحويل عدد كبير من الجهات ومن المستويات الإدارية بتحويل الشخص إلى السجن، وحصر الإفراج بيد جهات أقل، والمطلوب قصر قرار السجن على أقل عدد ممكن؛ بحيث يقع السجن فعلا على من يستحقه، وتقل حالات السجن لأسباب واهية أو غير كافية أو لها بدائل أخرى.

٣- تجهيز السجون ورفع كفاءة العاملين فيها بما يلبي احتياجات ومشاعر وأمن

السجين وأهله:

السجن ليس مجرد قرار بإيقاف شخص ما، بل هو مؤسسة متكاملة تعنى باختيار المكان المناسب وتجهيزه باللوازم الفنية المناسبة؛ ليليق بكرامة الإنسان الذي سيدخله، ويلبي الاحتياجات التي تلزمه، ويكون واجهة ثورية مناسبة أمام أهل السجين..
ومما يساعد في ذلك جعل السجون مناطقية لا مركزية؛ بحيث لا تتكدس فيها أعداد المساجين، واختيارها في مناطق آمنة، وبمبان قوية وسبعة، وتوزيعها لأقسام عديدة تراعي أنواع السجناء وقضاياهم وأحوالهم..

وكذلك فإن التعامل مع العدو على الجهات يختلف تماما عن التعامل مع السجين في القضاء، فالأصل أن يتم إعداد فريق السجن ثقافيا وتربويا وسلوكيا ليحسنوا التعامل مع المساجين وكذلك مع أهلهم بأخلاق الإسلام، مع علمهم بأن الأصل فيهم أنهم ليسوا طرفا ضد السجين، بل هم جهة خدمية وتنظيمية يؤديون الواجبات المنوطة بهم..

ولا مانع غالبا من التوسيع على السجناء في: لعب الرياضة، وإكمال الدراسة، والقيام بأعمال حرفية ومهنية وصناعية يتكسبون منها وهم سجناء، والتواصل الهاتفي المستمر مع الأهل، بل ووضع آلية لتيسير خروج السجن المؤقت أثناء فترة سجنه - طالما لا ضرر في ذلك - لزيارة أهله في المناسبات الاجتماعية كالزواج والولادة والمرض والوفاة والأعياد، وما شابه ذلك..

٤- توجيه المنظمات والجمعيات والمجالس المحلية والخدمية والوجهاء إلى رعاية السجناء وأهاليهم:

من الوسائل التي تساعد على تجاوز بعض الآثار السيئة للسجن توجيه بعض الأعمال الخيرية لمزيد رعاية السجناء وأهاليهم؛ بحيث تساعد تلك الأعمال الخيرية في تحسين طعام السجن ودوائه وملابسه وظروف إقامته في السجن، وكذلك تساعد أهالي السجناء في تلبية احتياجاتهم الاجتماعية والتربوية والتعليمية..؛ بحيث لا تضيق الأسرة مع غياب أحد أفرادها.

٥- وجود لجان مراقبة ومحاسبة تعنى بمراعاة حقوق السجن وأهله:

من أمن العقوبة أساء الأدب، هي قاعدة تأخذ حكم الأغلب، فكلما ضعفت أو انعدمت المراقبة والمحاسبة تدهور الوضع الإنساني للسجين وأهله، فلا بد من اعتماد لجان ذات كفاءة وأمانة تنظر في أحوال منظومة السجن النظرية والعملية، لترتقي بها، وتحاسب المقصرين وتنتصف للمظلومين، وبذلك يمكن العمل على نشر ثقافة الثقة بين المجتمع والجهات الشرطية والقضائية.

والحمد لله رب العالمين.

تعهد السجين هل يلزمه؟^١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.. وبعد؛

فإن من أساليب الطغاة التي انتشرت في العقود الأخيرة أسلوب إجبار المساجين الإسلاميين على التوقيع على ورقة تعهد قبل الخروج من السجن، تتضمن هذه الورقة عادة التزاماً بعدم فعل أمور معينة؛ مثل: الجهاد، أو الدعوة إلى الله، أو الخروج من المنطقة، أو العمل مع جماعة إسلامية ما، أو الفتيا، أو يتعهد بالتبليغ عن له نشاط إسلامي..، ويوهم السجانون ذاك السجين أن التزامه بهذا التعهد هو واجب شرعي أمر به الله جل وعلا لقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾.

لذا اقتضت الحاجة تدارس هذا العهد الذي يوقعه السجين وآثاره، فيما يلي:

* أولاً: فضل الوفاء بالعهد:

العهد هو كما قال ابن منظور في لسان العرب: "كُلُّ مَا عُوِّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَكُلُّ مَا بَيَّنَّ الْعِبَادَ مِنَ الْمَوَاقِفِ". وقال ابن عاشور في تفسيره: "الْعَهْدُ الْوَعْدُ الْمَوْثِقُ بِإِظْهَارِ الْعَزْمِ عَلَى تَحْقِيقِهِ مِنْ يَمِينٍ أَوْ تَأْكِيدٍ".

والوفاء بالعهد هو كما قال الشوكاني في فتح القدير: "الْقِيَامُ بِحِفْظِهِ عَلَى الْوَجْهِ الشَّرْعِيِّ وَالْقَانُونِ الْمَرْضِيِّ، إِلَّا إِذَا دَلَّ دَلِيلٌ حَاصٌّ عَلَى جَوَازِ النَّقْضِ".

- وقد حث الإسلام على الوفاء بالعهد وجعله من خصال المؤمنين وجعل الغدر من

خصال المنافقين؛ قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ﴾.

وقال سبحانه: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾.

(١) كتبت سنة ١٤٤٢ هـ.

وقال جل وعلا: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾.
ووصف سبحانه الأبرار بقوله: ﴿وَالْمُؤْفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا﴾.

وقال صلى الله عليه وسلم: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصَلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصَلَةٌ مِنَ النَّفَاقِ حَتَّىٰ يَدْعَهَا: إِذَا أُوثِمْنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ» متفق عليه.

وقال صلى الله عليه وسلم: «لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ» رواه أحمد.

وقال صلى الله عليه وسلم: «إِذَا جَمَعَ اللَّهُ الْأَوْلِيَيْنَ وَالْآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لُؤَاءٌ، فَقِيلَ: هَذِهِ غَدْرَةُ فَلَانِ بْنِ فَلَانٍ» متفق عليه.

والوفاء بالعهد درجات كما أن عدم الوفاء دركات؛ فليس عهد الله كعهد البشر، وليس عهد الزواج كعهد الصداقة، وليس العهد المؤكد كالعهد العابر، ولمباحث الوفاء بالعهد صلة بمباحث الأيمان والنذور والعقود والشروط؛ فبين العهد وتلك المصطلحات تداخل وتشابه في كثير من التأصيلات والتفريعات والمسائل.

* ثانيا: السجن إكراه:

من المؤثرات التي تتعلق بالأفعال وتؤثر في الأحكام الشرعية الإكراه؛ حيث إن الإكراه يؤدي لنقص في الأهلية وتترتب عليه آثار في اعتبار أقوال وأفعال المكره، ومن صور الإكراه السجن، والأصل في تعهد السجين أنه تعهد تحت إكراه.

قال ابن حجر في فتح الباري: "الإكراه، هو إلزام الغير بما لا يريد..، واختلف فيما يهدد به؛ فاتفقوا على القتل وإتلاف العضو والضرب الشديد والحبس الطويل، واختلفوا في سائر الضرب والحبس كيوم أو يومين".

وقال ابن رجب: "لو تلفظ الأسير بكلمة الكفر ثم ادعى أنه كان كرها فالقول قوله؛ لأن الأسر دليل الإكراه والتقية".

وقال ابن تيمية في الفتاوى: "أَقْوَالُ الْمُكْرِهِ بَعِيرٌ حَقٌّ لَعْوٌ عِنْدَنَا: مِثْلُ كُفْرِهِ وَطَّلَاقِهِ وَبَيْعِهِ وَشِرَائِهِ، فَإِذَا أُكْرِهَ الْبَيْعَانِ عَلَى الْعُقْدِ فَهُوَ بَاطِلٌ".

وقال ابن رجب في جامع العلوم والحكم: "إذا أكره بغير حقٍّ على قولٍ من الأقوال، لم يترتب عليه حكمٌ من الأحكام وكان لغواً، فإنَّ كلامَ المكره صدرَ منه وهو غيرُ راضٍ به، فلذلك عُفِيَ عنه، ولم يُؤَاخَذْ به في أحكام الدنيا والآخرة. وبهذا فارق النَّاسِي والجاهل، وسواء في ذلك العقود: كالبيع، والنكاح، أو الفسوخ: كالتخلع والطلاق والعتاق، وكذلك الأيمان والتَّنْذُور، وهذا قولُ جمهور العلماء، وهو قولُ مالك والشافعي وأحمد".

وقال ابن حجر الهيتمي في الفتح المبين: "جمهور العلماء: أن جميع أقوال المكره لعوٌ لا يترتب عليها مقتضاها، سواء العقود والفسوخ وغيرها، والأصح عندنا كالجمهور: أن المكره لا يحنث أيضاً، واستدل له الشافعي فقال: قال الله جل ثناؤه: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ وللکفر أحكامٌ، فلما وضع الله تعالى الإثم سقطت أحكام الإكراه عن القول كله؛ لأن الأعظم إذا سقط عن الناس سقط ما هو الأصغر منه".

* ثالثاً: تعهد السجين:

الأصل في تعهد السجين أنه تعهد وقع تحت الإكراه، فينقسم حينها التعهد إلى الأقسام التالية:

١- إن كان إكراه السجين على التعهد بحقٍ وجب عليه: مثل التعهد بسداد دين وجب عليه، أو الامتناع عن ظلم سبق وقام به، أو المحافظة على الفرائض وما شابه ذلك، فالتعهد صحيح ويجب الوفاء به، والوفاء بالعهد للناس هذا فرع من الوفاء بالعهد لله جل وعلا والاستجابة لإمره، قال السيوطي في الأشباه والنظائر: "الإكراهُ بِحَقِّ لَهْ، وَتَحْتَ ذَلِكَ صَوْرٌ: الإِكْرَاهُ عَلَى الأَذَانِ، وَعَلَى فِعْلِ الصَّلَاةِ، وَالْوُضُوءِ وَأَرْكَانِ الطَّهَّارَةِ، وَالصَّلَاةِ، وَالْحَجِّ، وَأَدَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْكَفَّارَةِ، وَالدَّيْنِ وَبَيْعِ مَا لَهُ فِيهِ، وَالصَّوْمِ، وَالاسْتِئْجَارِ لِلْحَجِّ، وَالْإِنْفَاقِ عَلَى

رَقِيقِهِ، وَبَهِيمَتِهِ، وَقَرِيْبِهِ، وَإِقَامَةِ الْحُدُودِ... وَعُغْسِلِ الْمَيِّتَ وَالْجِهَادِ، فَكُلُّ ذَلِكَ يَصِحُّ مَعَ الْإِكْرَاهِ".

٢- إن كان إكراه السجين على التعهد بفعل معصية: مثل ترك الجهاد في سبيل الله

تعالى وهجران إخوانه والتجسس على المسلمين، فالتعهد باطل يحرم الوفاء به، قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾.

وقال صلى الله عليه وسلم: «الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ» متفق عليه.

وقال عليه الصلاة والسلام: «الْمُسْلِمُونَ عَلَى شُرُوطِهِمْ، إِلَّا شَرْطًا حَرَّمَ حَلَالًا، أَوْ

أَحَلَّ حَرَامًا» رواه الترمذي وابن ماجه.

وقال صلى الله عليه وسلم: «مَا بَالَ رَجَالٍ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا لَيْسَتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ، مَا

كَانَ مِنْ شَرْطٍ لَيْسَ فِي كِتَابِ اللَّهِ فَهُوَ بَاطِلٌ، وَإِنْ كَانَ مِائَةَ شَرْطٍ، قَضَاءُ اللَّهِ أَحَقُّ،

وَشَرْطُ اللَّهِ أَوْثَقُ» متفق عليه.

وقال صلى الله عليه وسلم: «لَا نَذَرَ فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ» رواه مسلم.

وعدم الوفاء بالعهد المخالف للشرع محل اتفاق بين العلماء في الأصل وإن وقع بينهم

خلاف في تنزيل ذلك على الوقائع، قال ابن تيمية في الفتاوى: "الأعمال لا بد أن تكون من

الطاعات التي يحبها الله ورسوله، فإذا كانت منهيها عنها لم يجز الوقف عليها ولا اشتراطها في

الوقف باتفاق المسلمين، وكذلك في النذر ونحوه وهذا متفق عليه بين المسلمين في الوقف

والنذر ونحو ذلك ليس فيه نزاع بين العلماء أصلا، ومن أصول ذلك ما أخرجه البخاري في

صحيحه عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ نَذَرَ

أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللَّهَ فَلَا يَعْصِهِ» ومن أصوله ما أخرجه البخاري

ومسلم في الصحيحين عن عائشة أيضا: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب على المنبر

لما أراد أهل بريدة أن يشترطوا الولاء لغير المعتق، فقال: «ما بال أقوام يشترطون شروطا

ليست في كتاب الله؟ من اشترط شروطا ليس في كتاب الله فهو باطل وإن كان مائة شرط،

كتاب الله أحق وشرط الله أوثق» وهذا الحديث الشريف المستفيض الذي اتفق العلماء على تلقيه بالقبول اتفقوا على أنه عام في الشروط في جميع العقود ليس ذلك مخصوصا عند أحد منهم بالشروط في البيع، بل من اشترط في الوقف أو العتق أو الهبة أو البيع أو النكاح أو الإجارة أو النذر أو غير ذلك شروطا تخالف ما كتبه الله على عباده بحيث تتضمن تلك الشروط الأمر بما نهى الله عنه أو النهي عما أمر به أو تحليل ما حرمه أو تحريم ما حلله فهذه الشروط باطلة باتفاق المسلمين في جميع العقود؛ الوقف وغيره".

وقال رحمه الله في الفتاوى: "أما أن تجعل نصوص الواقف أو نصوص غيره من العاقدين كنصوص الشارع في وجوب العمل بها، فهذا كفر باتفاق المسلمين؛ إذ لا أحد يطاع في كل ما يأمر به من البشر بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، والشروط إن وافقت كتاب الله كانت صحيحة وإن خالفت كتاب الله كانت باطلة".

وقال ابن حزم في الأحكام: "من التزم في عهده وشرطه وعقده ووعدته إحلال الخنزير والأمهات وقتل النفس فإن أباح ذلك كفر..، من التزم في عهده وعقده وشرطه إسقاط الصلوات وإسقاط صوم شهر رمضان وسائر ذلك فمن أجاز ذلك فقد كفر..، من نذر أو عقد أو عاهد أو شرط أن يزني أو يكفر أو يقتل مسلما ظلما أو أن يأخذ مالا بغير حق أو أن يترك الصلاة فإنه لا يحل له الوفاء بشيء من ذلك؛ لأنه معصية".

فإذا كان العهد المحرم لا يجوز الوفاء به في حال الاختيار فعدم جواز الوفاء به في حال الإكراه أولى.

وقد اشتهر ببحث الفقهاء مسألتين تتعلقان بذلك؛ المسألة الأولى: إذا أعطى الأسير المسلم في أرض الحرب للكفار عهدا ألا يفر، هل له أن يفر؟ والمسألة الثانية: إذا نزل أهل الحرب دار الإسلام بعهد ومعهم أسارى مسلمون فهل لهم أن يعودوا بهم إلى دار الحرب؟ وهذا نقل لبعض كلامهم في المسألتين:

المسألة الأولى: إذا أعطى الأسير المسلم في أرض الحرب للكفار عهدا ألا يفرض، هل

له أن يفرض؟

اختلف الفقهاء في ذلك على قولين:

القول الأول: ذهب جمهور الفقهاء -وهو الأظهر- على أن له أن يفرض، وهذا قول

الأحناف والشافعية وبعض المالكية ورواية عند الحنابلة وقول ابن حزم.

قال الشافعي في الأم: "وَإِذَا أَسَرَ الْعَدُوُّ الرَّجُلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَخَلَّوْا سَبِيلَهُ وَأَمَّنُوهُ وَوَلَّوْهُ ضِيَاعَهُمْ أَوْ لَمْ يُوَلَّوْهُ فَأَمَّاهُمْ إِيَّاهُ أَمَانٌ لَهُمْ مِنْهُ وَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَغْتَابَهُمْ وَلَا يَخُونَهُمْ. وَأَمَّا الْهَرَبُ بِنَفْسِهِ فَلَهُ الْهَرَبُ...، وَإِذَا أَسَرَ الْمُشْرِكُونَ الْمُسْلِمَ فَخَلَّوْهُ عَلَى فِدَاءٍ يَدْفَعُهُ إِلَيْهِمْ إِلَى وَقْتٍ وَأَخَذُوا عَلَيْهِ إِنْ لَمْ يَدْفَعْ الْفِدَاءَ أَنْ يَعُودَ فِي إِسَارِهِمْ فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَعُودَ فِي إِسَارِهِمْ، وَلَا يَنْبَغِي لِلْإِمَامِ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَعُودَ أَنْ يَدَعَهُ وَالْعُودَةَ، وَإِذَا كَانُوا امْتَنَعُوا مِنْ تَخْلِيَّتِهِ إِلَّا عَلَى مَالٍ يُعْطِيهِمْ فَلَا يُعْطِيهِمْ مِنْهُ شَيْئًا لِأَنَّهُ مَالٌ أَكْرَهُهُ عَلَى أَخْذِهِ مِنْهُ بَعِيرٌ حَقٌّ...، إِذَا أُسِرَ الْمُسْلِمُ فَأَخْلَفَهُ الْمُشْرِكُونَ أَنْ يَثْبُتَ فِي بِلَادِهِمْ وَلَا يُخْرِجُ مِنْهَا عَلَى أَنْ يُخْلُوهُ فَمَتَى قَدَرَ عَلَى الْخُرُوجِ مِنْهَا فَلْيُخْرِجْ؛ لِأَنَّ يَمِينَهُ يَمِينُ مُكْرَهٍ وَلَا سَبِيلَ لَهُمْ عَلَى حَبْسِهِ وَلَيْسَ بِظَالِمٍ لَهُمْ بِخُرُوجِهِ مِنْ أَيْدِيهِمْ، وَلَعَلَّهُ لَيْسَ بِوَاسِعٍ أَنْ يُقِيمَ مَعَهُمْ إِذَا قَدَرَ عَلَى التَّنَجِّي عَنْهُمْ، وَلَكِنَّهُ لَيْسَ لَهُ أَنْ يَغْتَابَهُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ إِذَا أَمَّنُوهُ فَهُمْ فِي أَمَانٍ مِنْهُ، وَلَا نَعْرِفُ شَيْئًا يُرَوَى خِلَافَ هَذَا".

وقال السرخسي في شرح السير الكبير: "لَوْ قَالُوا لَهُ تُخَلِّي سَبِيلَكَ وَنُؤْمِنُكَ وَتُؤْمِنُنَا عَلَى

أَلَّا نُخْرِجَ مِنْ بِلَادِنَا، فَأَعْطَاهُمْ ذَلِكَ، ثُمَّ قَدَرَ عَلَى الْخُرُوجِ فَلَا بَأْسَ بِأَنْ يُخْرِجَ".

القول الثاني: ذهب بعض المالكية والحنابلة إلى أن الأسير إذا أعطى الكفار عهدا في دار

الحرب أنه لن يفرض فيهم لهم بالعهد ولا يفرض، وقد نقل ابن المناصف المالكي في كتاب الإنجاد

في أبواب الجهاد قول المالكية واختلافهم، ثم رجح قول الجمهور السابق، فقال: "اختلف

أصحاب مذهب مالك في الأسير من المسلمين في دار الحرب يكون مُخْلِئاً: هل يجوز له أن يَعْذُوَ على ما يستطيع فيهم من مالٍ ونفسٍ، ويهرب؟ قال ابن القاسم: الذي كنا نحفظه من قول من نرضى -وأنا أشك أن يكون مالكاً-، أنه إن كان أرسل على أمانٍ، لم يَحِلَّ له أن يهرب، ولا أن يأخذ من أموالهم شيئاً، وإن أرسلوه على غير أمان، بمنزلة ما يملكون من الرقيق قوة عليه لا يخافونه؛ فليقتل وليأخذ ما شاء. فهذا التفريق من مالكٍ رحمه الله لا يعدو القانون المتقدم، وهو مراعاة اطمئنانهم: هل هو تعويلٌ على ائتمانه والثقة به، فلا يجوز له مع ذلك فعل شيء مما ينافي ذلك؛ لأنه يكون خيانة، أو إنما وَثِقُوا بِقُوَّتِهِمْ عليه وضبطهم، فيكون حينئذٍ: لا حرج عليه فيما فعل من ذلك كَلِّه. وعنه في المسألة قولٌ ثانٍ، روى مطرفٌ وابن الماجشون عن مالكٍ: أن له أن يهرب بنفسه، وإن أطلقوه على وجه الائتمان له والطمأنينة إليه، ما لم يأخذوا على ذلك عهده. وجه هذه الرواية: أنه رأى اطمئنانهم إليه وائتمانهم عاملاً في ألا يخونهم في شيءٍ من دَمٍ أو مالٍ، ولم يَرِ ذلك عاملاً في الفرار بنفسه؛ لأنه واجب عليه لا يحل له الإقامة مع الكفَّار مع إمكان الفرار، وفيها قولٌ ثانٍ للمخزومي وابن الماجشون: أن له أن يهرب ويأخذ من أموالهم ما قدر عليه، ويقتل إن قدر، وإن ائتمنوه ووثقوا به واستحلفوه، فهو في فسحةٍ من ذلك كله، ولا حنث عليه في يمينه؛ لأن أصل أمره الإكراه، فهذا القول منصوصٌ فيه على توجيهه: وهو مراعاة الإكراه؛ لأن الأسير مغلوبٌ، لا يملك من أمره شيئاً، فهو مكره لم يُعط ذلك عن اختياره، والمكْرَه في سَعَةِ ما أُكْرَه عليه، فذلك هو العلة عندهم في استباحة ما رأوه مباحاً له. فأما قولهم في إباحة الهروب له فظاهر؛ لأنه واجبٌ عليه ألا يقيم معهم، ولا وفاء بمعصية، وأما إباحة ما وراء ذلك من أموالهم، ودمائهم، بعد أن أخذوا عهده واستحلفوه: فباطل، والوفاء عليه واجب؛ لأنه لا ضرورة إلى ذلك، ولا حجَّة في أنه كالمكْرَه على إعطاء العهد..، قال الشافعي: أَمَّنُوهُ، فأمانهم إياه أمانٌ لهم منه، وليس له أن يغتالهم ولا يخونهم، فأما الهرب بنفسه: فله الهرب..، وهذا أرجح الأقوال في ذلك، للأدلة التي قدمنا".

المسألة الثانية: إذا نزل أهل الحرب دار الإسلام بعهد ومعهم أسارى مسلمون فهل

لهم أن يعودوا بهم إلى دار الحرب؟

جمهور العلماء على منعهم من العودة بأسارى المسلمين، والخلاف في هذه المسألة أضعف من الخلاف في التي قبلها، بل نص الشافعي رحمه الله في الأم أنه "إِذَا دَخَلَ الْحَرْبِيُّ دَارَ الْإِسْلَامِ بِأَمَانٍ وَمَعَهُ مَمْلُوكَةٌ أَوْ مَمْلُوكٌ فَأَسْلَمَ أَوْ أَحَدُهُمَا أُجْبِرْتُهُ عَلَى بَيْعِهِمَا أَوْ بَيْعِ الْمُسْلِمِ مِنْهُمَا وَدَفَعْتُ إِلَيْهِ مَنَّهُمَا، وَلَيْسَ لَهُ أَمَانٌ يُعْطَى بِهِ أَنْ يَمْلِكَ مُسْلِمًا، وَأَمَانُ الذَّمِّيِّ الْمُعَاهِدِ أَكْثَرُ مِنْ أَمَانِهِ وَأَنَا أُجْبِرُهُ عَلَى بَيْعِ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ مَمَالِكِهِ"؛ ورأي الإمام مالك هنا يوافق رأي الجمهور خلافا لرأيه في المسألة السابقة، قال ابن المناصف المالكي في كتاب الإنجاد في أبواب الجهاد: "اختلفوا في الحربي المستأمن يقدم بأسرى مسلمين أحرار أو عبيد؛ فقول:

- يُحال بينه وبينهم، ويحلى سبيل الأحرار، ويردُّ العبيد على ساداتهم، ولا يعطى المستأمن عوضاً عن ذلك شيئاً، وعلى هذا ينبغي أن يكون تأمينهم والعهد معهم، فإن عقد على غير هذا فالعقد فاسد، وانتزاعهم على كلِّ حال واجب، ولا وفاء في معصية؛ وهو قول أهل الظاهر.

- وقيل: لا يعترض في شيء من ذلك على حال، ويكون له الرجوع بهم إن شاء؛ وهو قول ابن القاسم.

- وقيل: يُنتزعون منه، ويُعطى في كلِّ مسلمٍ أوفر قيمة، قاله عبد الملك بن الماجشون، ورواه عن مالك، وكذلك قال ابن حبيب، قال: ويبيع عليه عبيده إذا أسلموا، وكذلك يفعل بالذمِّيِّ، ثم لا يكون ذلك نقضاً للعهد.

- وفرَّق بعضهم فقال: يُجبر على بيع المسلمات، ولا يُجبر في الذكران، وهي رواية عن ابن القاسم، وقاله ابن القصار.

- والأرجح إن شاء الله: ما ذهب إليه ابن الماجشون ورواه عن مالك وقاله ابن حبيب؛ لأن الوفاء لهم بالأمان واجب في النفس والمال، ما لم يعترض ذلك معصية لله عز وجل، فترك

المسلم في أيديهم مع التمكن من إرساله معصيةً، واغتيالهم فيه من غير عوضٍ خيانه، ولما كان لنا فيما أوجبه الله تعالى من فكِّ الأسارى طريقان: واحدة من جهة المحاربة والقهر، وأخرى من جهة بذل المال والفداء، ولم يكن هؤلاء من أهل الحرب: تعيّن إرساله؛ وبذل قيمته، قياماً بالفرضين: إنقاذ المسلم، والوفاء في العوّض".

وقد شنع ابن حزم في الإحكام على قول ابن القاسم من المالكية بلزوم مثل ذلك العهد، فقال: "والعجب كل العجب من المالكيين القائلين: إنه إن نزل عندنا كفار حربيون بأمان وعندهم أسارى رجال ونساء مسلمون ومسلمات أنهم لا ينتزعون منهم ويتركون ويردوهم إلى بلادهم ولا يمنعون من الوطاء، قال أبو محمد: ونحن نبرأ إلى الله عز وجل من هذا القول الملعون الذي تقشعر أجساد المسلمين من سماعه فكيف من اعتقاده، فليت شعري لو عاهدوهم على نبش قبر النبي صلى الله عليه وسلم أو على قلب المساجد كنائس أو على تعليق النواقيس في المآذن أتراهم كانوا يرون الوفاء لهم بهذه العهود؟!...، وقد علمنا أنه لا ظلم للمسلم ولا إسلام له ولا خذلان له ولا تضييع لحاجته ولا أتم لكربته ولا فضيحة له ولكل مسلم ولا أشد خلافا على الله تعالى وعلى رسول صلى الله عليه وسلم من ترك المسلم والمسلمة عند المشرك يذلها ويطؤها".

* إذن لا يجوز الوفاء بعهد السجين على فعل معصية، أما مسألة الإكراه والضرورة التي تلجئ لفعل تلك المعصية بعد خروج السجين، فهذا يُبحث في باب الإكراه والضرورة والموازنة بين المصالح والمفاسد، وليس في باب الوفاء بالعهد.

٣- إن كان إكراه السجين على التعهد بفعل لا يجب عليه ولا يحرم: مثل ترك جهاد كفائي قام من يسده، أو الانتقال من بلد إلى آخر، فالتعهد غير لازم له؛ لأنه مكره، ولكن يشرع أن يسدد ويقارب بالمعروف حفظا لحق العهد وصيانة للعهود من الابتدال، مع

ملاحظة أنه كلما كان الفعل أقرب للمشروع كان الوفاء به أولى وكلما كان الفعل أقرب للممنوع كان أقل مرتبة.

ويدل على التسديد والمقاربة في الوفاء بالعهد في مثل هذه الحالة، ما رواه مسلم عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، قال: «مَا مَنَعَنِي أَنْ أَشْهَدَ بَدْرًا إِلَّا أَنِّي خَرَجْتُ أَنَا وَأَبِي حُسَيْنٌ، قَالَ: فَأَخَذْنَا كُفَّارَ قُرَيْشٍ، قَالُوا: إِنَّكُمْ تُرِيدُونَ مُحَمَّدًا، فَقُلْنَا: مَا نُرِيدُهُ، مَا نُرِيدُ إِلَّا الْمَدِينَةَ، فَأَخَذُوا مِنَّا عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ لَنَنْصَرِفَنَّ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَلَا نُقَاتِلَ مَعَهُ، فَآتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرْنَاهُ الْخَبْرَ، فَقَالَ: انصَرِفَا، نَفِي هُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَنَسْتَعِينُ اللَّهَ عَلَيْهِمْ»، قال النووي في شرح مسلم: "وَأَمَّا قَضِيَّةُ حُدَيْفَةَ وَأَبِيهِ فَإِنَّ الْكُفَّارَ اسْتَحْلَفُوهُمَا لَا يُقَاتِلَانِ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزَاةٍ بَدْرٍ، فَأَمَرَهُمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْوَفَاءِ، وَهَذَا لَيْسَ لِلْإِجَابِ، فَإِنَّهُ لَا يَجِبُ الْوَفَاءُ بِتَرْكِ الْجِهَادِ مَعَ الْإِمَامِ وَنَائِبِهِ، وَلَكِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلَّا يَشِيْعَ عَنِ أَصْحَابِهِ نَقْضُ الْعَهْدِ وَإِنْ كَانَ لَا يَلْزَمُهُمْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ الْمَشِيْعَ عَلَيْهِمْ لَا يَذْكَرُ تَأْوِيلًا".

وقال البيهقي في السنن: «انصَرِفَا، نَفِي هُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَنَسْتَعِينُ بِاللَّهِ عَلَيْهِمْ».. وَهَذَا لِأَنَّهُ لَمْ يُؤَدِّ انصَرَفُهُمَا إِلَى تَرْكِ فَرَضٍ إِذْ لَمْ يَكُنْ خُرُوجُهُمَا وَاجِبًا عَلَيْهِمَا، وَلَا إِلَى ارْتِكَابِ مَحْظُورٍ".

وقال ابن القيم في زاد المعاد: "وَكَانَ مِنْ هَدْيِهِ أَنْ أَعْدَاءَهُ إِذَا عَاهَدُوا وَاحِدًا مِنْ أَصْحَابِهِ عَلَى عَهْدٍ لَا يَضُرُّ بِالْمُسْلِمِينَ مِنْ غَيْرِ رِضَاهُ، أَمْضَاهُ لَهُمْ، كَمَا عَاهَدُوا حذيفة وَأَبَاهُ الحسيل أَنْ لَا يُقَاتِلَاهُمْ مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَمْضَى لَهُمْ ذَلِكَ".

وحذيفة رضي الله عنه أخبرهم أنه لا يريد النبي صلى الله عليه وسلم، وهو في الحقيقة يريد، وأخذوا منه عهد الله وميثاقه لينصرفن للمدينة، ومع ذلك أتى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر، وذلك يدل على اعتبار عارض الإكراه.

ويستدل للتخلص من هذا العهد الواقع أصلاً تحت الإكراه بأنه أقل رتبة من اليمين التي قال فيها الرسول صلى الله عليه وسلم: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا فَلْيَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ، وَلْيُكْفِرْ عَنْ يَمِينِهِ» رواه مسلم.

وبناء على هذا قال سحنون كما في النوادر: "وإذا أطلقوه من وثاق بعهد.. على ألا يجاهدكم لم يلزمه، وله أن يجاهدكم. قال: وله أن يعاهدكم على ذلك لينجو ولا يلزمه، ثم قال بعد ذلك: وأحب إلي ألا يغزوهم إلا في ضرورة تنزل بالإسلام".

وتلاحظ في هذا النوع المصلحة المترتبة على الوفاء بالعهد والمفسدة المترتبة عليه، فيصار إلى الموازنة بين المصالح والمفاسد حسب منازلها المعروفة في أصول الفقه.

ويستحسن في هذا العهد غير اللازم لمن أراد نبذه إعلام الطرف الآخر بنبذ العهد استئناساً بقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾، وقوله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَوْمٍ عَهْدٌ فَلَا يَحُلِّنْ عَهْدًا، وَلَا يَشُدَّنَّهُ حَتَّى يَمْضِيَ أَمْدُهُ أَوْ يَنْبِذَ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ» رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه، ويستأنس لطريقة النبذ بالنبذ في العهد الصحيح، كما قال الزيلعي في تبين الحقائق: "وَيَكُونُ النَّبْذُ عَلَى الْوَجْهِ الَّذِي كَانَ الْأَمَانُ؛ فَإِنْ كَانَ مُنْتَشِرًا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ النَّبْذُ كَذَلِكَ وَإِنْ كَانَ غَيْرَ مُنْتَشِرٍ بَانَ أَمْنُهُمْ وَاحِدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ سِرًّا يَكْتَفِي بِنَبْذِ ذَلِكَ الْوَاحِدِ..، ثُمَّ بَعْدَ النَّبْذِ لَا يَجُوزُ قِتَالُهُمْ حَتَّى يَمْضِيَ عَلَيْهِمْ زَمَانٌ يَتِمَّكَّنُ فِيهِ مَلَكَهُمْ مِنْ إِنْقَازِ الْخَبَرِ إِلَى أَطْرَافِ مَمْلَكَتِهِ، وَإِنْ كَانُوا خَرَجُوا مِنْ حُصُونِهِمْ وَتَفَرَّقُوا فِي الْبِلَادِ وَفِي عَسَاكِرِ الْمُسْلِمِينَ أَوْ خَرَّبُوا حُصُونَهُمْ بِسَبَبِ الْأَمَانِ فَحَتَّى يَعُودُوا كُلُّهُمْ إِلَى مَأْمَنِهِمْ وَيَعْمُرُوا حُصُونَهُمْ مِثْلَ مَا كَانَتْ تَوْقِيًا عَنْ الْعُدْرِ".

- وينبغي التنبه إلى أنه قد تقترن بالعهد أمور أخرى فتتغير أحيانا بعض تفاصيل الحكم وتحتاج كل جزئية من الواقعة لفتوى خاصة وقد لا تتغير تفاصيل الحكم؛ مثل أن يقترن بالعهد أمان أو كفالة أو تصرف في بيع...، ولهذا نجد أن الشافعي رحمه الله نص على أن العهد الذي أعطاه الأسير على أن يبقى في دار الحرب ولا يتعرض لهم يبطل في جزئية البقاء في دار الحرب فيجوز له الهرب إلى دار الإسلام، ويصح في جزئية الأمان فلا يجوز له وهو في دار الكفر أن يتعرض لهم اختيارا بقتل أو ما شابه؛ لأن الأمان في الشريعة ينعقد بما ينعقد به العهد وينعقد بأمور لا تكفي لانعقاد العهد ولكنها تكفي لانعقاد الأمان.

* خلاصة المسألة:

أن الأصل في تعهد السجين أنه تعهد وقع تحت الإكراه؛
- فإن كان الإكراه على التعهد بحق وجب على السجين، فالتعهد صحيح ويجب الوفاء به.
- وإن كان إكراه السجين على التعهد بفعل معصية، فالتعهد باطل يحرم الوفاء به.
- وإن كان إكراه السجين على التعهد بفعل لا يجب عليه ولا يحرم فالتعهد غير لازم له ولكن يشرع أن يسدد السجين ويقارب بالمعروف حفظا لحق العهد وصيانة للعهد من الابتدال. ويشرع في العهود غير اللازمة إعلام الطرف الآخر بنبد العهد إن اختار المرء نبذه حسب القدرة.
- وإن اقترنت بالعهد عقود أخرى كالأمان أو الكفالة أو ما شابه ذلك فينبغي النظر حينها في جزئيات المسألة وأثر هذا الاقتران فيها.

والحمد لله رب العالمين.

أدب التخفي من الظالم^١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.. وبعد؛

فإن الصراع بين الحق والباطل، والصالح والفساد، وأولياء الرحمن وأولياء الشيطان، صراع قديم جديد مستمر إلى قيام الساعة، ولهذا الصراع أدواره ومراحلته التي يمر بها، والتي تتكرر جيلا بعد جيل، ومن تلك المراحل مرحلة التخفي من الظالم والفرار بالدين من بطش الطغاة، وهي المرحلة التي تصورها قصة أصحاب الكهف حين فروا بدينهم ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾، وهي مرحلة مر بها كثير من الأنبياء والصالحين كموسى عليه السلام ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، وكمحمد صلى الله عليه وسلم ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾.

ولأهمية هذه المرحلة في مسيرة الدعوة فهذه بعض الآداب المتعلقة بالتخفي من الظلمة والطغاة والطواغيت مستوحاة من دلالات قصة أصحاب الكهف:

* أولا- طلب الهدى، والثبات عليه، والدعوة إليه:

قال تعالى عن أصحاب الكهف: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ فأصحاب الكهف "فتية" وفتية من جموع القلة أي أن عددهم أقل

(١) كتبت سنة ١٤٤٢ هـ.

من العشرة، وهم في مقتبل عمرهم وصغر سنهم عرفوا الحق وآمنوا بالله جل وعلا وكفروا بالطاغوت فزادهم الله إيمانا على إيمانهم وصبرهم وثبتهم، وربط على قلوبهم لئلا واجهوا قومهم بإعلان دعوة الحق ورفضهم القاطع عبادة غير الله تعالى التي وقع فيها قومهم وأنها شطط وظلم وافتراء وكذب..

وهكذا أصحاب الدعوات أصل الخلاف بينهم وبين الطغاة هو في اتباع سبيل الله تعالى ورفض سبيل الشياطين، وطاعة أمر الله ومنازمة ما يضادها من أوامر، فليس الخلاف خلاف دنيا ومملك وجاه ومنافسة، بل هو خلاف جهاد في سبيل الله وكلمة حق عند سلطان جائر وأمر بمعروف ونهي عن منكر، ولذا حث الإسلام على نصره دعاة الحق في وجه الطغاة، فقال صلى الله عليه وسلم: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة» متفق عليه.

* ثانيا- العزلة عند تعذر الإصلاح:

قال تعالى عن أصحاب الكهف: ﴿إِذْ أَوْىءُ الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ وقال سبحانه: ﴿وَإِذِ اعْتَرَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا﴾ فقد آمن فتية الكهف، وانكشف بطلان دين قومهم وأنه لا يقوم على سلطان ولا حجة بل على الكذب والافتراء على الله جل وعلا، وتعرض الفتية للإيذاء، وخافوا الفتنة في دينهم، فكان الاعتزال والاختفاء هو السبيل الوحيد أمام الفتية للثبات على الصراط المستقيم.

والظاهر من القصة أنهم اختاروا العزلة في الكهف لتعذر سبيل الإصلاح أمامهم وخوفا على أنفسهم من الفتنة، خلافا لـغلام الأخدود الذي كان يرى أثر دعوته وازدياد إقبال الناس على الحق، فاختر مواجهة الباطل والصدع بالحق وتبليغ الرسالة، وتحمل في سبيل ذلك ما يستطيعه من مشاق على أمل الإصلاح، فعندما ذهب به الجنود إلى القتل أنجاه الله تعالى

منهم، ومع ذلك ما ساح في الأرض بل عاد إلى قومه؛ لأنه يرى أن مهمته في الدعوة لم تنته وأن الأمل في إسلام الناس ما زال معقودا، ولما علم أن قتله أمام قومه من أسباب هدايتهم أقبل على الموت منشرحا فكان مماته لله وفي سبيل الله، وبارك الله جهده فكانت دماؤه الزكية نورا أضاء الإيمان في قلوب الجماهير الباحثة عن الحق.

ويبدو من القصة كذلك أن اعتزال فتية الكهف هو أقصى ما استطاعوه يومها، ولم تيسر لهم العزلة بالهجرة لمجتمع جديد يعبدون الله فيه ويعملون في سبيل الله، فالهجرة إن تيسرت هي السبيل الشرعي لتحقيق المستطاع في العبادة والدعوة والجهاد بعد انتفاء مصلحة المقام في بلد ما؛ لأن سعة مجال الدعوة أكبر من ضيق الوطن، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ

يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾، وهذا ما سلكه نبي الله إبراهيم الخليل حين بلغ أباه وقومه الدعوة فلما أعرضوا وتوعدوا وضعف الأمل فيهم كانت العزلة والهجرة، قال تعالى في قصة إبراهيم الخليل وأبيه آزر: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَه لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾، وقال: **إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾.

* ثالثا - المشقة غير مطلوبة لذاتها بل يدعو المرء الله أن ييسر الأمر:

تُصور ألفاظ القرآن الكريم حال فتية الكهف فتدل بوضوح على الشدة التي أصابتهم، والتي كان التخفي سبيلا لرفعها، فلا يعرض المرء نفسه للبلاء بلا مصلحة أكبر، بل يدعو المرء الله جل وعلا أن يرفع البلاء وأن يجبر الكسر؛ لذا نلاحظ في السياق: ﴿أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾، ﴿فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ﴾، ولفظ أوى وأووا يدل على لجوء ضعيف لمن أو لما يحميه ويعطف عليه، كما يفهم مثل ذلك من آيات عديدة: ﴿سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ﴾، ﴿قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوِي إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾، ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾.

وكذلك نلاحظ دعاء فتية الكهف الضارع: ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ وهو دعاء يبدأ بافتقار العبيد إلى الرب المتصرف في الكون أن يعطيهم من لده بلا سبب من البشر الذين آذوهم وحاربوهم، وكلمة "من لدن" تدل على العندية بلطف، ﴿رَحْمَةً﴾ بدل العذاب الذي توعدهم الطغاة به، وأن يهيئ أي يصلح وييسر سبحانه لهم خاصة صلاح الأمر وتمام الهداية، ومن لاحظ في الدعاء تكرر ضمير المتكلمين "نَا" أربع مرات "رَبَّنَا، آتِنَا، لَنَا، أَمْرِنَا" علم شدة تعلقهم بالله جل وعلا وشدة المحنة التي مرت بهم، لذا كان الوعد الرباني: ﴿فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا﴾، والعجيب أن كاف الخطاب تكررت كذلك أربع مرات "لَكُمْ، رَبُّكُمْ، لَكُمْ، أَمْرِكُمْ" فالرحمة الربانية ستنتشر في مسيرهم هذا، والعناية تحفهم، واليسر والرفق مهيأ لهم، فما أسعدهم بألطف الله تعالى التي انتشلتهم من القوم الكافرين.

وكذلك عندما أرسلوا أحدهم ليأتي لهم بطعام طلبوا منه أن يتخير من الطعام أحسنه ﴿فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ﴾، قال السعدي في فوائد الآية: "ومنها: جواز أكل الطيبات والمطاعم اللذيذة، إذا لم تخرج إلى حد الإسراف المنهي عنه لقوله: ﴿فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ﴾ وخصوصا إذا كان الإنسان لا يلائمه إلا ذلك، ولعل هذا عمدة كثير من المفسرين القائلين بأن هؤلاء أولاد ملوك لكونهم أمروه بأزكى الأطعمة التي جرت عادة الأغنياء الكبار بتناولها".

وهكذا فإن من أخلص أمره لله تعالى تولى الله جل وعلا أمره وأحاطه بعنايته، وكانت مشاق الطريق سبيلا للألطف والبركات والمعية الربانية، وما أجمل معية الله تعالى والألطف في الغار يوم الهجرة: ﴿إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

* رابعا- تخير مكان الاختفاء:

يبدو من سياق القصة أن تخير مكان الاختفاء من أهم المسائل التي تشغل المتخفي من طاغية محارب لأولياء الله، فالكهف محوري في قصة هؤلاء الفتية، فهم ﴿أَصْحَابِ الْكَهْفِ﴾، والفتية أووا ﴿إِلَى الْكَهْفِ﴾ وضرب الله على آذانهم ﴿فِي الْكَهْفِ﴾، ثم يلتصق الكهف بالفتية ويضاف لهم حتى كأنه ملك لهم ﴿عَنْ كَهْفِهِمْ﴾، ﴿فِي كَهْفِهِمْ﴾..

وصفات الكهف الذي اختاروه تحقق معنيين؛ أولهما: "الاعتزال" ببعده عن عين الطاغية وبطشه وعن أعين جنوده وكل من يمكن أن يتسبب بالأذى لهم، والمعنى الثاني: "الإيواء" بأريحته ومناسبته للمقام فيه، خاصة وأنه ليس مجرد غار ولا مغارة في الجبل بل هو كهف أوسع من ذلك، ورغم سعة الكهف فهم ﴿فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ﴾ أي في مكان من الكهف متسع يتمتعون فيه بالهواء والنسيم، وتطلع الشمس على الكهف فتصيبه بدفئها ولكنهم في جزء منه لا تباشر فيه الشمس أجسادهم ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ﴾، بل إن المكان ناسب كلهم كذلك ﴿وَكَلَّبُهُمْ بِأَسْطُ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ﴾ فمد ذراعيه في أطراف الكهف أو على بابه.

إن تخير مكان الاختفاء الذي يحقق "العزلة والإيواء" هو من إعداد العدة في مواجهة الطغاة، وكم تسبب إهمال هذين الأمرين في إلحاق الأذى بصالحين وقعوا في فضول الخلطة بمن لا داعي للقائه فتسرب خبرهم للطاغية، أو اختاروا مكانا غير مناسب فسبب لهم أذى فوق ما بهم من أذى.

* خامسا- المروءة غطاء المتخفي:

يحتاج المتخفي لمن يلازمه في خفائه، أو من يليه له حاجاته، أو من يكون له غطاء من أعين المتلصقين، وأكمل من يصلح لذلك هم أصحاب المروءة والشهامة، والمروءة هي استعمال ما يُجِبُّ العبد ويزينه، وترك ما يدنِّسه ويشينه، فأصحاب المروءة يتصفون بجميل الصفات التي يحتاجها المتخفي من الشهامة والوفاء والصدق والأمانة وحفظ السر، ويكرهون

اللؤم والغدر والكذب والخيانة وإفشاء السر.

وقد كان الذي خرج لتلبية حاجات فتية الكهف واحدا منهم، أي واحدا من خيرة خلق الله يومئذ، ولم يجد فتية الكهف أوفى من الكلب يصحبهم ويجرسهم، فسار الكلب معهم ونال من البركة التي حلت عليهم وخلد القرآن ذكره، فكان حالهم مع كفار قومهم كما قال ابن المرزبان في كتابه تفضيل الكلاب: "ذَكَرْتُ أَعَزَّكَ اللَّهُ زَمَانَنَا هَذَا وَفَسَادَ مَوَدَّةِ أَهْلِهِ وَخَسَةَ أَخْلَاقِهِمْ وَلَوْثُ طَبَاعِهِمْ، وَأَنْ أَعْبَدَ النَّاسَ سَفَرًا مِنْ كَانَ سَفَرُهُ فِي طَلَبِ أَخٍ صَالِحٍ..، وَسَأَلْتَنِي أَعَزَّكَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ أَجْمَعَ لَكَ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الْكَلْبِ عَلَى شَرِّ الْإِخْوَانِ وَمَحْمُودِ خِصَالِهِ فِي السَّرِّ وَالْإِعْلَانِ.. وَعَلِمَ أَعَزَّكَ اللَّهُ أَنَّ الْكَلْبَ لِمَنْ يِقْتَنِيهِ أَشْفَقَ مِنَ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ وَالْأَخِ الشَّقِيقِ عَلَى أَخِيهِ، وَذَلِكَ أَنَّهُ يَحْرُسُ رَبَّهُ وَيَحْمِي حَرِيمَهُ شَاهِدًا وَغَائِبًا وَنَائِمًا وَيَقْطَانًا، لَا يَقْصُرُ عَنِ ذَلِكَ وَإِنْ جَفَوْهُ وَلَا يَخْذُلُهُمْ وَإِنْ خَذَلُوهُ".

ولأجل المروءة قبل النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر ليلة الهجرة أن يكون الدليل الذي سار بهما كافرا ولكنه صاحب مروءة تمنعه من الغدر، وتأبى عليه أن يبيع شرفه بمال قريش التي وعدت من يدل على النبي صلى الله عليه وسلم بمائة من الأبل، قالت عائشة رضي الله عنها: «اسْتَأْجَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبُو بَكْرٍ رَجُلًا مِنْ بَنِي الدَّيْلِ، ثُمَّ مِنْ بَنِي عَبْدِ بْنِ عَدِيٍّ، هَادِيًا حَرِيْتًا، قَدْ غَمَسَ يَمِينَ حِلْفٍ فِي آلِ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ، وَهُوَ عَلَى دِينِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، فَأَمِنَاهُ، فَدَفَعَا إِلَيْهِ رَاحِلَتَيْهِمَا» رواه البخاري، فكانت معرفة النبي صلى الله عليه وسلم بأن عبد الله بن أريقط أقسم على نصرة المظلوم والتزم بذلك مروءة سببا في اختياره ليكون دليلهم في الهجرة، قال العيني في عمدة القاري: "فيه ائتمان أهل الشرك على السير والمال إذا عهد منهم وفاء ومروءة كما استأمن رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا المشرك لما كانوا عليه من بقية دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام وإن كان من الأعداء، لكنه علم منه مروءة، وائتمنه من أجلها على سره في الخروج من مكة وعلى الناقتين اللتين دفعهما إليه ليؤاقيهما بما بعد ثلاث في غار ثور".

ومن نبيل مواقف المروءة موقف عبد الحميد الكاتب صاحب مروان بن محمد آخر

خلفاء بني أمية الذي قتله العباسيون، قال صاحب الكوكب الثاقب: "لما اشتد الطلب على مروان، وتتابعت هزائمه المشهورة، قال لعبد الحميد: إن القوم محتاجون إليك، وإن إعجابهم بك يدعوهم إلى حسن الظن بك، فاستأمن إليهم، وأظهر الغدر بي، فلعلك تنفعي في حياتي أو بعد مماتي في حرمي، فقال عبد الحميد:

أُسِرَّ وفاء وأظهر غدره

فمن لي بعذر يوسع الناس ظاهره!

ثم قال: يا أمير المؤمنين! إن الذي أمرتني به أنفع الأمرين لك وأقبحهما بي، ولكني أصبر حتى يفتح الله لك أو أقتل معك. فلما قُتل مروان استخفى عبد الحميد، فعُمر عليه بالجزيرة عند ابن المقفع، وكان صديقه، وفاجأها الطلب وهما في بيت، فقال الذين دخلوا عليهما: أيكما عبد الحميد؟ فقال كل منهما: أنا، خوفا على صاحبه، إلى أن عُرف عبد الحميد، فأخذ وسلّمه أبو العباس السفاح إلى عبد الجبار صاحب شرطته، فكان يحمي له طستا ويضعه على رأسه إلى أن مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة، يرحمنا الله وإياه".

- وليعلم المتخفي أن الطاغية يبذل المال لمن يدل على الصالحين ويُرغب الناس بالجاه، ويخوفهم شديد عقابه إن هم أعانوا أولياء الله، وأول من يجيب الطاغية ويساعده هم اللئام، فليحذر المتخفي من مكرمهم وإن كانت لهم به صلة عمل أو قرابة أو أسدى لهم قبل معروفاً، فإن اللئيم عادة يخونه ويأكل ثمنه، قال الشاعر:

ولا استصحبْتُ في دهري لئيماً

برئتُ من اللئيمِ إلى اللئامِ

ولكنَّ الكرامَ همَّ صفائي

وقد يصبُّ الكرمُ إلى الكرامِ

- وليحذر المتخفي من مِرْقعة الأخلاق الذميمة الذين يُظهرون الصلاح ولكنهم عبيد لأهوائهم، كلما فعلوا قبيحا برّوه وحسنّوه وبحثوا عن مخرج له، فإن هؤلاء لا يأنفون من الغدر

والخيانة وفعال اللثام، بل قد يخونونه في الباطن ويُفشون سره وهم في الظاهر أهل نخوة خاطروا بحياتهم من أجله! فلهم عند كل جريمة تأويل وتبرير.

- وكذلك فإن تجار الحروب ومرزقة الأزمات كغير أهل المروءة من المُهَيَّبِينَ والمزورين ورجال العصابات الأصل فيهم أنهم ليسوا أهل ثقة، فليكن التعامل معهم عند الضرورة بحذر وحيطة وضمانات، فكم باعوا الأحرار وغرروا بالكرام، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

- وليعلم كذلك أن الأصل في كثير من العامة أنهم ليسوا أهلاً للتضحية والفداء من أجل الداعية، بل تغلبهم علائق الأرض من خوف أو طمع أو نأى بالنفس، فلا يكن التعامل عند الحاجة خبط عشواء، بل يُعامل على قدر الحاجة مَنْ يُتخير منهم ممن يُرتجى خيره ويؤمن شره خاصة ممن تجمعهم بالمتخفي عاطفة وُد ردا لسابق معرفه أو إعجابا بثنائه أو بغضا لشأنه أو حمية قبلية أو نخوة وشهامة.

* سادسا- التلطف سلاح المتخفي:

كان على فتية الكهف الحصول على ما لا بد لهم منه وهو الطعام الذي به قوام حياتهم، والظاهر من القصة أنهم لم يكن أمامهم وطن بديل ولم يتعدوا عن بلدتهم مهاجرين إلى أرض أخرى، بل كان الأمر هو اعتزالا واختباء بكهف يقرب من المدينة؛ لذا لم يتزودوا بزاد المسافرين من طعام وشراب، بل تزودوا بالمال والفضة التي بها يشترون الطعام والشراب، وللمال أهميته في التخفي فهو سبب تيسير أمور عديدة تُعين على الثبات في طريق التأيي على الفتن، سواء في تأمين المخبأ أو المركب أو الزاد أو الدليل...

والظاهر كذلك أن تلك المدينة كانت كبيرة يرتادها التجار والمسافرون الغرباء فيمكن للشخص التخفي إن سار بها، ولا يُنتبه له إن احتاط؛ لذا أرسل فتية الكهف أحدهم إلى المدينة ووصيتهم له ﴿وَلِيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ أي يحذر في ذهابه وإيابه وشرائه، والتلطف والتخفي عند الخروج لمجامع الناس قد يقتضي تغيير الهيئة من لباس إلى آخر، أو تغيير معالم الوجه كتخفيف اللحية أو تلوينها أو حلق الشارب، أو تغيير اللهجة، حسب ما

يناسب الواقع والبيئة التي يعيشها المظلوم المتخفي من الظالم، والحكمة وضع الشيء في موضعه وتقدير كل واقع بقدره.

ومن لطيف التخفي ما ذكره ابن مسكويه في تجارب الأمم أن إبراهيم بن عبد الله لما تخفى من أبي جعفر المنصور، وأراد صاحبه سفيان بن حيان التحيل لتهريبه عامله كأنه عبد فأتاه "وهو في غرفة عليه مدرعة صوف زي العبيد، فصاح به: قم يا فلان، فوثب كالفرع، وجعل يأمره وينهاه حتى قدم المدائن".

وأمر فتية الكهف صاحبهم الذي خرج في شؤونهم ألا يُشعر بهم أحدا مَهْمَا كان، فالنكرة ﴿أَحَدًا﴾ في سياق النهي ﴿وَلَا يُشْعِرَنَّ﴾ تفيد العموم، وهذا تنبيه على مزلق النفس البشرية التي قد تضعف أمام المقربين كالوالد أو الولد أو الزوجة أو الصديق فتفشي سر الثلة المؤمنة بدعوى الاطمئنان أو الإيناس أو أمن الجانب أو غير ذلك من دعاوى تنافي عملية التخفي فرارا بالدين أو الدعوة، والعادة أن السر إن خرج لغير حاجة أضر ولو كان لمقربين.

* سابعا- عاقبة تسلط الظالم على المصلحين المختفين:

عندما يبلغ الطغاة المجرمون مرحلة قهر طلائع الحق وقمع الدعوة فإنهم يكونون في سكرة القوة التي تجعلهم يرفضون من المصلحين إلا الدخول في طريقتهم أو القتل والسجن والتعذيب ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا﴾، فالحذر من ظهور الطغاة على المصلحين هو حذر من الفتنة التي قد تؤدي للفتنة في الدين وخسارة الدنيا والآخرة معا، لذا فلا عجب في تلك الحالة أن يثبت خيار الأئمة على التواري والاختفاء حتى تأتيهم المنية على ذلك، كما حصل مع سفيان الثوري رحمه الله الذي توارى حتى مات، كما قال الذهبي في السير: "قال ابن المديني: أقام سفيان في اختفائه نحو سنة".

والعادة أن الطاغية طالما كان ظاهرا فإنه لا يقبل إلا استسلام الداعية أو سجنه وقتله، فإن خف ظهور الطاغية أو ضعف حاله فإنه قد يرضخ للتفاوض وألا يتعرض لبعض أشكال الدعوة أو الجهاد، وعندها تنتهي مرحلة التخفي وتبدأ مرحلة جديدة من العزلة الآمنة أو الدعوة أو الإصلاح أو الجهاد، حسب واقع المرحلة.

وإدراك هذه الحقيقة ومعرفة طبيعة الصراع هو تربية للنفس كي تثبت إن حصلت الفتنة، فكم من أناس سلكوا سبيل الخير واعتزلوا الباطل ونجحوا في اختبار مفارقة الأهل والأوطان، ولكن عندما جاء اختبار البلاء في النفس وهشمتهم سياط التعذيب انهارت قواهم فدخلوا في طاعة الطاغية، دخلوا في طاعته حقا لا مجرد مداراة أو تقية فأصبحوا مع الأيام سوط الطاغية الذي يعذب به طلائع الحق.

هذه طبيعة الطريق بوضوح وتلك مراحل الصراع، والله جل وعلا بحكمته البالغة يُتَبَّتْ أقواما حتى يصلوا نهاية الطريق ويروا بأعينهم هلاك الباطل كما رآه فتية الكهف، ويختار سبحانه أقواما فيكتبهم قتلى أو موتى في سبيل الله لم يبدلوا تبديلا، وهناك من تغلبه شهوة البقاء فينقلب حاله ويستجيب لداعية الفتنة، والله المستعان.

وليتذكر عبد الله المتخفي من أعداء الله قصة سعيد بن جبير رحمه الله مع الحجاج، فقد تخفى سعيد بن جبير من الحجاج ثلاث عشرة سنة، قال الذهبي في السير: "طال اختفاؤه، فإن قيام القراء على الحجاج كان في سنة اثنتين وثمانين، وما ظفروا بسعيد إلى سنة خمس وتسعين؛ السنة التي قلع الله فيها الحجاج"، فظفر به الحجاج بعد ثلاث عشرة سنة وقتله، ولم يمض إلا قليل حتى أصابت الحجاج دعوة سعيد، حيث ذكر ابن خلكان في وفيات الأعيان أن "الحجاج لما حضرته الوفاة كان يغوص ثم يفيق، ويقول: ما لي ولسعيد بن جبير؟ وقيل: إنه في مدة مرضه كان إذا نام رأى سعيد بن جبير آخذاً بمجامع ثوبه يقول له: يا عدو الله، فيم قتلتي؟ فيستيقظ مذعورا، ويقول: ما لي ولسعيد بن جبير".

* أسأل الله أن يعز الإسلام والمسلمين، وأن يذل الشرك والمشركين، وأن ينصر الحق على الباطل والصدق على الكذب، وأن يبدل خوف عباده الصالحين أمنا، والحمد لله رب العالمين.

وقفه مع مصطلح المنهج الحركي^١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.. أما بعد؛ فمع تعدد أساليب العمل في الساحة الإسلامية، وتنوع الرؤى، ومحاولة العبور بالأمة إلى صورة أقرب لواقع المجتمع المسلم في العصور الذهبية، ظهرت أطروحات متعددة لدى التجمعات الإسلامية، واجتهادات، وأفكار، واقتراحات، كل منها ينظر للمعضلات التي تحيق بالأمة، وييدي ما ارتآه من علاج، وفق أطر الشريعة الإسلامية. وقد تحولت كثير من هذه الأطروحات إلى مناهج حركية، تنضوي تحت لوائها مجموعات من أبناء الحركة الإسلامية، وأصبح تعدد المناهج الحركية ظاهرة تسترعي انتباه عوام المسلمين فضلا عن خواصهم.

ولكن الملاحظة التي ظهرت في هذه الرؤى والمناهج، أن كثيرا من هذه التصورات والآراء، هي في حقيقة الأمر اجتهادات تخضع للنقاش، والإضافة، والتعديل، والحذف، وليست من المحكمات التي لا يسوغ الاجتهاد فيها. فمثلا من القضايا التي تطرحها هذه الطائفة أو تلك من طوائف الحركات الإسلامية، ويعبر عنها بالمنهج الفكري والحركي لهذه الجماعات ما يلي:

- * من منهج حركتنا أننا ندعاة لا قضاة.
- * من منهج حركتنا أننا نبدأ بقتال العدو القريب قبل قتال العدو البعيد.
- * من منهج حركتنا أننا نقدم الثقيف على التكتيل.
- * من منهج حركتنا أننا نرى السمع والطاعة للحكومات بلادنا المعاصرة.
- * من منهج حركتنا أننا يعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه.
- * من منهج حركتنا أننا نعد الوصول للحكم وسيلة وليس غاية.

(١) كتبت سنة ١٤٣٢هـ.

* من منهج حركتنا أننا نبني الدولة المسلمة من القاع لا القمة.

* من منهج حركتنا أننا نعمل بطريقة سلمية قانونية للوصول للحكم.

* من منهج حركتنا أننا لا نخوض في قضايا السياسة.

* من منهج حركتنا أننا ننبد العنف والإرهاب واستخدام القوة.

* من منهج حركتنا أننا نرفض العمل السري.

إلى غير ذلك من القضايا التي يرفعها كثير من أبناء العمل الإسلامي على اختلاف مشارهم، كقضايا منهجية تميز هذا الفصيل عن ذلك.

ولكن يؤخذ على هذه الطريقة بعض الأمور؛ منها:

١- أن مصطلح المنهج في القرآن والسنة يطلق على الطريق الواضح الذي لا لبس فيه، قال تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ وقد فسر ابن عباس رضي الله عنه هذه الآية بقوله: (سبيلاً وسنة)^(١)، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تَكُونُ النَّبُوءَةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعَهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ النَّبُوءَةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعَهَا إِذَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَهَا»^(٢).

وبسبب هذا الفهم لمصطلح المنهج، وبسبب الحديث المتكرر عن عصمة منهج الجماعة وسلامته خلافاً لأفراد الجماعة الذين يجوز عليها الخطأ والسهو، يقوم البعض بسحب هذا المعنى للمنهج على المنهج الحركي الذي ينتمي إليه، بكل ما يحويه من قضايا، مما أدى إلى النظر لبعض القضايا الاجتهادية المبنية على اجتهاد فريق من مؤسسي هذا الكيان أو ذلك، كأسس لا يجوز الاقتراب منها أو المساس بقدسيته.

٢- القيام بتعميم هذه القضايا الاجتهادية التي تتبناها الحركات الإسلامية؛ بحيث يتم طرح نفس هذه المسائل في مختلف الأزمنة والأمكنة والأحوال؛ فتجد صدى هذه المقولات يتردد في مشرق الأرض ومغربها، وفي الدول التي تقع تحت حكم المنافقين أو الكافرين على

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن.

(٢) رواه أحمد في مسنده، أول مسند الكوفيين، مسند النعمان بن بشير رضي الله عنه.

حد سواء، وفي حال الضعف وحال القوة كذلك، وفي مجتمع أهل السنة والمبتدعة بلا فرق. وهذا التعميم يؤدي إلى الوقوع في المخالفات الصريحة لأحكام الإسلام، التي تفصل لكل واقع الحكم الخاص به، والتي فتحت للمجتهدين باب الاجتهاد في ضوء أصول الشريعة لا ما يسمى المنهج الحركي لهذه الجماعة أو تلك.

٣- أن كثيرا من هذه المسائل الاجتهادية التي تعتبر المنهج الحركي لكثير من الجماعات، ما هي إلا شعارات فضفاضة، لا تحمل التوضيح التطبيقي لها، فضلا عن العمق التأصيلي، فلو بدأت تحلل هذه القضية المنهجية أو تلك، لرأيت عددا من المسائل المتنوعة، التي تحتاج كل واحدة منها إلى دراسة مستفيضة، وتحتاج كذلك إلى تحديد دقيق لمضمونها وما يندرج تحتها، مما يسبب فوضى في الحكم على الأمور بناء على تلك القاعدة المنهجية المزعومة.

٤- كثير من هذه القضايا المنهجية ما هي إلا ترتيب لأولويات كل مجموعة من مجموعات العمل الإسلامي، وتركيز على القدر البارز في نشاطها، لكن مع مرور الأيام وكثرة التداول تحولت هذه المسائل إلى قواعد منهجية، يراد تعميمها على الأطياف المتعددة.

٥- أن كثيرا من هذه المصطلحات المنهجية تنأى عن استخدام المصطلح الشرعي المتداول، في محاولة لإيجاد منهجية جديدة تتسع للرؤية التي تتبناها كل مجموعة؛ مع أن مضمون هذه الشعارات موجود بعينه في كثير من دراسات الأئمة على مر الأزمنة والعصور، مما يضع فاصلا بين الأمة وتراثها، وبين الأمة والمسائل الشرعية المقررة.

٦- محاولة الطعن في التجمعات الإسلامية عند التلاسن، عبر الطعن في هذه القضايا المنهجية، وإسقاط هذه المصطلحات ببيان بعض العوار الذي يعتري هذه الشعارات، مما يؤدي بالبعض إلى إسقاط اعتبار التجمعات الإسلامية كلية.

٧- الطعن في هذه القضايا المنهجية للجماعات، يؤدي في كثير من الأحيان بالبعض إلى الطعن في الأمور المحكمة القطعية، وأحكام الإسلام الثابتة، التي قد تندرج تحت هذه الشعارات المنهجية، مستغلين عدم إحكام القضية المنهجية المرفوعة كشعار للعمل.

ومعالجة هذا الخلل الواقع في إطلاق مصطلح المنهج على بعض القضايا الاجتهادية، يمكن اتباع ما يلي:

أ- التحري عند إطلاق الشعارات التي تعبر عن طريقة العمل، والاقتصار على ما لا لبس فيه.

ب- العودة إلى استخدام المصطلحات الشرعية.

ت- طرح القضايا الاجتهادية على طاولة النقاش كل حين وآخر، حتى تتسع الرؤية وتبين.

ث- التغيير المستمر للتعبيرات المستخدمة، واستخدام المرادفات اللغوية، حتى لا تتحول إلى اصطلاح ثابت.

ج - الاهتمام بالدراسة التفصيلية للقضايا؛ حتى يتضح المفهوم المراد إيصاله دون لبس أو تعميم.

وختاماً: فإن العمل الإسلامي في مرحلته الحالية يحتاج إلى جهود جبارة، وسواعد فتيّة، وعمل مضمّن؛ ويحتاج كذلك إلى الوضوح المنهجي الذي لا لبس فيه؛ حتى يتسنى لنا العبور بالأمة إلى بر الأمان وشاطئ الإيمان.

فزاعة "أخوة المنهج"

كثيرة هي تلك المصطلحات الطارئة التي أثقلت كاهل الشباب الملتزم، ولم يجد لها بعد بيانا شافيا، ولا شرحا كافيا..

نعم هي كثيرة كثيرة كثيرة، وبدلا من أن يجد هؤلاء الأختيار من ينتشلهم من دوامة الصراع النفسي؛ إذ بهم يفيقون على صخب وضوضاء ومعارك نخوية تدور رحاها حول "أخوة المنهج" بين مهاجم ومدافع وجمهور يشاهد أو يشجع!!

سألت نفسي: ما أخوة المنهج هذه التي ينتقدونها؟!

بحث وفتشت ونقبت فعلمت أنها مصطلح جديد، أنتجته أياد مصدومة مذهولة، صعقت بواقع مرير، فبحثت عن شيء تعلق الألم عليه.

لا يوجد أصلا مصطلح له تعريف وتندرج تحته أحكام اسمه "أخوة المنهج"!! والظاهر أن الذين ينتقدون هذا المصطلح اليوم هم من اخترعوه لينتقدوه، وهم أول من أثار اللغظ حوله وافتعل المعارك بسببه!!

** مصطلح "أخوة":

نعم، انتشر بين عموم الملتزمين تسمية بعضهم إخوة، فكان يتردد أحيانا: جاء الأخ، وهذا أخ من الأحباب، وذاك أخ من الإخوان، والزم صحبة الإخوة...

ويبدو لي أن ذلك كان أثرا من آثار تسمية الشيخ البنا رحمه الله لجماعته جماعة "الإخوان المسلمين"، فراجت كلمة الأخ والإخوة بين أفراد الجماعة ثم بين عموم الملتزمين.

ولكن هذه الظاهرة لم تكن ذات تأثير سلبي كبير على العمل الإسلامي، مثلها مثل عدة ظواهر أخرى؛ كتلقيب صاحب اللحية بالشيخ، وإطلاق ومناداة الشخص لكل امرأة فوق الأربعين بلفظ: أمي..، وقد نبه بعض المشايخ إلى أن ذلك خلاف الأولى، دون أن يجعلوها قضية حياة أو موت ووجود ومصير!.

**مصطلح "المنهج":

ثم أي منهج هذا الذي يقصدونه عندما يصبون جام غضبهم على "أخوة المنهج"؟
إن بعض القوم نشأوا في بيئة فقيرة من العلم والدعوة وبعيدة عن جماعات الصحوة الإسلامية، فظنوا أن هناك منهجا اسمه "السلفية الجهادية" فعاشوا ردحا من الزمن يوهمون أنفسهم أنهم من أتباع هذا المنهج، ومن المضحكين في سبيل نشره وتعليمه!
وحقيقة الأمر أنه ليس هناك منهجا يسمى بـ"السلفية الجهادية" سوى في أقبية المخبرات وعند طائفة قليلة من الدعاة والشباب الذين عاشوا تجارب فكرية خاصة.
فالسلفية في العصر الحديث ترمز لمنهج أهل السنة والجماعة عامة وللتأثر بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب خاصة، وقد كان لها أثر بارز في جل مناحي التجديد في عموم العالم الإسلامي لمدة تزيد على المائة عام، ولا تكاد تُعرف جماعة بالغيرة على الإسلام إلا وهي متأثرة وبشدة بهذه الدعوة حتى وإن خالفتها في بعض المسائل أو كثير منها، وسواء في ذلك أكانت هذه الجماعة معنية بالجهاد، أم بالعلم، أم بالدعوة، أم بالتربية، أم بالنهضة...
وقد نتج عن ذلك أن امتزج الجهاد بدعوة التجديد السلفي، فمن النادر في تلك السنين أن تتحرك أمة للجهاد إلا ويسارع مجاهدوها إلى المكتبة السلفية ورموزها العلمية والدعوية ليسدوا حاجتهم الشرعية ويتبصروا حقيقة طريقهم، رغم تفاوت مقدار هذا التأثير حسب العوامل المحيطة بكل تجربة، ولا يخفى هذا على متابع لحركات الجهاد في العالم الإسلامي ضد الاحتلال الفرنسي والبريطاني والإيطالي في بدايات القرن الماضي، وكذا حركات الجهاد الفلسطيني والأفغاني والكشميري والبوسنوي والشيشاني والعربي والعراقي والسوري...، وهاكم أدبيات رشيد رضا والبنا والمودودي والندوي والطليعة المقاتلة وحماس وطالبان والقاعدة...
كلها دليل على عظيم أثر الدعوة السلفية في التجديد عامة وتجدد الجهاد خاصة.
وعموم التيار السلفي في العالم الإسلامي لا يفرق بين شعائر الإسلام، ولا يكثرث بالتقسيمات الأمنية أو الانعزالية؛ كالسلفية العلمية، والسلفية الجهادية، والسلفية الدعوية، والسلفية التربوية...، ويتحرى تجنب أخطاء رموز كل مجموعة من تلك المجموعات، ولا يجرم

نفسه من خير، ولا ينعزل عن معروف، فكان الشباب السلفي ولا زال هو طليعة فرسان الجهاد، يضحى بالنفس والنفيس في سبيل الله جل وعلا، يشتاق للشهادة ويبتغي الموت والقتل مظانه؛ سواء نشأ على العلم أو الدعوة أو العبادة أو الجهاد...

وعندما ظهرت قبل سنين التسمية بـ "السلفية الجهادية" في بعض الأقطار الصغيرة، ظل جل رموز الجهاد وعموم المجاهدين وغالب شباب الصحوة على ما كانوا عليه دون اعتناء ولا اكتراث بهذه التسمية الجديدة.

وإذا سألنا هؤلاء الشباب الذين ينتقدون كل يوم "أخوة منهج السلفية الجهادية" عن معالم هذا المنهج الذي ظنوا أنفسهم حملة لوائه أعواما طويلة، لما وجدوا إجابة سوى مسألة أو مسألتين، يشتركان في الإقرار بما فيهما من حق كثير كثير من الجماعات والأفراد.

****ماذا يقصدون بـ "أخوة المنهج"؟**

وإذا انتقلنا لمضمون هذا المصطلح الذي اصطنعوه لينتقدوه لوجدنا أن الأمر كالتالي:

أ-- هم يرون أن السبب الأول والأكبر والمباشر لظهور خوارج دولة البغدادي وإفسادهم الجهاد هو ما يسمونه: "منهج السلفية الجهادية".

وهذا قصور في الرؤية ونقص في تحليل الواقع؛ فأين دور تجهيل الطواغيت لشعوبهم عشرات السنين، وقمع مظاهر الإسلام في البلاد، والنقمة على تضييع بعض الجماعات للثورة في عدد من البلدان، وتغييب الدعاة عن ساحة الشام، وانشغال طلبة العلم في بلاد الشام عن تعليم الشباب، وإهمال المهاجرين، وتسلب عدد من شباب جماعات التكفير والتوقف للبيئة الجهادية، والطبيعة الثورية لبعض الشعوب، وعدم مراعاة قادة جل الجماعات لحاجيات عناصرهم الفكرية والتربوية والمادية، والاختراقات الأمنية للخوارج، والمؤامرات العالمية...

فأين كان المنهج في تونس التي ظلت عشرات الأعوام تحت حكم أئمة الكفر، وما أن زال حكمهم حتى نفر آلاف منهم إلى بلاد الشام، فكانوا أكثر عددا وأسبق هجرة وأشد غلوا؟! نعم، لا ننكر أن بعض الشباب الذين ظنوا أنفسهم "سلفيين جهاديين" أفسدوا كثيرا

بظنهم هذا وبغلوهم في بعض المسائل، ولكن التقليل من خطورة المزيج النفسي والاجتماعي الذي أنتج هذا البلاء يساهم في تفاقم المشكلة لا في حلها، وها نحن نرى كل يوم أعدادا ليست بالقليلة تنتقل من عموم الجماعات الشامية إلى صفوف جماعة البغدادي، حتى من جماعات اللصوص وقطاع الطرق وسارقي الذخائر، فأى منهج هذا الذي دفعهم لذلك؟!

إن الانحراف وليد بيئة متكاملة تُنتج في اليمن حوثيين رافضة بعد أن كانوا زيدية، وتنتج في الشام خوارج بعد أن كانوا سنة، وتنتج في أفغانستان مرتزقة التحالف الشمالي بعد أن كانوا مجاهدين، وتنتج بوطيين وبرهاميين ونورسيين وأحباش وعقلانيين وقرآنيين وأحمدية وعبدة شيطان...

ب-- يرون أن بعض رموز ما يسمى بـ"السلفية الجهادية" يتعاطفون مع تنظيم البغدادي ويسكتون عن بيان جرائمهم؛ لأنهم "إخوة المنهج".

وهذا كذلك قصور في رؤية الواقع وتحليله؛ والتأمل في التجربة الجزائرية في التسعينات يبين لنا أن التعاطف يكون عند عدم تبيين الرؤية الواضحة، وأنه ما إن تتبين حقيقة الفكر الخارجي حتى يسارع الصغير والكبير إلى التبرؤ منه، وقد رأينا في بلاد الشام كيف أن كثيرا ممن كان يدافع عنهم لما تبين له حالهم انقلب عليهم وكشف عوارهم.

ولقد قصر كثير من المنتقدين لـ "أخوة المنهج" في تألف قلوب الرموز وإلانة الخطاب معهم وتوضيح الحقائق لهم، بل وعملوا على إسقاطهم واستعدادهم، في مهارات إعلامية لا تبالى بأثر ذلك على عموم البيئة الجهادية، ولا تعرف معنى المتبوع الذي تنقاد له الناس، ولا تعتد بسابقة ذوي السبق، وإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم نهي عن سب كافر خوفا من إيذاء مسلم؛ فكيف بمن يسب دعاة أهل السنة أملا في إيذاء المبتدعة!.

وقد يوجد سكوت من بعض رموز ما يسمى بـ"السلفية الجهادية" أو تورية، لعدة أسباب منها: حاجتهم إلى التثبيت، أو أملا في استصلاح بعض أتباع البغدادي، أو لعدم رؤيتهم نفعاً في جديد تعليق على الأحداث، أو تعاطفاً مع ذي صحبة قديمة منهم...

ووجود هذا السكوت أو التعاطف من البعض مع تنظيم البغدادي لا يقتضي إنشاء

مصطلح جديد يسبب إبهاما ولبسا وخلطا وجدلا وتشاحنا؛ بل يمكن التعبير عن هذا الخطأ بكثير من التعبيرات الدالة الجلية المشتهرة؛ مثل: التعصب للجماعات، والحزبية الضيقة، وضعف الولاء والبراء...، والعامل يسلك أيسر الطرق التي توصل لأنبل الغايات.

-- ينادون بتغيير "أخوة المنهج" إلى "الاصطفاف السني".

وهذا من العزلة التي دأب البعض على المعيشة فيها، تلك العزلة التي تجعل البعض لا يفتقر من خوض معارك وهمية تظن المشكلة في مصطلح ما وترى علاجها في مصطلح آخر، عزلة تجعله يفتقر كل مرة على كوارث لم يحسب لها أدنى حساب.

فرغم أنه لا وجود حقيقة لمصطلح "أخوة المنهج" إلا أن كثيرا من المصطلحات الأخرى البديلة لا وجود لها كذلك! فهي مصطلحات لا معنى محدد لها، ويراد لها أن تبقى رنانة حمالة لأوجه، تحمل معاني خيرة، وتتطوي على دلالات غير مرضية، تفرق الأمة وتشرذمها بدعوى توحيدها واصطفافها!.

فما معنى الاصطفاف السني؟

وهل يأتي أحد توحد الأمة الإسلامية، أم أن الكل متفق على وجوب توحيدها مختلف في آلية ذلك لا في أصل وجوبه؟

وما علاقة هذا المصطلح بمصطلحات وأحكام: أهل الحل والعقد، والعدالة، والولاء والبراء، والمبتدعة، والمنافقين، والفساقين؟

وهل تسربت بدعة الدواعش في سلوك أي سبيل لبلوغ غاية مشروعة كالإمامة والخلافة، فصاروا ينادون بالوحدة والاصطفاف دون مراعاة لأثر ذلك على حركة الجهاد، وقوة المجاهدين، ومحاولات احتواء الثورة...

فليست المشكلة ولا علاجها في "أخوة المنهج" ولا "الحاضنة الشعبية"؛ فهذا لعدم معرفة حقيقة الداء مداواة بالتي كانت هي الداء.

تماما كمن يفتعل أزمة يزعم فيها أن جماعته تقدم مصلحة الأمة على مصلحة التنظيم خلافا لغيره ممن يقدمون مصلحة التنظيم على مصلحة الأمة!!، مع أن الجميع متفقون على

هذا الأصل النظري، وإنما خلافهم أين تكمن مصلحة الأمة؟ فالانشغال بدراسة الواقع وتقدير المصلحة خير من الانشغال بإيهام الأتباع مسائل يفقد مصداقيتها ومصداقية من علمه إياها مع أول عارض شبهة.

ومما يؤرق في ظاهرة توليد المصطلحات الجديدة أنها ترافقها أحيانا حملة تنتقص جل الرموز، ولا تعترف بمرجعية أيا كانت، مع إعجاب بالنفس، وإيهام اكتشاف ما غاب عن الأمة أو تناسته... وهذه كلها مؤشرات مَرَضِيَّة ينبغي التوجس منها.

== وختاما واختصارا أقول: ===

- تنظيم البغدادي طائفة خوارج تسببت في نشوئها كثير من العوامل والمؤثرات.
 - من أهم أسباب علاج ظاهرة الغلو الدعوة والتربية الجادة الصحيحة.
 - من البلاء الانشغال بالسجلات الفكرية التي تدور بين ثقافة منطري المجاهدين.
 - جل المصطلحات الجديدة غامضة تحمل معاني حقة وأخرى باطلة، والرجوع للمصطلحات الواضحة أسلم.
 - يحق لعوام المجاهدين الإعجاب بمن يثقون بهم ونقل كلامهم في مثل هذه القضايا؛ أما الدفاع والهجوم والتحليل والنقاش فمزلق يجب إجماع العوام عن الخوض فيها، وعدم الفرح بقناعات زائفة تتأرجح بين فينة وأخرى.
 - ينبغي مراجعة مسائل نوازل الجهاد الاجتهادية، ولكن دون إسقاط للرموز أو احتقار للمرجعيات أو استبداد بالرأي أو تفلت من النصوص.
 - علو صوت شخص أو عدة أشخاص في هذه القضايا الكلامية يعبر عن رأي المتحدث وحده، لا عن رأي جماعة ولا كيان ولا اتجاه.
- نسأل الله الهداية والتوفيق.

ظاهرة الإعجاب بالعمل الخيري الغربي^١

دعا الإسلام إلى الإنفاق في سبيل الله عز وجل ورغب فيه وحث عليه، وتضافرت الأدلة في بيان ذلك، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ يَوْمٌ لَا بِنِعْمٍ فِيهِ وَلَا حُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ وقال جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

وقد تميزت الحضارة الإسلامية بكثرة البذل والإنفاق في وجوه الخير، وتعدد المصارف التي تخرج فيها تلك النفقات، وانتشرت ظاهرة الأوقاف التي أعطت للعمل الخيري قوة وثباتا واستمرارًا، وخففت عن كاهل المجتمع المسلم كثيرًا من الأعباء والمهام التي تنوء من حملها الجبال.

لكن الملاحظ في العصور الأخيرة أنه مع وفود نظرة الإعجاب بالغرب وحضارته، ومع إعجاب البعض بقيم الغرب وأخلاقه ومثله، ظهرت النظرة المبهورة بالعمل الاجتماعي الغربي وما سموه بالقطاع الخيري أو القطاع الثالث، أو مؤسسات المجتمع المدني...

وبدأ المبهورون بالتجربة الغربية ينقلون لنا أرقامًا وإحصائيات مذهلة وخيالية، تهدف إلى تصوير المجتمعات الغربية كمجتمعات بلغت في التراحم والإنسانية مبلغًا عظيمًا.

ثم بدأ هؤلاء المبهورون يطالبوننا بتقليد الغرب في هذه التجارب، مع الإضرار على حال المسلمين، وتصوير ما يظنونونه بونًا شاسعًا بيننا وبينهم في هذا الجانب الخيري.

بل ظهرت في أوطان المسلمين منظمات ومؤسسات تابعة للمنظمات الغربية أو مقتفية أثرها، تبغي الانتقال بالمجتمع المسلم إلى مصاف الدول الغربية في العمل الخيري الاجتماعي، ونشأت ظاهرة اعتبار العمل الخيري غاية في نفسه، فبدأننا نرى مؤسسات لا ترفع للإسلام

(١) كتبت سنة ١٤٣٠ هـ.

رأسًا ومع ذلك تدعي العمل الخيري، وبدأنا نرى الحفلات الغنائية وقاعات الأفراح المختلطة التي يصرف ريعها على العمل الخيري، ورأينا استثمار الأموال في البنوك الربوية من أجل العمل الخيري، ورأينا كذلك جمع التبرعات لصرفها في مصارف غير مشروعة مثل: تحديد النسل، وتحرير المرأة، والمساواة بين الأديان، ونشر قيم الليبرالية، إلى غير ذلك من القضايا التي تخالف الإسلام.

لكن بقليل من التأمل تظهر حقيقة هذه الأعمال الغربية، ومدى الغبش الذي يحيط بها، مما يعيد النظرة الصحيحة إلى موضعها.

* فمثلًا الأرقام المذهلة للعطاء الغربي التي تبلغ مئات المليارات من الدولارات، هي أرقام مبالغ فيها جدًا؛ لأن مناهج جمع الإحصائيات تخضع كثيرًا للتلاعب والمزايدات، فتقوم غالبًا على عينات دراسة شاذة، وتقديرات جزافية بعيدة عن الواقع؛ فمثلًا تنفسي عندهم النظرة الحريصة التي تُقيّم كل شيء وكل عمل وتعدّه عملاً خيرياً وتضع له ثمنًا، فالأرقام تشمل المنح الدراسية، والهدايا، ومكافآت الموظفين، وبعض أنواع الضرائب، والوصايا، والميراث، وثن الأراضي التي تبني عليها الكنائس وثن بناء الكنائس، والأنشطة الخيرية التي تقيمها المؤسسات التجارية بهدف الدعاية...

* فرق التضخم والأسعار بين العالم الإسلامي والعالم الغربي له دور في ظهور الإحصائيات الكبيرة؛ حيث ترتفع الأسعار في بلاد الغرب ارتفاعًا كبيرًا نظرًا لارتفاع الأجور والإغراق في مظاهر الرفاهية، وما مشكلة سوق العقار في الغرب وتدخل البنوك في تمويلها بعيدة، رغم أن سوق العقار في الوطن الإسلامي لا يزال في متناول غالبية الشعب.

* العمل التطوعي الغربي يمتد كذراع لمؤسسات الدولة، يحقق للحكومات والكنائس وسائل انتشار وتأثير وضغط داخل المجتمع وفي كثير من بقاع العالم، وتعمل المؤسسات التطوعية على تغطية العمل السياسي والهيمنة الاستعمارية في الدول المختلفة، وما عمل منظمات ما يسمى بالتبشير بخاف على أحد، وكيف استطاعوا عن طريق هذه الأذرع أن يهيمنوا على كثير من الدول.

* الدين النصراني يعطي رجال الكهنوت صلاحيات واسعة، وينزلهم منزلة الربوبية، كما قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ ومن أهم مطامع كثير من رجالات دينهم الاستيلاء على أموال أتباعهم بشتى الحجج والوسائل، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ فلا غرابة أن ينفق كثير من الناس استجابة لأوامر رجالات دينهم الذين يزعمون أنهم يملكون صكوك الغفران.

* الثقافة الغربية تجهد المجتمع في العناية ببعض الخدمات التي يرونها خيرية، ولكنهم في الحقيقة مضطرون إلى تحملها، نتيجة الأسس الهشة التي تبني عليها مجتمعاتهم؛ فمثلاً دور العجزة ودور رعاية اللقطاء تستقطع مبالغ ضخمة، ولكنها في الحقيقة نتيجة حتمية للحضارة الغربية اللاأخلاقية، وكذلك مساندة ضحايا العصابات الإجرامية وتأمين السكان وتأليف قلوب المجرمين واتقاء شرهم، عمل لازم لتفادي بعض أخطار الحياة الإجرامية التي تعاني منها كثير من المجتمعات الغربية، حتى إن بعض المدن الغربية اشتهرت رغم دعواهم الحضارة بعمليات السلب والنهب والخطف والقتل، وما عصابات المافيا وأخبار مدينة شيكاغو منا بعيد، فكانت هذه الأعمال التطوعية أمراً لا بد منه للتعامل مع واقعهم الأليم .

* العمل الخدمي الغربي يلبي رغبات وطموحات فئة واسعة من فئات المجتمع الغربي التي تعاني الفراغ والوحدة، وتعاني الشعور بالنقص، وتعاني حب الرئاسة، وتعاني حب الفخر... إلى غير ذلك من الأغراض التي لا تجد لها مكاناً في ظل النظام الرأسمالي المتوحش الذي لا يعترف بغير المادة والإنتاج والربح.

- إن الأمة الإسلامية أمة تتفوق على سائر الأمم، وخاصة في المجال الإنساني؛ لأنها أمة تبتغي رضا الله جل وعلا وتعمل على تحقيق مراده سبحانه وتعالى، وحرى بمن يعظم حضارة الغرب وعملهم التطوعي، ثم يقارن ذلك بأمتنا الإسلامية، أن يقارن بنفس معايير التقييم التي ينظر بها لهم، وعندها سيرى جلياً تفوق العمل الخيري الإسلامي على ما سواه حساً ومعنى؛

فمثلاً: المسلمون مليار ونصف، ثلثهم حسب الإحصائيات العالمية فقير، بمعنى أن مليار مسلم غير فقير، ولو حسبنا زكاة الفطر - مع قلة قيمتها المادية - لأصبح لدينا المليارات، ولو حسبنا الأضاحي والمهدي والعقائق والولائم والزكوات، ولو حسبنا ثمن أراضي المساجد والمستشفيات الخيرية والجمعيات وما صرف على خدمة المساجد وتوسعتها خاصة الحرمين الشريفين لتكونت لدينا أرقام غاية في الضخامة؛ فمثلاً إذا كانت مساحة الحرم المكي كيلو متر مربع، فهذا يعني ١٠٠٠ متر طول × ١٠٠٠ متر عرض = مليون متر، وعند ضرب مليون متر في قيمة المتر عند الحرم ستكون النتيجة مليارات لا تعد، فضلاً عن الحرم المدني وأرض عرفات ومزدلفة ومنى...، فضلاً عن بقية المساجد في العالم الإسلامي.

وختاماً: نردد قول الله تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ

بِمَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾.

خواطر بعد سعودة محفظي القرآن

أثار ما شاع من قرار سعودة معلمي حلقات تحفيظ القرآن الكريم في بعض المناطق، وما صاحب ذلك من مخاوف اندثار كثير من حلقات التحفيظ - أشجانا كامنة في الأعماق لكنها محفورة في الذاكرة ماثلة أمام العيان.

ونحن نذكر ابتداءً بأن الشريعة الإسلامية تُقدم الأكفاء، وترفع المتقين، دون نظر للون أو جنس، وما التعليق على هذا الموضوع إلا من باب درء المفاسد وجلب المصالح.

إن الملاحظة الجديرة بالذكر أن هذا القرار أظهر الفراغ الكبير في صفوف أبناء الصحوة من السعوديين، وكيف أن تلك الجهود التي بذلت وتبذل من عشرات السنين لم تنزل في طور الضعف الذي يعجز عن إخراج فئة تحمل أعباء الرسالة بأمانة على عاتقها.

إن الحقيقة التي تظهر للعيان تتمثل في أن البلاد التي كانت تصدر الدعاة إلى كافة الأقطار هي اليوم في أمس الحاجة إلى هؤلاء الدعاة، وأنها تسير في العموم على أكتاف إخوة أتوا من بلاد بعيدة يوشك أن يرحل كثير منهم تاركًا وراءه عبئًا ثقيلاً.

إن نظرة سريعة لكثير من الأعمال الخيرية بالسعودية توضح أن:

- أكثر الأئمة الرسميين ينيون الإخوة الوافدين ليتقدموا للإمامة والوعظ.
- أكثر محفظي القرآن الكريم من الوافدين.
- أكثر مراكز البحوث ومكاتب الدراسات والاستشارات يقوم بالعمل الفعلي فيها إخوة وافدون.

- أكثر مواقع الشبكة العنكبوتية الإسلامية تدار من قبل الوافدين.
 - أكثر الجمعيات الخيرية والمكاتب الدعوية يقوم بحمل أعبائها إخوة وافدون.
 - القنوات الفضائية تدار في الحقيقة من قبل وافدين.
- *فأين جيل الصحوة من أبناء هذه البلاد؟***

ويمكن إجمال بعض الأسباب التي توجد في أحيان كثيرة، وتؤدي إلى عزوف كثير من شباب الصحوة عن حمل أمانة الدعوة فيما يأتي:

****الكسل واللامسؤولية:** الأعمال الدعوية تحتاج همة ونشاطاً وبدلاً وصبراً، وكثير من السعوديين لا يجدون في أنفسهم تلك الهمة التي تجعلهم يلتزمون بمواعيد العمل، ومتابعة البرامج، وحمل أعباء الدعوة خارج أوقات العمل، لذا نرى كثيراً منهم إن اختلط بهذا المجال فضل الجانب الإداري.

****انغلاق المحاضن التربوية:** كثير من المحاضن التربوية منغلقة على نفسه، يعمل داخل إطار محدد، مما يجعل أفراده يفقدون كثيراً من رصيدهم الدعوي مع أول خروج للمجتمع، فيكونون مرتبطين بالجو العام الذي نشأوا فيه.

****قلة الكفاءات العلمية والدعوية:** الناس كإبل مائة لا يكاد الرجل يجد فيها راحلة، وهكذا شباب الصحوة مع كثرتهم إلا أن أكثرهم ترك التحصيل وقنع باليسير من العلم.

****ضعف الراتب:** كثير من الأعمال التطوعية التي يقف على ثغرها الإخوة الوافدون يتقاضون منها مبالغ زهيدة، مما يضعف إقبال السعوديين على تلك الثغرات؛ انشغالاً بما هو أليق بمستواهم المعيشي.

****التربية على الإغراق في الكماليات:** وهي تربية مبنية على الرحلات، واللعب، وموائد الطعام، والمسرحيات، والأناشيد، وهي تربية لا تتخطى ذلك لمرحلة أخرى، وهي تربية ضعيفة يوشك أن تنهار مع أول نسمة من نسمة الرياح.

**الانشغال بالدنيا والسعي لكسب الأرزاق: دون التفكير في المخاطرة ببعض متاع الدنيا، ودون الزهد في حطامها، فيدخل البعض في سباق مع مستجدات الحياة من مأكّل وملعب ومسكن وأثاث... إلخ، ويظل في سباق معها حتى يأتيه أجله ولم يستكمل بعد ما ملأ عينيه من زخرفها.

**ضعف الإدارات: وقد أدى ذلك لوصول بعض ممن لا تتوفر فيهم الكفاءة اللازمة لقيادة تلك المؤسسات.

**الاقتصار على الدور الدعوي الرسمي: وأن يظن المرء أن أداء الوظائف الرسمية فيه غنى عن مجال الدعوة الرحب.

**الفهم الخاطئ للاحتساب: وعدم فقه أصوله وقواعده، والفهم الخاطئ لقضية حبس الوقت، والخلط بين النية والجعل.

وهذا الضعف الملحوظ ليس مرضاً لازماً لشباب الصحوة، بل يمكن تداركه إن صحت النية واستقام العمل على منهج الإسلام الصافي.

كيف نغنم من قرار السعودية؟

إن قرار سعودة معلمي حلقات التحفيظ بلاء ومحنة، لكن الواجب على أهل الإيمان أن يأخذوا جانب المبادرة من قبل أنفسهم؛ أداء لواجب الأمانة، وإغاظة للمناققين الحاقدين المتربصين من جانب آخر.

إن هذا القرار قد يأخذ جانب الجدية وقتاً من الزمن، وإلى أن تنجلي هذه الغمة أدعو رجال الصحوة وشبابها وعلماءها ودعاتها إلى النزول للميدان، والمشاركة بجدية في تعليم كتاب الله وتدريسه؛ لينالوا الخيرية التي ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» واستجابة لقوله صلى الله عليه وسلم: «بلغوا عني ولو آية».

فيا أيها الغيورون:-

يا أساتذة الجامعات...

ويا مدرسي المدارس...

ويا قضاة الشريعة...

ويا أئمة المساجد...

ويا طلبة العلم الشرعي...

ويا حفظة كتاب الله في كافة المجالات؛ من: أطباء، ومهندسين، وتجار، وصناع...

هبوا لتعليم كتاب الله، هبوا لنشر كلام الله، هبوا وقفوا وتواضعوا؛ لتنالوا الأجر والخير

العميم.

وإلى الهيئات الدعوية: أمسكوا زمام المبادرة، وأعلنوا عن مشروعكم لتجيش طاقات

الأمة، فلن تجدوا محفزاً لشحذ همم الدعوة للمشاركة في الخير، وهم عموم المسلمين لاستقبال

الخير، مثل الاجتماع على كتاب الله جل وعلا.

ماذا نتوقع لو أقيمت حلقات يشرف عليها ويدرس فيها إمام من أئمة الحرم المكي،

أو عالم من هيئة كبار العلماء، أو رئيس محكمة، أو رجل أعمال مشهور، أو طبيب

محترف؟.

سياسة الحكم الذاتي داخل جامعة الملك عبد الله للعلوم والتقنية^١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.. وبعد؛

فقد ذكر موقع جامعة الملك عبد الله للعلوم والتقنية الإلكتروني نبذة عن الجامعة جاء فيها: [يحكم جامعة الملك عبد الله مجلس أمناء مستقل دائم، ويدعمها وقف يبلغ عدة بلايين من الدولارات، وهي تقوم على أساس الجدارة وترحب بالرجال والنساء من جميع أنحاء العالم] فالجامعة لها حكم ذاتي مستقل يطبق قوانين مجلس الأمناء على من حضر من مسلمين ونصارى ويهود وبوذيين، وعن علاقة الجامعة بالدولة ذكر الموقع في شرحه للجوانب الأكاديمية ما يلي: [وتمارس عملها بصفة عامة دون اعتبار للحدود التنظيمية أو الوطنية] فوداعا للوطن ولا اعتبار للوطنية، وذكر موقع الجامعة في شرحه للحي السكاني ثقافة الدولة الجديدة بقوله: [إن الحي السكاني المحيط بها معني أيضا بتوفير الرعاية لمجتمع دولي متعدد الثقافات] فهو مجتمع دولي متعدد الثقافات رغما عن أنوف القبائل الشريفة التي سكنت تلك الأرض الطيبة قبل الغزو، ثم يأتي التلاعب بالألفاظ الموحية بالانفلات فتأتي عبارات مثل: [سوف تكون جامعة الملك عبد الله خالية من المعوقات المؤسساتية والبيروقراطية] وعلى اللبيب أن يعرف ما وراء الأكمة، فهذه الجمل التي ذكرت بعضها لا تحتمل التأويل؛ لأنها ببساطة خرجت من مؤسسة عملاقة تخطط وتدرس وتعي جيدا ما تريد أن تقوله.

إن مربط الفرس وبيت القصيد والقضية الأساسية هي محاولة علمنة البلاد ونشر القوانين الجاهلية بالانتفاف على الالتزام بتحكيم الشريعة، وذلك بإصدار قوانين مخالفة للشرع بشكل شفهي أو بشكل تعليمات إدارية، مع تغيير الاختصاصات بحيث لا يكون القضاء الشرعي مختصا بتلك الأمور، وتحال إلى هيئات إدارية تخالف الشرع، والله غالب على أمره ولكن

(١) كتبت سنة ١٤٣١هـ.

أكثر الناس لا يعلمون.

إن فقاعات الزبد التي تتناثر من جامعة العلوم هي بحق محفز يشحذ همم دعاة الحق لمواصلة دفع الباطل ودعائه، تلك المدافعة التي لم ولن يفرط دعاة الحق في المكسب الذي يحصدونه مع كل جولة من جولاتها، مكسب التعرض لنفحات الله الحسنى التي تكتب في سجل حسنات الأبرار الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

فيا أهل العلم ويا دعاة الإسلام ويا شباب الخير، قولوا كلمة حق، ولا يخذلنكم البسطاء الذين يستسهلون حياة الذل، وخاطبوا العاملين في الجامعة وإدارة الجامعة ومجلس الوزراء ومستشارو الديوان الملكي وأفراد العائلة المالكة وملك البلاد، وقولوا لهم جميعاً: قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلِّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ وقال رسوله صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنْ وَاٍ يَلِي رِعِيَّةً مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَيَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ هُمْ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ».

أسأل الله أن يرد كيد الكائدين، وأن يبطل عدوان المعتدين، وأن ينجينا من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

خطيب المرتدين "بارك حسين أوباما"، لا مرحباً

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وبعد:
فقد سارع كثيرٌ من الكتّاب والمتحدّثين بالعرق في بحر الأمايبي والأوهام، فسوّدوا صفحاتٍ مطوّلةً، وسردوا أحاديثٍ مُنمّقةً عن أخبارٍ اعترام رئيس أمريكا الجديد "بارك حسين أوباما" مخاطبةً جماهير المسلمين من مدينة القاهرة، قلب العالم الإسلامي، وقد أدّى هذا الصّخبُ الإعلامي إلى أن يهتّم الناس بهذه الخطوة المرتقبة، وسادت حالة من التفاؤل بين كثيرٍ منهم؛ بل وصل الحال إلى أن علّق بعضهم الآمال والأحلام على هذه الزّيارة الموعودة.

ولكن، ماذا ننتظر من عدوّنا؟! أنتظر أن يعلنها حرباً صليبيّة قائلاً: القتال القتال؟! أو أن يُهدّد ويتوعّد قائلاً: أرى رؤوساً قد أينعت وحن قفافها؟! أو أن يُلمي شروطه مستكبراً متبخترًا قائلاً: إمّا اعتدلتم، وإمّا انطردتم؟! أو أن يُعلّمنا كيف يسوسنا قائلاً: هذا الطريق فالزموه؟! أم أنّ السّدج ينتظرون أن يُعلن انتصارنا، ورضوخه لشرطنا، وأن يستسمحنا في الصّفح عنه قائلاً: إن يكن جرمي قبيحًا، فإنّ الصّفح عن جرمي جميل؟!!

الواقع أنّ كثيرًا من شعوبنا خدعها الدعايات الإعلامية الكاذبة، ومعسول الكلام المنمّق، فتعلّق بوهم غريب؛ وهو أن يعلن رئيس أمريكا رفع المعاناة والظلم الذي حاق بنا جرّاء طغيانهم الممتد، وهذه أحلامٌ يقظةٍ خادعة، وجديرٌ بنا أن نتنبه لمكر العدا، فلا يُلدغ المؤمن من جحر مرتين، وإذا كانت العرب تقول: كيف أعاودك وهذا أثر فأسك؟! فكيف نعاوده وليس هذا أثر فأسه فحسب، بل هذا اجتياحه ملطّخ بمساوي الفعل وردئها؟!!

أليست قوّاته تقاتلنا في أفغانستان وباكستان والعراق، وتقتل الرّكع السّجود؟! أليست أساطيله الحربية تجوب بحارنا كلّها، من البحر المتوسط إلى الأحمر، إلى الخليج العربي، إلى المحيط الهندي والأطلسي؟! أليست قواعده العسكرية ممتدّة من قلب العالم الإسلامي إلى

أطرافه؟! أليس حصاؤه مفروضًا على سوريا والسودان وغزّة؟! أليس يسعى جاهدًا لتفتيت وتقسيم الدويلات الإسلامية شدّر مدّر؟! أليس يؤمّل الجمعيات المشبوهة، والحركات الهدامة في كلّ بلاد الإسلام بهدف إفساد العباد والبلاد؟! أليس يرعى في بلاده كلّ سفينة متهتك خرج من بلادنا؛ لينفث حقدّه على الإسلام والمسلمين، متخذًا من مقامه هناك ظهرًا يحميه من سوء فعالة؟! ألم يفعل ويفعل!؟

القضية باختصار هي أنّ المكر والدهاء يقومان في أحيان كثيرة مقام البطش والطغيان؛ لكن دون أن يستثير عواطف المسلمين وحميتهم وجهادهم، ودون أن يخاطر بأبناء شعبه المنهك، واقتصاده المنهار في مغامرات فاشلة، وأمله أن يهزم المسلمين، وأن يُسيطر على بلاد العالم الإسلامي وأمواله بذكائه الموهوم، بديلاً عن حماقات سلفه المغرور بوش؛ قال - تعالى -
: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَزُدَّوَكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧]، وقال - سبحانه - : ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠].

وقد سقطت فئام من الناس في مستنقع الدّلة والمهانة أمام أعداء الله من أئمة الكفر، فغرّتهم مظاهر زعامة خداعة، وبريق حضارة زائفة، متناسين قوله - تعالى - : ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣]، وقوله - عزّ وجلّ - : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

ومهما تسارع البطّالون لنيل رضا سادتهم في الشرق والغرب، فلن يُعَيّر هذا من حقيقة العداة المستحکم ظاهرًا وباطنًا بيننا وبينهم.

والحقيقة أنّ معاشر أهل الإيمان لا ينتظرون الفرج من أعدائهم، ولا تلتفت قلوبهم لمنح شأنهم، كلاً كلاً، إنّهم استشعروا مقام التوكّل على العزيز الجبار، الذي عزّ كلّ شيء فقهره وغلبه، وذلك لعزّته كلّ عزيز؛ ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢٦٢]

[٤٩]، وعلموا أنّهم إن أحسنوا الاستقامة على منهج الله لآخ لهم بريق النصر خفّاقاً عاليّاً؛ ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١ - ١٧٣].

إنّ المسلم عزيز شامخ، يطاول عنقه عنان السماء، ويطأ بقدمه هامات الطواغيت، ترعرع في رياض العظمة، وتمرس في ميادين الكرامة، ويقارع العدا بكبرياء الحق. هذه النفسية مكوّن ثابت متغلغل في أعماق أعماق الصفوة النّجباء، السادة الأجلاء، ممّن عرّفوا الدنيا وحقيقتها وحقيقة أهلها، إنّها نفسية لا تعرف الهوان ولا الذلّة؛ لأنّها - وبكل سهولة - نفسية سامقة سمّت على آلام البدن وآهاته، نفسية لا ترى لطاغية عليها سبيلاً؛ ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨]، مُترنّمة بقول الأئمة الأعلام: "ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنّتي وبُستاني في صدري، إن رحّث فهي معي لا تُفارقني، إنّ حبّسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة".

ويتعيّن على علماء المسلمين وطلبة العلم أن يوضّحوا حقيقة العلاقة بيننا وبين أعدائنا، وأن يحتسبوا الأجر في بيان المكر والخداع الذي يُحاك ضدّ أمتنا الأبيّة؛ إبراءً للذمة، وأداءً لواجب البلاغ.

وختامًا:

نقول لكلّ من حاك الحيل صدّاً عن سبيل الله: اخسأ عدوّ الله، فلن تعدّو قدرك، فنحن - بحمد الله - قائمون قادمون، نرفع الظلم وننشر العدل، محفوظون منصورون، نبني المجد ونعمر الأرض؛ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُخْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦].

أيّاً خطيب المرتدين، لا مرحباً، ديارك أوسع لك، وقومك أولى بك، فارتحل عنّا غير مأسوفٍ عليك.

أيها الملوك والزعماء والقادة والأمراء... اعتبروا بأحداث مصر^١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، وعلى آله وصحبه والتابعين.. أما بعد؛

فهذه تذكرة أبعث بها إلى جزيرة العرب خاصة، تلك الجزيرة التي هي: حرم الإسلام، وداره الأول، وقاعدته على مر العصور، وأبعث بها إلى بلاد الإسلام في طول الدنيا وعرضها؛ لعلها تصل إلى قلب سليم وعقل راجح رزين.

لقد مرت بنا في مصر أحداث جسام، أحداث أذهلت كثيرًا من الناس، واستعصى فهمها على أكثرهم، وذهبوا في تفسيرها كل مذهب، وتنازعا بين مُشْرِقٍ ومُعَرَّبٍ؛ فمن رجل يعدد فضائل وآثار برامج الشبكة العنكبوتية، إلى ثان يتغنى بالشباب وثورته، إلى ثالث يبرهن على أن الانقسام والاختلاف بين أقطاب النظام أسقطهم جميعًا، إلى رابع يشرح كيف أنها مؤامرة عالمية حيكت في الظلام لقلب النظام، إلى خامس يُقسّم أنها الماسونية تخلت عن أعضائها بعد أن صاروا جيفًا لا تسمن ولا تغني، إلى سادس يؤكد على أن الفقر والبطالة كانتا السبب الرئيس لإشعال الثورة وإسقاط الظلمة، إلى سابع وثامن وتاسع... كلٌ يدلي بما ارتآه.

ولكن هناك حقائق لا بد أن يعيها كل متأمل في هذه الأحداث وتلك المواقف؛ ومنها:
- أن النظام المصري البائد لم يكن ينقصه كُتّاب مرتزقة يسبحون بحمده، ويلهجون بذكره والثناء عليه، ويزينون للشعب المغلوب على أمره كل قبيح.

- أن النظام المصري البائد لم يكن ينقصه المال الذي يشتري به ذمم الناس وأمانتهم.
- أن النظام المصري البائد لم يكن ينقصه الدعم الخارجي، والعلاقات الودية مع سادته في الشرق والغرب.

- أن النظام المصري البائد لم يكن ينقصه قوات أمن، تدين له بالولاء الكامل، تخصصت في إبادة الخصوم وتشريدتهم، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم، شعارها: (افعل ولا حرج).

- أن النظام المصري البائد لم يكن ينقصه بناء السجون الضخمة التي تتسع - مع بعض الضيق - لكل معترض ومخالف، بل وموافق إن اضطهرهم الأمر.

- أن النظام المصري البائد لم يكن ينقصه مشائخ السوء؛ الذين يُلقون في مدح الأنظمة خطبًا عصماء، موشحة بأبهى حلل البلاغة والفصاحة، ثم يحنونها بأدعية مطولة بأن يحفظ الله ولي أمرهم، وأن يتقبل منه، وأن يجمع الأمة على يديه، وأن يبارك له في أهله وماله...

- أن النظام المصري البائد لم يكن ينقصه التمسح بالإسلام، والظهور بمظهر حامي حمى الشريعة، ورافع راية الإسلام.

- أن النظام المصري البائد إذا قورن بغيره كان ﴿أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾ [غافر: ٢١].

إن الحقيقة أن النظام البائد أعرض عن شرع الله جل وعلا، وخاصم دينه، وظن أنه بمأمن عن عذاب الله وشديد انتقامه، قال تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ٤٥ - ٤٧].

وهاكم أيها الحكام والمستولون - في بلاد الجزيرة العربية خاصة وبلاد المسلمين عامة - طائفة من الموبقات والمنكرات، التي اقرتها النظام البائد في مصرنا، فأدت به إلى الخزي والعذاب الأليم في الدنيا قبل الآخرة؛ لأن الله توعده مرتكبيها بسوء العذاب؛ ولينظر كل منكم إلى ما تحت يده، ليعلم أحسن أم أساء؟ أأصاب أم أخطأ؟ أأدى الأمانة أم خانها؟ مستشعرًا أن بأس الله لا يرد عن القوم المجرمين، وأنه إن لم يقف وقفة توبة ومحاسبة فلينتظر بأس الله وشديد انتقامه، ولات ساعة مندم، قال تعالى: ﴿وَيَلِّ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُنَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الجنائية: ٧ - ٨]:

* الحكم بغير ما أنزل الله: ومن ذلك وضع قوانين تخالف شرع الله، أو إغفال الحكم بالأحكام التي شرعها الله جل وعلا، أو الإذعان للأحكام التي تخالف شرع الله بدعوى الالتزام بالمواثيق الدولية والشرعية الأممية، أو الحيلولة بين القضاء وبين الحكم بما أنزل الله بدعوى عدم الاختصاص، قال تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاحْشَوْنَ اللَّهَ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤] وقال جل وعلا: ﴿وَأَنْ أَحْكَمَ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ أَفْحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٤٩ - ٥٠].

* محادة الله وإيذاء رسوله صلى الله عليه وسلم: ومن ذلك رعاية المتطاولين على الدين وعلى جناب النبي صلى الله عليه وسلم، واتخاذهم أعوان ومستشارين، وموادة من يؤذي الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، ومن يؤذي أمهات المؤمنين زوجات النبي صلى الله عليه وسلم، والتضييق على المدافعين المنافحين عن الدين، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾ [المجادلة: ٢٠]، وقال جل وعلا: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٦١].

* موالة الكافرين: ومن ذلك التعاون معهم ضد المسلمين، وإمدادهم بالمعلومات التي تيسر عليهم محاربة المسلمين، والسماح بعبور جيوشهم لمحاربة المسلمين عبر المجالات الجوية والبحرية، ووضع القواعد العسكرية في خدمتهم، وتوفير المواد التموينية اللازمة لاستمرار الكفار في حربهم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ

بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُضْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴿٥١﴾ [المائدة: ٥١-٥٢].

* الإضلال عن سبيل الله: ومن ذلك تزييف حقائق الدين، والتلاعب بمُسَلَّمات الشريعة، والترويج للمذاهب الهدامة والمصطلحات الغامضة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦]، وقال جل وعلا: ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [غافر: ٥].

* محاربة مساجد الله: ومن ذلك الحرص على إغلاقها عقيب الصلاة، ومنع كثير من الدعاة من اعتلاء منابرها أو الوعظ فيها، والتجسس على خطبائها وروادها، والتحكم في الأوقاف المخصصة لها، ومحاصرة كل الأنشطة المقامة بها، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٤].

* أكل الربا والمال الحرام: ومن ذلك فتح الباب على مصراعيه للتعاملات الربوية، وتيسير مهام المؤسسات الربوية، بل ونقل الأموال لتوضع في بنوك بلاد الكفار الربوية، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [البقرة: ٢٧٨].

* إشاعة الفاحشة في المؤمنين: ومن ذلك تشجيع التبرج والاختلاط، وإنشاء شواطئ الفحش، ورعاية القنوات الهابطة، والبرامج المثيرة، والسماح ببيع المجلات الآثمة، والأفلام القذرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النور: ١٩].

* **ظلم الناس:** ومن ذلك تسلط الكبراء على الضعفاء، والأغنياء على الفقراء، وإذاعة العلماء والدعاة صنوف القهر والأذى، قال تعالى: **﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ هُمْ عَذَابَ أَلِيمٍ﴾** [إبراهيم: ٢٢].

تلك بعض المظاهر التي طغت وفشت في مجتمعنا -وفي كثير من المجتمعات-، وبمعرفتها تتبين الحقيقة التي نهينا عن تزييفها، قال تعالى: **﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَانًا أَثِيمًا﴾** [النساء: ١٠٧] وهي مظاهر لا يكابر في حصولها إلا من أصابته الغشاوة فعمي عن الحقائق الواضحات البينات: **﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾** [النور: ٤٠].

لقد سارع كثير من حكام المنطقة بعد سقوط النظام البائد في مصر، إلى توزيع الثروات، وتوظيف العاطلين، والحوار مع المعارضين، وتغيير الحكومات، وتبديل السياسات، والتغني بحرية الشعوب وحقوقها، إلى غير ذلك من الإجراءات المضطربة التي تعكس مدى القلق الذي أصاب أفئدتهم، ولكن ما لم تكن هناك رجعة جادة صادقة صريحة لدين الله، ومنهجاه، وتحكيم شرعه، ورفع رأيته، -رضي من رضي، وسخط من سخط- فلن تكون فعالم هذه إلا من باب المكر السيئ **﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾** [فاطر: ٤٣]، وتكون عاقبة أمرهم كما كانت عاقبة من سبقهم، قال تعالى: **﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَحَرَّ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ مِنَ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾** [النحل: ٢٦].

الإسلاميون بين موجة الثورات وإعادة حساب موازين القوى^(١)

لقد فاقت الثورات التي قامت في بعض بلاد المسلمين أحلام كثير من أبناء الأمة، الذين ظلوا طول حياتهم ينتظرون يوم الخلاص من قبضة أكابر المجرمين الذين عاثوا في الأرض فسادًا، نعم لقد كانوا يمتنون أنفسهم بيوم تُشفى فيه صدورهم بالانتقام من عصابة الطغيان؛ لكنهم مع يقينهم بأن الله على كل شيء قدير، لم تستطع مخيلتهم أن تتصور هذه الوقائع التي نعيشها اليوم في: تسارعها، واتساعها، وضخامة المنجزات التي حققتها.

ومع ضخامة الحدث؛ فقد اتسمت كثير من تفاصيل هذه الثورات وأحداثها بالغموض، وتعددت المؤثرات التي تعمل على التأثير فيها وتوجيه دفتها؛ وحصل من مجموع ذلك بعض النفع لأمة الإسلام؛ رغم تنوع انتماءات الثوار ما بين:

١- فصائل العمل الإسلامي.

٢- القوى الوطنية.

٣- أعضاء المنظمات السرية العالمية.

٤- أصحاب الأجنداث والرؤى الخاصة.

وما ذلك إلا لأن دين الله جل وعلا مؤيد منصور على كل حال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«إنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، وإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر»** [رواه البخاري ومسلم].

وكثيرًا ما اختلطت مع تطور هذه الثورات راية الحق براية الباطل، وتداخلت الأهداف المشروعة مع الأهداف المنحرفة، ونسي الكثيرون الميزان الواضح الذي بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم في جوابه لمن سأله عن الرجل يقاتل شجاعة، ويقاقل حمية، ويقاقل رياء، أي ذلك في سبيل الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»** [رواه البخاري ومسلم].

(١) كتبت سنة ١٤٣٢هـ.

ولكن مع تحقيق الثورات لكثير من المنجزات، فقد ظهر بوضوح انحياز كل عنصر من العناصر المكونة للثورات إلى أصله وأهدافه التي يعمل من أجل تحقيقها؛ وظهرت روح العداوة للإسلام بادية من كثير ممن لا يعملون من أجل الإسلام بل ولا يعبأون به؛ وهذه سنة كونية أجراها الله تعالى على مر الزمان واختلاف المكان، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مُجْرِمِيهَا لِيَمْنَكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٣].

وفي ظل الصراعات التي تشهدها الساحة بين الثوار والأنظمة، وبين الثوار بعضهم مع بعض، وبين القوى الداخلية والخارجية، يبدو مطلب إعادة حساب موازين القوى -داخليًا وخارجيًا- مطلبًا ملحقًا لفصائل العمل الإسلامي، حتى لا يضيعوا بسبب عدم تجديد النظر وتمحيصه، فرصة سنحت، فتنجرف دفة الثورة بعيدًا عنهم، بل وقد تنقلب ضدهم.

موازين القوى الداخلية:

أ- الدولة: كانت أنظمة الحكم التي أودت بها هذه الثورات تتكى على مؤسسات متعددة تتعاقد فيما بينها؛ لتحقيق السيادة الداخلية وقمع كل من تسول له نفسه منازعة أقطاب النظام، واستخدمت هذه الأنظمة وسائل القمع والمكر المتعددة من أجل هذه الغاية، وكانت مضرب المثل في القهر والاستبداد.

أما اليوم فقد تفككت أواصر هذه الأنظمة التي لم يجمع بينها إلا الترغيب والترهيب، وظهرت بينها العداوات والأحقاد التي كانت مستبطنة، ولم تعد هناك دولة بالمعنى الحقيقي لهذه الكلمة، بل ولا مؤسسات حقيقية يمكن لأي حكومة أن تتكى عليها في القمع والتتكيل، خاصة ضد فصائل العمل الإسلامي التي تحظى بإمكانات ضخمة وجمهور كبير من المؤيدين والمحبين.

ب- المنظمات المعادية للإسلام: كانت المنظمات المعادية للإسلام تعمل في هذه البلدان تحت غطاء الحكومات المستبدة؛ حيث وجدت هذه الحكومات في تلك المنظمات سندًا في حربها ضد خصومها التاريخيين من فصائل العمل الإسلامي، مع ما تجده هذه

المنظمات من دعم وحماية خارجية؛ لكن مع انهيار النظام وتدفق التمويل الأجنبي سارعت هذه المنظمات لتلتهم ما تصل إليه أيديها؛ مما أدى إلى ظهور صراعات وانقسامات فيما بينها، تبدو حيناً وتختفي حيناً، وتظل أكثر هذه المنظمات بعد أن انكشف عنها الغطاء الحكومي أضعف من أن تصمد في مواجهة الإسلاميين؛ مما أدى بهم إلا الاكتفاء بالصراخ والعيول والتحريض في أبقاقهم الإعلامية.

ج- الأقليات الدينية: أكثر الأقليات الدينية في الوطن الإسلامي تعمل في الخفاء على تكتيل وتنظيم أفراد ملتهم، وإعداد العدة لانتهاز الفرص الخاطفة ومواجهة الخطوب الحادثة، ولكنهم يظلون دومًا عاملاً مساعداً يدور في فلك القوى المتجبرة، ويرتمي في أحضانهم، سواء كانت هذه القوى أنظمة الحكم الداخلية أو دولاً ومنظمات عالمية، ولكن عندما تشكل هذه الأقليات الدينية في قدرة الآخرين على حمايتهم، وترى كل من كانت تستجديهم يسعون للحفاظ على بعض مكتسباتهم ومصالحهم الخاصة، يلجأون إلى المسكنة، ويخطبون ود من حولهم، وينأون عن الخوض في الشأن العام؛ حفاظاً على كيانهم من أن تعصف بهم العواصف فتقتلعهم من جذورهم.

موازن القوى الخارجية:

مع أفول نجم الاتحاد السوفيتي توجهت الأنظار إلى العالم الإسلامي، منتظرة الصراع المرتقب بين الولايات المتحدة الأمريكية التي ظهرت كقطب أوحده للعالم تريد أن يدور الجميع في فلكها، والعالم الإسلامي الذي ظهرت فيه حينها صحوة تتململ من الظلم والظالمين. وتعددت جبهات الصراع المباشر وغير المباشر بين أمريكا والعالم الإسلامي؛ وبلغ هذا الصراع أشده بعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر؛ حيث كشرت أمريكا عن أنيابها، معلنة أن من لم يكن معها فهو ضدها.

ولكن طول زمن الصراع وكثرة جبهاته أنهكت جسد أمريكا وأدمته، وتعرضت أمريكا للعواصف والقلقل الداخلية والخارجية، وأصبحت أمريكا تترنح من هول المصائب التي

لحقت بها؛ وقد اتضح ذلك جلياً في نخوفها من المجاهدة المباشرة مع المسلمين في جبهات مثل: الصومال، وباكستان، وقطاع غزة، وليبيا.

وقد اضطرت أمريكا للقبول ببعض الفصائل التي تنتسب للعمل الإسلامي في جل البلدان؛ حذرًا من وجود فصائل أخرى قد تكون أكثر عداوة لأمريكا، وبنظرة عاجلة نجد أن كثيراً من البلدان الإسلامية أصبحت أنظمتها - رغم حرب أمريكا التي تشنها على كثير من مظاهر الإسلام - تستعمل كلمة الإسلام كأداة لكسب تأييد الشعوب؛ ومن ذلك مثلاً: السعودية، والسودان، والصومال، وإيران، والعراق، وباكستان، وأفغانستان، وقطاع غزة، وتركيا.

بل قد انقلب الأمر على أمريكا؛ فانتشرت الشبكات التي ظلت أمريكا تحاربها انتشاراً كبيراً، وأصبحت لها بؤر تتمركز فيها في كثير من الدول؛ مثل: أفغانستان، وباكستان، والشيشان، والعراق، واليمن، والصومال، والجزائر، وليبيا، وفلسطين..

الميزان الحقيقي للقوى:

إن هذا العرض السريع لم يهدف قط إلى استقصاء موازين القوى، بل كان هدفه هو دعوة فصائل العمل الإسلامي إلى إعادة حساب موازين القوى عند ممارسة أنشطتها المختلفة؛ من: دعوة، وتربية، وتعليم، وحسبة، وسياسة شرعية، وجهاد.. كما يهدف هذا المقال إلى زعزعة روح الهزيمة التي تسيطر على الكثيرين نتيجة لأمر؛ منها:

- التهويل الإعلامي المتكرر الذي يصور أعداء الإسلام بصورة القوة التي لا تقهر والفارس الذي لا يغلب؛ قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ﴾ [الزمر: ٣٦].

- الضربات الموجعة التي تعرض لها العمل الإسلامي في العقود الأخيرة، وأدت إلى

تعرض كثير من العاملين للإسلام للأهوال التي لا طاقة لهم بها.
- النظرة السطحية القاصرة لواقع العمل الإسلامي، والتي تقتصر على بعض الجوانب
وتتغاضى عن رؤية المساحات الضخمة التي تبوأها.

وباختصار: سيظل الكفار يحاربون الإسلام بحدهم وحديدهم؛ مصداقاً لقوله تعالى:
﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتِطَاعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧] ولكن
العاقبة للمتقين، والنصر للمؤمنين، رغم أنف الكفار والمنافقين؛ قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ
رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١].

هل ستشهد الثورات العربية عودة العلاقة المتذبذبة بين (الزعيم) والحركات

الإسلامية؟^(١)

ظهرت حركات الاستقلال في بلاد العرب منذ ستة عقود، وتعددت أدوار الحركات الإسلامية في ذلك الوقت، وتوالى الأحداث والمستجدات، حتى أصبحت تلك الحقبة تمثل في وجدان الأمة تجربة عميقة، لها أثرها وتأثيرها، ولكن يظل هناك مشاهدان معبران، يلخصان لكثير من العاملين للإسلام خلاصة هذه التجربة؛ وهما:

المشهد الأول: في يوم الجمعة ١٢ فبراير ١٩٥٤م، وفي ما يسمى بالذكري الخامسة لوفاة الأستاذ حسن البنا رحمه الله في ١٢ فبراير ١٩٤٩م، وقف جمال عبد الناصر مع وفد من مجلس قيادة الثورة، وسط الحشود العريضة؛ أمام قبر الأستاذ حسن البنا رحمه الله؛ ليعلن التزامه بالعهد قائلاً: (إنني أذكر هذه السنين والآمال التي كنا نعمل من أجل تحقيقها... نعم أذكر في هذا الوقت، وفي مثل هذا المكان، كيف كان حسن البنا يلتقي مع الجميع؛ ليعمل الجميع في سبيل المبادئ العالية والأهداف السامية، لا في سبيل الأشخاص ولا الأفراد ولا الدنيا... وأشهد الله أني أعمل، إن كنتُ أعمل؛ لتنفيذ هذه المبادئ، وأفنى فيها، وأجاهد في سبيلها)^(٢).

المشهد الثاني: في صباح يوم الاثنين ٢٩ أغسطس ١٩٦٦م، خرجت صحيفة الأهرام بخبر تقول فيه: (تم صباح اليوم تنفيذ حكم الإعدام في كل من: سيد قطب، عبد الفتاح إسماعيل، محمد يوسف هواش، قادة التنظيم الإرهابي للإخوان المسلمين، وقد أصدر الرئيس

(١) كتبت سنة ١٤٣٣هـ.

(٢) ينظر في ذلك مجلة التحرير، عدد ٤٤ بتاريخ ١٦ / ٢ / ١٩٥٤م، وكتاب: التصويب الأمين، لمحمود الصباغ، ص ٦٦.

عبد الناصر قرارًا بتخفيف عقوبة الإعدام بالنسبة للأربعة الآخرين؛ مراعاة لصغر سنهم، واستبدالها بالأشغال الشاقة المؤبدة^(١).

وبين هذين المشهدين ظلت الأجواء الثقافية المعاصرة مشحونة بكثير من الحكايات، والتحليلات، والرؤى، والخبرات، والمراجعات، كل يحاول استخلاص العبر من هذه التجربة الثرية، والاستفادة من التراكمات الحيوية لهذه الأحداث.

ومع بزوغ نجم الربيع العربي، وعودة ظاهرة الثورات إلى صدارة المشهد، واضطلاع الحركات الإسلامية بدور أساسي في دفع عجلة التغيير، يظل الهاجس الذي يراودنا جميعًا: هل يمكن أن تُساق مرة أخرى إلى نفس المصير الذي سيق إليه الرواد الأوائل؟

والإجابة الجازمة على هذا السؤال غيب، نسأل الله اللطيف بأمة الإسلام، ولكن تبدو في الأفق ظواهر تدل على وجود فروق جوهرية بين التجريبتين، وظواهر أخرى تُحَدِّر من تكرار نفس التجربة ونفس النتيجة، ومن ذلك:

أولاً: الظواهر التي تدل على وجود فروق جوهرية بين ثورات الربيع العربي الحالية وحركات التحرير السابقة:

أ- أن حركات التحرير في العالم العربي أتت ملتحفَةً روح الهزيمة النفسية في الأمة؛ فالخلافة قد أُلغيت، وفلسطين قد احتُلت، وأعلن اليهود قيام دولتهم، وأطراف العالم الإسلامي أصبحت تحت حُكم أقلياتها غير المسلمة..، أما اليوم فقد ارتدى الكثيرون روحًا جديدة؛ تعلوها العزيمة، وتحدها الآمال؛ ذلك أن هزائم أمتنا السابقة فَعَدت تأثيرها السلبي؛ لتقدم عهدا، إضافة إلى ظهور بوادر قد تقود للنصر في كثير من البقاع الملتهبة، تقابلها أعراض الهزيمة لقوى الشر العالمية بمعسكرها الشرقي والغربي.

ب- أن الجيل الذي قاد حركات التحرير كثُر في أفراده الانحرافات الفكرية

(١) ينظر في قصة إعدام الأستاذ سيد قطب رحمه الله كتاب: سيد قطب صاحب الظلال، لتوفيق الواعي وإبراهيم منير، وكتاب: سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد، لصلاح الخالدي.

والعقدية، وتداخلت الروح الدينية بالروح القومية والوطنية، وسادت انحرافات المتصوفة وأقوال المرجئة وآراء المعتزلة، كل ذلك وغيره أفقد كثيرًا من قادة العمل الإسلامي الرؤية الواضحة التي تجابه التحديات الكثيرة، أما اليوم ومع وجود كثير من هذه الأمور الهدامة إلا أن كثيرًا من شيوخ الصحوة وشبابها قد ميّزوا بين العمل للإسلام والنعرات القومية، وسئموا من البدع العقدية والعملية، وانزوى كثير ممن لا يزال متلبسًا بتلك العقائد في زوايا الخمول والكسل، ولم تعد لتلك الأطروحات ذاك الرونق الذي كانت تتحلى به قديمًا.

ج- أن الخبرة التي كانت لدى الجيل السابق تولّد معظمها من ثنايا الأحداث، واصطبغ كثير منها بالتلقائية وردود الأفعال، أمّا اليوم فلدى جماعات العمل الإسلامي تراكمات ضخمة، وثرء فكري، ورؤية متكاملة لكثير من التجارب التي مرّت بها الأمة في العقود الستة المنصرمة، مما قد يكون أكسبها بُعدًا في النظر، وعمقًا في التأمل والتحليل.

د- أن قوى الشرّ العالمية كانت في القرن الماضي قريبة العهد بالقتال، تضحى بفلذات أكبادها بلا عدٍ ولا حصر؛ من أجل تلبية غرور قادتها المستكبرين، ولم تكن تعبأ بملايين الضحايا الذين سقطوا من رعاياهم في الحرب العالمية الأولى والثانية وفي الدول التي احتلوها في مشارق الأرض ومغاربها، أما اليوم ومع بُعد عهدهم نسبيًا بتلك المجازر البشعة، فقد دخلهم مع تطاول العهد واتساع رقعة التزود من متع الدنيا وزخرفها، ما يدخل الأمم غالبًا؛ من فتور، وحرص على تحصيل الشهوات الآنية، وهلع إذا أصابتهم أدنى المصائب، وقد عاتب الله جل وعلا من تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك حين طابت الثمار والظلال في شدة الحرّ؛ فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اتَّقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾^(١) [سورة التوبة: آية ٣٨]، فإذا كان المؤمن قد يتثقل إذا فُتحت عليه الدنيا، فما بالناس بالكافر الذي يتقلب في أتون الشهوات والنزوات؟

(١) ينظر تفسير ابن كثير لسورة التوبة، آية ٣٨.

هـ- أن الصدمة الحضارية التي أصابت الكثير من أبناء المسلمين قديماً، وكانت تأخذ بلبّ كثير ممن وطعت أقدامهم بلاد الكفار، فأزدهم صرعى لأول وهلة، فعادوا ناقمين على الأمة الإسلامية وتاريخها وثقافتها وحضارتها، لم يعد لهذه الصدمة الحضارية ذاك التأثير، بعد أن امتدّت يدُ العُمران في كثير من بقاع المسلمين، وانتشرت في الأمة الكفاءات الفنية التي فككت طلاس الحضارة الغربية؛ ليرى الجميع أنّ ما وصل إليه الغرب ليس بمعجز لنا، إن صدقت النوايا وحسن العمل.

ثانياً: الظواهر التي تدل على تشابه بين ثورات الربيع العربي الحالية وحركات

التحرير السابقة:

أ- أن سيطرة الجيش تظل في المشهدين بادية بوضوح، وعاملاً مؤثراً في تحديد هوية الطريق الذي تسير إليه الدولة؛ بل قد لا نجانب الحقيقة إن قلنا: إن بنية الجيوش العربية في واقعنا المعاصر أسوأ بالنسبة لآمال الأمة المسلمة من بناء الجيوش قبل ستة عقود من الزمن؛ ذلك أن بنية الجيوش المعاصرة أحيطت بقدر كبير من الحيلة والحذر أثناء تكوينها؛ خشية أن تتخللها عناصر تناوى الحكومات المعاصرة، وأصبحت اختبارات الهيئة التي يُستدل بها على التكوين الثقافي للمتقدم لتلك الجيوش نقطة جوهرية في قبول الجنود، ويجري مع ترقيات الضباط تحديث للمعلومات الخاصة بالضابط؛ مثل أحوال أفراد عائلته، وصدقاته، وموقف زوجته من الحجاب، وعدد أولاده، وعلاقته بالصلاة والمسجد...، فنشأ جيل من قيادات الجيوش يغلب عليه الجهل بأمور الدين، والتقيد بالتعليمات العسكرية مهما كانت، وهذا يخالف تكوين الجيوش في الحقبة السابقة؛ حيث لم تكن الإجراءات الإدارية بهذه الصرامة، وكان الجيش يجمع في طياته مختلف التوجهات والأفكار، وهذا ما كان يؤدي سابقاً لكثير من الانقلابات في الجيش، والمحاکمات العسكرية في صفوف الجند، بتهم تتعلق بمحاولة قلب النظام، خلافاً لما استقر عليه حال كثير من الجيوش الآن.

وعندما يحكم الجيش بلداً ما فإن سياسته تتسم غالباً بالروح التي تربي عليها، والتي لا

يُتقن غيرها، وهي روح المناورة والهجوم الكاسح عند التقدم، والكمون والانقضاض على العدو عند التقهقر.

ولا يمكن بحال لمن تدبر الأمور أن يركن لحكم هذه الجيوش التي ترعرعت في قبضة القهر والاستبداد، مهما أظهرت من ودٍّ طالما لم تعلن صراحة وقوفها بجانب الإسلام والشريعة؛ لأنَّ السلوك الحميد لم يكن يومًا من الأيام سلعة تباع وتشترى، يتزيا بها من أراد وقتما شاء.

ب- ازدياد الخلاف والشقاق بين جيل الصحوة الإسلامية، بصورة تفوق ما كان ملاحظًا في المشهد العام أثناء حركات التحرير السابقة؛ فقد أجهد شباب الصحوة من عبء التنازع الفكري لكثير من القضايا المتراكمة عبر عشرات السنين، ولم تُعد حالة الاستقطاب يتنازعا طرفان أو ثلاثة، بل أصبحت معترِّكًا بين عشرات الجماعات والجمعيات والأحزاب والحركات، التي تقترب من بعضها وتبتعد لأسباب كثيرة وأحيانًا بلا أسباب!

ج- استمرار مسلسل صناعة (البطل) وتصديره إلى شعوب المسلمين؛ بل إن صناعة (البطل) كانت تتم سابقًا بناءً على تخطيط سابق وعمل دؤوب مستمر، ذاك (البطل) الذي تلتف حوله الجماهير وترفعه فوق الأعناق، ثمَّ ما يلبث أن يُسفر عن عداوته للإسلام وأهله، ويذيقهم ألوانًا من الأذى والعذاب، أمَّا الآن فلم يُعد (البطل) يحتاج إلى سجل معارك ليسمى (الغازي)، ولا تاريخًا نضاليًا ليسمى (الزعيم)، وأصبحت صناعة هذا (البطل) لا تستغرق الآن سوى أيامًا معدودة، تتكاتف فيها وسائل الإعلام مع رؤوس الأموال مع مراكز القوى؛ لتمجيد هذا (البطل) الذي يهبط على الأمة فجأة قادمًا من واشنطن أو باريس أو لندن، ويمسك بتقاليد الحكم، دون سابق مقدمات أو معرفة للأمة به.

د- ظهور نوع من الركون إلى عاطفة الشعوب، والاعتزاز بالكثرة الزائفة، التي تحتف باسم الإسلام، وتتسابق للظهور في المشهد اليومي للعمل الإسلامي، ولكن الخشية أن نتوان عن استثمار هذه الطاقات وتوجيهها التوجيه السليم، فنجدها قد تبخَّر أكثرها عند أول مفترق للطرق، وعند احتدام الأمور، كما تبخَّرت من قبل جماهير أكثر عددًا من الجماهير

التي نراها اليوم.

هـ- رغم وضوح هوية كثير من الحركات الإسلامية منذ ستة عقود، إلا أنّ البعض الآن يحاول مواراة الخطاب العقدي للحركات الإسلامية، محاولاً الاقتراب من الخطاب السياسي للقوى المناوئة للحركات الإسلامية؛ حتى لا يظهر بمظهر الشاذ عمّا يسمى بالقوى الوطنية، والعملة الفكرية، وحقوق الإنسان، وهذه الطريقة في الخطاب من شأنها أن تُذهب بريق النور الذي تحمله الحركات الإسلامية، وتُخمد روح الإيمان الذي يحرك الأفراد العاملين للإسلام، إضافة إلى أنه قد يؤدي لتقديم خطاب مشوه لا يمثل حقيقة الإسلام ولا حقيقة دعوته.

* **إننا اليوم في أول الطريق**، وبين أيدينا أمانة يجب أن نؤديها إلى من بعدنا، وليس لنا من سبيل إلا أن نستعين بالله جل وعلا، ثم نصبر على تحمل الكثير والكثير جداً من المسؤولية في سبيل تحقيق العبودية التي أمرنا الله جل وعلا بتحقيقها، تلك العبودية بمعناها الشامل الكامل الذي يأخذ من الدنيا زاداً إلى الآخرة.

ونحن وإن كنا قد تمازجت الصورة المعاصرة للثورات العربية في بدايتها بالصورة قبل ستة عقود؛ فرأينا اليوم مصطفى عبد الجليل رئيس المجلس الانتقالي الليبي يوم الأحد ٢٥ ذو القعدة ١٤٣٢ هـ يسجد شكراً لله جل وعلا أمام العالم كله، ويعلن أنّ (أي قانون يعارض المبادئ الإسلامية للشريعة الإسلامية فهو معطل قانوناً)، فإنّ الصورة النهائية للمستقبل ستظل غيباً إلى أن تستعرضه الأجيال القادمة، لكن المسلمين دوماً موقنون أنّ النصر المبين والفوز العظيم هو قدرهم الذي كتبه الله لهم، ﴿**وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [سورة يوسف: آية ٢١].

وفي المرحلة الثانية من الثورة تشتعل معارك الحصاد^١

تحتل الثورة عادة مكانة سامية في نظر محبيها، ويمنون أنفسهم بالحياة في مدينة فاضلة، تتجلى فيها مظاهر الخير والحق والعدل، في مقابل الدولة البائدة، التي يرتبط ذكرها بكل مظاهر الشر والباطل والظلم.

وتظل هذه النظرة أملاً يراود المجتمع، وأمنية تحوي إليها الشعوب، مؤملين أنفسهم بعهود من الرخاء والاستقرار، لم يسبق لها في مخيلتهم مثيل، محاولين إضفاء الصفات النبيلة والحلال الحميدة، على قادة هذه الثورة أو تلك.

ونحن نرجو الخير، ونأمله، وننشده، ولكن قادة العمل الإسلامي مطالبون بالبصيرة في الأمور، والنظر الثاقب، والرؤية الفاحصة، حتى يحققوا ما تصبو إليه نفوس المسلمين وتحفو إليه أفئدتهم.

ومن هنا فلا بد من تقليب النظر فيما بين أيدينا من قرائن الأحوال، وما وصل إليه علمنا من تجارب الأمم والشعوب؛ لنستشرف أفق المستقبل دون إفراط أو تفريط.

فأما النظرة الوردية للمستقبل القريب لأي ثورة كانت، فإنها غالباً تتعامى عن حقيقة المعاناة الإنسانية في هذه الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [سورة البلد، آية ٤]، وحقيقة الطبيعة البشرية التي يغلب عليها الكفر والظلم والجهل، قال تعالى:

﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة يوسف، آية ١٠٣]، وقال جل وعلا:

﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا

وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [سورة الأحزاب، آية ٧٢]، وتتعامى عن قضاء الله

الكوني الذي أجراه لحكم لا يعلمها إلا هو، هذا القضاء الذي جعل الاختلاف والتدافع

سنتين كونيتين لا مفر من وقوعهما في الأرض، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً

وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [سورة هود، آية ١١٨].

والمسيرة التاريخية للبشر تؤكد أن أكثر هذه الأحلام تصطدم عقب الثورة مباشرة بصهيل الخيل، وسليل السيف، وتطير الرؤوس، وانتصاب سوق الحرب غدوة وعشية، بسبب وبدون سبب.

وقد ألمح ابن خلدون إلى هذه الحقيقة في مقدمته؛ حيث قال: (وحالات الدولة وأطوارها لا تعدو في الغالب خمسة أطوار؛ الطور الأول: طور الظفر بالبغية وغلب المدافع والممانع، والاستيلاء على الملك وانتزاعه من أيدي الدولة السالفة قبلها...، الطور الثاني: طور الاستبداد على قومه، والانفراد دونهم بالملك، وكبحهم عن التناول للمساهمة والمشاركة، ويكون صاحب الدولة في هذا الطور معنيًا باصطناع الرجال، واتخاذ الموالي والصنائع، والاستكثار من ذلك؛ لجدع أنوف أهل عصبيته، وعشيرته المقاسمين له في نسبه، الضارين في الملك بمثل سهمه، فهو يدافعهم عن الأمر، ويصددهم عن موارده، ويردهم على أعقابهم، أن يخلصوا إليه، حتى يقر الأمر في نصابه، ويفرد أهل بيته بما يبني من مجده، فيعاني من مدافعتهم ومغالبتهم مثل ما عاناه الأولون في طلب الأمر أو أشد...)^(١)، وقال: (إذا جاء الطور الثاني، وظهر الاستبداد عنهم، والانفراد بالمجد، ودافعهم عنه بالراح، صاروا في حقيقة الأمر من بعض أعدائه، واحتاج في مدافعتهم عن الأمر وصددهم عن المشاركة، إلى أولياء آخرين من غير جلدتهم، يستظهر بهم عليهم، ويتولاهم دونه...، ومرض قلوب أهل الدولة حينئذ من الامتهان وعداوة السلطان، فيضطغنون عليه، ويتربصون به الدوائر، ويعود وبال ذلك على الدولة)^(٢).

(١) مقدمة ابن خلدون، فصل أطوار الدولة واختلاف أحوالها.

(٢) مقدمة ابن خلدون، فصل استظهار صاحب الدولة على قومه.

ولعل هذا الاصطلام الذي يحصل عقب الثورات يعود إلى أسباب منها:

١- أن الثورة هي مزيج لعدة عناصر اجتمعت على حرب نظام فاسد، وواصلت عملها حتى حققت ما تصبو إليه، ولكن هذا المزيج -وقد حقق ما اجتمع عليه- يعود ليتحلل ويتفكك إلى عناصره الأولى، بل ويزيد عدد هذه العناصر نتيجة التفاعلات التي حصلت أثناء الثورة ما بين انفصال واتصال.

٢- أن الأبواب التي كانت موصدة، تعوق الوصول لكرسي الحكم، قد تحطمت مع انهيار النظام السابق، وأصبح الكرسي باديًا عيانًا لكل فريق، ليس بينه وبين أن يعتليه إلا أن يشب عليه، فتطمع كل طائفة في غنيمته والاستئثار به، وهي تظن أنهم بمشاركتهم في القضاء على النظام السابق، يستطيعون أن يقضوا على خصومهم الحاليين بيسر وسهولة.

٣- أن سقوط الدولة يجعلها نهبًا لكل طامع، ومغنمًا لكل عدو؛ فتكثر الدسائس والحيل، ويحاول المتربصون بالخارج أن يصلوا حبال الود مع أصفيائهم بالداخل، مرغبين لهم ومؤملين، فتكون قوة أكثر المتصارعين خارجية لا ذاتية، مما يؤجج الصراع بداع وبدون داع إلا إرضاء أولياء نعمتهم.

٤- أن مرحلة الثورة مرحلة مخاطرة، لا يخوضها إلا القليل، وقد رضي أغلب الناس بحالهم ويسوا من الخلاص، أما مرحلة الحصاد فقد سرى نسيم التحرر في النفوس، فيتكالب على الغنيمة جل من سمع بها، وتكثر الطوائف، ويكون لكل زعيم غُصبة يأوي إليها وتذود عنه.

٥- أن الرؤى تختلف في النظر للثورة وما يعقبها من أحداث، مما يؤدي إلى أن يلوك الناس أمر الأمة في أفواههم، فيعجب كل ذي رأي برأيه، ولا يكاد يعبأ أحد بقول النصحاء الصالحاء، فتتفلت الأمور، وينخفض الرفيع، ويرتفع الوضيع، ويصعب على أهل الحل والعقد قيادة جماهير الأمة.

ولعلنا إذا قلبنا صفحات التاريخ رأينا بوضوح كيف أن تأسيس أغلب الدول لا يقوم إلا على جسر من جماجم الأعداء والأصدقاء، وهذا الأمر وإن كنا لا نسعى إليه، ولكنه حقيقة لا يمكن أن ننكرها؛ قال الله تعالى: ﴿وَأِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [سورة ص، آية ٢٤]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا، فَأَعْطَانِي ثِنْتَيْنِ وَمَنْعَنِي وَاحِدَةً؛ سَأَلْتُ رَبِّي أَلَّا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسِّنَةِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَلَّا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالْفِرْقِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَلَّا يُجْعَلَ بِأَسْهُمٍ بَيْنَهُمْ فَمَنْعَنِيهَا» [رواه مسلم] وقال صلى الله عليه وسلم: «اتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ؛ حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ» [رواه مسلم].

تنازع الثوار عند قيام الدولة العباسية:

وإذا نظرنا مثلاً إلى الثورة العباسية، كنموذج متقدم في تاريخ الأمة الإسلامية استطاعت القضاء على الخلافة الأموية، فإننا نرى بوضوح ظاهرة التنازع داخل صفوف الثوار عقب تمكنهم من تحقيق غايتهم؛ ومن ذلك:

* **قتل أبي سلمة الخلال**، ويسمى وزير آل محمد، وكان من أعمدة الدولة العباسية، ثم شك العباسيون في ولائته، فأرسلوا له مرار بن أنس الضبي فقتله، وأرسلوا محمد بن الأشعث إلى فارس، فأخذ عمال أبي سلمة الخلال فضرب أعناقهم.

* **قتل سليمان بن كثير**، كان يعرف في الدعوة للدولة العباسية بنقيب النقباء، ومع ذلك تم قتله؛ لأنه خالف أبا مسلم الخراساني.

* **ثورة عم الخليفة عبد الله بن علي على الخليفة أبي جعفر المنصور**، فأرسل الخليفة جيشاً بقيادة أبي مسلم الخراساني، فهزم جيش الخليفة جيش عبد الله بن علي، وتم القبض على عم الخليفة، فحبسه الخليفة، ثم قُتل خنقاً في السجن.

* **قتل أبي مسلم الخراساني**، ويقال له: أمير آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم،

وعلى يديه قامت الدولة العباسية وتوطدت أركانها، ومع ذلك فقد دخل التنافس بينه وبين الخليفة أبي جعفر المنصور، فاحتال عليه أبو جعفر المنصور، حتى قتله ومزقه تمزيقاً.

* **ثورات آل علي بن أبي طالب رضي الله عنه**، وقد كانت دعوة العباسيين تتظاهر بأنها لتمكين آل علي بن أبي طالب من الحكم، فلما وصل العباسيون إلى الحكم استبدوا بالأمر وبغوا عليهم، وقام العلويون بعدة ثورات؛ مثل ثورة محمد النفس الزكية في المدينة وأخيه إبراهيم في البصرة، وقد تم القضاء على ثورتيهما بكل قسوة.

* **ثورات الفرس**، وقد قام الفرس بعدة ثورات مثل: ثورة سنباد، وثورة الراوندية، وثورة أستاذ سيس.

* **ثورات الخوارج**، مثل: ثورة ملبد بن حرملة الشيباني، وثورة حسان بن مجالد الهمداني^(١).

تنازع الثوار في دولة المرابطين:

ارتبطت دولة المرابطين في أذهان المؤرخين بدعوة التجديد التي تنهض في الأمة فتنتقلها من دركات الانحطاط إلى معالي العزة والمنعة، ومع ذلك فهم بشر تجري عليهم الأهواء والأدواء، كل بحسبه.

ومن ذلك ما حصل مع الأمير يحيى بن إبراهيم الجدالي، الذي بدأ بناء دولة المرابطين؛ فقد كان الأمير يحيى بن إبراهيم الجدالي (ويلقب جوهر الجدالي) صاحب أول لبنة في بناء دولة المرابطين، حين ذهب للحج ومر على القيروان، واستصحب أحد علمائها وهو الشيخ عبد الله بن ياسين، لينشر الإسلام الصحيح، ثم إن جماعة من الناس رفضوا الانصياع لشرع الله، (فقال ابن ياسين للذين أطاعوا: قد وجب عليكم أن تقاتلوا هؤلاء الذين خالفوا الحق، وأنكروا شرائع الإسلام، واستعدوا لقتالكم، فأقيموا لكم راية، وقدموا عليكم أميراً. فقال الجوهر: أنت الأمير، فقال: لا، إنما أنا حامل أمانة الشريعة، ولكن أنت

(١) ينظر في تاريخ الدولة العباسية البداية والنهاية لابن كثير، والكامل في التاريخ لابن الأثير.

الأمر، فقال الجوهر: لو فعلت هذا تسلط قبيلي على الناس، ويكون وزر ذلك علي، فقال له ابن ياسين: الرأي أن نولي ذلك أبا بكر بن عمر، رأس لمتونة وكبيرها..، فأتيا أبا بكر بن عمر، وعرضاً ذلك عليه، فأجاب، فعدوا له البيعة، وسماه ابن ياسين أمير المسلمين^(١) فهاهو يحيى بن إبراهيم يرفض الإمارة، ويتنازل عنها، لكن الأمر الذي لا يكاد يصدق هو ما حكاه المؤرخون حيث قالوا: (وكان عبد الله يث فيهم العلم والسنة، ويقرئهم القرآن، فنشأ حوله جماعة فقهاء وصلحاء، وكان يعظهم ويخوفهم، ويذكر سيرة الصحابة وأخلاقهم، وكثر الدين والخير في أهل الصحراء. وأما الجوهر فإنه كان أخلصهم عقيدة، وأكثرهم صوماً وتهجداً، فلما رأى أن أبا بكر استبد بالأمر، وأن عبد الله بن ياسين ينفذ الأمور بالسنة، بقي الجوهر لا حكم له، فداخله الهوى والحسد، وشرع سراً في إفساد الأمر، فعلم بذلك منه، وعدوا له مجلساً، وثبت ما قيل عنه، فحكم فيه بأنه يجب عليه القتل؛ لأنه شق العصا، فقال: وأنا أحب لقاء الله. فاغتسل وصلى ركعتين، وتقدم فضربت عنقه، رحمه الله)^(٢)!!!.

تنازع الثوار في العصر الحديث:

ولم تكن ظاهرة تنازع الثوار أمراً تاريخياً قديماً فحسب، بل ظلت ظاهرة تتكرر عبر التاريخ كلما حانت الفرصة، حتى وصلت إلى العصر الحديث، فبدأت هذه الظاهرة عقب حركات استقلال الوطن الإسلامي من الاحتلال الأوربي في منتصف القرن الماضي، وأصبح الحديث عن انقلابات الجيوش، والمحاکمات العسكرية، وعمليات الاغتيال...، أمراً مكرراً في كثير من الدول المعاصرة.

ولا أدل على هذا التنازع من فترة حكم جمال عبد الناصر لمصر، مع أنه كان قد بادر هو ومجلس قيادة الثورة فور نجاح الثورة بزيارة قبر حسن البنا، وسط الحشود العريضة؛ لإظهار

(١) الكامل في التاريخ، باب ذكر ابتداء دولة الملتنمين.

(٢) تاريخ الإسلام للذهبي، ج ٣١، ص ٨١.

الود للجماهير المسلمة^(١).

ولكن جمال عبد الناصر لم يلبث أن انقلب على رئيس مصر محمد نجيب؛ ليعتلي رسميًا حكم مصر، ثم ينقلب على الإخوان المسلمين وينكل بهم، ثم ينقلب على رفقاءه في قيادة الثورة، فيتم اغتيال المشير عبد الحكيم عامر...

ولا ينبغي أن يغيب عن أذهاننا قط حال التنزع الذي أصاب صفوة من شباب المسلمين، عقب خروج الاحتلال السوفيتي من أفغانستان؛ حيث تنزع المجاهدون تنازعًا كبيرًا، وسالت دماؤهم أنهارًا، مما لا يطاوعني قلبي إلى ذكره.

وختامًا:

فليست هذه دعوة للتطير والتألم،

بل هي دعوة للتفكير والتأمل، والحذر والتمهل، والاستعداد والتأهل.

(١) ينظر في ذلك كتاب التصويب الأمين، لمحمود الصباغ، ص ٦٦.

هل يمكن للجهاد في سوريا أن يحقق ما لم يحققه في العراق؟^١

الوقوع في أسرٍ ضعف أو نقص أو فشل التجارب السابقة، عقبة من أهم العقبات التي تواجه العمل الإسلامي، وتعطله عن الماضي في طريقه؛ بل وتحرفه أحياناً عن صراطه السوي. ومن أمثلة ذلك ما يردده البعض عن الجهاد في سوريا الآن، وأن ما نراه من انتصارات وبطولات وفتوحات، ما هو إلا تكرار لدورة الجهاد في العراق ضد الأمريكان؛ ذلك الجهاد الذي صال فيه المجاهدون الأبطال وجالوا، وتعلقت به آمال الأمة؛ وبدت بشائر النصر، تماماً كما تبدو الآن:

- فبالأمس كانت قناة "الزوراء" تحرض على الجهاد، واليوم ظهرت قناة "شامنا" تحرض على الجهاد.
- وبالأمس كنا نتحدث عن آلاف القتلى والجرحى من الأمريكان، واليوم نتحدث عن آلاف القتلى والجرحى من جنود بشار.
- وبالأمس كنا نتحدث عن انهيار الجيش الأمريكي وانكسار معنويات أفرادهِ، واليوم نتحدث عن انهيار جيش بشار وانكسار معنويات أفرادهِ.
- وبالأمس كنا نتابع بشغف إصدارات المجاهدين في بلاد العراق وبياناتهم، واليوم نتابع بشغف إصدارات المجاهدين في سوريا وبياناتهم.
- وبالأمس كنا نتحدث عن تحرير أجزاء واسعة من: بغداد، وديالى، والأنبار، والفلوجة، وكركوك، وصلاح الدين، وبنينوى، واليوم نتحدث عن تحرير أجزاء واسعة من: دمشق، وحلب، وإدلب، والرقة، ودير الزور، وحمص، ودرعا.
- ثم لم تمض إلا أعوام قليلة حتى كُسرت شوكة المجاهدين في بلاد الرافدين، وأمسكت أمريكا مقاليد الأمور، وتسلم الرافضة زمام الحكم، وذاق أهل السنة الولايات والولايات.

(١) كتبت سنة ١٤٣٤هـ.

* والحقيقة هي أن هذا القول بهذه الطريقة أغفل كثيراً من الحقائق التي تضمّن المسلمون على الجهاد في سوريا، وتشجعهم على الوقوف صفّاً واحداً مع المجاهدين هناك؛ ومن هذه الحقائق:

أولاً: أن هذه الرؤية المتشائمة هي من الوهن المنهي عنه:

فالوهن يصيب الأمم عند الهزيمة، وقد نهانا الله جل وعلا عن هذا الشعور، وحثنا على المبادرة للجهاد رغم وقوع الهزيمة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩)﴾ إِنَّ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوَاهُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلْيَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠) وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩ - ١٤١]، قال السعدي في تفسيره: "أي: ولا تهنوا وتضعفوا في أبدانكم، ولا تحزنوا في قلوبكم، عندما أصابكم المصيبة، وابتليتكم بهذه البلوى، فإن الحزن في القلوب، والوهن على الأبدان، زيادة مصيبة عليكم، وعون لعدوكم عليكم، بل شجعوا قلوبكم وصبروها، وادفعوا عنها الحزن، وتصلبوا على قتال عدوكم، وذكر تعالى أنه لا ينبغي ولا يليق بهم الوهن والحزن، وهم الأعلون في الإيمان، ورجاء نصر الله وثوابه" [تفسير السعدي: ١٤٩].

ثانياً: أن الجهاد في العراق حقق مكاسب وإنجازات ضخمة لا نكاد نحصيها:

فرغم أن النصر الكامل لم يتحقق للمجاهدين في العراق؛ فإن من الظلم البين التغافل عن الفتوحات العظيمة التي تحققت على أيدي المجاهدين الأبرار في بلاد العراق؛ ومن أوضح تلك الفتوحات هذه الانتكاسة الكبرى التي لحقت بدولة أمريكا، والتي بدت بعض مظاهرها في عشرات الآلاف من قتلى وجرحى القوات الأمريكية، وكذلك بدت في الانهيار الاقتصادي الأمريكي، بل وبدت في وصول رئيس أمريكا من أصول مسلمة أفريقية في حادثة لم تسبق في تاريخ أمريكا، وبدت مظاهر تلك الفتوحات أيضاً في خشية أمريكا من المواجهة المباشرة وتبنيها خيار المواجهة غير المباشرة في كثير من الأحيان؛ كما في: الصومال، واليمن، وليبيا، ومالي..، مما أضعف جانب أنصار أمريكا، وخفف عن الأمة كثيراً من

الخسائر التي كانت تتكبدها نتيجة المواجهة المباشرة مع أمريكا التي تفرط بشدة في استخدام القوة الهائلة.

وكما كان الجهاد الأفغاني ضد السوفيت قاصمًا لظهور السوفيت كان الجهاد العراقي قاصمًا لظهور الأمريكان.

ورغم أن الجهاد في العراق لم ينته بعد، فقد حقق الجهاد العراقي كذلك فوائد أخرى كثيرة ليس المقام مقام شرحها؛ منها: إضعافه وتفكيكه للتحالفات الغربية، وفتحه مجالاً لنوع من أنواع التحرر في سياسات بعض الدول العربية التي كانت أسيرة لهيمنة القرار الأمريكي، وتعطيله لمشروع الهلال الشيعي، وإثراؤه تجارب العمل الإسلامي، وكونه سبباً مباشراً في دعم الجهاد في سوريا.

فعلى الأمة ألا تحتقر إمكانياتها، وألا تبخس المجاهدين جهادهم، فهم فخر الأمة وغرة جبينها.

ثالثاً: أن نسبة أهل السنة العرب في سوريا أعلى بكثير من نسبتهم في العراق:

فنسبة أهل السنة العرب في سوريا تتراوح بين ٧٠ - ٨٠% من مجموع السكان، وهذه نسبة كبيرة تعزز فرص النصر بقوة، خاصة مع تشرذم النسبة الباقية بين كثير من الطوائف الدينية والعرقية؛ كالنصيرية، والدروز، والإسماعيلية، واليزيدية، والنصارى، والأكراد... أما في العراق فقد حمل أهل السنة العرب أمانة الجهاد في العراق في ظل معادلة سكانية قاسية؛ فقد استطاع الأمريكان إخراج أكثر الأكراد والرافضة من حسابات الصراع ضد أمريكا، وبقي أهل السنة العرب يواجهون طغيان أمريكا وعدوان الرافضة، وكانت نسبة هؤلاء السنة العرب تتراوح بين ٢٥ - ٣٥% من عدد سكان العراق، مما ضاعف عبء المجاهدين في العراق، وقلل من فاعليتهم.

رابعاً: تزايد عدد المجاهدين في سوريا وعتادهم عما كان في العراق:

فمع اتساع العمليات الجهادية في سوريا تزايد عدد المجاهدين بصورة كبيرة، وأصبحنا نسمع عن حركات وكتائب وجبهات، تعلن كل منها انضواء آلاف المقاتلين تحتها، ويستطيع

المتابع لبيانات تلك المجموعات أن يحصي عشرات الآلاف من المجاهدين الذين يعلنون الجهاد صراحة في وجه الحكم النصيري.

يضاف إلى ذلك استحواذ هذه المجموعات المجاهدة على كثير من عتاد جيش بشار، وأصبح من المؤلف استعمال هذه المجموعات للصواريخ، ومضادات الطائرات، والمدافع، والدبابات، بل والطائرات أحياناً.

أما الجهاد في العراق، فرغم اتساعه وانتشاره، فإن أعداد المجاهدين فيه لم تبلغ هذه الكثرة، وعتادهم لم يبلغ هذا التطور، وارتكز في معظمه على الأسلحة الخفيفة لا الثقيلة.

خامساً: أن قتال بشار بأسلحته التقليدية أيسر من قتال الأمريكان بأسلحتهم

المتطورة:

فمعظم ترسانة الأسلحة السورية غير مكتملة الخصائص؛ مما يؤثر في دقة إصابة الهدف، فأصبحت معظم ضربات الجيش السوري عشوائية، وقد أعطى ذلك فرصة للمجاهدين في سوريا كي ينتشروا بسهولة، ويظهروا في مسرح الأحداث بقوة وبأعداد كبيرة، تقدر في بعض الأحيان بآلاف الجنود الذين يحاصرون بعض القطع العسكرية كالمطارات.

وهذا يخالف ترسانة الأسلحة الأمريكية التي عُرفت بدقة الإصابة، مما حدَّ كثيراً من تحرك

المجاهدين وانتشارهم، وجعلهم فريسة سهلة للصواريخ الموجهة والضربات الدقيقة.

سادساً: قوة تضارب المصالح الإقليمية في سوريا خلافاً للوضع في العراق:

فقد سارعت كثير من القوى الإقليمية لبحث الوضع في سوريا؛ في محاولة لتحقيق أكبر منفعة لها ودفع المضار عنها؛ فتركيا مثلاً إشكالياتها الحدودية مع سوريا في لواء الإسكندرون ومخاوفها من الأكراد، وللطوائف اللبنانية حساباتها المتعددة، وكذلك العراق، وإيران، ودول الخليج، والأردن، وإسرائيل، وأمريكا، وروسيا، والصين، وهذا التضارب في المصالح يوفر مساحة ضخمة من المناورة والتخطيط، ويعطل كثيراً من مخططات الأعداء ومكرهم.

وهذا يخالف الوضع في العراق؛ حيث استطاعت أمريكا بتسلطها وإرهابها أن تنفرد

بالعراق، وأن تنفذ فيه ما تراه، دون اعتبار لمصالح عديد من القوى الإقليمية؛ مثل تركيا التي

تضررت من وضع الأكراد في كردستان، ودول الخليج التي تأثرت بنفوذ الشيعة في العراق.

سابعاً: تغير موازين القوى العالمية الآن عما كان وقت حرب العراق:

فالجهاد في سوريا الآن ينطلق بعد مضي عشر سنوات على الجهاد في العراق، وقد

تغيرت في هذه السنوات العشر كثير من موازين القوى الدولية:

- فلم تعد أمريكا وبريطانيا كما كانتا قبل، بل تحاولان استخدام القوة الناعمة أكثر من استخدامهما القوة العسكرية المباشرة، وتحاول فرنسا التضلع بدور ما في المعادلات الجديدة.

- وأفرزت الثورات العربية موازين قوى جديدة، ومعادلات لم تكن في الحسبان من قبل،

وأصبح وصول بعض التيارات الإسلامية للحكم في عدد من البلدان مؤثراً في الأحداث.

- وانتشر المد الجهادي في بلدان عديدة لم يكن له فيها موطئ قدم من قبل.

- ويتعرض الهلال الشيعي لمقاومة قوية في إيران نفسها، والعراق، وسوريا، ولبنان.

كل هذا التغير في الموازين يعطي للجهاد في سوريا فرصاً لم يكن المجاهدون في العراق

يحظون بأقل القليل منها.

ثامناً: ضعف الترابط العشائري في سوريا وقوته في العراق:

لم يظهر في سوريا دور مؤثر لزعماء وشيوخ ورؤساء العشائر والقبائل الشعبية؛ ولم يكن

للترابط العائلي كبير الأثر في الجهاد السوري، وظل التحرك الفردي أو الجماعي المحدود هو

السائد بين السوريين، مما أضعف محاولة نظام بشار في التأثير المباشر على أفراد العشائر.

أما في العراق؛ فقد كان لشيوخ القبائل تأثير كبير على أفراد القبائل، فاستغل الأمريكان

هذه التركيبة السكانية، واستمالوا عدداً من شيوخ العشائر، فكانوا خنجراً مسموماً في ظهر

الجهاد في العراق، عبر ما سمي حيناً باسم الشرطة العراقية، وحيناً باسم الصحوات.

تاسعاً: ظهور الشبيحة في سوريا يضعف من فاعلية تكرار تجربة الصحوات في

العراق:

تطلق كلمة الشبيحة في سوريا على المتورطين في دعم بشار الأسد في حربه ضد

المسلمين؛ سواء كان هذا الدعم عسكرياً، أم مادياً، أم معلوماتياً، وأصبح عامة المسلمين في

سوريا يُعدُّون هذه الطائفة من طوائف الأعداء التي يحاربونها ضمن حريمهم ضد بشار، ولا يختلف في هذا الموقف أحد من الكتائب المقاومة في سوريا؛ سواء سميت إسلامية أم سميت ثورية.

وهذا التمايز الواضح من بدايات الأحداث قلل احتمالية وجود صحوات فاعلة في المستقبل أسوة بصحوات العراق؛ حيث تمايز أكثر الحبيث في سوريا مبكراً، خلافاً للمقاومة في العراق التي كانت في بداياتها شعبية عامة ضد الغزو الأمريكي؛ فلما جاءت الفتن كان من أسباب قوة الصحوات أن العناصر الحبيثة في المقاومة والمجتمع لم تكن متميزة عن سائر المجاهدين، بل كانت تغدو بينهم وتروح دون شبهة تلاحقهم، فلما انحازت الصحوات للأمريكان استطاعت أن تستغل سابق جهادها، وطول خبرتها، وعمق معرفتها بالمجاهدين؛ لتطعن الجهاد طعنات نافذة، أثرت بقوة على العمل الجهادي في العراق.

عاشرًا: نضج الجهاد في سوريا باستفادته من تجارب الجهاد في العراق:

استفاد الجهاد في سوريا من خلاصة تجارب كثير من الحركات الجهادية في العالم عمومًا، والعراق خصوصًا؛ بسبب التقارب الشديد بين البلدين، وسهولة انتقال الخبرات بينهما؛ لذا فقد تجاوز الجهاد في سوريا العديد من الإشكاليات التي انتابت الجهاد في العراق وسببت صدعًا في العمل الجهادي؛ ومن ذلك مثلًا:

- قضية استهداف عناصر شرطة وجيش بشار؛ حيث اتفق الجميع على ضرورة حرب الطائفة الممتنعة التي تقاتل مع بشار؛ سواء كان أصلها نصيريًا أم سُنيًا، أما في العراق فقد اشتبه على البعض قتال الجنود العراقيين الذين يساعدون الجيش الأمريكي، مما سبب فتنة في الصف الجهادي.

- التنبه والتهيؤ والحذر من الوقوع في الفخاخ التي وقع فيها البعض في العراق؛ كتلخُّع بعض العراقيين مثلًا ومشاركتهم في عملية سياسية كانت بمثابة اعتراف بالاحتلال الأمريكي، وكذلك خدعة الصحوات التي قامت بدعوى حماية مناطق السنة من الاعتداءات الطائفية، ثم تحولت بسرعة إلى حرب المجاهدين والإيقاع بهم.

- الاقتصاد في استخدام العمليات الاستشهادية؛ حيث طور المجاهدون في سوريا بدائل متنوعة كاستخدام السيارات المتحركة آلياً، ولم يلجئوا للعمليات الاستشهادية إلا في نطاق ضيق؛ مما يتيح فرصاً أكبر للاستفادة القصوى من الكتلة البشرية للمجاهدين، خلافاً للجهاد في العراق الذي شهد نوعاً من التوسع في استخدام العمليات الاستشهادية بلا حاجة ماسة.

- التنسيق بين المجاهدين في سوريا في كثير من الميادين؛ مثل العمليات الجهادية الكبرى المشتركة بين عدد كبير من الفصائل المجاهدة، كتحرير المطارات، ومراكز الدفاع، ومستودعات الذخيرة، وكذلك التنسيق في العمل الاجتماعي كما في تجربة الهيئات الشرعية التي تكونت من نتاج عدد كبير من الحركات الجهادية، وتدير حاجيات الناس في كثير من الأماكن المحررة، مما قرب المسافة بين الكتائب والفصائل والجهات المجاهدة، بصورة لم يستطع المجاهدون في العراق الوصول إلى مثلها.

* **فيا أهل المروءات:** هذا بنيان المجد يعلو، ونوره يفسو، فاحذروا سراويل العجز والوهن، وسارعوا للعلا وسابقوا، وليفتش كل امرئ عن ثغر يسده، لا يؤتى الإسلام من قبله ما دامت فيه عين تطرف، ﴿وَمَا تَقْدِمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ١١٠].

وختاماً: فهذه عشر بشریات ظاهرات، تدل المتأمل على بشریات أخرى وبشریات، مما يؤكد على أن نصر الإسلام لا محالة قادم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ (٢٠) كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢٠-٢١].

عداوة الكافر أصل ومعاملته فرع

خلق الله جل وعلا الناس لعبادته سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، ووضح لهم سبيل الخير وحذرهم سبيل الشر، ﴿وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾، فكان هذا الاختلاف أساسا للعداوة الدائمة بين حزب الرحمن وحزب الشيطان؛ لأنه اختلاف متعلق بأصل وظيفة الإنسان في هذه الحياة وكل ما في الدنيا تبع لهذه الوظيفة، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وِليٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

وهذا الاختلاف وتلك العداوة بين المسلمين والكافرين هي أظهر وأكبر وأدوم من كل ما يطرأ في الدنيا من مصالح آنية أو منافع مشتركة قد تجمع بين المسلم والكافر؛ ذلك أن الصلة بين الطرفين صلة عارضة ضعيفة يوشك أن تنقطع، فالأصل بين المسلمين والكافرين هو ظهور العداوة بينهما، كما قال الله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ﴾.

وعلى أساس هذه العداوة يمكن النظر لطبيعة العلاقة مع الكافر عامة ووقت القوة أو وقت الضعف خاصة؛ فكل معاملة تؤدي لخلخلة تلك العداوة أو تميم العقيدة أو المداينة في الدين فهي ممنوعة مرفوضة.

وقد نبه القرآن الكريم إلى ضرورة التنبه لهذا القيد والحذر عند التعامل مع الكافر من أي

تصرف قد يميع عقيدة العداوة بين المسلمين والكافرين، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾.

- وقال جل وعلا: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

- وقال سبحانه: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

- وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ

عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

- وقال: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ

فِيهِ﴾.

* فإذا ثبت هذا الأصل كان النظر بعده إلى طبيعة التعامل المراد إقامته مع الكافر والأحكام الأخرى المتعلقة به؛ مثل: الإحسان والصلة لغير المحارب منهم، وزواج المسلم من كتابية محصنة، وأصل البيع والشراء مع الكافر والحربي، واستئجار الكافر للخدمة والمساعدة في شؤون الدنيا، وتألف قلوب بعضهم لمصلحة شرعية، وعقد الذمة، وإعطاء الأمان.. إلى غير ذلك من معاملات لها أحكامها وتفصيلها في مظانها من كتب الفقه.

فإذا نظرنا مثلاً إلى أقرب معاملة بين مسلم وكافر وهو زواج المسلم من كتابية محصنة فإن العداوة داخل هذا الزواج ظاهرة جلية؛ فبغضها لكفرها أصل لا يعارضه حب جمالها مثلاً؛ وتترتب على هذا البغض الأصلي في القلب أعمال كثيرة فعقد الزواج يكون وفق شروط الإسلام، ولا يأكل الزوج من طعام زوجته إلا ما أباح له الإسلام، ويأمرها بالعفة ويحجبها عن من يجرم الإسلام ظهورها عليهم، ويربي أولاده منها على الإسلام وعبادة اليهود والنصارى، ولا توارث بينهما..، مما يدل على أن أصل العداوة وظهوره أقوى من التعامل مع الكافر.

* وما ينبغي التنبيه له أن ما يسمع المسلم وقت القوة قد لا يسمعه وقت الضعف، وللضرورة أحكامها، وقد ورد في السيرة النبوية عدد من ألوان التعامل الأخرى وقت الضعف مثل: الدخول عند الضرورة في جوار بعض المشركين أو مصالحتهم على التنازل عن بعض حقوق المسلمين...، ورغم أنها معاملات منسوخة لا تجوز عند القدرة التامة؛ ولكن معرفتنا بأصل مشروعيتها في مرحلة من مراحل التشريع؛ يدل على أنه يمكن عند الضرورة أن تتحقق بها مصالح وتدرأ بها مفسدات دون إخلال بأصول من الدين أعظم منها، فيختار المرء المستمسك بدينه المعادي للكفار عند الضعف ما استطاع من وسائل تحقق المقاصد الشرعية حسب مقدار القدرة والعجز في كل حال؛ فمثلا معاهدة الكافر أولى من الدخول في جواره، فلا ينتقل من معاهدته إلى الدخول في جواره إلا لحاجة أشد وأولى.

- وإذا كان المسلم مأمورا بمراعاة أصل العداوة عند أي علاقة مع كافر وقت القوة فإنه ينبغي زيادة مراعاة هذه العداوة وقت الضعف؛ لأن طبيعة الضعف تؤدي إلى زيادة الصلات والمعاملات مع الكافر، وهذه الزيادة قد تؤدي إلى الغفلة عن الأصل والذهول عن الحقيقة.

- وينبغي التنبيه إلى أن أنواع التعامل مع كافر وقت الضعف التي علمنا أصل مشروعيتها في مرحلة من مراحل التشريع كانت تصحبها عقيدة إيمانية راسخة، وبقين جازم، وبراعة من الكفر وأهله، فلا بد عند النظر لهذا الاستثناء في هذه الأزمان من النظر كذلك إلى أثر القيام بهذا التعامل على دين الأمة وعقيدتها وبراعتها من الكفر وعداوتها له وقدرة المسلمين على الاستمسك بما وجب عليهم الاستمسك به من الشريعة في زمن الغربة وكثرة الشبهات والشهوات المضلة.

- مع ملاحظة أن الأصل في الكفار نقض العهد وتربص الدوائر بالمسلمين والمكر بهم والكيد، قال جل وعلا: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَزُدَّوَكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾.

وقال سبحانه: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾.

وقال تعالى: ﴿كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾.

وقال جل وعلا: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ﴾.

وقال تعالى: ﴿أَوْكَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

وهذا الكيد المعتاد من الكافرين معيار مؤثر في موازنة المصالح والمفاسد ومعرفة القوة والضعف واستشراف المآلات عند النظر للتعامل مع كافر وقت الضعف.

- وبالعموم فإن التعامل مع كافر وقت الضعف بفقهِ الضرورة هو استثناء وضرورة تقدر بقدرها ليعاد للأصل فور تغير الحال وذهاب الضرورة؛ كأن يقوى المسلمون أو يضعف الكفار أو لا تتحقق المصلحة التي كانت مرجوة عند إجراء التعامل، لتبقى العداوة للكفار ثابتة في حال القوة وفي حال الضعف ومع الأصل ومع الاستثناء..

والحمد لله رب العالمين.

الثقة بالقيادة في العمل الإسلامي المعاصر^١

كثيرة هي المصطلحات الجديدة التي دخلت الثقافة الإسلامية في العصر الأخير، والأصل أنه لا مشاحة في الاصطلاح، ولكن هذا لا يعني عدم ضبط المصطلح ومعرفة معناه ومتعلقاته وما يترتب عليه، ومن تلك المصطلحات مصطلح "الثقة بالقيادة"، هذا المصطلح الذي انتشر في العلوم الإدارية المعاصرة وأخذ مكانه في العمل الإسلامي الجماعي في القرن الأخير، وأصبح أساساً تُبنى عليه كثير من الأعمال..

أولاً- معنى "الثقة بالقيادة" في العمل الإسلامي المعاصر:

الثقة لغة: كما في المعاجم: مصدر من وَثِقَ بِهِ يَثِقُ، ووثق أي ائتمن؛ فالثقة هي الائتمان.

والقيادة لغة: كما في المعاجم: مصدر من قاد يقود، و"القود: نقيض السوق، يقود الدابة من أمامها ويسوقها من خلفها..، وقاد البعير واقتاده: معناه جره خلفه".

وأما اصطلاحاً: فقد وردت كلمة الثقة كمصطلح في علم "مصطلح الحديث"، وقد عرفها الذهبي بقوله: "الثقة في عرف أئمة النقد كانت تقع على: العدل في نفسه، المتقن لما حمله، الضابط لما نقل، وله فهم ومعرفة بالفن".
أما القيادة فهي تعني الإمارة بمختلف درجاتها.

فإذا نقلنا هذا المصطلح للمعنى الحركي فيمكن أن نقول المراد بكلمة "الثقة بالقيادة" في العمل الإسلامي المعاصر: "اطمئنان الجندي إلى أن قيادته تتحلى بصفتين؛ هما: القوة والأمانة"، وبناء على هذا الاطمئنان: ينشرح الجندي في العمل، ويتفانى في خدمة المشروع الذي تسعى له الجماعة، ويسمع ويطيع بالمعروف، ويرى كفاءة خطوات وخطط جماعته وإن لم يعرفها أو يطلع على تفاصيلها وأنها أنفع من خطوات وخطط غيرها من الجماعات التي كان يمكنه العمل معها، ولا يرتاب عند ورود بعض الشبهات التي تشككه في قيادته..

(١) كتبت سنة ١٤٤٠هـ.

ثانيا- الفرق بين السمع والطاعة والثقة:

"السمع والطاعة" هو أقرب مصطلح مشهور في كتب السياسة الشرعية لمصطلح "الثقة"، ولكن السمع والطاعة أعم من الثقة؛ والثقة أخص من السمع والطاعة؛ فالسمع والطاعة بالمعروف وفي المعروف يكون مع الاطمئنان لقوة وأمانة القيادة ويكون كذلك بالمعروف وفي المعروف مع عدم الاطمئنان لقوة القيادة أو أمانتها، ويكون السمع والطاعة بالمعروف وفي المعروف مع حب القيادة ويكون كذلك مع بغضها، كما قال صلى الله عليه وسلم: «السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ» متفق عليه، وقال صلى الله عليه وسلم: «خِيَارُ أُمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّوهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ، وَشِرَارُ أُمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُوهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ وَتَلْعَنُوهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ...، أَلَا مَنْ وُلِيَ عَلَيْهِ وَإِلِ فَرَاهُ يَأْتِي شَيْئًا مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ فَلْيَكْرَهُ مَا يَأْتِي مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَلَا يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ» رواه مسلم.

أما الثقة بالقيادة فلا توجد إلا مع الاطمئنان لقوة وأمانة القيادة فإن عُدِم أو ضعف ذلك الاطمئنان عُدِمَت أو ضعفت الثقة؛ فقد يوجد سمع وطاعة مع الثقة بالقيادة وقد يوجد سمع وطاعة مع عدم الثقة بها، فليس كل سمع وطاعة يعني الثقة بالقيادة فقد يسمع ويطيع من لا يثق بقيادته، ولكن كل ثقة تعني السمع والطاعة.

ثالثا- أنواع الثقة بالقيادة:

١- ثقة في محلها:

وتكون عندما يتطابق اطمئنان الجندي إلى أن قيادته تتحلى بالقوة والأمانة مع واقع الحال، وتكون تلك القيادة متصفة حقيقة بهاتين الصفتين وجديرة بحسن ظن الجندي فيها.

٢- ثقة في غير محلها:

وتكون عندما يخالف حقيقة واقع القيادة ما اطمأن له الجندي من ظنه أنها قيادة قوية

وأمانة، وهي في الحقيقة إما: ضعيفة، أو غير آمنة، أو ضعيفة غير آمنة، أو عندها بعض القوة والأمانة التي لا تصل لمرتبة الاطمئنان التي ظنها الجندي في قيادته.

رابعاً- كيف تكون الثقة في محلها:

هناك أمور ينبغي على الجندي ملاحظتها لتصبح ثقته أقرب ما تكون في محلها الصحيح، ومنها:

١- الثقة الكاملة تكون في شريعة الله تبارك وتعالى؛ أما القادة المعاصرون فيُعْطَوْنَ بعض الثقة على قدر التزامهم بشريعة الله تبارك وتعالى وخضوعهم لها، وسيرهم على نهج أهل السنة والجماعة، فلا عصمة لهم ولا غلو فيهم، "فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة" كما رواه البيهقي عن ابن مسعود رضي الله عنه، فإذا ضعفت الثقة بالقيادة كان اعتصام الجندي بالشريعة سبباً لنجاته، خلافاً لمن علقوا ثقتهم بالأفراد أو القادة لا كامل الشريعة فضلوها وأضلوا عندما اهترت الثقة بهؤلاء الأفراد أو القادة وهاموا في أودية الخيرة والشكوك والاضطراب.

٢- الثقة الصحيحة مبنية على حقائق لا أوهام؛ فالقوة مثلاً تظهر في كثير من تصرفات القيادة؛ مثل: (سد الثغور المناطة بالجماعة، واستغلال الطاقات وتوظيفها في أماكنها الصحيحة، وتعظيم قيمة الشورى الحقيقية وتفعيلها، وحسن الانتفاع بالنصيحة، وظهور النجاح في العمل، وسرعة تجاوز الخطأ، والقوة في الوقوف مع الحق، ووضع الشيء في موضعه، والإحسان للرعية ورعاية شؤونهم والقرب منهم والإحساس بواقعهم واحترام عقولهم، وتغلغل المحبة في قلوب الجنود للقيادة..)، والأمانة تظهر كذلك في كثير من تصرفات القيادة؛ مثل: (حرصهم على التزامهم الديني الشخصي، وحرصهم كذلك على نشر الالتزام الديني العام في ولايتهم، ووقوفهم عند حدود الله تبارك وتعالى، وتعظيمهم لشعائر الإسلام، وتقديمهم لأهل العلم الربانيين ولزوم طريقهم، وحبهم لأهل الخير، وبغضهم للكفار والمنافقين، وتخليقهم بالأخلاق الحميدة، ومساعدتهم للخيرات..)، وبناء على مقدار توفر صفات القوة

والأمانة يكون مقدار تلك الثقة بالقيادة.

٣- الثقة ليست حكرا على قيادة أو جماعة مخصوصة؛ بل الثقة رتبة ينالها المستحق

لها من مجموع الأمة خاصة علماءها وقادتها وهم كثر بفضل الله تبارك وتعالى، فلا ينبغي في ذلك تضيق واسع ولا تخصيص عام ولا تقييد مطلق، فالقلب بحر واسع يستوعب كل الثقات ويوازن بينهم ويضع كل رتبة منهم في منزلة خاصة بما.

٤- الناس متفاوتون في وضع الثقة في محلها أو غير محلها، متفاوتون في إدراك الثقة

الحقيقية من الموهومة، متفاوتون في معرفة الثقة القائمة على أسس صحيحة من القائمة على أسس واهية أو باطلة، والأصل في المرء أن يطمئن لما استبان له لا لما يجمله، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾.

٥- الاعتدال في الثقة بالقيادة وعدم الغلو فيها: فالأصل في المشاعر المتعلقة بالأخوة

في الله كالحب والود وحسن الظن وما شابه ذلك أن تكون معتدلة قاصدة، وقد اشتبه الأمر على أقوام فعاملوا تحت مصطلح "الثقة" قادتهم معاملة تفوق في حقيقتها معاملتهم للصحابة رضي الله عنهم، باختلاف الصحابة رضي الله عنهم مسوغ للترجيح بينهم، وقول أحد الصحابة يُستأنس به ووو، أما قادتهم فلا يُرد لهم قول ولا يُعقب عليهم برأي ولا يُغلطون ولا يراجعون!، قال علي رضي الله عنه: "أحب حبيبي هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما، وأبغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبيك يوما ما"، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لرجل: "لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا، فقال له: كيف ذاك؟ قال: إذا أحببت كلفت كلف الصبي، وإذا أبغضت أحببت لصاحبك التلف" رواهما البخاري في الأدب المفرد.

٦- الثقة تتعلق بما شرع فعله أو تركه أو يسوغ في الشريعة الخلاف فيه؛ فإذا

ضاعت الواجبات ووقعت المحظورات بلا خلاف سائغ فالعمل بمقتضى الشريعة هو الأصل ولا يلتفت هنا لتلك الثقة المزعومة التي تبرر الخلل وتمرره؛ فالقيادة هي وكيل ينوب عن بعض

الأمة فخطوها أو تقصيرها أو ضعفها عن القيام بمسئولياتها لا يجعل الثقة صكا يحو ذاك الزلل، بل تعود المسؤولية في ذلك الأمر إلى الموكل وهو الأمة وأفرادها لتفادي ذلك الزلل.

٧- الثقة بالقيادة ليست قيمة ثابتة؛ بل هي قيمة متغيرة تزيد وتنقص كلما زادت قوة وأمانة القيادة أو نقصت.

٨- الثقة بقيادة لا تستلزم نفس مستوى الثقة في كل القيادات المرتبطة بها سواء في المستوى الأعلى منها أو الأدنى؛ فالناس متفاوتون ولكلِّ مقامٍ على حسبه.

خامسا- مكانة الثقة بالقيادة في العمل الجماعي:

تعدد الكتابات التي تصور أهمية محبة الرعية للقيادة وفائدة الثقة فيها، وضرورة ذلك لنجاح العمل وانتظامه، قال بعض الحكماء: "أسوس الناس من قاد أبدان الرعية إلى طاعته بقلوبها؛ فلا ينبغي للوالي أن يرغب في الكرامة التي ينالها من العامة كرها، ولكن في الذي يستحقها بحسن الأثر وصواب التدبير" ..

وقال أبو القاسم المغربي عما ينبغي على الأمير فعله: "ليجتهد أن يجعل طاعة الخاصة والعامة له طاعة محبة لا طاعة رهبة؛ فإذا أطاعوه محبة حرسوه وإذا أطاعوه رهبة احتاج إلى الاحتراز منهم، وشتان بين حالين؛ إحداهما تجعل الناس حراسا، والأخرى تحوجه إلى الاحتراس منهم..، واثقين بعدله آمنين من تعسفه وظلمه، فتكون الرهبة حينئذ كمخافة الولد لوالده برفق أو أدب، ويعلم أنه لا يريد إلا خيرا له" ..

وقال الأستاذ حسن البنا رحمه الله: "على قدر الثقة المتبادلة بين القائد والجنود تكون: قوة نظام الجماعة، وإحكام خططها، ونجاحها في الوصول إلى غايتها، وتغلبها على ما يعترضها من عقبات وصعوبات" ..

* ولكن هل وجود تلك الثقة عند الجندي شرط صحة للقيام بالعمل والدفع في نجاح المشروع أم أنها شرط كمال؟

الحقيقة هي أن من تأمل الواقع جيدا وقرأ التاريخ بتمعن أدرك أن القيام بالواجبات المناطة بالأمة التي لا تجد من يسدها والسعي في بناء الحضارة الإسلامية هو الواجب المتعين على كل مسلم بكل سبيل مشروع يساهم في ذلك، وأن مسؤولية الفرد عن نفسه هي مناط التكليف لا حقيقة واقع القيادة، قال تعالى: ﴿وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾، وقال جل وعلا: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ..﴾

وأن قيام المرء بدوره في بناء الجماعة أو المجتمع المسلم شرطه صحة العمل أما الثقة القوية بالقيادة فهي شرط كمال لا شرط صحة..

وأن ربط المرء لقيامه بدوره في بناء الجماعة أو المجتمع المسلم بثقته الكبيرة أو حتى المتوسطة بالقيادة هو إعاقة للعمل وتفويض لدعائه وتطلب لما يعز وجوده..

- فأين من يثق اليوم بقيادات الجماعات الإسلامية في مصر بعد تفريطهم الذي أدى لتمزيقهم في مذابح رابعة؟!.

- وأين من يثق اليوم بقيادات الجهاد والثورة السورية بعد عظم تقصيرهم الذي أدى لضياح ما ضاع من حلب وإدلب والساحل ودمشق والغوطة والقلمون وحمص وحماة ودرعا..، وكذا ضياح ما ضاع من الرقة ودير الزور والحسكة من قبل؟!.

- وأين من يثق اليوم بقيادات العمل الإسلامي في السودان وقد تحبط وتذبذب عامتهم بين الثوار والبشير ثم بين الثوار والمجلس العسكري؟!.

- وإذا كانت كثير من كتابات علماء الأمة السابقين تؤكد أنهم لم تكن لديهم الثقة التامة في كثير من قادة الأمة العظماء أمثال هارون الرشيد والظاهر بيبرس وسليمان القانوني فهل سيثق علماء اليوم في كثير من القيادات التي هي على شاكلة كُسير وغُوير وثالث ما فيه خير؟!.

* إن مطالبة كوادر الأمة الفاعلة وطلّاع الجيل الصاعد في مشارق الأرض ومغاربها بإعادة الثقة في هذا القائد أو ذاك وتعليق مساهمتهم في مشاريع العمل الإسلامي المتعددة بتلك الثقة لهو إهدار لرصيد ضخم من طاقات الأمة الفاعلة وإشغال لهم بُنيّات الطريق عن

غايته..

إن كوادر الأمة لا تلام كثيرا حين تضعف ثقتها بالقيادات الحركية في زمن الهزائم المتتابة والتراجعات المنهجية والاضطراب الفكري والمرض النفسي والإهمال العظيم؛ فخوارج اليوم ومُرجئته هم قادة ثقات بالأمس، والضعاف الفشلة الذين تسببوا في جُلِّ الهزائم والخسائر بالأمس لا يزالون قادة إلى اليوم، ثم بعد ذلك يقال: أين الثقة بالقيادة؟!

وإن من رحمة الله بهذه الأمة أن عطاء مخلصيها على قدر إخلاصهم لله تعالى لا على قدر ثقتهم بتلك القيادات المعاصرة، وهذا سر استمرار الخير وتدفعه وما يحصل في الأمة من انتصارات وما تتخطاه من مؤامرات..

أما إذا انهارت الثقة بقيادة ما تماما كأن يعتقد المرء في تلك القيادة الضعف الأتم الذي يكون وبالا كاملا على العمل الإسلامي أو الخيانة والعمالة، فسَدَّ العمل ولم يؤد مراده، ولكن هذا إن وقع فليس مبررا للتهرب من المسؤوليات بل هو يستلزم مضاعفة الجهود والتحول لقيادة جديدة في نفس الجماعة أو في جماعة أخرى تتوفر فيها ولو أدنى مقومات الثقة التي يمكن من خلالها إصلاح ولو بعض العمل والنهوض ولو بجزء من المشروع.

إن العمل الإسلامي الجماعي اليوم لا بد أن يقوم على ثلاث دعائم هي؛

١- الثقة بوجود هذا العمل وذاك المشروع الجهادي أو الدعوي أو التربوي.. الذي تقوم به الجماعة..

٢- واعتقاد المرء عظم مسؤوليته الشخصية الفردية في سد هذا الثغر..

٣- ومعرفة ضرورة الانتظام والترابط والتعاون مع أمثل جماعة يمكن من خلالها إنجاح هذا المشروع وما يتبع ذلك من سمع وطاعة بالمعروف وفي المعروف ونصح لمن ولي أمرا من أمور المسلمين..

ثم بعد ذلك تقوى الثقة بالقيادة أو تضعف أو يتم البحث عن قيادة أخرى حسب كل واقع على حدة..

سادسا- نظرة القيادة لثقة الرعية فيها:

- الثقة النافعة لا تباع ولا تشتري ولا توهب ولا تستعار ولا تُطلب ..
- الثقة الصادقة ليست تعبئة نفسية ولا دعاية إعلامية ولا ألعاب بهلوانية.
- الثقة الحقة هي نتيجة لمقدمات وأثر لمسير وشهادة لنجاح، تعطى عند استحقاقها ولا تثبت قبل وقتها.

* إن ثقة الصالحين بالقيادة هي هبة من الله تبارك وتعالى لمن شاء من عباده وهي عاجل بشرى في الدنيا قبل الآخرة، فمن وجدها فليحمد الله تعالى وليطلب منه مزيد التوفيق في العبودية له جل وعلا وألا يكله إلى نفسه قط، ومن لم يجدها فلا يلومن إلا نفسه ولينظر في حاله مع الله تعالى نظر تائب مستغفر لا نظر متأسف على فوات متاع من الدنيا متطلب ثناء الناس ومدحهم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيْلَ، فَقَالَ: إِنِّي أَحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، قَالَ: فَيَحِبُّهُ جِبْرِيْلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ، فَيَقُولُ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ. فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، قَالَ: ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ. وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيْلَ، فَيَقُولُ: إِنِّي أَبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُهُ، قَالَ: فَيَبْغِضُهُ جِبْرِيْلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ، قَالَ: فَيَبْغِضُونَهُ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبُغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ» متفق عليه.

- وليس على القيادة بأس في أن تسعى للإصلاح والتطوير وسد الخلل، وتستعمل الوسائل المشروعة لتقريب الناس والتقرب منهم؛ فما أجمل:
- يوم أن يسود العدل وتنتشر روح التعاون..
 - ويوم أن يتسارع للخير الأَكْفَاء..
 - ويوم أن تكون المحبة والإيثار شعارا وأسلوب حياة..
 - ويوم أن يكون التخطيط والتنفيذ والمراقبة والتطوير عجلة متسارعة تشيد ببيان المجد..
 - ويوم أن يكون الاعتراف بالخطأ فضيلة وتصحيح المسيرة منهجا وتصويب العمل

أسلوباً..

أما على النقيض من ذلك:

- فيوم أن تشعر القيادة بالزهو بعملها والكبر على الناس وتعمل على أن يدور المجموع في فلكتها..

- ويوم أن تحتقر عقول الناس وأفعالهم..

- ويوم أن تظن أنها هي معيار الحق والصواب..

- ويوم أن تحاسب الرعية على مقدار ثقتهم فيها..

- ويوم ألا تفهم قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا لَفَقَضْنَا مِنْ حَوْلِكَ

فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾..

فعليتها أن تفر من القيادة وتتحنى عن المسؤولية قبل أن تُفضح وتُعدَّب في الدنيا قبل الآخرة، فما هي إلا قيادة مرضت نفسها وانحرفت بوصلتها تبغي العلو في الأرض والفساد، وإن رددت: "إنما نحن مصلحون"!..

* أسأل الله تبارك وتعالى أن يسدد ويوفق ويبارك في جهد وجهاد عباده الصالحين،

والحمد لله رب العالمين.

تقارب شيوخ الساحة رغم المخاوف الحركية^١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.. وبعد؛

فإن أهل العلم هم ورثة الأنبياء الذين يعرفون الله جل وعلا حق المعرفة ويخشونه حق الخشية ويشهدون له سبحانه بالوحدانية أتم شهادة؛ لذا رفع الله درجاتهم وأعلى مقامهم وتتابع الدعاء لهم؛ فالله جل وعلا وملائكته الأخيار وأهل السموات والأرضين حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليُصلُّون على معلم الناس الخير.

وأهل العلم جمعهم توحيد الله تعالى والإيمان بنبيه صلى الله عليه وسلم والالتزام بشريعة الإسلام، وجمعهم تعلم القرآن والسنة وتعليمهما؛ فازدادت أواصر الصلة بينهم حتى قال الناس: "العلم رجم بين أهله". لذا فالأصل أن أهل العلم فيما بينهم هم أكثر الطوائف تماسكا وتشاورا وتراحما وصلة وألفة ومحبة وأخوة وإقالة لعثرات بعضهم البعض..

- ومن قدر الله تعالى أن جعل وقوع الاختلاف من سننه سبحانه وتعالى في كونه، سواء في ذلك الاختلاف الكلي الذي يُفرق الأمم الضالة عن أمة الإسلام، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾، والاختلاف الجزئي داخل الأمة الواحدة.

والعلماء هم أقدر الناس على معرفة أسباب الخلاف وأنواعه وآثاره وسبل التعامل معه، فهم الذين دوما يرددون قوله تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مَن بَعْدَ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾، وقوله جل وعلا: ﴿سَأَصْرِفُ عَن آيَاتِي الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾، وقوله سبحانه: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَارَعُوا﴾، وقوله

(١) كتبت سنة ١٤٤١ هـ.

تعالى: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ﴾، وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، وقوله تعالى: ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾، وقوله تعالى: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾، وقوله تعالى: ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾، وقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾، وقوله تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، وقوله تعالى: ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾..، إلى غير ذلك من تعاليم شرعية توضح سبل التعامل مع أنواع الاختلاف.

ولا يكاد يخلو كتاب عقيدة أو تفسير أو حديث أو فقه أو آداب من ذكر كلام عن الاعتصام بحبل الله تعالى والنهي عن التفرق، كما كثر كذلك كلام العلماء عن الخلاف السائغ وأعدار العلماء فيه وأنه إذا اجتهد العالم فأصاب فله أجران، وإذا أخطأ فله أجر..

* وقد ظهرت في الساحة الجهادية الشامية أمثلة عديدة من الخلاف بين طلاب العلم أشهرها ما كان في مسائل النوازل المتعلقة بالساحة، ولكن هناك أمرا مهما يصاحب هذا التنوع في الرؤى وهو أن الخلاف يشتد عادة ويحتد لا لعين المسألة المتعلقة بها ولكن للآثار المتوقعة والمآلات والمخاوف المترتبة على سير المخالف حركيا..

- بمعنى أن الخلاف ليس مجرد خلاف:

بين فاضل ومفضول..

ولا بين راجح ومرجوح..

ولا بين صواب وخطأ..

ولا بين ظالم ومظلوم..

بل هو خلاف ينظر كل طرف له على أنه خلاف يدور حول حفظ تضحيات ملايين

الشهداء والجرحى والمشردين أو تضييعها..

- فطرف يعمل جاهدا على تغيير مسار طرف آخر؛ لأن عمل الطرف الآخر سيؤدي

في غالب نظره لعودة تَسَلْطِ العدو الغاشم على رقاب الشعب الثائر على غرار ما جرى في حمص والغوطة ودرعا..

- وطرف يعمل جاهدا على تغيير مسار طرف آخر؛ لأن عمل الطرف الآخر سيؤدي في غالب نظره لمحرقه تنهي كل شيء على غرار ما جرى في شرق السكة وكفر نبودة وخان شيخون...

وهذا لُبُّ جل الإشكال في الساحة وجوهر الخلاف الحاصل...، وإن ظهر بصورة خلاف على واقعة أو حادثة أو مسألة أو قضية.

وهذا الخلاف الحركي وإن كان موجودا في شتى البلدان، ولكن لكثرة الثغور الفارغة في البلاد الأخرى واستبعاد تمكن الجماعات الحركية من إحداث تغيير كبير على المدى القصير بتلك البلدان، فالخلاف هناك عادة يكون أقل حدة مما هو في الساحة الشامية.

*** وأمام هذه المعضلة فلعل مما يساهم في تقارب شيوخ الساحة رغم المخاوف الحركية المتبادلة ما يلي:**

١- معرفة أن الخلاف الحركي متفرع عن خلاف داخل الحركة الإسلامية في العالم الإسلامي عمره مائة عام، فالأصل فيه وإن اختلف العمل أو احتد التنافس أو اشتد الصراع أن تبقى المحبة الصادقة للمخالف في الاجتهاد الحركي الداخل ضمن دائرة أهل السنة والجماعة، فكلهم بيتغي رضا الرحمن وأحدهم له أجران والآخر له أجر، وهذا أصل من أصول الإعذار عند أهل السنة المخالفة لطريق الغلاة، قال ابن تيمية في رفع الملام: "فعل هذه الأمور ممن يحسب أنها مباحة باجتهاد أو تقليد أو نحو ذلك، غايته أن يكون نوعا من أنواع الصديقين الذين امتنع لحوق الوعيد بهم لمانع، كما امتنع لحوق الوعيد به لتوبة أو حسنات ماحية، أو غير ذلك. واعلم أن هذه السبيل هي التي يجب سلوكها، فإن ما سواها

طريقان خبيثان: أحدهما: القول بلحوق الوعيد لكل فرد من الأفراد بعينه ودعوى أن هذا عمل بموجب النصوص، وهذا أقبح من قول الخوارج المكفرين بالذنوب والمعترلة وغيرهم، وفساده معلوم بالاضطرار من دين الإسلام، وأدلتة معلومة في غير هذا الموضوع. الثاني: ترك القول والعمل بموجب أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ظنا أن القول بموجبها مستلزم للطعن فيمن خالفها، وهذا الترك يجر إلى الضلال واللاحق بأهل الكتابين".

٢- تفعيل سبل التواصل بين شيوخ الساحة وإن تعددت مشاربهم؛ للمدارسات

والمشاورات والحوارات، وإقامة التجمعات العلمية والمؤتمرات والمنتديات والزيارات التي تهدف لذلك، فلن يضير المرء شيئا إن استمع لما عند أخيه، ولن ينقص قدره إن طلب رأيه ولو لم يعمل به، وقد أمر الله جل وعلا نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم بمشاورة أصحابه وأمره كذلك بمجادلة أهل الكتاب والتي هي أحسن، فوجب التأسي بالنبي الكريم صلى الله عليه وسلم؛ فمقام خير شيوخ الساحة أقل من مقام النبي صلى الله عليه وسلم بمفاوز ومقام أبعد شيوخ الساحة أعلى من دركات أهل الكتاب بمراحل.

٣- قيام أهل العلم بدورهم الشرعي الحركي، وعدم إنابة غيرهم فيه؛ فمن أهم

أسباب الخلاف توسيد الأمور لغير أهلها، ومن ذلك انشغال كثير من المشايخ بالأحكام العامة دون تنزيل الفتاوى على الوقائع، فيقوم الجهال بتنزيل الفتاوى على الوقائع فيحدث الخلل والخلط الكثير، مع أن الفتوى أخص وأدق من الحكم العام، والقضاء أخص وأدق من الفتوى، وكما أن تنقيح المناط من مهام أهل العلم فكذلك تحقيق المناط من مهامهم. قال ابن تيمية في درء تعارض العقل والنقل: "الناس كلهم متفقون على الاجتهاد والتفقه الذي يُحتاج فيه إلى إدخال القضايا المعينة تحت الأحكام الكلية العامة التي نطق بها الكتاب والسنة، وهذا هو الذي يسمى تحقيق المناط، كالاجتهاد في تعيين القبلة عند الاشتباه، والاجتهاد في عدل الشخص المعين، والنفقة بالمعروف للمرأة المعينة، والمثل لنوع الصيد أو

للصيد المعين، والمثل الواجب في إتلاف المال المعين، وصلة الرحم الواجبة، ودخول أنواع من المسكرات في اسم الخمر، وأنواع من المعاملات في اسم الربا والميسر، وأمثال ذلك مما فيه إدخال أعيان تحت نوع، وإدخال نوع خاص تحت نوع أعم منه، فهذا الاجتهاد مما اتفق عليه العلماء، وهو ضروري في كل شريعة".

ومن مهام أهل العلم كذلك عدم قبول تلاعب بعض أمراء الفصائل؛ حيث يتصدر بعض هؤلاء الأمراء الجهال أو الفساق لأمر لا يجوز الكلام فيها ولا الترجيح إلا بعلم شرعي فيتخيرون بأهوائهم ما يروق لهم بزعم وجود خلاف بين المشايخ يختارون من بينه، وهذا حكم بالجهل والهوى، قال الشاطبي في الموافقات: "ليس للمقلد أن يتخير في الخلاف؛ كما إذا اختلف المجتهدون على قولين..؛ فيتبع هواه وما يوافق غرضه دون ما يخالفه..، فاتباع أحدهما بالهوى اتباع للهوى.. ولو جاز تحكيم التشهي والأغراض في مثل هذا لجاز للحاكم وهو باطل بالإجماع. وأيضاً؛ فإن في مسائل الخلاف ضابطاً قرآنياً ينفي اتباع الهوى جملة، وهو قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ فاختياره أحد المذهبين بالهوى والشهوة مضاد للرجوع إلى الله والرسول..، وأيضاً؛ فإن ذلك يفضي إلى تتبع رخص المذاهب من غير استناد إلى دليل شرعي، وقد حكى ابن حزم الإجماع على أن ذلك فسق لا يحل..، القصد من نصب الحكام رفع التشاجر والخصام على وجه لا يلحق فيه أحد الخصمين ضرر، مع عدم تطرق التهمة للحاكم، وهذا النوع من التخيير في الأقوال مضاد لهذا كله".

٤- إظهار رموز ومرجعيات لكل تيار حركي ينبون عن خلفهم ويوجهونهم لآلية التعامل مع كل خلاف حركي على حدة؛ بحيث كلما تقارب هؤلاء الرموز أمكن حصر أوجه الخلاف والعمل على تقليلها قدر الإمكان؛ فاجتماع مشايخ تيار واحد أولى من تفرقهم، وانتظام أمرهم ورؤيتهم فيه انتظام من خلفهم.

٥- الاتفاق على وسائل لضبط الخلاف أو تقليل آثاره؛ مثل التحاكم لمن يختارونه من أهل العلم، ومثل تقسيم ميادين العمل ومناطقه، ومثل الاشتراك في أعمال وثور متفق على عجز كل واحد عن القيام بها...، ولن يعدم الصادقون وسائل وأساليب تجمع وتقرب طالما أرادوا الإصلاح ﴿إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾.

٦- ربط درجة الإنكار في مسائل الخلاف الحركية بالأمل في تغيير مسار الواقع الخاطيء، بمعنى أنه إن ترجح عند شيخ أن إنكاره الكبير يؤثر في منع الانزلاق إلى الهاوية التي يخشاها من مسار المخالف استخدم درجة كبيرة من الإنكار، وإن ترجح عند شيخ أن إنكاره لن يؤثر ولن يمنع الانزلاق الذي يخشاه استخدم درجة أقل من الإنكار، قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ **إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى**﴾، وهذا الربط خشية ألا يكون الإنكار مجديا وخوفا من أن يكون مُضرا يستغله الأعداء لتحقيق مآربهم.

٧- الاعتدال في تقدير المآلات والمخاوف، والتفرقة بين القطعي والظني، وكذلك بين المآل القريب والمآل البعيد، وإعادة دراسة الواقع في كل مرحلة لمعرفة مقدار الثبات والتغير الذي طرأ عليه وأثر ذلك على وسائل طرح ومناقشة وإثارة مسائل الخلاف.

* **وختاما:** فهذه إشارات سريعة، رجوت أن تعين شيوخ الساحة الأفاضل على مزيد بحث وتأمل، سائلا المولى جل وعلا أن يصلح الحال وأن يجمع الصف وأن يعجل بنصر المجاهدين وهزيمة أعداء الله الكافرين، والحمد لله رب العالمين.

ظاهرة التخبط الفكري^١

كان إلى وقت قريب جدا مؤيدا لحزب النور المصري، مدافعا عن مواقفه المتناغمة مع الانقلابيين العلمانيين، يتحمل بصبر عجيب ما يناله من أذى إخوانه وسبابهم وهجرانهم، محتسبا ذلك في سبيل الله.

راسلي فجأة مروجاً لحزب الخرافة البغدادي وأنه الخليفة الإمام والقائد الهمام... استفزني هذه المراسلة، وهذا التحول من الشذوذ إلى الشذوذ، ومن الهوى إلى الهوى..

تعد ظاهرة التحول الفكري من أبرز الظواهر المتكررة في مسيرة الجماعات والأفراد، وإن اختلفت حدته باختلاف العوامل المؤثرة فيه.

وأصبح من المعتاد كل حين وآخر بروز مراجعات وتراجعات، وإرشادات وترشيدات، ووقفات وتأملات..

ويظهر لمن تأمل غالب هذه الأطروحات قبل التغيير وبعده أن التخبط القديم استبدل بتخبط جديد مساو له في المقدار ومخالف له في الاتجاه؛ حيث يفيق المتخبطون عادة على نتائج كارثية، فيحاولون النفور عنها، دون نظر لمقدماتها ولا أسبابها.

ومجمل أسباب الانحراف في التجارب المتكررة هو الابتعاد عن كثير من الأوامر الشرعية؛ مثل: الشورى، والتواضع، والرجوع لأهل العلم، وعدم التشبع بما لم يعط، والتأني، وإعداد العدة، والتعاون على البر والتقوى، والاستخارة، والثبات، والصبر.

يضاف إلى ذلك تحقيق التقوى واستشعار زيادة الإيمان أثناء الانتقال من تجربة لأخرى؛ لأن لزوم التقوى من أهم عوامل البصيرة، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾، وقال جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾.

(١) كتبت سنة ١٤٣٥ هـ.

فليست الشعارات الجديدة بأصوب ولا أجمل ولا أنفع من الشعارات السابقة، وليست المخاطر المترتبة على السير في الطريق الجديد أقل من المخاطر التي ترتبت على السير في الطريق القديم.

فلا فرق بين شعارات: الحاضنة الشعبية، ومصالحة الأمة، والسياسة الشرعية، والتجربة الطالبانية،...، وشعارات: غربة الدين، والطائفة المنصورة، وتحقيق الولاء والبراء..
إنها الشعارات! كلمات تنطلق فيشعر صاحبها بزهو في نفسه، ويشعر أتباعه بنشوة في قلوبهم، ثم يلقيها في جه من خالف أو تشكك!

= فاختزال المشكلة في رفع شعارات هو استمرار في مسيرة الإخفاق وإن تعددت صوره.

عشر وسائل للنجاة من الشبهات^١

- ١- تقوى الله جل وعلا والإخلاص في معرفة الحق ونصرته: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾، وقال جل وعلا: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.
- ٢- دعاء الله جل وعلا: قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾، وقال جل وعلا: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾.
- ٣- لزوم جماعة المسلمين: قال عز وجل: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا﴾.
- ٤- عدم سماع كلام المبتدعة: قال تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا وُضِعُوا خِلَالَكُمْ بِبُغُونِكُمْ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾، وقال جل وعلا: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّكُمْ خُشْبٌ مُسْنَدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنْى يُؤْفَكُونَ﴾.
- ٥- التبين من صحة نقل الكلام: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصِيبُوهَا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ».
- ٦- الرجوع لأهل العلم وعدم التكلم بلا علم: قال تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾، وقال جل وعلا: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾، وقال جل وعلا: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ

(١) كتبت سنة ١٤٣٥ هـ.

عَلِمَ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٧﴾.

٧- حمل أفعال الصالحين على أحسن محمل: قال تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ

الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِنَفْسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾.

٨- رد المتشابه للمحكم: قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ

مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ

مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا

بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٩﴾.

٩- تحري العدل والإنصاف، ومجانبة البغي وسوء الظن: قال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ

شَنَّانُ قَوْمٍ عَلَىٰ إِلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾، وقال جل وعلا: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ

فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ﴾، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ

فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾.

١٠- استفتاء القلب: قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْطُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَىٰ

وَفَرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «استفت قلبك، البر ما

اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر، وإن

أفتاك الناس وأفتوك».

نسأل الله أن يجنبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن.

التهجير والحسابات الواهية^١

لو كان الصبر يباع لأفاضت إدلب منه على شتى البلاد، فقد صبر وصابر الثابتون فيها صبرا لا مثيل له في دنيا اليوم؛ فهم الذين تكالب عليهم العدو من أقطارها، ونازلتهم جيوش الغاصبين في كل شبر من ديارهم فنازلوها ونازلوها ولا زالوا ينازلونها حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا.

- لم يثنهم عن جهادهم مغنم ولا مغرم ولا نصر ولا هزيمة ولا دعم ولا حصار..
- فهم هم الذين وقفوا بمخارجهم أمام الرصاص..
- وهم هم الذين فجّروا في عدوهم المفخخات..
- وهم هم الذين حرروا شرق البلاد وغربها..
- وهم هم الذين هُجروا من أقصاها وأدناها..
- ثم هم هم اليوم يقفون أمام الحملة الروسية النصيرية الجديدة على إدلب ومعرفة النعمان وريف حلب.

* آلات دمار شامل أزالت الجبال من أماكنها وصدعت الأرض وهدت المدن، ومع ذلك ثبتت قلوب الصادقين وأقدامهم ينتظرون نصرا أو شهادة.

حرقُ الأطفال وتناثر الأشلء هو المشهد القديم الجديد في الثورة، ولكن هيهات هيهات، فهذه طرائق الصليبيين والتتار قبل هؤلاء الكفار، فهل نفعهم إجرامهم؟ وأين اليوم ملكهم؟

إدلب الآن هي ميراث: حلب ودمشق وحماة وحمص ودرعا... وهي بقايا ثورات: تونس ومصر واليمن...، وهي كذلك تاريخ عريق تشهد عليه: جدران معرة النعمان وأسوار حارم وثغور جسر الشغور...، والصبر فيها صبر على أمانة ثقيلة جليلة.

* واليوم، وقد عادت موجات تهجير السكان في الجزء الباقي من إدلب المحررة؛ حيث ينتقل المستضعفون من مكان لآخر ومن قرية لأخرى خوفا من مجازر النصيريين والصليبيين - يعول البعض على "الآخر" والحسابات والموازنات السياسية التي توهم المخدوعين بها أن العالم عامة والغرب خاصة يخشى من موجات تهجير جديدة لدوله إن استمرت المجازر، وأنه لذلك سيسعى في تحجيم قصف العدو، وأنه كذلك يخاف أن يتخلل تلك الموجات التي قد تأتي لبلادهم مجموعات مسلحة مصنفة عندهم على قائمة الإرهاب.. لذا يهدد البعض بأنه يمكن كسر الحدود إن استمرت تلك المجازر، فيصيب الغرب ما يحذره..

والحقيقة: أن المعركة في الشام ليست وليدة اليوم، وأن تلك الحسابات هي حسابات عارضة محدودة التأثير ضعيفة الفاعلية، لم تكن في يوم من الأيام حاسمة ولا جازمة.

- فكم أغلقت الدول المجاورة الحدود وقتلوا كل من اقترب منها، فما استطاع أحد العبور؟

- وهل يشق على الدول المتآمرة أن تجعل مسار التهجير إلى مناطق درع الفرات وغصن الزيتون وشرق الفرات؟

- وإن كان العالم لا يريد لاجئين، فلماذا منحت تركيا ودول الغرب مئات الآلاف من السوريين جنسيات تلك الدول، فأصبحوا من المواطنين الأتراك والألمان والإيطاليين...؟!

- وهل بالى الغرب الكافر بتهجير الملايين من غرب العراق وشرق سوريا في قتاله لتنظيم الدولة، رغم علمه بخطورة تسلل مقاتليهم إلى بلاد أوروبا؟

- إن استخدام العدو المجرم لأسلوب حرق المدن الذي تترتب عليه موجات التهجير لا بد أن يواجه في الأساس بناء على مبادئ الحرب التي تقتضي: النكاية في العدو، وردعه، واستحداث الوسائل الدفاعية التي تمنع كثيرا من جرائمه، وكذلك الثقافة العسكرية في المجتمع والمتعلقة بالإنذار والاحتماء وفض التجمعات والتي تقلل من خسائر الأمة.

وبعد ذلك لا بأس من استخدام ورقة الضغط على الحدود، والتهجير بين الدول، والأزمات الإنسانية، وتعاطف الشعوب..، وغير من ذلك من وسائل مساندة لم تكن في يوم من الأيام أساسا قويا من أسس ثورات الشعوب المسلمة.

- حفظ الله إدلب وأهلها من كيد الكفار وتآمر الأشرار، وما لنا غيرك يا الله يا جبار.

إدلب وارهاسات المشروع الجديد^١

تسع سنين مرت من عمر الثورة السورية التي انطلقت فجأة وتسارعت أحداثها وفصولها وتعاقبت فيها المحن والمنح والانتصارات والتراجعات..
وفي كل تلك المراحل التي مرت بها الثورة كان الكثير من أبنائها يضعون خططاً وتصورات ومشاريع يحاولون من خلالها تحقيق أهداف الجهاد والوصول بالثورة لغاياتها الشريفة..

وأي مشروع هو في أصله مؤسسة تنطوي على بحث مخطط بعناية لتحقيق هدف معين، وكل مشروع له نقطة ابتداء ونقطة انتهاء يصل إليها المشروع عند تحقيق أهدافه أو عند إيقافه نتيجة الوصول لقناعة أن بقية أهدافه لا يمكن أن تتحقق بهذه الطريقة ومن خلال هذا المشروع.

فالمشروع هو عبارة عن تخطيط إداري ووسيلة لتحقيق غاية معينة، والأصل في الوسائل والمشاريع أنها متجددة ومتطورة ومتغيرة، بناء على ما تم إنجازه حقيقة على أرض الواقع وبناء على المستجدات التي لم تكن عند وضع تصور لمراحل وخطوات المشروع.
وهذا التجدد والتطور والتغير في المشروع هو صفة لازمة لأي مشروع ناجح ليكون مشروعاً حياً متجدداً ولكي لا يصاب المشروع بالجمود والتخلف الذي يؤدي للقضاء على الغاية التي من أجلها كان المشروع.

فإن لم يحصل التجديد في المشروع تحول المشروع من مجرد وسيلة قابلة للتغيير إلى غاية لا تقبل النقاش؛ فينحرف المشروع عن مساره ويتم توظيفه لمآرب ضيقة تخالف وتضاد الأهداف الحقيقية التي قام من أجلها المشروع..

(١) كتبت سنة ١٤٤١هـ.

وقد حذر أهل العلم من مثل هذا الخلط بين الوسيلة والغاية فذكروا مثالا على ذلك خطر تحول النية من نصره منهج الإسلام إلى نصره آراء الأشخاص، قال ابن تيمية رحمه الله: "أصحاب المقالات المختلفة، إذا كان كل منهم يعتقد أن الحق معه وأنه على السنة؛ فإن أكثرهم قد صار لهم في ذلك هوى أن ينتصر جاههم أو رياستهم وما نسب إليهم، لا يقصدون أن تكون كلمة الله هي العليا، وأن يكون الدين كله لله، بل يغضبون على من خالفهم وإن كان مجتهدا معذورا لا يغضب الله عليه، ويرضون عن من يوافقهم وإن كان جاهلا سيئ القصد، ليس له علم ولا حسن قصد، فيفضي هذا إلى أن يحمدا من لم يحمده الله ورسوله، ويذموا من لم يذمه الله ورسوله، وتصير مولاتهم ومعاداتهم على أهواء أنفسهم لا على دين الله ورسوله".

وهذا الأستاذ سيد قطب يحذر من أن تناقض الوسيلة الغاية التي من أجلها وضعت الوسيلة، قال رحمه الله: "ولقد تدفع الحماسة والحرارة أصحاب الدعوات بعد الرسل والرغبة الملحة في انتشار الدعوات وانتصارها.. تدفعهم إلى استمالة بعض الأشخاص أو بعض العناصر بالإغضاء في أول الأمر عن شيء من مقتضيات الدعوة يحسبونه هم ليس أصيلاً فيها، ومجاراتهم في بعض أمرهم كي لا ينفروا من الدعوة ويخاصموها! ولقد تدفعهم كذلك إلى اتخاذ وسائل وأساليب لا تستقيم مع موازين الدعوة الدقيقة، ولا مع منهج الدعوة المستقيم. وذلك حرصا على سرعة انتصار الدعوة وانتشارها. واجتهادا في تحقيق «مصلحة الدعوة»، ومصلحة الدعوة الحقيقية في استقامتها على النهج دون انحراف قليل أو كثير".

بل يزداد انحراف المشروع عندما يتم اعتبار خطوات الإصلاح والتجديد هي وقوفا ضد المشروع، فيحارب المصلح وتستباح الحرمات، ويرفع المغرور شعار: لا صوت يعلو فوق صوت المعركة، وسنحارب كل من يقف ضد المشروع، فتكون دعاوى المشروع الموهوم ستارا للاستبداد واستعباد البشر.

وقد تعددت خلال مسيرة الثورة السورية المشاريع التي حاول الناس من خلالها تحقيق بعض الأهداف فحققت بعض النتائج والإنجازات؛ لتعقبها مع مرور الأيام وتعاقب الليالي مشاريع أخرى تكمل المسير وتطور الأداء..

- فمثلا كان مشروع الجيش الحر هو محاولة لتفعيل المنشقين من جيش العدو في حرب العدو النصيري، ونشر المجموعات والكتائب في كل مكان بسوريا؛ لتكون الثورة مجتمعية عامة ينطلق الجميع فيها لإسقاط النظام النصيري بلا تنظيمات إدارية قوية تجمع الرافعين لشعار الجيش الحر في تلك المرحلة، وقد كان الظن يومها أن سقوط النظام النصيري سيكون قريبا أسوة ببقية دول الربيع العربي وقتها، وأنه بعد سقوط النصيرية يكون البناء المتدرج للدولة الجديدة، ثم ظهرت محاولات تطويع تلك الثورة الشعبية وهذا المسمى للجيش الحر عبر مؤسسات خارجية مؤطرة دوليا مثل الائتلاف الوطني وهيئة الأركان، وقامت مؤامرات مشبوهة في جنيف وغيرها تهدف لوأد للثورة، فكانت الحاجة ماسة للتعبيل على مشاريع أخرى..

- ظهرت مشاريع عدة؛ منها مشروع أحرار الشام الذي مر بمراحل عدة كان من أبرزها عندما تشكلت الجبهة الإسلامية على أمل أن تكون مشروع أمة، وخرج ميثاقها الرائع الذي يهدف إلى وضع الأطر العامة وأهم الثوابت حتى لا ينحرف المشروع عن هدفه، وفي إطار هذا الميثاق وذاك المشروع يتم تفعيل الأمة في حربها لإسقاط العدو النصيري وبناء النظام الإسلامي الراشد، وكانت بداياته جيدة، ولكن طرأ له ما طرأ من تفكك مكوناته الأساسية فكانت الحاجة لمشروع جديد يكمل المسير.

- أطلقت أحرار الشام بعد ذلك مشروعها الجديد "ثورة شعب" شعب تتعدد مكوناته ويتحد هدفه في إسقاط العدو النصيري، وتأخير الحديث عن شكل النظام الجديد إلى بعد إسقاط النظام النصيري، وحاولت في هذا المشروع التقارب من عدد من الفصائل وتوسيع أعمالها التشاركية مع عدد من المكونات، ولكن المشروع مع الأيام لم ينجح في ذلك،

وحصلت تحولات لم تجعل المشروع الجديد مشروعاً لأحرار الشام بل لتيار جزئي خاص داخله، مما أدى لتفكك أحرار الشام وعدم قدرة المشروع على تحقيق أهدافه.

- وقام كذلك مشروع القاعدة في سوريا، واستقطب كثيراً من المهاجرين، في محاولة للجمع بين الرؤية العالمية للمشروع الجهادي والمرحلية الإقليمية، واستطاعت الكوادر العديدة التي وفدت لهذا المشروع أن تقدم نموذجاً عسكرياً جيداً متطوراً، ثم كان الاختلاف بين مكونات هذا المشروع سبباً لانقسام مكوناته إلى عدة مشاريع.

- ثم جاء مشروع هيئة تحرير الشام بعد حصار حلب ونزوح المجاهدين منها، وكان أصل قيام هذا المشروع هو إيجاد قوة عسكرية قادرة على الدفاع عن المحرر في حالة وجود دعم إقليمي للثورة وكذلك في حالة وجود مؤامرة إقليمية ضد الثورة؛ لأن التجربة كانت تؤكد أن حلب وكتيراً من المناطق صمدت عندما جاء الدعم الإقليمي فلما حصلت المؤامرات والبيع الإقليمي للمناطق مقابل مناطق أخرى توقف الدعم وبدأ الخذلان وضعفت قوى محلية شريكة في الثورة، فأدى ذلك لوجود ثغرات أسقطت المناطق.

استطاعت هيئة تحرير الشام تكوين قوة عسكرية أفضل مما سبق، واستطاعت الصمود عند المعارك زمناً أطول مما كان يحصل سابقاً، ولكن مع الأيام تغير المشروع من مشروع أمة أو جماعة أو تيار إلى مشروع شخصي طارد لأغلب فصائله المكونة له ولكن من الشخصيات العامة والكوادر وأهدر كثيراً من الفرص والكفاءات والموارد التي لم تتوفر لأي مشروع آخر، فاستمر تساقط المناطق في الشمال والجنوب متأثراً بالمؤامرات الدولية في الأستانا وسوتشي وغيرها، وأدرك الكثيرون الحاجة إلى مشروع جديد يطور أساليب المواجهة ويستفيد من الإمكانيات المتاحة ويكون عصياً على المؤامرات.

وإزاء هذه المخاطر المحدقة اليوم مع دخول الحملة الروسية على إدلب في شهرها الخامس انتشر في أروقة الثورة وملتقيات الجهاد وتصريحات النخب الحديث عن الوسائل التي يمكنها تصحيح المشاريع القائمة أو إطلاق مشروع جديد؛ لأن الجمود على الواقع اليوم لا يعني إلا

مزيدا من التراجع والانكسار..

وتعددت الأطروحات فمثلا ظهرت فكرة "المقاومة الشعبية" ولكنها لم تنجح لعنايتها بالصورة الإعلامية أكثر من اعتبارها مشروعا حقيقيا ينهض بالثورة.

وظهرت كذلك بيانات ثورية ولقاءات ونداءات تطالب: بأخذ زمام المبادرة، وتفعيل طاقات الأمة، وسد الثغرات، وتطوير الأداء، واستحداث وسائل جديدة في حرب العصابات، وفتح المحاور المتعددة، وقطع الطريق أمام الحلول السياسية الانهزامية...، وأهم ركائز هذه الأطروحات هي: التوبة إلى الله جل وعلا وتقواه سبحانه وتعالى، والتزام الهدي النبوي في الشورى الحقيقية لا الصورية، والإعداد الجاد في كل وسائل الحرب الممكنة، وتفعيل الطاقات الكامنة والمهمشة في المجتمع، والاستفادة الصادقة من موارد البيئة الكثيرة، والوضوح في نقل الصورة الميدانية والسياسية لأهل الحل والعقد، والحذر من رهن القضية السورية بمصالح الدول الإقليمية..

إن انتشار هذا الوعي وتزايد الحديث عنه يبشر بقرب ميلاد مشروع جديد يتكامل مع المشاريع السابقة ويطور نجاحاتها ويتجاوز أخطاءها، عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأسا وأشد تنكيلا.

إدلب وداء تطبيع الخنة^١

لم تكن مأساة قصف مخيمات قاح قبل أيام حدثا جديدا ولا فريدا من نوعه؛ فمنذ تسع سنين والعدو النصيري العاشم وحلفاؤه المجرمون يشربون من دم هذا الشعب المصابر، ويأكلون من لحمه، ويتراقصون على أشلائه، ويتدفقون بشوي أجساده. تتعدد أشكال المجازر التي يرتكبها العدو ووسائلها وأماكنها، ولكنها ذات مضمون واحد لا يختلف؛ سواء أكان القتل بالسكين أو البرميل أو الصاروخ أو الكيماوي..، وسواء وقعت الجريمة في القلمون أو الشام أو حمص أو حلب أو دير الزور أو مخيمات قاح...

من المؤكد أن تأثير الإنسان بأول مذبحه يشاهدها يكون فوق تأثيره بالمذبح الثانية ثم الثالثة ثم المذبح رقم ألف أو ألفين..، ولكن، لا بد أن يكون هناك حد أدنى من التأثير والانفعال ورد الفعل لا يقل الإنسان عنه مهما كثرت الخن وتتابعت البلايا.

- لا بد ألا يموت الإحساس وألا تتبلد المشاعر وأن تسري القشعريرة في الجسم مع كل جريمة يرتكبها العدو، وأن يدفع ذلك لمزيد من الإصرار والتحدي والثبات على الانتقام لهؤلاء الأبرياء المساكين.

- لا بد أن يبقى المجتمع الإدلي مجتمعاً مجاهداً ثائراً لا يركن إلى الدنيا ولا ينغمس في زخارفها.

- لا بد أن تكون الثورة محور حياة هذا المجتمع الذي ضحى بالدنيا وما فيها وهجر اللذات ووقف في وجه المصاعب والتحديات.

- لا بد أن يبقى إمام المسجد وخطيب الجمعة مواكباً لجديد أحداث مجتمعه يقنت بالدعاء ويُحرض على النفير للجهاد...

(١) كتبت سنة ١٤٤١هـ.

- لا بد أن يبقى الإعلامي ينقل الصورة البشعة الإجرامية للعدو النصيري وحلفائه، وينقل كذلك الوجوه المشرقة لتضحيات المجاهدين الأبطال والمجتمع النائر.
- لا بد أن يبقى المعلم يغرس في الأجيال الصاعدة حب الجهاد في سبيل الله تعالى.
- لا بد أن تبقى الأم ترضع أبناءها حليب العزة والكرامة والعيش للإسلام وبالإسلام.
- بل لا بد أن يستمر عطاء المجتمع الشامل مكملا النقص الحاصل في شتى الثغور..

* فليس إنقاذ الأبرياء مهمة الدفاع المدني فقط..

* ولا الرباط في الثغور مهمة جنود الفصائل فقط..

* ولا مساعدة الفقراء والأرامل والأيتام مهمة المنظمات الخيرية فقط..

* ولا علاج أزمات المخيمات مهمة إدارات شؤون المهجرين فقط..

* ولا تعليم النشء مهمة المدارس فقط..

= فلا يمكن ولا يقبل تطبيع محنة الشام لتصبح وضعا طبيعيا وخبرا عابرا في نشرة الأخبار، أو رقما مجردا في إحصائيات المنظمات، أو وظيفة في مؤسسة..، بل ستظل المحنة محنة نتجرع مصائبها ونقاوم طغاتها ونصبر في طريق رفعها، إلى أن يأذن الله بالخلاص من هذا العدو المجرم الكافر.

وعلى الطرف الآخر فمن حق المجتمع أن يتنعم بما تيسر من الخيرات في المناطق المحررة؛ من مطعم وملبس ومسكن، ومن كسب وتعليم وإنتاج..، ولكن دون أن يتحول هذا الأمر إلى الترف القاتل للثورة؛ فليس من المنطقي في إدلب الثائرة افتتاح مطاعم وصالات تكلفة إحداها مائة ألف دولار أو يزيد، وليس من المنطقي في أرض الملاحم إقامة تجمعات تجارية فخمة على غرار أرقى "المولات" العربية، خاصة إن كانت تلك الأموال التي تقام بها تلك المنشآت الترفيهية هي استثمارات تجارية لمنظمات خيرية أو مؤسسات اجتماعية أو فصائل

مقاتلة؛ فالأصل في مثل ثورتنا توجيه الاستثمارات للتخزين التجاري للمحروقات والمواد التمويينية الغذائية خوف الحصار وانقطاع الطرق، وكذلك الاستثمار في إنشاء شبكات تهريب إقليمية تصب في مصلحة الثورة وكسر القيود المفروضة على التسليح والتطوير والتنقل الضروري، وكذلك في مشاريع الاكتفاء الذاتي النباتية والحيوانية، ومشاريع تطوير السلاح والذخائر..، وما شابه ذلك من مشاريع تلبي بالفعل ضروريات مواجهة المحنة.

* ولنتذكر أن الغفلة عن البلاء والأحوال التي تلزم عنه هو من قسوة القلب، قال تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾..

– حفظ الله إدلب وأهلها الأخيار، ورد كيد الكافرين المجرمين الفجار.

الوصاية التركية على إدلب ومآلاتها^١

شهدت الأعوام الأخيرة خاصة منذ خروج المجاهدين من حلب تفاهات روسية تركية برزت في مؤتمرات الأستانا وسوتشي وما نتج عنها من تفاهات متعددة كان آخرها التفاهم التركي الروسي بموسكو في الخامس من هذا الشهر الثالث لعام ٢٠٢٠، والذي يؤكد على أمور منها:

- استمرار العمل بمسار الأستانا وسوتشي والأخذ بعين الاعتبار مسار جنيف.
 - مكافحة جميع أشكال الإرهاب والقضاء على جميع الجماعات الإرهابية في سوريا على النحو الذي حدده مجلس الأمن.
 - إنشاء ممر آمن على امتداد ٦ كم على طول كل جهة من جهتي الطريق m4 المتواجدة في المناطق المحررة، وتسيير دوريات مشتركة روسية تركية عليه.
 - أنه لا حل عسكري للصراع في سوريا وأنه لا يمكن حله إلا من خلال العملية السياسية التي يسرتها سوريا بما يتماشى مع قرار مجلس الأمن ٢٢٥٤.
 - وحدة الأراضي السورية.
- وقد تبع هذا الاتفاق اجتماعات روسية تركية صرح أثناءها وزير الخارجية التركي أن جنوب طريق m4 سيخضع للرقابة الروسية وشماله سيخضع للرقابة التركية، وهو ما يعني الرغبة التركية في تسليم مناطق كثيرة من الأراضي المحررة في جبل الزاوية وريف إدلب الجنوبي وريف حماة والساحل إلى المحتل الروسي.
- تزامن هذا الاتفاق مع حشودات تركية كبيرة في شتى مناطق إدلب لا يمكن النظر لها على أنها مجرد نقاط مراقبة، بل لها مهام عسكرية وسياسية متعددة..

(١) كتبت سنة ١٤٤١هـ.

فما الأبعاد المتوقعة لهذه المستجدات:

أولاً- الوصاية التركية على إدلب:

إن هذه الحشود العسكرية التركية في إدلب والتي تبعتها تلك الاتفاقية التركية الروسية تعني رغبة تركيا في الوصاية على منطقة إدلب وتحديد مصيرها، وأن ما ظهر من اخشوشان الجيش التركي مع الجيش النصيري هو مجرد ضغط لتقاسم النفوذ والتأكد من تحقيق مصالح تركية في ملفات كشرق الفرات وتل رفعت ومنبج، وكذلك الملف الليبي مع روسيا، وملف مضادات الطيران مع أمريكا، وملف اللاجئين مع أوروبا، فقد كان أردوغان يقول قبل سفره لموسكو: "سنشن عملية عسكرية واسعة النطاق ضد قوات النظام في إدلب إن لم ينسحب النظام إلى خلف النقاط التركية خلال شباط الجاري" ثم تبين أن هذا الكلام ليس جادا وهو مجرد ضغط إعلامي قبل المؤتمر لتحقيق مكاسب سياسية.

ومما يؤكد ذلك أن السياسة التركية في الملف السوري منذ ٢٠١١ تسير على نسق واحد، ولم تكن الدماء التي أريققت والمدن التي دُمرت والأقاليم التي هُجرت والأسرى والأسيرات خلال تلك الأعوام دافعا للحكومة التركية للتدخل العسكري المباشر المؤثر في الملف السوري، سوى ما جرى من تدخل محدود في الأعوام الأخيرة يتعلق بملف المليشيات الكردية الانفصالية حفظا للأمن القومي التركي... وقد تحولت المناطق التي سيطرت عليها تركيا في عفرين ودرع الفرات وغصن الزيتون بالنسبة للثورة ضد نظام بشار إلى مناطق تجميد جبهات ومناطق ترسيم نفوذ.

وهذا التعاطي التركي شبيه لتعاطيه مع ما تعرضت له الثورة المصرية والليبية واليمنية خلال السنين الماضية، فتركيا دولة تلتزم بمراعاة توجه وضغط النظام العالمي، فيمكنها أن تستقبل لاجئين أو تدعم ببعض المال والسلاح أو تشجب وتدند، أما أن تقوم بتحالف عسكري مصيري بينها وبين تلك الثورات فهو تصور بعيد جدا عن الواقع وعن السياسة التركية.

والدولة التركية دولة قومية تتماشى مع المنظومة العالمية لتحقيق مصالح مادية لشعبها، أما الثورة السورية فقد خرجت على النظام النصيري الذي هو أثر من آثار المنظومة العالمية وجزء من الدول الوظيفية التابعة للدول العالمية؛ لذا فإن تطويع الثورة مجددا للنظام العالمي الحالي هو عمل على إنهاء الثورة وإفشالها.

* فالسيطرة التركية ووصايتها على إدلب تعني:

- التزام تركيا بإخضاع المنطقة للمنظومة العالمية.
- تطبيق تركيا ما تتفق عليه مع القوى العالمية في هذه المنطقة، مثل: الحل السياسي، ونزع السلاح، وإدخال دوائر الحكومات الأخرى لإدلب..
- تحول الثورة إلى مجرد قوة ضغط توجهها الدول الإقليمية في الواجهة التي تحقق مصالح تلك الدول.

- السيطرة على البنية التنظيمية لكبرى الفصائل وعلى قرارها ومسيرتها.
- تكرار تجربة درع الفرات والتي تحولت فيها مرجعية المحاكم من الإسلام إلى القانون السوري، وتم فيها التضييق على الحركات الإسلامية مع استئراء الفساد والفوضى.

ثانيا- موقف الثوار والمجاهدين من الوصاية التركية:

- لم يكن حمزة الخطيب جائعا يبحث عن لقمة خبز فتار على بشار..
- ولم يكن حسين الهرموش خائفا يبحث عن مأوى آمن لذا انشق عن جيش بشار..
- إن معرفة حقيقة الثورة السورية والمراحل التي مرت بها مهم في تصور الموقف المتوقع بعد اللقاءات الروسية التركية..

لقد كان الشعب السوري يعيش حياة متوسطة فليس هو من الشعوب الفقيرة ولا هو من الشعوب فاحشة الثراء، وكان عامة السوريين يتحلون بأخلاق وآداب حسنة والتزام بكثير من شعائر الإسلام كالصلاة والصوم والزكاة والحج، ويحفظ من أراد القرآن، ويتخرج من أراد

من الكليات والمعاهد الشرعية، ولكنه مع ذلك كان تحت حكم عدوه النصيري الذي يسيطر على مقاليد الحكم وينحي الشريعة ويتعالى على المسلمين ويضرب بيد من حديد على من يتدخل في أمور السياسة، لذا ثار الشعب السوري على تلك الطغمة المجرمة..

ورغم ما فوجئ به السوريون أول ثورتهم من فداحة الضريبة التي يدفعونها في مواجهة الحكم النصيري من اعتقال وقتل وجرح وتدمير وتشريد إلا أنهم أصروا على الجهاد، وأعلنوها صراحة: الموت ولا المذلة، ما لنا غيرك يا الله، في سبيل الله نمضي..

- فما هذه الثورة إن كانت نهايتها طلب استرحام من الطاغية ليقبل بترك النازحين يعيشون بلا قصف في منطقة آمنة حدودية، وتحت وصاية تركية؟!

- وما قيمة الهدوء المرحلي الذي يلزم منه عودة ملايين اللاجئين من دول العالم إلى حضن النظام النصيري فيستغلهم في بناء جيشه المجرم من جديد انتظارا لهجوم جديد؟

- وهل أضر الثورة وأخرها وجر لها الهزائم والويلات شيء مثل ارتعاشها بالقوى الدولية والداعمين ومؤتمرات الأستانا وسوتشي والرياض وجنيف؟

* إن نظرة عاجلة تؤكد أن ما ظهر في إدلب حاليا من رفض ملعن لهذه الاتفاقية التركية الروسية يحمل في طياته رفضا للوصاية التركية على المنطقة، ويؤكد وجود قناعة عامة بالقدرة على مواصلة الثورة والاستمرار في الجهاد، وأن التراجع الحالي هو بسبب المؤامرات الدولية وتأثيراتها المباشرة على الفصائل الكبيرة، وأن العلاج الصحيح للهزائم الأخيرة هو في تصحيح المسار لا في مزيد من الارتباط بتلك القوى الإقليمية التي تتاجر بمعاونة الشعب السوري ولا تستطيع الخروج عن المنظومة العالمية التي لا زالت تعترف ببشار رئيسا لسوريا..

ثالثا- المآلات المتوقعة للوصاية التركية على إدلب:

الثورة السورية تعيش اليوم مأزقا هو نتيجة سلسلة طويلة من الأخطاء في الموازنة بين مصلحة الثورة السورية ومصلحة الدول الأخرى التي تدخلت في الملف السوري، ونحن اليوم أمام أحد مسارين متوقعين؛ هما:

= المسار المتوقع الأول: تصحيح مسار الثورة: وذلك عبر:

إعادة ترتيب الأولويات..

وحشد المجتمع للمعركة المصيرية..

وتفعيل الطاقات والكفاءات المعطلة..

وجعل الدور التركي داعما للثورة لا وصيا عليها..

في سبيل تغيير الواقع الميداني والتقدم إلى مناطق إستراتيجية في حلب أو حماة أو الساحل، وبذلك تخرج الثورة من عنق الزجاجة وضغط التوظيف الدولي، وتستعيد مرونتها وقدرتها على التعاطي مع الأحداث.

= المسار المتوقع الثاني: ازدياد الوصاية التركية على إدلب: وهذا يعني:

مزيد تقلص المناطق المحررة..

واستمرار التآمر الدولي لإنهاك الثورة..

والتضييق على الفصائل الثورية والمجاهدة..

وتمرير الحلول السياسية الدولية..

* ولكن هذا يعني كذلك تغيير الصراع في إدلب إلى صور جديدة غير الصورة الموجودة حاليا، وستنتعش غالبا الصراعات المناطقية والاقتصادية والقومية والعقدية والمحلية والإقليمية والدولية والعالمية بصور لا يمكن حاليا حصرها، وما تجربة درنة في ليبيا عنا ببعيد؛ حيث كان خروج تلك المدينة الصغيرة من المعادلة مؤذنا بتحول الصراع في ليبيا وما حولها إلى صور كثيرة لم تكن في حساب أحد.

* وسواء أكان مستقبل الصراع في إدلب هو تصحيح مسار الثورة أو ازدياد

الوصاية التركية فإن الله جل وعلا لا يضيع أجر من أحسن عملا، وستكون العاقبة للمتقين، وسيرد الله جل وعلا كيد الكافرين.

عاصمة من قاصمة النظم السياسية غير الإسلامية^١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.. أما بعد؛
فإن المعتزك الفكري في العالم المعاصر يمتلئ بكثير من المصطلحات الوافدة التي تساق
إلينا سوقا، وتأخذ نصيبا وافرا من النقاش والجدل والصراع حولها؛ ما بين مؤيد ومعارض
ومتحفظ، وما بين متبصر لحقيقة كل مصطلح وآخر يهرف بما لا يعرف.

وفي ظل الضوضاء الصاخبة التي تصاحب تلك المصطلحات، وتحت تأثير سيل جارف
من وسائل التربية والتعليم، والنشر والإعلام، والفكر والثقافة، أصبح كثير من المسلمين
مشوش الفكرة مضطرب الرؤية، فهم لا يعلمون عن حقيقة هذه المصطلحات إلا الاسم
والشعار، دون تبصر لأبسط أسس هذه المصطلحات، فضلا عن معرفة حقيقة المعتزك المقام
حولها، ورؤية كل فريق وهدفه؛ فتجد من يعلن حبه للإسلام ودين الإسلام، وهو في ذات
الوقت يطالب بتطبيق ما يناقض الإسلام في هذا النظام أو ذاك، وهذه الفكرة أو تلك.

وغزا المجتمع سيل من مصطلحات النظم السياسية غير الإسلامية؛ كالعلمانية، والعلمانية
الشاملة، والعلمانية الجزئية، والليبرالية، والديمقراطية، وآليات الديمقراطية، والتكنوقراطية،
والدكتاتورية، والرأسمالية، والاشتراكية، والدولة الدينية، والدولة المدنية، والمجتمع المدني، والملكية
الدستورية.. إلخ.

والحقيقة الجلية هي أن الإغراق في مناقشة تفاصيل تلك المذاهب، لا يناسب الخطاب
الجماهيري العام، الذي تشبه عليه المصطلحات، وتلبس أمامه الرؤى، فلا يستطيع تبعا
لذلك التمييز بين الحق والباطل، والإيمان والكفر، والهدى والضلالة.

وأمام هذا اللبس الواضح في المجتمع، فإن على من حمل هم تبصير الناس بحقائق الدين
الجلية أن يعمل جاهدا لإنقاذ عموم المجتمع من مزالق الفكر ومهاوي الضلالة، المتضمنة في
تلك المصطلحات.

(١) كتبت سنة ١٤٣٤هـ.

وهاك عاصمة من قاصمة تلك النظم السياسية غير الإسلامية:

* تبين موقف تلك المذاهب من تفاصيل وجزئيات نظام الحكم الإسلامي:

إن من الأمور الأساسية التي أدت إلى الاشتباه الحاصل في أذهان الكثيرين هو الإجمال الموهم، والاختصار المخل، وتلمس ما يمكن أن يكون وجه شبه بين جانب من جوانب الحكم في الإسلام، وجانب من جوانب الحكم في تلك النظم غير الإسلامية.

فمثلا عندما يركز المتحدث حديثه عن أهمية العدل في الإسلام، وحرص تلك النظم على العدل في الحكم، يغيب عن ذهنه أنه ما من أمة من الأمم إلا وتتغنى بالعدل، ولكن شتان بين العدل الحق وهو القائم على شرع الله جل وعلا، وما يحسبه البعض عدلا ولكنه في الحقيقة ظلم وإفساد في الأرض؛ لأنه قائم على أسس تخالف شرع الله جل وعلا، قال تعالى:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ

وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، قال ابن تيمية: "فَمَنْ اسْتَحَلَّ أَنْ يَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا يَرَاهُ هُوَ عَدْلًا مِنْ غَيْرِ اتِّبَاعِ لِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَهُوَ كَافِرٌ؛ فَإِنَّهُ مَا مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا وَهِيَ تَأْتُرُ بِالْحُكْمِ بِالْعَدْلِ، وَقَدْ يَكُونُ الْعَدْلُ فِي دِينِهَا مَا رَأَاهُ أَكَابِرُهُمْ" "منهاج السنة النبوية: ٥ - ١٣٠".

ويدخل في ذلك من يتحدث عن عطف الإسلام بالفقراء ورحمته بهم، ثم يتحدث عن نظرة الاشتراكية للفقراء، وكذلك من يتحدث عن حث الإسلام على العمل والتجارة، ثم يتحدث عن النظرة الرأسمالية للكسب، وكذلك من يتحدث عن الشورى في الإسلام، ثم يتحدث عن الانتخابات في الديمقراطية، وكذلك من يتحدث عن أهمية العلم في الإسلام، ثم يتحدث عن الحكم العلماني أو حكم المتخصصين في التكنولوجيا...

والواقع أن وقوع نوع من أنواع التشابه بين الإسلام والكفر لا يجوز أن يكون هو الأساس عند الحديث عما يناقض الإسلام؛ فقد يشبه بعض ما في دين الإسلام بعض ما في غيره من الأديان؛ كتلك الأديان التي تؤمن بوجود الله جل وعلا وأنه الخالق الرازق، وتصدق بوجود الملائكة، وتعترف بنبوّة كثير من الأنبياء، وتوقن بالبعث بعد الموت...

بل الواجب التركيز على بيان المعتقد الذي تميز به المسلمون عن غيرهم من الكفار،

والذي أوجب انقسام البشر إلى مؤمن وكافر؛ كنبوة محمد صلى الله عليه وسلم عند الحديث عن اليهود والنصارى، وختمه للنبوة عند الحديث عن القاديانية والبهائية، وتنزيه الله جل وعلا عن النقص وعن مماثلة خلقه عند الحديث عن مدعي الحلول والاتحاد.. إلخ.

لذلك لا ينبغي عند الحديث عن تلك النظم السياسية المخالفة للإسلام أن يكون بطريقة الحديث المجمل عن الجمع والتوفيق بينها وبين الإسلام، بل لا بد من توضيح قضية الانقياد التام للشريعة في مجملها ومفصلها، ولا بد من إبراز قضايا الإسلام التي يتحاشى أدعياء تلك النحل الحديث عنها؛ لتتضح الأمور واضحة جلية؛ كمثّل:

- قضية العلاقة بين المسلم والكافر، تلك العلاقة التي اشتمل القرآن الكريم على مئات الآيات القرآنية التي تتحدث عن الله والرب، والإيمان والإسلام، والكفر ومشتقاته؛ ليكون هناك تمايز واضح بين الطرفين، وقيام الحكم في الإسلام على هذه الصورة الواضحة الجلية من التمايز، فلا يسوي الإسلام بين المسلم والكافر في ممارسة السياسة والحكم، ولا في المشورة، ولا في إنشاء دور العبادة، ولا في إظهار ممارسة شعائر العبادة، ولا في الدعوة للأديان، ولا في الحرب والقتال، بل ولا في السلام والتحية، ويضاف إلى ذلك الموقف من الجزية التي يدفعها أهل الكتاب عن يد وهم صاغرون، وتحريم اتخاذهم أصدقاء وأوداء.

فارتباط نظام الحكم في الإسلام بقضية أن الإسلام هو الدين الحق وأن ما عداه هو الباطل أمر أوضح من أن يوضح، خلافا لكل النظم السياسية الأخرى التي تحاد هذه النظرة وتعادبها.

- قضية العلاقة بين نظام الحكم في الإسلام وأفراد المجتمع؛ حيث يحدد الإسلام أطراً تضبط السلوك الشخصي والجماعي، خلافاً لغيره من النظم التي وإن قبلت ببعض الضبط فلا تقبل بالضبط الكامل للإسلام، الذي يترتب عليه فرض الحجاب، وحذر المواد الثقافية التي تحوي مخالقات للإسلام، ومنع الأنشطة الترفيهية التي لا تتفق مع آدابه الكريمة، وازدراء الآلهة الجاهلية، ومنع تعظيمها، وتكسير الأوثان والأصنام، وضبط العادات الاجتماعية، وإقامة عقوبات الحدود الشرعية.. إلخ.

- قضية العلاقة بين الإسلام والوطن؛ حيث يبنى الإسلام المجتمع المسلم على قيم مرتكزة على الإسلام، لا على الأصل، ولا على مكان النشأة، ولا على العرق، ولا على اللغة، ولا على اللون...؛ فكانت للإسلام أحكامه الظاهرة في الولاء والبراء والهجرة والجهاد...، خلافا لكل النظم السياسية الأخرى التي تقيم مجتمعا على أسس أخرى اقتصادية، أو قومية، أو وطنية شعوبية...

- قضية اشتراط الإسلام في تولي أمر المسلمين العام شروطا منها: الإسلام، والذكورة، والقرشية، والاجتهاد، وهذه الشروط محل رفض من النظم غير الإسلامية خاصة شرط القرشية وشرط الاجتهاد في الشريعة.

إن تفصيل الأحكام يبين الحقيقة الواضحة للعلاقة بين الإسلام وتلك النظم الأخرى، ويكشف حقيقة التلبس الذي يمارسه الكثيرون عند نشر مذاهبهم الباطلة.

= إن هذه العاصمة من قاصمة تلك النظم السياسية غير الإسلامية يمكن أن تتضح وتزدهر بمزجها مع كثير من المبادئ الإسلامية المعلومة؛ مثل:

- معرفة عداوة الكفر للإسلام.

- بيان قصور العقل البشري.

- إظهار الحق وعدم كتمانته.

- عدم لبس الحق بالباطل.

- الاهتمام بالخطاب العقدي الواضح.

- الشعور بالعزة الإسلامية.

إلى غير ذلك من المبادئ الإسلامية التي من اكتسب بتطبيقها وعمل وفق مقتضاها؛ فقد استمسك بالهدى، واعتصم بمجل الله جل وعلا.

براءة صلح الحديبية من تنازلات أدعياء السياسة الشرعية^١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.. أما بعد؛ فقد ابتلينا في الآونة الأخيرة بقوم خاضوا في الباطل، وسلكوا طريق الغي؛ يحسنون الظن بالأعداء وبمناهجهم، ويرجون بذلك نصرة الإسلام والمسلمين.

وكلما أنكر عليهم سوء صنيعهم، وتضييعهم لكثير من أوامر الشرع، وقبولهم لكثير من ألوان الباطل، احتجوا بصلح الحديبية، وزعموا أنهم يُقدِّرون المصالح والمفاسد، ويوازنون بينها، ويعلمون خير الخيرين وشر الشرير...

وإذا طُلب منهم بيان هذه الموازنات المزعومة، زجروا السائل ونهروه، قائلين: ما لك ولها؟ إنها موازنات لا يصلح لها إلا الكبار الحكماء، وليس للعوام، ولا لطلاب العلم، ولا لمن لم يبلغ رتبتهم في الاجتهاد والحكمة، إلا اتباعهم وإحسان الظن بهم.

وإذا ذُكر أحدهم ما حاول جلبه من المصالح ودفعه من المفاسد؛ ليتخلص من الحرج والشبهة التي تلاحق مواقفه المشينة، لم تر إلا شائعات، وتوهّمات، وخرافات، وخيالات؛ فلا الحقيقة عرفوا، ولا الشريعة حفظوا، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فتراهم يصادمون الشرع ويخالفون أوامره؛ لمصالح موهومة، أو في أحسن أحوالهم مظنونة أو متوقعة؛ فيتركون المصلحة المتيقنة في التزام شرع الله جل وعلا، ويبحثون عن مصلحة ظنية محتملة؛ فمنهم من ينادي بالديمقراطية أو آلياتها، ومن يدعو لحكومة تكنوقراطية، ومن يؤكد على مدنية الدولة، ومن يحث على احترام الدستور والقانون الجاهليين، ومن يقر بالوحدة الوطنية والمواطنة الكاملة وعدم التفرقة بين المسلم والكافر، ومن يطعن الزنادقة والكافرين أنه حتى إن وصل لكرسي الحكم فلن يطبق الحدود في العقوبات ولا الجزية ولن يمنع المنكرات، ومن يسهر لحماية الكنائس ويعزي في وفاة أئمة الكفر المحاربين للإسلام، ومن ينهى عن

(١) كتبت سنة ١٤٣٣ هـ.

الجهاد بل وعن إعداد العدة، ولا همَّ له إلا التنفير عن الجهاد وأهله عامة؛ فما يقوم أحد للجهاد في مشرق ولا مغرب إلا تبرأ منه، واتهمه في دينه أو فقهه.. مدعيًا أن هذا الجهاد وإن كان مباح الأصل إلا أن ضرره أكبر من نفعه، أو به تجاوزات، أو يصد عن سبيل الله، أو يؤخر انتشار الدعوة، أو يشوه صورة المسلمين، أو يعوق التعايش السلمي والاندماج مع الآخر...، وبعضهم لا يمانع من الجهاد إلا إذا وقع قريبًا منه، فيكرر نفس تلك الدعوى؛ ضنًا بنفسه وحفظًا لديناه...، إلى آخر هذا السيل من الأباطيل التي يحاولون بها جاهدين إرضاء الكافرين والمنافقين، وكأنهم نسوا قوله تعالى: ﴿إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾^١.

والشبهة التي يدندنون حولها كثيرًا: هي أنهم يقتدون بالنبي صلى الله عليه وسلم، الذي قبل في صلح الحديبية بأمر كان يريد صلى الله عليه وسلم غيرها، ثم ترك ما كان يريد من أجل تحقيق مصلحة أكبر تتحقق بإتمام الصلح.

وهم يقصدون بذلك أمورًا طلبتها قريش؛ هي:

١- ألا يُكتب في كتاب الصلح بسم الله الرحمن الرحيم، مكتفين بكتابة باسمك اللهم.

٢- ألا يكتب في كتاب الصلح محمد رسول الله، اكتفاء باسمه الشريف محمد بن عبد

الله.

٣- أن يرد رسول الله صلى الله عليه وسلم من أتاه من مسلمي مكة إلى كفار قريش،

وألا يرد كفار مكة من أتاهم مرتدًا عن الإسلام.

ومن يذكر هذه الشبه يذكر المسألتين الأولى والثانية استئناسًا، لا بقصد الاستدلال غالبًا، ومقصوده من الاستدلال هو المسألة الثالثة المتعلقة برد من أتى مسلمًا بعد الصلح إلى كفار قريش، ولذلك لا داعي للإطالة في بيان الأمر الأول والثاني؛ اكتفاء بقول النووي رحمه الله: (أما البسمة وباسمك اللهم فمعناها واحد، وكذا قوله: محمد بن عبد الله، هو أيضًا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليس في ترك وصف الله سبحانه وتعالى في هذا الموضوع

بالرحمن الرحيم ما ينفي ذلك، ولا في ترك وصفه أيضًا صلى الله عليه وسلم هنا بالرسالة ما ينفيها، فلا مفسدة فيما طلبوه، وإنما كانت المفسدة تكون لو طلبوا أن يكتب ما لا يحل؛ من تعظيم آلهتهم، ونحو ذلك)^١.

أما مسألة رد رسول الله صلى الله عليه وسلم من آتاه من مسلمي مكة إلى كفار قريش، وعدم رد كفار مكة من آتاهم مرتدًا عن الإسلام، فهذا إيضاح لها:

أولاً: بيان سبب قبول النبي صلى الله عليه وسلم رد من آتاه من مسلمي مكة إلى

كفار قريش، وألا يرد كفار مكة من آتاهم مرتدًا عن الإسلام

روى مسلم في صحيحه بعض أحداث صلح الحديبية؛ فقال: «فاشترطوا على النبي صلى الله عليه وسلم أن من جاء منكم لم نرده عليكم، ومن جاءكم منا رددتموه علينا، فقالوا: يا رسول الله أنكتب هذا؟ قال: نعم، إنه من ذهب منا إليهم فأبعده الله، ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجًا ومخرجًا».

وروى البخاري في صحيحه بعض أحداث صلح الحديبية؛ فقال: «فقال سهيل: وعلى أنه لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا. قال المسلمون: سبحان الله، كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلمًا؟ فبينما هم كذلك؛ إذ دخل أبو جندل بن سهيل بن عمرو، يرسف في قيوده، وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين، فقال سهيل: هذا يا محمد أول ما أقاضيك عليه أن ترده إلي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إنا لم نقض الكتاب بعد). قال: فوالله إذا لم أصالحك على شيء أبدًا، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (فأجزه لي). قال: ما أنا بمجيزه لك، قال: (بلى فافعل). قال: ما أنا بفاعل، قال مكرز: بل قد أجزناه لك، قال أبو جندل: أي معشر المسلمين، أرد إلى المشركين وقد جئت مسلمًا، ألا ترون ما قد لقيت؟ وكان قد عذب

عذابًا شديدًا في الله، قال: فقال عمر بن الخطاب: فأتيت نبي الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: أأنت نبي الله حقًا؟ قال: (بلى). قلت: أألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: (بلى). قلت: فلم نعطي الدنيا في ديننا إذا؟ قال: (إني رسول الله، ولست أعصيه، وهو ناصري)...، ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، فجاءه أبو بصير رجل من قريش وهو مسلم، فأرسلوا في طلبه رجلين، فقالوا: العهد الذي جعلت لنا، فدفعه إلى الرجلين، فخرجا به، حتى إذا بلغا ذا الحليفة، فنزلوا يأكلون من تمر لهم، فقال أبو بصير لأحد الرجلين: والله إني لأرى سيفك هذا يا فلان جيدًا، فاستله الآخر فقال: أجل والله إنه لجيد، لقد جربت به ثم جربت، فقال أبو بصير: أأرني أنظر إليه، فأمكنه منه، فضربه حتى برد، وفر الآخر حتى أتى المدينة، فدخل المسجد يعدو، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآه: (لقد رأى هذا ذعرًا). فلما انتهى إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: قتل والله صاحبي وإني لمقتول، فجاء أبو بصير فقال: يا نبي الله، قد والله أوفى الله ذمتك، قد رددتني إليهم ثم نجاني الله منهم، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ويل أمه، مسعر حرب لو كان له أحد). فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم، فخرج حتى أتى سيف البحر، قال: وبنقلت منهم أبو جندل بن سهيل، فلحق بأبي بصير، فجعل لا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبي بصير، حتى اجتمعت منهم عصابة، فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها، فقتلوهم، وأخذوا أموالهم، فأرسلت قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم، تناشده بالله والرحم لما أرسل فمن أتاه فهو آمن، فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم إليهم».

فالسبب في قبول النبي صلى الله عليه وسلم هذا الشرط هو علمه بالوحي بأن هذا الشرط ستكون عاقبته خيرًا للمسلمين، وقد بين صلى الله عليه وسلم هذا للصحابة بقوله: «إنه من ذهب منا إليهم فأبعده الله، ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجًا ومخرجًا»، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب لما استشكل عليه هذا الأمر: «إني رسول الله، ولست أعصيه، وهو ناصري» فسيرتد كيد الكافرين إلى نحورهم، ولن يحققوا

بهذا الشرط ما تمنوه، وسينقلب شرطهم هذا حسرة عليهم.

وقد تحقق ذلك فأثنى أبو بصير وأبو جندل في المشركين، وقتلوا منهم مَن قتلوا؛ حتى اشتد فرح كفار قريش، وهروا إلى النبي صلى الله عليه وسلم صاغرين، يناشدونه ألا يرد من أتاه مهاجرًا!!

وهذا من الآيات المعجزة التي تؤكد صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال النووي: (أما شرط رد من جاء منهم، ومنع من ذهب إليهم، فقد بين النبي صلى الله عليه وسلم الحكمة فيهم في هذا الحديث بقوله: «**من ذهب منا إليهم فأبعده الله، ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجًا ومخرجًا**» ثم كان كما قال صلى الله عليه وسلم، فجعل الله للذين جاءونا منهم وردهم إليهم فرجًا ومخرجًا، والله الحمد، وهذا من المعجزات)^١.
وقال ابن حجر: (قوله: «**إني رسول الله ولست أعصيه**» ظاهر في أنه صلى الله عليه وسلم لم يفعل من ذلك شيئًا إلا بالوحي)^٢.

وقال ابن حزم: (قد قال الله عز وجل واصفًا لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^٣، فأيقنا أن إخبار النبي صلى الله عليه وسلم بأن من جاءه من عند كفار قريش مسلمًا فسيجعل الله له فرجًا ومخرجًا وحي من عند الله، صحيح لا داخله فيه، فصحت العصمة بلا شك من مكروه الدنيا والآخرة لمن أتاه منهم، حتى تتم نجاته من أيدي الكفار، لا يستريب في ذلك مسلم يحقق النظر، وهذا أمر لا يعلمه أحد من الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم)^٤.

ثانيًا: بيان أن معرفة المصلحة في قبول هذا الشرط كانت توقيفية ولم تكن اجتهادية:

كانت الهجرة من مكة إلى المدينة من أوجب الواجبات، ومن أفضل الطاعات؛ فقد

١ شرح النووي على مسلم.

٢ فتح الباري شرح صحيح البخاري.

٣ سورة النجم: ٣ - ٤.

٤ الإحكام في أصول الأحكام.

حث الله جل وعلا على الهجرة في سبيله، وبشر المهاجرين بالخير الوفير، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاعِمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^١، وتوعد الله جل وعلا من استطاع أن يهاجر ثم تخلف عن الهجرة، وتعلل بالأعداء الواهية، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾^٢.

وقبول النبي صلى الله عليه وسلم صلح الحديبية مع ما فيه من شروط قريش؛ كشرط رد من جاءه من مكة مهاجرًا، نتجت عنه مصالح عظيمة، قال النووي: (قال العلماء: والمصلحة المترتبة على إتمام هذا الصلح ما ظهر من ثمراته الباهرة وفوائده المتظاهرة، التي كانت عاقبتها فتح مكة، وإسلام أهلها كلها، ودخول الناس في دين الله أفواجًا، وذلك أنهم قبل الصلح لم يكونوا يختلطون بالمسلمين، ولا تتظاهر عندهم أمور النبي صلى الله عليه وسلم كما هي، ولا يحلون بمن يعلمهم بها مفصلة، فلما حصل صلح الحديبية اختلطوا بالمسلمين، وجاءوا إلى المدينة، وذهب المسلمون إلى مكة، وحلوا بأهلهم وأصدقائهم وغيرهم ممن يستنصحوه، وسمعوا منهم أحوال النبي صلى الله عليه وسلم مفصلة بجزئياتها، ومعجزاته الظاهرة، وأعلام نبوته المتظاهرة، وحسن سيرته، وجميل طريقته، وعانينا بأنفسهم كثيرًا من ذلك، فمالت نفوسهم إلى الإيمان، حتى بادر خلق منهم إلى الإسلام قبل فتح مكة، فأسلموا بين صلح الحديبية وفتح مكة، وازداد الآخرون ميلًا إلى الإسلام، فلما كان يوم الفتح أسلموا كلهم؛ لما كان قد تمهد لهم من الميل، وكانت العرب من غير قريش في البوادي ينتظرون بإسلامهم إسلام قريش، فلما أسلمت قريش أسلمت العرب في البوادي)^٣.

١ سورة النساء: ١٠٠.

٢ سورة النساء: ٩٧.

٣ شرح النووي على مسلم.

وهذه المصالح علمنا تفصيلها بعد وقوعها، أما عند الصلح فعلم أنه الخير إجمالاً، تصديقاً بوعد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أما عندما ظن الصحابة بادئ الأمر أن في المسألة مجالاً للرأي والاجتهاد؛ فقد اتفق اجتهاد أكثرهم على أنه لا مصلحة في الصلح، وأن المصلحة في عدم الاستجابة لمكر قريش، ومما يؤيد ذلك:

- أنهم عقدوا العزم على جهاد كفار قريش إن منعهم العمرة، فعندما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم عزم قريش على صده عن البيت الحرام، قال صلى الله عليه وسلم: «أشيروا أيها الناس علي، أترون أن أميل إلى عيالهم وذراي هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت...» فقال أبو بكر: (يا رسول الله خرجت عامداً لهذا البيت، لا تريد قتل أحد ولا حرب أحد، فتوجه له، فمن صدنا عنه قاتلناه) فقال صلى الله عليه وسلم: «امضوا على اسم الله».

- أن الصحابة رأوا بشائر النصر حين أمكنهم الله عز وجل من أسر عشرات من مقاتلي قريش، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه: «أن ثمانين رجلاً من أهل مكة هبطوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من جبل التنعيم متسلحين، يريدون غرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، فأخذهم سلماً فاستحياهم، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرْتُمْ عَلَيْهِمْ﴾^١، ثم أطلق النبي صلى الله عليه وسلم سراحهم، فعن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: «فنظر إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: دعوهم، يكن لهم بدء الفجور وثناه، فعفا عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم»^٢، فهذا النصر المبكر كان عظيماً؛ حيث أمكنهم الله من أسر عدد من المشركين يقارب عدد أسرى المشركين يوم بدر.

١ سورة الفتح: ٢٤.

٢ رواه مسلم.

٣ رواه مسلم.

- أن الصحابة بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان لقتال قريش، عندما أشيع أن كفار قريش قتلوا عثمان بن عفان رضي الله عنه، قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾^١، وامتدحهم النبي صلى الله عليه وسلم قائلاً: «أنتم اليوم خير أهل الأرض»^٢، فلو كان في الصلح مكان للرأي المجرد، لكان هؤلاء الذين بايعوا النبي صلى الله عليه وسلم من أجل عثمان رضي الله عنه وحده، حريصين أشد الحرص على عدم رد عشرات المسلمين الذين استضعفهم أهل مكة إذا هاجروا إلى المدينة.

- أن أهل مكة كانوا في حال ضعف، ولم يزد أمرهم إلا سوءاً، وهذه حال مناسبة لحربهم، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبديل بن ورقاء لما أخبره بأن قريشاً ستصده عن العمرة: «إنا لم نجئ لقتال أحد، ولكننا جئنا معتمرين، وإن قريشاً قد نهكتهم الحرب وأضررت بهم، فإن شاءوا ماددتهم مدة ويخلوا بيني وبين الناس، فإن أظهر فإن شاءوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، وإلا فقد جموا، وإن هم أبوا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي ولينفذن الله أمره»^٣. وأرسلت قريش عروة بن مسعود ليتكلم مع النبي صلى الله عليه وسلم، فتكلم بصيغة الاستعطاف والتخويف، قائلاً: (أي محمد، أرايت إن استأصلت أمر قومك، هل سمعت بأحد من العرب اجتاحت أهله قبلك؟ وإن تكن الأخرى فإني والله لأرى وجوهاً، وإني لأرى أشواباً من الناس خليفاً أن يفرّوا ويدعوك، فقال له أبو بكر: امصص ببظر اللات، أنحن نفر عنه وندعه؟!)^٤.

- وقد وقع التصريح بأن الصلح لو كان متعلقاً بالرأي المجرد، لكان رأي الصحابة عدم الصلح، فعن سهل بن حنيف رضي الله عنه، قال: (يا أيها الناس اتهموا رأيكم على

١ سورة الفتح: ١٨.

٢ متفق عليه.

٣ رواه البخاري في صحيحه.

٤ رواه البخاري في صحيحه.

دينكم، لقد رأيتني يوم أبي جندل ولو أستطيع أن أurd أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لرددته^١.

ولما أمر النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بأن ينحروا الهدى وأن يتحللوا من العمرة في الحديبية، كان هذا شديداً عليهم، «فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: قوموا فانحروا ثم احلقوا. فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا نبي الله، أتعب ذلك؟ اخرج، لا تكلم أحداً منهم كلمة، حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيلحقك. فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك؛ نحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يلحق بعضاً، حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غمًا»^٢، قال ابن حجر: (قوله: "فوالله ما قام منهم رجل" قيل: كأنهم توقفوا لاحتمال أن يكون الأمر بذلك للندب، أو لرجاء نزول الوحي بإبطال الصلح المذكور، أو تخصيصه بالإذن بدخولهم مكة ذلك العام لإتمام نسكهم، وسوغ لهم ذلك لأنه كان زمان وقوع النسخ، ويحتمل أن يكونوا ألهتهم صورة الحال فاستغرقوا في الفكر لما لحقهم من الذل عند أنفسهم، مع ظهور قوتهم، واقتدارهم في اعتقادهم على بلوغ غرضهم، وقضاء نسكهم بالقهر والغلبة، أو أخروا الامتثال لاعتقادهم أن الأمر المطلق لا يقتضي الفور، ويحتمل مجموع هذه الأمور لمجموعهم)^٣.

وقد بين أنس بن مالك رضي الله عنه حالهم ذاك، فقال: (لما نزلت ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ﴾^٤ إلى قوله: ﴿فَوْرًا عَظِيمًا﴾^٥، مرجعه من الحديبية، وهم

١ متفق عليه.

٢ رواه البخاري في صحيحه.

٣ فتح الباري شرح صحيح البخاري.

٤ سورة الفتح: ١ - ٢.

٥ سورة الفتح: ٥.

يخالطهم الحزن والكآبة، وقد نحر الهدى بالحديبية؛ فقال: لقد أنزلت علي آية هي أحب إلي من الدنيا جميعًا^١.

- وقد ذكر الله جل وعلا أنه كف أيدي الفريقين عن القتال لحكم جليلة؛ منها وجود مسلمين مستضعفين بمكة، وقرب إسلام بعض كفار قريش، وذكر الله جل وعلا أنه لو لم يكن بمكة مسلمين مستضعفين لأذن للمسلمين بالقتال ولأذاق الكافرين عذابًا أليمًا، قال تعالى: ﴿هُم الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ حِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فِتْصِيْبِكُمْ مِنْهُمْ مَعْرَةٌ بَغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا^٢، قال السعدي: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾ أي: لو زالوا من بين أظهرهم ﴿لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ بأن نبيح لكم قتالهم، ونأذن فيه، ونصرمك عليهم^٣.

* من كل ذلك يتبين أن المصلحة في صلح الحديبية لم تكن لتدرك عند إبرام الصلح بمجرد موازنة الصحابة للأمور وإعمالهم الرأي، بل هي مصلحة قدرها الله عز وجل، يوقن الصحابة بحصولها وإن لم تبد لهم صورتها.

ثالثًا: بيان أن الاستدلال بهذا الصلح على المصلحة إنما هو استدلال بحقيقة الصلح

لا بصورتها.

ذكر بعض العلماء من الدروس المستفادة من صلح الحديبية تقديم المصلحة واحتمال بعض المفسدة، قال النووي: (فيه أن للإمام أن يعقد الصلح على ما رآه مصلحة للمسلمين، وإن كان لا يظهر ذلك لبعض الناس في بادئ الرأي، وفيه احتمال المفسدة اليسيرة لدفع أعظم منها، أو لتحصيل مصلحة أعظم منها، إذا لم يمكن ذلك إلا بذلك)^٤.

١ رواه مسلم في صحيحه.

٢ سورة الفتح: ٢٥.

٣ تفسير السعدي.

٤ شرح النووي على مسلم.

وقال ابن القيم: (مصالحة المشركين ببعض ما فيه ضيِّمٌ على المسلمين جائزةٌ للمصلحة الراجحة، ودفع ما هو شر منه، ففيه دفعٌ أعلى المفسدتين باحتمال أدناهما)^١.

وقال الشوكاني: (وفيه أن مصالحة العدو ببعض ما فيه ضيِّم على المسلمين جائزةٌ للحاجة والضرورة دفعًا لمحذور أعظم منه)^٢.

وهذا الاستدلال حق، ولكن ينبغي التبصر إلى أنه استدلالٌ بحقيقة صلح الحديبية الذي علم الله جل وعلا أن الخير فيه، وليس استدلالًا بالرأي المجرد الذي ارتآه جمهور الصحابة يومئذ.

وهذا مماثل للاستدلال بصنيع الخضر مع موسى عليهما السلام؛ فالخضر عليه السلام لم يفعل ما فعله عن مجرد أمره هو، بل قد أطلع الله جل وعلا على مصلحة متيقنة، ومع ذلك يستدل العلماء بصنيع الخضر عليه السلام على ابتغاء المصلحة، ولا يعنون قطعًا ابتغاء المصلحة في حال يماثل حاله من كل الوجوه، بل يعنون بذلك المصلحة إذا ظهرت جلية للناظر، قال ابن حجر عن قصة الخضر وموسى عليهما السلام: (وأما من استدل به على جواز دفع أغلظ الضررين بأخفهما، والإغضاء على بعض المنكرات مخافة أن يتولد منه ما هو أشد، وإفساد بعض المال لإصلاح معظمه؛ كخصاء البهيمة للسمن، وقطع أذنها للتميز، ومن هذا مصالحة ولي اليتيم السلطان على بعض مال اليتيم خشية ذهابه بجميعه، فصحيح، لكن فيما لا يعارض منصوص الشرع، فلا يسوغ الإقدام على قتل النفس ممن يتوقع منه أن يقتل أنفسًا كثيرة قبل أن يتعاطى شيئًا من ذلك، وإنما فعل الخضر ذلك لإطلاع الله تعالى عليه)^٣.

ومما يدل على ذلك أن العلماء عندما تحدثوا عن حُكم عقد صلح مع الكفار على أن نرد إليهم من جاءنا من رجالهم مسلمًا، أبطل بعضهم هذا الشرط، وقيده آخرون بما يتعذر

١ زاد المعاد في هدي خير العباد.

٢ نيل الأوطار.

٣ فتح الباري شرح صحيح البخاري.

معه إيقاعه غالبًا.

فمنهم من قال بعدم جواز هذا الشرط وأنه منسوخ، وهذا قول الحنفية والظاهرية؛ قال ابن الهمام الحنفي: (ولو شرطوا في الصلح أن يرد عليهم من جاء مسلمًا منهم بطل الشرط، فلا يجب الوفاء به، فلا يرد إليهم من جاءنا منهم مسلمًا...، لا فرق بين النساء والرجال في ذلك، بل مفسدة رد المسلم إليهم أكثر)^١، وقال ابن حزم الظاهري: (فإن ذكروا حديث أبي جندل، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم رده على المشركين فلا حجة لهم فيه؛ لوجوه: أولها أنه عليه السلام رده ولم يكن العهد تم بينهم، وهم لا يقولون بهذا...، والرابع: أنه خبر منسوخ...، أنزل الله تعالى "براءة" بعد ذلك فأبطل العهد كله ونسخه بقوله تعالى: ﴿بِرَاءةٍ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾^٢...، فأبطل الله تعالى كل عهد ولم يقره، ولم يجعل للمشركين إلا القتل، أو الإسلام، ولأهل الكتاب خاصة إعطاء الجزية وهم صاغرون، وأمن المستجير والرسول حتى يؤدي رسالته ويسمع المستجير كلام الله ثم يردان إلى بلادهما، ولا مزيد، فكل عهد غير هذا فهو باطل مفسوخ لا يحل الوفاء به؛ لأنه خلاف شرط الله عز وجل وخلاف أمره)^٣.

ومن الفقهاء من قال بجواز عقد صلح مع الكفار على أن نرد إليهم من جاءنا من رجالهم مسلمًا، لكنهم قيدوه بقيود لم تكن في صلح الحديبية ظاهرة؛ فقيدوه بالحاجة إلى هذا العقد، فإن لم تكن حاجة لم يصح هذا الشرط، ولا يعان الكفار على رده، بل إن قدر الكفار على أخذه أخذوه، وإن لم يقدروا لم يدهم المسلمون على ما يمكنهم منه، ونأمر سرًا المسلم الذي يبحثون عنه بقتالهم والتخفي عنهم، وزاد الشافعية أن تكون للمسلم عشيرة تمنع من اعتداء قومه المشركين عليه إذا رجع إليهم.

قال أبو إسحاق الشيرازي: (فإن عقد الهدنة على رده، واختار العود لم يمنع؛ لأن النبي

١ فتح القدير.

٢ سورة التوبة: ١.

٣ المحلى.

صلى الله عليه وسلم أذن لأبي جندل وأبي بصير في العود، وإن اختار المقام في دار الإسلام لم يمنع؛ لأنه لا يجوز إجبار المسلم على الانتقال إلى دار الشرك، وإن جاء من يطلبه، قلنا للمطالب: إن قدرت على رده لم نمنعك منه، وإن لم تقدر لم نمنعك عليه^١.

وقال البهوتي: (وجاز في هدنة شرط رد رجل جاء منهم مسلماً للحاجة؛ لشرطه صلى الله عليه وسلم ذلك في صلح الحديبية، فإن لم تكن حاجة لم يصح شرطه، أو لم يشرط رده لم يرد إن جاء مسلماً أو بأمان، وجاز للإمام أمره أي من جاء منهم مسلماً سرّاً بقتلهم، وبالفرار منهم، فلا يمنعهم أخذه ولا يجبره عليه)^٢.

وقال الماوردي: (فأما اشتراط رد من أسلم من الرجال، فمعتبر بأحوالهم عند قومهم، وفي عشائريهم إذا رجعوا إليهم، فإن كانوا مستذلين فيهم، ليس لهم عشيرة تكف الأذى عنهم، وطلبوهم ليعذبوهم، ويفتنوهم عن دينهم، كما كانت قريش تعذب بلالاً وعماراً وغيرهما من المستضعفين بمكة، لم يجز ردهم عليهم، وكان الشرط في ردهم باطلاً...؛ لأنه لما وجب على الإمام فك الأسير المسلم وجب ألا يكون عوناً على أسر مسلم، فأما من كان في عز من قومه، ومنعة من عشيرته، قد أمن أن يفتن عن دينه، أو يستذله مستطيل عليه، جاز رده عليه، وصحت الهدنة باشتراط رده)^٣.

وهذه الشروط تدل على أن الفقهاء الذين أجازوا مثل هذا العقد بشروطه نظروا بخصوصية لصلح الحديبية، واحتاطوا لحرمة المسلم بتعمد اشتراط كل ما يمكن الاستئناس به من أحوال صاحبت صلح الحديبية وإن لم تكن ظاهرة؛ حيث إن الصحابة لم يظهر لهم وقتها وجود حاجة لهذا الصلح، ولذلك حزن أكثرهم، ولم تكن كذلك منعة العشيرة شرطاً لرد من رده؛ بل إن أبا جندل جاء يرسف في قيوده تظهر عليه آثار تعذيب المشركين له؛ حيث قال البخاري: (قال أبو جندل: أي معشر المسلمين، أرد إلى المشركين وقد جئت مسلماً، ألا

١ المذهب.

٢ شرح منتهى الإرادات.

٣ الحاوي الكبير.

ترون ما قد لقيت؟ وكان قد عُذب عذابًا شديدًا في الله^١، والذي يظهر من اشتراط الكفار أن يرد الرسول صلى الله عليه وسلم من جاءه مسلمًا غير ما ذكره بعض الفقهاء من عدم إعانتهم عليه.

* وبهذا يتبين الفرق العظيم بين تأصيل الفقهاء الذين يراعون أحكام الإسلام، ويحافظون على أوامر الشريعة، ولا يبحثون عن الشبهات لينفكوا عن التكليف، وبين تطبيقات أدعياء السياسة الشرعية المعاصرين؛ الذين أصابتهم الهزيمة النفسية؛ فتشوهت تصوراتهم للأمر، واضطربت الموازنات عندهم، وخلطوا بين الحق والباطل، والهدى والضلال، والإيمان والكفر، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

حول الأخذ بالرخصة والضرورة في مسائل السياسة الشرعية المعاصرة^١

مع ظهور التباين الحركي بين الجماعات يركز البعض على ذكر الأدلة الشرعية التي تحث على: الأخذ بالرخصة، وتبين أن العجز مسقط للوجوب، وأن الضرورة تبيح المحظور، وأن الحاجة العامة تنزل منزلة الضرورة، وأن دفع المفسدة مقدم على جلب المصلحة... وهذا حق تبينه المعالم التالية:

- أن أكثر الجماعات السنية العاملة للإسلام متفقة على هذه القواعد، بل وتنطلق في عملها منها، فمن الخطأ الظن بأن أغلب الخلاف الحاصل نتيجة عدم تقرير هذه القواعد..
- أن إقرار جل الجماعات لهذه القواعد هو ما سهل كثيرا من التحولات والمراجعات والتراجعات التي تحدث عادة في صفوف الجماعات..

- أن جل الخلاف الحاصل هو نتيجة تفاوت إدراك الواقع وتقدير المآلات وعدم التقدير الصحيح والواقعي للضروريات الخمس وترتيبها..

- فحفظ الدين مقدم على حفظ النفس؛ ولكن يقع البعض في الاضطراب فيؤكد في حادثة ما على حفظ النفس ظنا منه عدم القدرة على حفظ دين المجتمع في واقع يؤكد ذهاب النفس وعدم القدرة على حفظها، فمحاولة حفظ دين المجتمع في هذه الحالة هو الواجب، وهناك من يعمل في حادثة أخرى على حفظ دين المجتمع بما يؤدي لذهاب النفس في واقع يؤكد ذهاب دين المجتمع وعدم القدرة على حفظه، فحفظ النفس في هذه الحالة هو الممكن.

- ولا بد للتفقه في مسائل السياسة الشرعية عموما والقدرة والعجز خصوصا من التفرقة بين: الظن واليقين، والمعتاد والناذر، والحكم والفتوى، والمشقة والعجز، والخوف والجبن، والشجاعة والتهور، والتوكل والتواكل، والأصل والفرع، والصالح والأصلح، والفاقد والأفسد..

(١) كتبت سنة ١٤٣٧هـ.

- ومن أفضل ما يعين على التقدير الصحيح للواقع والمآلات تأمل السيرة النبوية، والتاريخ الإسلامي عامة، وتجارب النهضة في أزمنة الضعف خاصة.

- والواجب عند الفتن المضطربة هو البحث عن كبار طلاب العلم المتخصصين في معرفة واقع الأمة وتاريخ الجماعات ومكائد الأعداء، العاملين مع إخوانهم في نصرة الإسلام والمسلمين، المكابدين لمعانة الأمة، فهؤلاء هم المجددون في باب السياسة الشرعية، وهم في أزمنة الضعف أندر ما يكون.

- ومن علامات طلاب العلم هؤلاء أنهم متزنون في إدراكهم للواقع فلا يهولون بالممكنات ولا يستهينون بالمدلهمات، ويصدعون بالحق لا يخافون في الله لومة لائم، وأن جمهور طلاب العلم الصادقين في زمانهم يقرون باستساعة عامة اجتهاداتهم في المسائل التي لا يقرونها عليها.

- والعلم في الشرع قرين للخشية، وهو دليل زيادة الإيمان، وكثرة العلم تعني كثرة العمل، لذا فعلم الصحابة والتابعين وتابعيهم أكثر بركة من علم غيرهم، رغم أن من بعدهم أكثر تصنيفا وجمعا وفتيا وحفظا للمتون. أما ما نراه من اشتغال بمسائل في أصل هيئات العبادات لم يسمع عنها السلف ولا الخلف، وكون العلم غاية في نفسه لإشباع نهم المعرفة، فهذا دليل البعد عن منهج السلف، وليس هذا الكلام تهوينا من شأن طلب العلم، ولكنه توضيح لسبيله.

- ومما يذكر في هذا المجال أن علم رجل أو طائفة ببعض أمور الشرع لا يعني في كل الأحوال الأهلية للقيادة في أمور السياسة الشرعية النازلة، فنحن نشهد الآن أن علم الكثيرين بالواقع ممن لهم علاقة بالعلم الشرعي لا يتعدى ما يعلمه أكثر العوام، من كلام حول قوة الأعداء ومكرهم، وضعفنا وتفرقنا.

- بل إن العلم بالواقع عند بعض طلبة العلم قد لا يتعدى سماع كذب رجال المخابرات وزعماء الأحزاب العلمانية وسفراء الدول ومذيعي البرامج، فيكون بوقا للباطل، وهو يظن نفسه عالما بيوطن الأمور، ومطلعا على دقائق التفاصيل.

- ومما يفيد عند الحيرة وتضارب فتاوى المنتسبين للعلم وعدم تبين الصواب، معرفة أن العمل بالأصل هو المتعين فلا ينتقل عنه للظن والشك، وإدراك أن من أعظم الفتن التي يجب أن تواجهها السياسة الشرعية هي علو الكفار على المسلمين، وحرهم لدين الله جل وعلا، وفتحهم أبواب الردة من الإسلام إلى الأديان الوطنية، والفلسفية، والشهواتية، والإلحادية، وصرف التعظيم الذي لا يبارى للأوثان العصرية.

- ومن المهم في هذه الأزمنة معرفة الحق ورحمة الخلق؛ خاصة طلاب العلم الصادقين؛ فالحرب الشعواء التي تعرضت لها أمتنا في القرون الأخيرة جعلت الحلیم حيرانا، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

**** أسأل الله أن يوفق المجاهدين وقادتهم وعلماءهم لما يجب ويرضى.**

نظرة للعمل السياسي^١

*** المكاتب السياسية المعاصرة الأساسية نوعان:

أ- مكاتب سيادية: تتكون من قادة الجماعة، وتكون مهمتها رسم الأطر العامة للجماعة، وتوجيه أفرادها، وإدارة العلاقات مع الآخرين، ومواجهة التحديات، واتخاذ القرارات..

ومن أبرز هذه المكاتب المكتب السياسي لجماعة الإخوان المسلمين.

ب- مكاتب تنفيذية: تتكون من عناصر فاعلة، وتكون مهمتها التعبير عن رؤية الجماعة وموقفها، والتواصل مع الآخرين، ورفع التقارير للقيادة..
ومن أبرز هذه المكاتب المكتب السياسي لحركة طالبان.

وهذه هي الصورة الافضل في واقعنا المعاصر؛ وذلك لما يلي:

أ- أن التحريف والتبديل يلزم ضعف الأمة، فوجب الاحتياط والتروي في السير، قال الماوردي في أدب الدنيا والدين: "ليس دين زال سلطانه إلا بدلت أحكامه، وطمست أعلامه، وكان لكل زعيم فيه بدعة".

ب- أن كثيرا من الأئمة كالنووي وابن تيمية..، كانوا يتصدرون للفتيا في مقتبل أعمارهم، ولكنهم ما قادوا الأمة إلا بعد طول عمر، فالسياسة الشرعية تحتاج إلى جهابذة العلماء، وجل المكاتب السياسية المعاصرة تخلو من طالب علم متمكن، فتعين عدم إطلاق أيديهم.

ت- أن عمل المكاتب السياسية في البيئة الجهادية يتبع العمل الميداني الجهادي، فتفويض المكتب السياسي في اتخاذ قرارات مصيرية يضر بالعمل الجهادي.

ث- أن تقديم قيادات الجماعة كممثلين سياسيين لها يضعهم تحت الضغوطات المباشرة

والتصورات الجزئية المنقوصة.

ج- أن تقديم الرموز المتبوعين للقيادة السياسية بالخارج يسبب خللا ضخما إذا أخطا الأمير أو الرمز أو خالف اجتهاده اجتهاد جماعته.

ح- أن جعل العمل السياسي تنفيذا يتيح فرصة أكبر للمشاورة والمناورة والمماطلة.

= باختصار: السياسة الشرعية مهمة الكيان الإسلامي كاملا، أما المكاتب السياسية فمهمتها التعبير عن هذه السياسة.

*** نصائح في العمل السياسي:

١- يتم اختيار فريق الجناح السياسي من كوادر معروفة بالتزامها الشرعي، شاركت ولا تزال مشاركة في الجهاد، مثقفة، نجحت في المهام التي عملت فيها سابقا، معروفة بالقدرة على مواجهة التحديات، تلتزم بالشورى وتأنى عن الاستبداد، ولا يقبل في ذلك منطق تقسيم الكعكة، ولا المجاملة بالمناصب.

٢- تغيير مهام عناصر فريق الجناح السياسي كل فترة حتى لا يركنوا إلى شبهة أو طائفة...

٣- من أهم الأعمال التي تقوي العمل السياسي إنشاء جهاز معلومات يجمع تصورا كاملا عن الفساد والمفسدين والمؤامرات في الداخل والخارج.

٤- تدور المؤامرات العالمية حول إدارة الداخل المحرر، سواء عن طريق القضاء أو الشرطة أو الخدمات... فمداهنتهم في ذلك جنائية على الجهاد وأهله، ومواجهة هذا التحدي يكون بصرف التركيز إلى الحديث عن السوريين في الخارج، وتبني مطالبهم العادلة، والعمل على ما ينفعهم، وتقديم خدمات لهم، والحديث عن التجاوزات ضد اللاجئين، وسرقة الدعم، وفساد المنظمات العلمانية، وعدم الاعتراف باستحقاقات داخلية للعمالء، ورفع الحماية عن أذرعهم الداخلية.

٥- الاكتفاء الذاتي أو تنوع مصادر الدعم والسلاح من أهم السياسات التي تقوي كيان الجماعة وسياستها.

٦- من أهم سمات المعارك الكبرى أنها طويلة المدى، بطيئة الخطأ، قوية المفعول، فمن السياسة التأني التام والمشاورة الواسعة عند اتخاذ القرارات المفصلية.

*** وختاماً: فإن تقوى الله جل وعلا هي جماع الخير، فالنهوض بالالتزام الشرعي للجماعة أولاً والمجتمع ثانياً هو سبيل التوفيق لسياسة شرعية صادقة، قال جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

نسأل الله الهداية والتوفيق.

طائفة السياسيين^١

- ١- "طائفة السياسيين" طائفة معاصرة تخصصت في محاولة الدفاع عن الأمة وتحصيل حقها ومواجهة عدوها، عن طريق عمل فكري يعتمد الذكاء والحنكة.
- ٢- اشتهرت في الأمة طوائف الفقهاء والمفسرين والأصوليين واللغويين..، ولم تشتهر "طائفة السياسيين" رغم رواج كلمة السياسة في تراثنا..
- ٣- لم تكن "السياسة الشرعية" مهنة مستقلة كحال "طائفة السياسيين" اليوم؛ بل هي عمل يقوم به أمراء ووزراء ومجاهدون وقضاة ومحتسبون..
- ٤- تعتمد "السياسة الشرعية" الوحيين وتراث الأمة والحكمة والتجربة، أما "طائفة السياسيين" فتحاول أسلمة أطروحات السياسة الغربية..
- ٥- "السياسة الشرعية" تعنى بإصلاح الدنيا بالدين، أما "طائفة السياسيين" فتتغنى بالوطن والتعايش والحريات وتداول السلطة والأقليات..
- ٦- "السياسة الشرعية" مهمة أعلام العلماء العاملين وأتباعهم، أما "طائفة السياسيين" فقوامها هواة مثقفون من أطباء وصيادلة وحقوقيين..
- ٧- بين "السياسة الشرعية" و"طائفة السياسيين" اختلاف في الأسس والوسائل والقضايا والتصورات، نتج عن تشبع المعاصرين بثقافة الهزيمة..
- ٨- "طائفة السياسيين" فشلت عبر قرن كامل من الزمان في تحصيل حقوق الأمة أو التخفيف عنها، بل كانت سلما ارتقى عليه الكفار والمنافقون..
- ٩- أجمل ما في رموزنا من عهد رشيد رضا إلى البنا إلى ابن باز..، هو إصلاحهم أو جهادهم أو دعوتهم، أما عملهم السياسي فأثر سلبيا على سيرتهم.
- ١٠- أثبتت الأيام أن أفضل ما في أي جماعة إسلامية هو إصلاحها أو دعوتها أو جهادها، وأن أسوأ ما فيها هو عمل فريقها السياسي..

(١) كتبت سنة ١٤٣٧هـ.

- ١١- الأمة لا تحتاج "طائفة السياسيين" بل تحتاج سياسة الداعية والمجاهد والقاضي..
دون انفصام عن الواقع ولا افتئات على الأمة ولا تعالم.
- ١٢- بدعوى التخصص انسلخت "طائفة السياسيين" عن ممارسة الدعوة أو الجهاد،
وخلعت العمامة أو الجعبة، وجلسوا ينظرون على الدعوة والمجاهدين..
- ١٣- بين الموقف السياسي و"الطائفة السياسية" كما بين العقل والمناطقة، وكما بين
الزهد والمتصوفة، من لزم الحد نجا، ومن تجاوزه فسد وأفسد.
- ١٤- قال ابن تيمية عن المنطق: "لا يحتاج إليه الذكي ولا ينتفع به البليد". وكذا "طائفة
السياسيين": "لا يحتاج إليها القوي ولا ينتفع بها الضعيف".
- ١٥- وأخيرا: فمن بنى علمه ودعوته وجهاده على أطروحات "طائفة السياسيين" فهو
على شفا جرف هار، يوشك أن ينهار فينهار علمه ودعوته وجهاده.

شورى لا استبداد^١

- للشورى مكانة عظيمة لا يعرف حقيقتها إلا من عرف حقيقة الإسلام.. وهي علامة لازمة للمؤمنين حقا قال تعالى: ﴿وَأْمُرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾.
- والشورى من أسباب اجتماع الناس حول النبي قال تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا لَّالْقَلْبِ لَأُنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾.
- وليست غاية الشورى الوصول للصواب فقط؛ بل من غاياتها كذلك طاعة أمر الله، وتسليية الناس، وإشراكهم بالمسؤولية، واكتشاف الأكفاء، وقطع طريق الفتن..
- فلم يكن إبراهيم يشاور ابنه ليعرف الصواب ولا ليختار مع اختيار الله، بل ليواسيه: ﴿يَا بَنِيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾.
- ومن تأمل سيرة النبي رأى كثرة مشاورته للصحابة، بل والتزام العمل بما يشيرون به، والانتقال إلى رأيهم ولو كان مرجوحا كما في غزوة أحد.
- بل عمل عمر برأي خاطئ للمصلحة فعزل سعدا ثم عمارا عن الكوفة لشكوى بعضهم وقال: لئن سلمني الله لأدعن أرامل أهل العراق لا يحتجن إلى رجل بعدي.
- وأولى من تجب استشارتهم هم العلماء العاملون، قال البخاري: كانت الأئمة بعد النبي صلى الله عليه وسلم يستشيرون الأمراء من أهل العلم.

(١) كتبت سنة ١٤٣٧ هـ.

- أما ترك استشارة العلماء فقال عنه ابن عطية: الشورى من قواعد الشريعة.. من لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب وهذا مما لا خلاف فيه.

- وبين ابن عاشور سبب عزل من لم يشاور وأنه أسوأ من الفاسق فقال: الفسق مضرتة قاصرة على النفس وترك التشاور تعريض بمصالح المسلمين للخطر والفوات.

- لذا يلجأ المستبدون لشورى شكلية خداعا للناس واستنانا بفرعون ﴿إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾.

- ولا يرضى عن المستبد إلا منتفع قال ابن عبد البر: الشورى محمودة.. ولا أعلم أحدا رضي الاستبداد إلا رجل مفتون مخادع لمن يطلب عنده فائدة..

نسأل الله التوفيق والسداد والهدى والرشاد..

اللهم شورى راشدة.

حقيقة الهدنة مع النظام^١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله..، وبعد؛

فلا زال خيار المسلمين في أرض الشام المباركة يضربون أروع الأمثلة في الصبر والمصابرة، والجهاد والثبات والتضحية، في صد العدوان المتكرر من أولياء الشيطان على أولياء الرحمن المتوكلين على الله جل وعلا، الواثقين بوعده، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمِبًا وَالضَّرَّاءُ وَالْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزَلُّوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾.

وقد اجتمع أهل الشر على الصد عن سبيل الله، وإيقاف جحفل المسلمين، واستنجدت قوى الطغيان بعضها ببعض لحرب الثلة المؤمنة؛ فهذه دول ترسل المرتزقة، وتلك دول ترسل السلاح، وأخرى تتكفل بالتمويل، ورابعة تسد طرق دعم المجاهدين، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾.

وبحمد الله ازداد الجهاد قوة وازداد المجاهدون ثباتا، مما أرغم أنوف الطغاة وأذل أعناقهم وأحبط كيدهم، فسعى الطاغية سعيا حثيثا لإعادة الكرة ومحاوله صد الناس عن دينهم وجهادهم بشتى السبل والوسائل، وقرر أن ما لم يستطع أخذه بالقوة حاول أخذه بالخبث والحيلة، فرأيناه يستغل حصاره الخانق على بعض الأماكن؛ لي طرح على الثابتين الصابرين مصالحت ومهادنات، يحاول بها:

(١) كتبت سنة ١٤٣٥ هـ.

- أخذ فرصة لإعادة ترميم جيشه وترتيب مليشياته.
- تجميع قواته المشتتة بين المدن والقرى وتوجيهها لمراكز قوى المجاهدين واحدة تلو الأخرى.
- تخفيف الضغط عن الأماكن المهمة التي يوشك أن يفتحها المجاهدون.
- تفتيت صفوف المجاهدين وبث الخلافات بينهم، على مبدأ: فرق تسد.
- صرف المجاهدين عن الجهاد والرباط ثم الغدر بهم فجأة.
- زرع العملاء بين الأهالي وجمع المعلومات عن المجاهدين.
- إظهار النظام بمظهر المعتني بالمعاناة الإنسانية للمحاصرين، رغم استمرار إجرامه الوحشي في عموم المناطق المحررة.
- كسر الروح المعنوية للأهالي.

وتوضيحا للموقف الشرعي من هذه الهدن المزعومة نبين أن:

* سعي نظام الإجرام لعمل هذه الهدن دليل على قوة الجهاد وشدة بأس المجاهدين: وصدق الله جل وعلا القائل: **﴿وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾**.

* يجب رد الأمور الطارئة إلى الأمراء الصادقين والعلماء المخلصين: لا أن تتخذ هذه القضايا وسيلة للبلبلة والإرجاف بين المسلمين، قال تعالى: **﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾**.

* حاصر كفار قريش الرسول صلى الله عليه وسلم ومن معه من المسلمين في شعب أبي طالب ثلاث سنين: حتى أكل الصحابة ورق الأشجار، وأصاب الجوع المسلمين بالمدينة حتى ربط الصحابة الأحجار على بطونهم، وكان الجيش يخرج للغزو وطعام أحدهم تمرة في اليوم، ثم انفضى الألم وبقي الأجر وجاء الفتح، قال تعالى: **﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾**.

* ليس من سمات العاقل أن ينخدع بتحسن عارض مؤقت: فيضيع ثمرة سني الجهاد، أو يفرط في تحكيم الشريعة، أو يتناسى جرائم القتل والاعتصاب والسجن والتهجير والهدم والتحريق، أو يرفع علم الطاغية المتكبر، أو يسلم السلاح، قال تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفَرَارُ إِِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾.

* لا يجوز أن ينفرد البعض بقرارات مصيرية تخص عموم الأمة: بل لا بد من الاجتماع والتشاور، قال تعالى: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾، فمن تفرد بعمل هدنة عامة دون رجوع لعموم المجاهدين والمعنيين فهدنته باطلة لا تلزمهم.

* يجب على الأمراء والعلماء والوجهاء أن يبذلوا أقصى وسعهم لتخفيف المعاناة عن المحاصرين: عن طريق فك الحصار، وتأمين طرق خفية لإدخال الغذاء، وتوسيع الثروة الزراعية والحيوانية في المناطق المحاصرة، ومنع احتكار السلع، وتعقب لصوص الثورة المجرمين الذين يتاجرون بمعاناة المستضعفين، ومقايسة بعض أسرى النظام بفتح الطرق، وشدة حصار قرى النصيرية والرافضة.

وختاماً: فأبشروا إخوة الإسلام فما بعد الضيق إلا السعة، ولا بعد الشدة إلا الفرج، ولا بعد العسر إلا اليسر، ﴿وَلَا يَجِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾، ﴿وَإِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾، ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا﴾.

(المسارعة فيهم) بزعم (التقاء المصالح)^١

فتنة التلاعب بالمصطلحات هي من أعظم الفتن التي يدخل بها الشيطان على القلوب ليجعلها تعمل بالباطل وتعرض عن الحق؛ لذا كان من أهم ما يشغل الكفار تحديد مصطلح خاطئ يصفون به دعوة الحق، فمرة يقولون: "أساطير الأولين" ومرة يقولون: "سحر مفترى" ومرة يقولون: "به جنة"...

ويمتد تلاعب الشيطان بالمصطلحات ليدخل الشبهات في الجهاد والقتال؛ فيختلط الولاء والبراء بالحمية الجاهلية، والاستعانة بالإعانة، ودفع الصائل بالبغي، والطاعة بالارتزاق...

ومن صور هذا الخلط المعاصر في المصطلحات الخلط المتكرر بين "التقاء المصالح مع العدو الكافر" و"المسارعة في هذا الكافر"؛ حيث ينشأ هذا الخلط من رغبة فريق من مرضى القلوب المنتسبين للقتال في تحييد عدو كافر أو اتقاء شره حتى لا تصيبهم دائرة، فيقوم هذا الفريق بأعمال قتالية يظن هو أنها مشروعة في أصلها ويظن كذلك أن مصلحة هذا العدو تتفق مع قيامه بتلك الأعمال القتالية، فيجتهد في تلك الأعمال بلا مراعاة لأولويات الجهاد ومصالحه المرجوة وشروطه المعتبرة، ويجعل تلك الأعمال أولوية طمعا أن يجنبه ذلك مواجهة العدو الكافر ويقيه شره ويقربه منه، ويروج أنه ما فعل ذلك إلا جهادا في سبيل الله تعالى.

ويزداد وضوح انحراف البوصلة وفساد النية عندما يكون هذا القتال ضد طوائف من المسلمين يرى المقاتل مشروعية قتالهم لأي سبب كان (وسواء كانت رؤيته مشروعية قتالهم صحيحة أم فاسدة)، ولكنه في الحقيقة يسارع لقتالهم مبتغيا بذلك رضا الكافر أو

(١) كتبت سنة ١٤٤١ هـ.

تحييده بلا نظر في أولويات القتال ومآلاته؛ حيث اجتمعت مصلحته ومصلحة الكافر في إضعاف عدوهما، وهذا فساد في النية وفساد في العمل:

- فساد في النية لأنه وإن كان إضعاف طائفة مسلمة (بفرض استحقاقها للقتال) فرضاً مطلوباً على طائفة مسلمة أخرى، فإن نية إضعافها أمام الكافر نية فاسدة، بل الولاء القلبي يقتضي محبة انتصارها على الكافر، فوضع نية أن هذا يفرح المسلم والكافر خطأ في النية.

- وهو كذلك خطأ في العمل؛ لأن الجهاد الشرعي ليس مجرد تعداد أسباب مشروعية القتال؛ بل لا بد كذلك من معرفة أولويات القتال، والقدرة الشرعية على القتال، والأثر المترتب على القتال من مصالح ومفاسد...، **فإهمال ذلك وعدم المبالاة به طلباً لرضا الكفار وإعلاماً لهم بأنه جاد في قتال عدوهم "بزعم التقاء المصالح" هو من فساد العمل.**

* وقد تكرر هذا الخلط والفساد من كثير من الجماعات التي قاتلت أو ضيقت على جماعات أخرى مثل تنظيم القاعدة وجماعة الإخوان المسلمين وجماعة التبليغ والدعوة وعلى غيرهم من الجماعات والفصائل، بزعم مشروعية ذلك ولكن بنية "تحسين الصورة أمام دول كافرة" (وفي كثير من الحالات لم يكن القتال والتضييق مشروعاً أصلاً بل هو إجرام زينه لهم الشيطان).. فأصبحوا يلهثون وراء قتال مسلمين وينشغلون عن الكفار الأصليين بالقتال المستمر لمخالفهم وينهكون قواهم طلباً لرضا الكفار (بعضهم بتنسيق مباشر مع الكفار، وبعضهم بلا تنسيق مباشر ولكن بمعرفة بطلبات الكفار وما يرضيهم عادة) ثم أتى الكفار بعد ضعف الطرفين فاستباحوا دماءهم وأعراضهم وديارهم وحكموا بالطاغوت، وهم لا يزالون يلهثون وراء رضا هذا الكافر أو ذاك.

* وقد صور الله جل وعلا حال هؤلاء القوم فقال تعالى: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ

مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُضْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴿فهم قوم:

- ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: حيث تملك الخوف قلوبهم، وشكُّوا في نصر الله جل وعلا أوليائه، واستعظموا في قلوبهم قوة الشيطان وحزبه.

- ﴿يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾: فهم المبادرون إلى تحقيق ما يقرهم للكفار ويدخلهم في مودتهم مستعجلين رضاهم، فتراهم يفعلون ما يشتهيهِ العدو قبل أن يطلبه منهم بل ودون أن يطلبه منهم، فجمعوا بالمسارعة في إرضاء الكفار بين مرض القلب وفساد العمل.

- ﴿يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾: فهم لفساد تصورهم أرادوا تحقيق مصالح موهومة في الحفاظ على أنفسهم وإبعاد الكفار عن استهدافهم، ولكن وسيلتهم لتحقيق تلك المصالح هي ما نقص من دينهم وكرامتهم.

- ﴿فَيُضْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾: فهم لم يعلنوا مسارعتهم في الكفار بل رددوا الشبهات الباطلة والتبريرات الكاذبة التي يغطون بها سوء نياتهم التي دفعتهم للقيام بتلك الأعمال، ولكنهم في الحقيقة لا يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون، وسيأتي يوم يندمون فيه على عملهم الفاسد وسرائر نياتهم القبيحة، وذلك خزي الدنيا قبل خزي الآخرة.

* فما أفرح إبليس وجنده بمن يحرف بندقيته لتكون أجيعة لعدوه بئس أو بلائهم، يصوبها إلى الجهة التي يرمقها الكافر المستعظم عنده؛ ظنا منه أنه بذلك يجمع بين الجهاد في سبيل الله والسياسة الشرعية، وما علم البائس أنه بذلك يجمع بين رقة الدين وفساد العقل، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾^١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.. وبعد؛

فإن قوله تعالى ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ من أسس عقيدة الولاء والبراء في الإسلام التي هي من أهم مسائل العقيدة؛ لذا كان هذا الشرح للآية الكريمة عبر النقاط التالية:

- تعريف الرضا.
- أسباب رضا الكفار.
- إرضاء الكفار لمسلمين.
- حكم من رضي عنه الكفار.

أولاً- تعريف الرضا:

الرضا هو: "سرور القلب وطيب النفس، وضد السخط والكرهية" "الموسوعة الفقهية". وهو صفة من صفات القلب وهو أخص من المحبة، قال الغزالي في الإحياء: "اعلم أن الرضا ثمرة من ثمار المحبة"، وقال ابن منظور في لسان العرب: "الرضا والسَّخَط من صفات القلب، وصفاتُ الأفعال أدنى رتبة من صفات الذات".

وصفة الرضا في القلب هذه تؤثر على الجوارح وتظهر عليها، قال ابن القيم في إعلام الموقعين: "إن الله تعالى وضع الألفاظ بين عباده تعريفاً ودلالةً على ما في نفوسهم، فإذا أراد أحدهم من الآخر شيئاً عرفه بمراده وما في نفسه بلفظه، ورتب على تلك الإرادات والمقاصد أحكامها بواسطة الألفاظ، ولم يرتب تلك الأحكام على مجرد ما في النفوس من غير دلالة فعل أو قول"، فدليل رضا القلب هو عمل الجوارح من قول أو فعل بل السكوت في معرض

(١) كتبت سنة ١٤٤٢هـ.

الحاجة بيان، بل قد يكون العتاب رضا كما في أوضح التفاسير: "العتاب من علامات الرضا؛ وهو مخاطبة الإدلال ومذاكرة الوجدان"، قال البيضاوي في الغاية القصوى عن الرضا: "لما خفي نيط باللفظ الدال عليه صريحاً.. أو كناية"، وتلك الأدلة العملية على رضا القلب تتفاوت درجة دلالتها قوة وضعفا بناء على درجة قطعيتها أو ظنيتها..

- فنخلص من ذلك إلى أن رضا الكفار عن الشخص هو محبتهم له وسرورهم به، ويُعرف ذلك الرضا بمواقف الكفار منه ودلالتها على الرضا؛ فكلما قويت دلالة تلك المواقف على الرضا علمنا قوة رضاهم القلبي عنه، وكلما ضعفت دلالة تلك المواقف على الرضا علمنا ضعف رضاهم القلبي أو انعدامه.

ثانياً- أسباب رضا الكفار:

- لا يحصل رضا الكفار التام والرضا المطلق عن المرء إلا إن اتبع ملتهم وانسلخ عن الإسلام، قال تعالى مخبراً عن تلك السنة الكونية: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾.

- وبين سبحانه وتعالى الحالة التي يجب فيها الكفار المرء أشد المحبة ويرضون به ويتخذونه خليلاً، وهي حالة الافتراء على الله جل وعلا، فقال تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَأْخُذُوكَ خَلِيلًا﴾.

- وأخبر جل وعلا أن الولاية والمحبة والرضا من اليهود والنصارى والظالمين إنما تكون لأمثالهم من اليهود والنصارى والظالمين، فإذا وُجدت تلك الولاية منهم فاعلم أنهم بذلوا لأمثالهم، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾.

- وكذلك الأصل في الكفار أنهم إن قدروا لم يراعوا في المسلمين قرابة ولا عهداً، بل انتهكوا حرمتهم واعتدوا عليهم، فمراعاتهم التام للحرمت قرينة على أنهم راعوا المنسلخين عن

الإسلام، قال تعالى: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وِلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾.

- وهم مستمرّون في قتال المسلمين ليردوهم عن الإسلام طالما كان ذلك في استطاعتهم، فإن تركوا قتال المسلمين مع الاستطاعة فهذا مظنة وجود انحراف عند المسلمين، قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾.

- وبما أن الرضا درجات ومنه مطلق الرضا وهو أقل ما يدل على الرضا، فإن الكفار يقايضون بعض الرضا ببعض مسايرة المرء لهم، فكلما ازدادت مسايرته لهم ازداد رضاهم، كما قال جل وعلا: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾.

* وإلى هذه الحقائق أشار العلماء في تفاسيرهم وكتبهم، ومن ذلك قول الطبري في تفسيره: "وليس اليهود يا محمد ولا النصارى براضية عنك أبدا، فدع طلب ما يرضيهم ويوافقهم، وأقبل على طلب رضا الله في دعائهم إلى ما بعثك الله به من الحق".

وقال الواحدي في أسباب النزول: "قوله: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ﴾ الآية، قال المفسرون: إنهم كانوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم الهدنة ويطمعون أنهم إذا هادئهم وأمهلهم اتبعوه ووافقوه، فأنزل الله تعالى هذه الآية".

وقال ابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم: "فانظر كيف قال في الخبر ملتهم وفي النهي أهواءهم؛ لأن القوم لا يرضون إلا باتباع الملة مطلقا، والزجر وقع عن اتباع أهوائهم في قليل أو كثير، ومن المعلوم أن متابعتهم في بعض ما هم عليه من الدين نوع متابعة لهم في بعض ما يهونونه أو مظنة لمتابعتهم فيما يهونونه".

وقال سيد قطب في الظلال: "يضع المسلمين وجهاً لوجه أمام الهدف الحقيقي لأهل الكتاب من اليهود والنصارى.. إنه تحويل المسلمين من دينهم إلى دين أهل الكتاب، ولن يرضوا عن النبي صلى الله عليه وسلم حتى يتبع ملتهم، وإلا فهي الحرب والكيد والدس إلى النهاية!..

هذه حقيقة المعركة التي يشنها اليهود والنصارى في كل أرض وفي كل وقت ضد الجماعة

المسلمة.. إنها معركة العقيدة هي المشبوبة بين المعسكر الإسلامي وهذين المعسكرين اللذين قد يتخاصمان فيما بينهما وقد تتخاصم شيع الملة الواحدة فيما بينها، ولكنها تلتقي دائما في المعركة ضد الإسلام والمسلمين!..

إنها معركة العقيدة. إنها ليست معركة الأرض. ولا الغلة. ولا المراكز العسكرية. ولا هذه الرايات المزيفة كلها. إنهم يزيفونها علينا لغرض في نفوسهم دفين. ليخدعونا عن حقيقة المعركة وطبيعتها، فإذا نحن خدعنا بخديعتهم لنا فلا نلومن إلا أنفسنا. ونحن نبعد عن توجيه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم ولأمته، وهو سبحانه أصدق القائلين: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾.. فذلك هو الثمن الوحيد الذي يرتضونه. وما سواه فمرفوض ومردود!"

ثالثا- إرضاء الكفار لمسلمين:

من مكر الكفار أنهم يحاولون أحيانا إرضاء بعض المسلمين استدراجا لهم ومكرا بهم، ليتوصلوا من خلال ذلك الاسترضاء إلى فتنتهم عن دينهم فيرضى الكفار حينها عن المفتونين، قال تعالى: ﴿يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾، قال الطبري في تفسيره: "يعطونكم بألسنتهم من القول خلاف ما يضمرونه لكم في نفوسهم من العداوة والبغضاء".

لذا كان الأمر الإلهي القاطع هو الحذر منهم والبعد عن أهوائهم وعدم طاعتهم في بعض الأمر فضلا عن طاعتهم في كل الأمر، وتحذير المسلمين من أن مسيرتهم في ذاك الطريق المنحرف تقطع عنهم نصره الله جل وعلا فيصيبهم العذاب الشديد في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَلَنْ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وِليٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ

أوثُوا الْكِتَابَ يَزُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴿١٠﴾، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَطْيَعُوا
الَّذِينَ كَفَرُوا يَزُدُّوكُمْ عَلَىٰ آعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١١﴾.

رابعاً- حكم من رضي عنه الكفار:

الأصل أن شهادة الكافر الصريحة على مسلم ليست دليلاً يقيم عليه بها حكم شرعي؛ لأن الكافر ليس من أهل العدالة البتة، وقد تكون تلك الشهادة الصريحة مجرد قرينة تعضد الأدلة الثابتة المعتبرة شرعاً. فمن باب أولى ألا يكون رضا الكفار عن الشخص دليلاً على اتباعه ملتهم، فقد يكون ما ظهر من الكفار استرضاء لمسلم مكرهاً به وليس رضا، وقد يكون ما ظهر منهم رضا جزئياً وليس كلياً، وقد يكون رضا لما ظنوه اتباعاً لملتهم وهو في الحقيقة ليس كذلك بل هو اتباع لبعض معاصيهم أو هي أفعال حصلت عند إكراه معتبر شرعاً..، لذا فلا يحكم على الشخص بأنه على ملتهم بمجرد ظهور رضا الكفار عنه، وإن كان هذا الظهور للرضا عنه قرينة تستدعي غالباً الحذر من المرضي عنه وتحذيره من مغبة طريقه الذي يسير فيه.

* والخلاصة أن رضا الكافرين قرينة على فساد المرضي عنه، واسترضاءهم المسلمين مكر سوء بهم، فعلى العاقل أن يحذر الشيطان وحزبه وأن ينتبه لكيد أوليائه، وليعلم أن من اعتصم بالله كفاه، ومن توكل عليه هداه، ومن جاهد في الله حق جهاده نصره على الشيطان وجنده وجموع حزبه، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿١٢﴾.

فهما طريقان؛ طريق العزة بالله في سبيل الله ممن رضي عن الله ورضي الله عنه وأحله دار الرضوان، وطريق الذل والهوان في مسaire الشيطان وحزبه المغلوبين، ﴿أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٣﴾؟.

والحمد لله رب العالمين.

التمميع

- التميع كلمة انتشرت في القرن الماضي حتى أدخلها الدكتور أحمد مختار في معجم اللغة العربية المعاصرة، وأغلب كلمات اللغات لها معان عرفية.
- ولها اشتقاقات معاصرة عديدة؛ فيقال مميعة وممايع ومميوعة، هي في اللغة تعني تحويل الجامد إلى لين..، وتميع الحق: ضاع، وتحول أمر المطالبة به من الجد إلى الهزل.
- توجد كلمات لها معان قريبة منها؛ ككلمة الجفاء والتفريط والمداهنة.
- وهي ككلمات القدر تحمل معان عديدة لكل معنى حكم ككلمة الضالين والمجرمين والمنحرفين والمخطئين والطغاة.
- ولا ينبغي على مجرد كلمة التميع حكم، فمن الممكن أن يكون هناك من له موقف تميع وهناك من عنده بعض التميع وهناك المميع، كما يمكن أن يكون هناك من عنده انحراف أو له موقف انحراف أو منحرف.
- وقد يطلق بعض الغلاة على المعتدلين أنهم مميعة، وإطلاقهم لا يغير من الواقع شيئاً؛ فقد يطلقون على المعتدلين خوارج أو مرجئة أو متشددين إلى غير ذلك من الدعاوى الكاذبة..
- ولا مانع من أن يطلق التميع في جهادنا على من يميع الجهاد فيحول جد الجهاد إلى لعب؛ كمن تعب من طول الطريق فيريد أن يتحول الأمر إلى مجرد معارضة معترف بها من قبل حكومة طاغوتية، وكمن يفتش عن حل دولي يرضي به الدول الكبرى والإقليمية وإن خالف دين الله تبارك وتعالى، وكمن يعد العدو المتآمر ضامناً، وكمن يطلق على قواعد قوات الاحتلال التي تدخل لبلاد الشام قوات رديفة، وما شابه تلك الأمور، وبالتأكيد فلكل حالة من حالات التميع حكمها وطريقة التعامل معها.

زخرف القول غرورا

لم تكن الحرب العسكرية هي الوسيلة الوحيدة التي حارب بها الأعداء إسلامنا الحنيف، بل كانت هناك وسائل عديدة، كشفها الله جل وعلا لعباده الصالحين ونبههم عليها وفصل لهم أساليب الأعداء وأهدافهم ومآلات أمرهم.

ومن ذلك أنه تبارك وتعالى بين أن من أهم وسائل الكافرين في الصد عن سبيل الله تعالى هو زخرفة القول الباطل ونشره في الآفاق والحرب الإعلامية التي تقوم على الكذب والبهتان والإفك والطغيان إيهاما لأتباعهم المرضى أنهم على شيء.

قال جل وعلا: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۗ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرَضُوهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾.

فلم يجد الشيطان وأعدائه وسيلة أكثر انتشارا ولا أقل مؤنة في حرب الحق والإضلال عن سبيل الله تعالى من قول الباطل وتزيينه للناس.

ومن تأمل دعوة الأنبياء وجد أن تزيين شياطين الجن والإنس لباطلهم هو الوسيلة المستمرة في الصد عن سبيل الله تعالى.

فهذا إبليس اللعين يوسوس لآدم عليه السلام قائلا: ﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (٢٠) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (٢١) فَذَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ﴾.

وقال الكفار عن نوح عليه السلام: ﴿مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ (٢٤) إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ﴾.

وقال الكفار لهود عليه السلام: ﴿مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ (٥٣)﴾ إِنَّ نَقُولَ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ. ﴿

وقال فرعون: ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾. ﴿

وقال كفار قريش لمحمد صلى الله عليه وسلم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ (٦) لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾. ﴿

فمن سنة الله جل وعلا القدريّة أنه كلما جاء نبي أو قام داعية وقف ضده الشياطين ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾، والشيطان كما قال ابن منظور هو: "كل عات متمرد من الجن والإنس والدواب".

وقدمت الآية ذكر شياطين الإنس على ذكر شياطين الجن تنبيهًا لخطرهم ولغفلة الكثيرين عنهم، قال مالك بن دينار: "إن شيطان الإنس أشد علي من شيطان الجن، وذلك أني إذا تعوذت بالله ذهب عني شيطان الجن، وشيطان الإنس يجيئني فيجرني إلى المعاصي عيانًا"، وقال ابن عاشور: "وربما لا يخطر بالبال أن من الوسواس ما هو شر من وسواس الشياطين، وهو وسوسة أهل نوعهم وهو أشد خطرا، وهم بالتعوذ منهم أجدر؛ لأنهم منهم أقرب وهو عليهم أخطر، وأنهم في وسائل الضر أدخل وأقدر".

فيتفنن هؤلاء الشياطين الإنسية والجنية في قول الباطل وتزيينه وزخرفته وتنميته ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾؛ لأنهم يعلمون أن باطلهم لا يمكن قبوله على صورته الحقيقية ويصعب تصديقه إن تكلموا به على ظاهره، فيضيفون له المحسنات والزخارف لإخفاء حقيقة بطلانه، قال السعدي: "ليعتر به السفهاء، وينقاد له الأغبياء، الذين لا يفهمون الحقائق، ولا يفقهون المعاني، بل تعجبهم الألفاظ المزخرفة، والعبارات المموهة، فيعتقدون الحق باطلا والباطل حقا".

ولا يكتفي هؤلاء الشياطين بزخرفة الباطل وتزيينه وقوله بل يتعدى ذلك إلى أن ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ فيوسوس به بعضهم إلى بعض، ويوصي به بعضهم إلى بعض، ويتدارسونه وينقلونه، فيتعجب المرء من تكرر انتشار القول الباطل، وينسى أنه المكر الخفي

والمؤامرة اللثيمة وأنه ﴿الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (٤) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (٥) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾.

ولأن الأصل في أهل الباطل أنهم قدموا الدنيا العاجلة على الآخرة الآجلة بحثا عن الزخرف واغترارا بالبهاج وقناعة بالزينة فإنهم يصغون ويستمعون بعناية لتلك الوسواس وتطرب لها نفوسهم ﴿وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ دون نظر منهم لحقيقة ما تحمله تلك الأباطيل من جهل وضلال وفساد، قال ابن أبي العز: "العبرة للمعاني لا للألفاظ، فكم من باطل قد أقيم عليه دليل مزخرف عورض به دليل الحق".
ويتج عن هذا الإصغاء للباطل والاعترار به أن يخوض المجرمون في أودية الهلاك ويقترفوا المهلكات الموبقات ﴿وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾.

إن تأمل المؤمن لهذه الآية الكريمة التي تبين واقع زخرف القول غرورا يجعله:

- لا يتعجب إن رأى الإفك معروضا مزخرفا بمحسنات بديعية وصور جميلة ومال جزيل ومناصب عليية.
 - ولا يتعجب إن رأى كثرة ترداد أهل الباطل لباطلهم.
 - ولا يتعجب إن رأى تشابه أقوال أهل الباطل.
 - ولا يتعجب إن رأى من شياطين الإنس من هو أشد إضلالا من كثير من شياطين الجن.
 - ولا يتعجب إن وجد من يعتني بتسمع الباطل المزخرف ويطرب له.
- فهو دوما مطمئن القلب ساكن الفؤاد لا يجزع عند مصيبة ولا يعتم لمؤامرة ولا يخاف مكيدة، متذكرا قوله تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ﴾.
- والحمد لله رب العالمين.

عندما يجادل الضالون

كلما صدع أهل الحق بكلمة أو دعوا إلى هدى أو حذروا من ضلالة، انبرى من أهل الباطل مجادل يصد عن الحق يدافع عن الباطل يوهم أتباعه أنهم على شيء...، فتنتفرج أسارير أتباعه الضالين بجادل يحاولون أن يغطوا به انحرافهم..

ونسي هؤلاء أنه ﴿مَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾.. وليتدكروا أن كبار المجرمين كانوا يجادلون ويدافعون عن أنفسهم، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾.

وأن المرتدين كانوا يبررون ردتهم بقولهم: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾.. وأن المشركين كانوا يدافعون عن كفرهم بقولهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾.

والعجيب أن أهل الباطل في جدالهم لا يدافعون فقط عن ضلالهم، بل يظنون أنهم قادرون على هزيمة أهل الحق وتفنيدهم حججهم، قال تعالى: ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾.

- فيا طالب الهداية: سر على بينة من ربك في طريق الحق والهدى والجهاد، بلا إفراط ولا تفريط، ولا غلو ولا جفاء، ولا حماقة ولا عمالة، لا تلتفت لتحرير الغالين، ولا لانتحال المبطلين، ولا لتأويل الجاهلين، وتذكر قوله تعالى: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنََّّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾.

اللهم أرنا الحق حقا وازرقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلا وازرقنا اجتنابه.

الناشطون^١

- ١- مصطلح "الناشطين" مصطلح غير محدد يشير غالبا إلى مجموعات من العاملين في الشؤون العامة بصورة غير عسكرية والمرتبطين بأجندة ما..
- ٢- إذا استثنينا القلة التقية من الناشطين فإن من أبرز سمات الناشطين في الثورة السورية هو ترك الجهاد والنظر بفوقية للمجاهدين وأخذ دور الوصي عليهم..
- ٣- ويخيل لهؤلاء الناشطين أنهم فوق المحاسبة فكلما تعرضت جهة قضائية لجرمة أحدهم ثاروا وتوعدوا وشيطنوا ودعشوا وشبحوا من يقف ضد جرائم أفرادهم..
- ٤- ويظن هؤلاء الناشطون أنهم بسلاحهم الإعلامي والمنظمات الدولية التي تقف وراءهم قادرون على مواجهة أي قوة تأخذ على أيديهم..
- ٥- يتغنون باسم الشعب ويظنون أنفسهم الشعب والوكلاء الحصريين له، ومن خالفهم فقد عادى الشعب وخان الثورة وفارق الأمة..
- ٦- لا تعجب إن دق باب المنزل رجل وسأل عن الزوج أمدني أم عسكري ومع أي فصيل، وذلك ليعمل دراسة عن مصادر الدخل وخريطة عن الكثافة السكانية للبنىات..
- ٧- ولا تستغرب في مدينة كحلب يجتهد العدا لتجنيد عميل يحدد الأماكن إن رأيت ناشطا يجوب الشوارع ويصورها بدقة ليقدم مشهدا عن سير الحياة..
- ٨- ومن المعتاد أن يرفع الناشط تقريرا عن طبيعة عمل الشرطة بالأماكن المحررة وإمكانياتها وعددها وعتادها والحواجز والمخافر..
- ٩- ولا تضحك إن أقام الناشط "مركزا ثقافيا" بحلب المنكوبة وطلب دعما ليجعله على غرار فنادق الخمس نجوم ثم اشتكى صعوبة تأمين أثاث فخم يليق بالمركز..
- ١٠- وتتضح الأمور إن علمت أن متوسط راتب الناشط يعادل عشرة أضعاف متوسط منحة المجاهد في تخطيط ماكر لتنفيذ الناس من العمل الجهادي..

(١) كتبت سنة ١٤٣٧ هـ.

- ١١- لذا فمن الطبيعي أن يفتعل الناشطون معركة إعلامية من أجل خلل في مظاهرة بإدلب لأن هذا مما تعنتني به المؤسسات الغربية..
- ١٢- وفي ذات الوقت تعاملوا عن المواجهة المسلحة التي جرت في حلب بين تجمع فاستقم والشامية فليس هذا من أولويات المؤسسات الغربية حاليا..
- ١٣- باختصار ارتبط هؤلاء الناشطون **-باستثناء القلة التقيية-** بمؤسسات دولية يتاجرون فيها بالثورة السورية ويستجرون منها الأموال والوجهات...
- ١٤- وقدموا لتلك المؤسسات المشبوهة تقارير تعجز أجهزة المخابرات وعملاؤها عن تقديمها..
- ١٥- ويجب على المتابعين للثورة ألا ينساقوا وراء تصور مشوه للواقع نابع من تصور هؤلاء المشوهين فكريا المنعزلين عن الواقع المشغولين بأهوائهم..
- ١٦- ولا بد للجماعات المجاهدة والهيئات القضائية من وقفة تضبط عمل هؤلاء ليكونوا خدما للأمة لا لأعدائها..

فقه ابن زايد الإبليسي^١

[تم الاتفاق على إيقاف ضم إسرائيل للأراضي الفلسطينية، كما اتفقت الإمارات وإسرائيل على وضع خارطة طريق نحو تدشين التعاون المشترك وصولاً إلى علاقات ثنائية]..

كان هذا تصريحاً رسمياً لـشيطان الإمارات ابن زايد، يرر فيه قراره بتطبيع العلاقات مع إسرائيل وأنه جاء لتحقيق مصلحة حفظ أراضي المسلمين في فلسطين من ضم اليهود لها، وهي المصلحة التي علق عليها مجلس دار الإفتاء الإماراتي بقوله: [نؤكد التأييد الكامل لكل ما تقوم به الدولة لمصلحة البلاد والعباد باعتبار أن المصلحة هي المعيار الشرعي لتصرفات ولي الأمر]..

وبدأ إعلام الترفيع الإماراتي بتعداد تلك المصالح من حفظ لدماء الفلسطينيين وأعراضهم، وتيسير سبل معاونتهم، وفتح المجال للحفاظ على الأقصى من مخططات هدمه، وإرسال أفواج المصلين من العالم الإسلامي لعمارته بالذكر والعبادة!

وفي الحقيقة فإن إبليس لديه خبرة كبيرة في إضلال الناس عن طريق الدعوى الكاذبة للموازنة بين المصالح والمفاسد، مردداً قول العلماء: "ليس العاقل الذي يعلم الخير من الشر، إنما العاقل الذي يعلم خير الخيرين وشر الشرير".

والعادة في تلك الموازنات الإبليسية أنها قائمة على الأصول التالية:

- ١- إظهار أن المفسدين كبيرتان متقاربتان، بلا مراعاة للتفاوت الكبير بين المفسدة الكبرى وهي ضياع الدين وإضلال الأمة وموالات الأعداء والمفسدة الأقل وهي ضياع النفس أو المال أو ما شابه ذلك.
- ٢- ارتكاب المفسدة اليقينية التي تؤدي لضياع الدين أملاً في تحصيل المصلحة الظنية المتعلقة بحفظ النفس أو المال أو ما شابه ذلك والتي لا تتحقق غالباً إلا بصورة جزئية مؤقتة.

(١) كتبت سنة ١٤٤١هـ.

٣- دور مشايخ السلطان فيها هو الترقيع والتصفيق ثقة منهم في القيادة وإدراكها لمصالح الأمة، مع جهل هؤلاء المشايخ بالواقع وتردادهم لما يمليه عليهم ولي نعمتهم..

٤- وكثير من الناس تدرك عادة حقيقة الشر البعيد عنهم؛ لأنه لا شهوة لهم فيه فلا يخترعون له الشبه التي يدافعون بها عن الشر، فأما إذا نزل بهم شر يكافئ ما نزل بغيرهم فإن الشهوة تدفعهم لجمع الشُّبه التي تبرر ذلك الشر والفساد؛ لذا قد تجد قطريا يشاهد فساد ما يحصل في الإمارات من تطبيع وينكره ولكنه لا يشاهد نفس ذلك الفساد والتطبيع الذي تسير فيه قطر ولا ينكره، وقد تجد غزاويا يشاهد فساد الإمارات ولكنه لا يشاهد فساد إيران..، وهكذا.

= وإن من تأمل تلك الطريقة الشيطانية في بيئة الثورات علم أنه ما قامت المصالحات الدليلة في حمص ودرعا إلا بنفس تلك الموازنات الكاذبة، وعلم حقيقة تيسير تسير الدوريات الروسية في إدلب.

فاللهم إني أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون.

اتفاقية دمشق^١

- ١- اتفاقية دمشق.. صفحة من تاريخ تدمير الجهاد والأمة بدعوى السياسة الشرعية
- ٢- توجه تيمور لنك لعنه الله في عام ثلاثة وثمانمائة إلى دمشق، فعزم أهلها على الجهاد..
- ٣- وصل جيش تيمور لنك مشارف دمشق فقاتلهم الدمشقيون من فوق السور، وردوهم عنه، وقتلوا منهم نحو الألف، وأدخلوا رءوسهم إلى المدينة..
- ٤- في آخر النهار حضر اثنان من أصحاب تيمور لنك ينادي أحدهما بطلب الصلح وأن يحضر أحد من يعقل حتى يكلمه..
- ٥- وقع الاختيار على إرسال القاضي برهان الدين ابن مفلح صاحب شرح المقنع وطبقات أصحاب الإمام أحمد وشرح مختصر ابن الحاجب..
- ٦- قال المؤرخون: كان إماما فقيها، عالما فاضلا، دينيا، ولي قضاة دمشق، وحمدت سيرته إلى أن امتحن في واقعة تيمور لنك.
- ٧- اجتمع القاضي ابن مفلح بتيمور لنك ثم رجع فأخبر أن تيمور لنك تلطف معه، وقال تيمور له: هذه بلد الأنبياء، وقد أعتقتها صدقة عن أولادي..
- ٨- فقام ابن مفلح في الثناء على تيمور لنك قياما عظيما، وشرع يخذل الناس عن القتال، ويكفهم عنه..
- ٩- فمال معه طائفة من الناس، وخالفته طائفة، فأصبحوا وقد غلب رأي ابن مفلح، فعزم على إتمام الصلح، وأن من خالف ذلك قتل..
- ١٠- عقد ابن مفلح الصلح مع تيمور على دفع أموال له، وأكثر ابن مفلح ومن معه من ذكر محاسن تيمور وبث فضائله، ودعا العامة إلى طاعته، وموالاته، وجمع المال لتيمور..
- ١١- حمل ابن مفلح وأصحابه المال إلى تيمور، ووضعوه بين يديه، فلما عاينه غضب

(١) كتبت سنة ١٤٣٧ هـ.

- غضباً شديداً، ولم يرض به، وألزمهم بأضعاف ذلك، فالتزموا بها.
- ١٢- فعاد ابن مفلح ومن معه فألزموا الناس كلهم بالأموال وأخذوا من الأوقاف، فنزل بالناس في هذا بلاء عظيم.
- ١٣- لم يرض تيمور بذلك وقال لابن مفلح وأصحابه: ظهر أنكم قد عجزتم، وطلب جميع ما في البلد من السلاح والمال والدواب..
- ١٤- ثم قبض تيمور على أصحاب ابن مفلح وألزمهم أن يكتبوا له جميع خطط دمشق وحاراتها، فكتبوا ذلك، فقسم شوارع دمشق بين أمرائه.
- ١٥- فكان الرجل يعذب بالضرب والمشى على النار والتعليق، ويشاهد امرأته وهي توطأ، وابنته وهي تفض بكارتها، وولده وهو يلاط به.
- ١٦- فلما علم الأمراء أنه لم يبق في دمشق شيء له قدر، خرجوا إلى تيمور لنك، فأباح دمشق لأتباع أمرائه..
- ١٧- فدخلها الجنود فنهبوا ما بقي من الأثاث وسبوا نساء دمشق بأجمعهن، وساقوا الأولاد والرجال، وتركوا من عمره خمس سنين فما دونها. ثم طرحوا النار في المنازل.
- ١٨- ثم رحل تيمور لنك بالأموال والسبايا والأسرى، بعدما أقام ثمانين يوماً بدمشق فصارت أطلالاً بالية، وجثثاً مترامية وإنا لله وإنا إليه راجعون.
- ١٩- وقتل في تلك السنة برهان الدين ابن مفلح وواحسرتاه على تلك السياسة التي ظنها شرعية..
- ٢٠- ولا زال يتكرر نموذج ابن مفلح، ولطالما تسلق طغاة العرب والعجم على أكتاف الضعفاء المهزومين وإن ظنوا أنفسهم أذكيا مستبصرين..، والله المستعان..

ابن مفلح وابن خلدون والمنابوي وموقف كل واحد منهم من تيمور لنك^١

قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾..

هذه قصة مهولة تبين ذهاب الفتن بالعقول وأن الثبات من الله تعالى، وتقص خبر المناوي رحمه الله الذي ثبت حتى لقي الله تعالى، وخبر من ذل وُجِدَ فجَرَّ الولايات على الأمة كابن مفلح وابن خلدون.. نقلتها من كتب التاريخ كما هي، ومن أراد الاستزادة فليرجع للمصادر..

* يقول المقرئ في كتابه السلوك لمعرفة دول الملوك عن ابن مفلح وما جرى له مع تيمور لنك:

[وأما دمشق فإن الناس بها أصبحوا يوم الجمعة بعد هزيمة السلطان وأريهم محاربة تمرلنك فركبوا أسوار المدينة ونادوا بالجهاد وزحف عليهم أصحاب تمر فقاتلوه من فوق السور وردوهم عنه وأخذوا منهم عدة من خيولهم. وقتلوا منهم نحو الألف وأدخلوا رؤوسهم إلى المدينة فقدم رجلان من قبل تمر وصاحا بمن على السور: أن الأمير يريد الصلح فابعثوا رجلا عاقلا حتى نُحِثَ في ذلك. فوقع اختيار الناس على إرسال قاضي القضاة تقي الدين إبراهيم بن محمد بن مفلح الحنبلي فأرعى من السور واجتمع بتمرلنك وعاد إلى دمشق وقد خدعه تمرلنك وتلطف معه في القول، وقال: هذه بلدة الأنبياء وقد أعتقتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة عن أولادي. فقام ابن مفلح في الثناء على تمر قياما عظيما وشرع يخذل الناس عن القتال ويكفهم عنه فمال معه طائفة من الناس وخالفته طائفة وقالت: لا نرجع عن القتال. وباتوا ليلة السبت على ذلك وأصبحوا وقد غلب رأي ابن مفلح فعزم على إتمام الصلح وأن من خالف ذلك قتل..

(١) كتبت سنة ١٤٤١هـ.

وتدلى ابن مفلح ومعه كثير من الأعيان وغيرهم وساروا إلى مخيم تمرلنك وباتوا به ليلة الأحد. ثم عادوا بكرة الأحد وقد استقر تمر منهم بجماعة في عدة وظائف ما بين قضاة ووزير ومستخرج الأموال ونحو ذلك ومعهم فرمان وهو ورقة فيها تسعة أسطر تتضمن أمان أهل دمشق على أنفسهم وأهليهم خاصة. فقري على منبر جامع بني أمية وفتح من أبواب المدينة باب الصغير فقط وقدم أمير من أمراء تمرلنك فجلس به ليحفظ البلد ممن يعبر إليها وأكثر ابن مفلح ومن كان معه من ذكر محاسن تمرلنك وبث فضائله ودعا العامة إلى طاعته وموالاته وحثهم بأسرهم على جمع المال الذي تقرر جمعه وهو ألف ألف دينار ففرض ذلك على الناس كلهم وقاموا به من غير مشقة لكثرة أموالهم. فلما كمل المال حمله ابن مفلح وأصحابه إلى تمر ووضعوه بين يديه. فلما عاينه غضب غضبا شديدا ولم يرض به وأمر بابن مفلح ومن معه أن يخرجوا عنه فأخرجوا ووكل بهم. ثم ألزموا بحمل ألف تومان والتومان عبارة عن عشرة آلاف دينار من الذهب إلا أن سعر الدينار عندهم يختلف فتكون جملة ذلك عشرة آلاف دينار فالتزموا بها وعادوا إلى البلد وفرضوه على الناس فجبوا أجرة مساكن دمشق كلها عن ثلاثة أشهر وألزموا كل إنسان من ذكر وأنثى وحر وعبد وصغير وكبير بعشرة دراهم. وألزم مباشر كل وقف من سائر الأوقاف بمال فأخذ من أوقاف جامع بني أمية ألف درهم ومن بقية أوقاف الجوامع والمساجد والمدارس والمشاهد والربط والزوايا شيء معلوم بحسب ما اتفق فنزل بالناس في استخراج هذا بلاء عظيم. وعوقب كثير منهم بالضرب وشغل كل أحد بما هو فيه.. ثم شغل الناس بعدها عن الدين والدنيا بما هم فيه. وذلك أنه نزل شاه الملك - أحد أمراء تمر - بجامع بني أمية ومعه أتباعه وادعى أنه نائب دمشق ... هذا ونائب القلعة ممتنع بها وقد حاصره تمر فخرّب ما بين القلعة والجامع بالحريق وغيره. ثم إن النائب سلم بعد تسعة وعشرين يوما. فلما تكامل حصول المال الذي هو بحسابهم ألف تومان حمل إلى تمر فقال لابن مفلح وأصحابه: هذا المال بحسابنا إنما هو ثلاثة آلاف دينار. وقد بقي عليكم سبعة آلاف ألف دينار وظهر أنكم قد عجزتم. وكان تمر لما .. فرض للجباية الأولى التي هي ألف ألف دينار قرر مع ابن مفلح وأصحابه أن ذلك على أهل البلد وأن الذي تركه العسكر

المصري من المال والسلاح والدواب وغير ذلك لا يعتد به لهم وإنما هو لتمر. فخرج الناس إليه بأموال أهل مصر. وبدا منهم في حق بعضهم بعضاً من المرافعات أنواع قبيحة حتى صارت كلها إليه. فلما علم أنه قد استولى على أموال المصريين ألزمهم بإخراج أموال الذين فروا من التجار وغيرهم إلى دمشق خوفاً منه. وكان قد خرج من دمشق عالم عظيم فتسارعوا إلى حمل ذلك إليه وجروا على عادتهم في النسيمة بمن عنده من ذلك شيء حتى أتوا على الجميع. فلما صار إليه ذلك كله ألزمهم أن يخرجوا إليه سائر ما في المدينة من الخيل والبغال والحمير والجمال فاخرج إليه جميع ما كان في المدينة من الدواب حتى لم يبق بها شيء من ذلك.

ثم ألزمهم أن يخرجوا إليه جميع آلات السلاح جليلها وحقيرها فتتبعوا ذلك ودل بعضهم على بعض حتى لم يبق بها من آلات القتال وأنواع السلاح شيء. ثم بعد حمل الفريضتين ورميه ابن مفلح ومن معه بالعجز عن الاستخراج قبض على أصحاب ابن مفلح وألزمهم أن يكتبوا له جميع خطط دمشق وحاراتها وسككها فكتبوا ذلك ودفعوه إليه ففرقه على أمرائه. وقسم البلد بينهم فساروا إليها ونزل كل أمير في قسمه وطلب من فيه وطالبهم بالأموال فكان الرجل يوقف على باب داره في أزرى هيئة ويلزم بما لا يقدر عليه من المال فإذا توقف في إحضاره عذب بأنواع العذاب من الضرب وعصر الأعضاء والمشى على النار وتعليقه منكوشاً وربطه بيديه ورجليه وغم أنفه بخرقة فيها تراب ناعم حتى تكاد نفسه تخرج فيخلى عنه حتى يستريح ثم تعاد عليه العقوبة. ومع هذا كله تؤخذ نساؤه وبناته وأولاده الذكور وتقسّم جميعهم على أصحاب ذلك الأمير فيشاهد الرجل المعذب امرأته وهي توطأ وابنته وهي تفض بكارتها وولده وهو يلاط به فيصير هو يصرخ مما به من ألم العذاب وابنته وولده يصرخون من ألم إزالة البكارة وإتيان الصبي وكل هذا نهاراً وليلاً من غير احتشام ولا تستر.

ثم إذا قضوا وطهرهم من المرأة والبنات والصبي طالبوهم بالمال وأفاضوا عليهم أنواع العقوبات وأفخاذهم مضرجة بالدماء. وفيهم من يعذب بأن يشد رأس من يعاقبه بجبل ويلويه

حتى يغوص في الرأس وفيهم من يضع الحبل على كتفي المعذب ويديره من تحت إبطه ويلويه بعضا حتى ينخلع الكتفين. وفيهم من يربط إبهام اليدين من وراء الظهر ويلقي المعذب على ظهره ويذر في منخره رمادا سحيقا ثم يعلقه بإبهام يديه في سقف الدار ويشعل النار تحته. وربما سقط في النار فسحبوه منها وألقوه حتى يفيق فيعذب أو يموت فيترك. واستمر هذا البلاء مدة تسعة عشر يوما آخرها يوم الثلاثاء ثامن عشرين رجب فهلك فيها بالعقوبة ومن الجوع خلق لا يدخل عددهم تحت حصر.

فلما علموا أنه لم يبق في المدينة شيء له قدر خرجوا إلى تمرلنك فأنعم بالبلد على أتباع الأمراء فدخلوها يوم الأربعاء آخر رجب ومعهم سيوف مشهورة وهم مشاة فنهبوا ما بقي من الأثاث وسبوا نساء دمشق بأجمعهن وساقوا الأولاد والرجال وتركوا من عمره خمس سنين فما دونها وساقوا الجميع مربطين في الحبال. ثم طرحوا النار في المنازل وكان يوما عاصف الريح فعم الحريق البلد كلها وصار لهب النار يكاد أن يرتفع إلى السحاب وعملت النار ثلاثة أيام آخرها يوم الجمعة. وأصبح تمر يوم السبت ثالث رجب راحلا بالأموال والسبايا والأسري بعدما أقام على دمشق ثمانين يوما وقد احترقت كلها وسقطت سقوف جامع بني أمية من الحريق وزالت أبوابه وتفطر رخامه ولم يبق غير جدره قائمة. وذهبت مساجد دمشق ومدارسها ومشاهدها وسائر دورها وقياسرها وأسواقها وحماماتها وصارت أطلالا بالية ورسوما خالية قد أفقرت من الساكن وامتألت أرضها ببحث القتلى ولم يبق بها دابة تدب إلا أطفال يتجاوز عددهم آلاف فيهم من مات وفيهم من يجود بنفسه].

* أما ابن خلدون فيقص ما جرى له مع تيمور لنك في تاريخه فيقول:

[جمع السلطان عساكره، وفتح ديوان العطاء، ونادى في الجند بالرحيل الى الشام، وكنت أنا يومئذ معزولا عن الوظيفة، فاستدعاني دوا داره يشبك وأرادني على السفر معه في ركاب السلطان، فتجافيت عن ذلك. ثم أظهر العزم عليّ بليّن القول، وجزيل الانعام فأصخيت.. فصبّحنا دمشق، والأمير تمر في عساكره.. فضرب السلطان خيامه وأبنته بساحة قبة

يلبغا. ويئس الأمير تمر من مهاجمة البلد، فأقام بمرقب على قبة يلبغا يراقبنا ونراقبه أكثر من شهر، تحاول العسكران في هذه الأيام مرات ثلاثا أو أربعاً، فكانت حربهم سجالاتاً، ثم نمي الخبر إلى السلطان وأكابر أمرائه، أن بعض الأمراء المنغمسين في الفتنة يحاولون الهرب إلى مصر للثورة بها، فأجمع رأيهم للرجوع إلى مصر خشية من انتفاض الناس وراءهم، واختلال الدولة بذلك..

وأصبح أهل دمشق متحيرين قد عميت عليهم الأنباء..

وجاءني القضاة والفقهاء، واجتمعت بمدرسة العادلية، واتفق رأيهم على طلب الأمان من الأمير تمر على بيوتهم وحرمتهم، وشاوروا في ذلك نائب القلعة، فأبى عليهم ذلك ونكره، فلم يوافقوه. وخرج القاضي برهان الدين بن مفلح الحنبلي ومعه شيخ الفقهاء بزواوية فأجابهم إلى التأمين..

وأخبرني القاضي برهان الدين أنه سأله عني.. فحدث بين بعض الناس تشاجر في المسجد الجامع، وأنكر البعض ما وقع من الاستنامة إلى القول. وبلغني الخبر من جوف الليل، فخشيت البادرة على نفسي، وبكرت سحراً إلى جماعة القضاة عند الباب، وطلبت الخروج أو التدلي من السور، لما حدث عندي من توهمات ذلك الخبر، فأبوا عليّ أولاً، ثم أصحوا لي، ودلوني من السور، فوجدت بطانته عند الباب، ونائبة الذي عينه للولاية على دمشق، واسمه شاه ملك، من بني جقظاي أهل عصابته، فحييتهم وحيوني، وفديت وفديوني.. ودخلت عليه بخيمة جلوسه.. فلما دخلت عليه فاتحت بالسلام، وأوميت إيماءة الخضوع، فرفع رأسه، ومدّ يده إليّ فقبلتها، وأشار بالجلوس فجلست حيث انتهيت.. وسألني من أين جئت من المغرب؟ ولما جئت؟.. قال لي: وأين ولدك؟ فقلت: بالمغرب الجوّاني كاتب للملك الأعظم هنالك. فقال وما معنى الجوّاني في وصف المغرب؟ فقلت هو عرف خطابهم معناه الدّاخلي، أي الأبعد، لأن المغرب كلّهُ على ساحل البحر الشامي من جنوبه، فالأقرب الى هنا برقة، وإفريقية، والمغرب الأوسط: تلمسان وبلاد زناتة، والأقصى: فاس ومراكش، وهو معنى الجوّاني. فقال لي: وأين مكان طنجة من ذلك المغرب؟ فقلت: في

الزّاوية التي بين البحر المحيط، والخليج المسمّى بالزّقاق، وهو خليج البحر الشّامي؟ فقال: وسبته؟ فقلت: على مسافة من طنجة على ساحل الزّقاق..، فقال: لا يقنعني هذا، وأحبّ أن تكتب لي بلاد المغرب كلّها، أفاصيها وأدانيها وجباله وأنهاره وقراه وأمصاره، حتى كأني أشاهده. فقلت: يحصل ذلك بسعادتك، وكتبت له بعد انصرافي من المجلس لما طلب من ذلك، وأوعبت الغرض فيه في مختصر وجيز يكون قدر اثني عشرة من الكراريس المنصّفة القطع..،

وقد غلبني الوجل بما وقع من نكبة قاضي القضاة الشافعيّة، صدر الدين المناوي.. فأصابنا من ذلك وجل، فزوّرت في نفسي كلاما أحاطبه به، وأتلّطّفه بتعظيم أحواله، وملكه. وكنت قبل ذلك بالمغرب قد سمعت كثيرا من الحدّثان في ظهوره، وكان المنجمون المتكلّمون في قرانات العلويّين يترقّبون القرن العاشر في المثلثة الهوائية.. يدلّ على نائر عظيم في الجانب الشّامي الشرقي، من أمة بادية أهل خيام، تتغلّب على الممالك، وتقلب الدّول، وتستولي على أكثر المعمور... وكتب لي بمثل ذلك الطيب ابن زرزr اليهودي، طيب ملك الأفرنج ابن أذفونش ومنجمه... وأما المتصوّفة فكنا نسمع عنهم بالمغرب ترقّبهم لهذا الكائن، ويرون أن القائم به هو الفاطميّ المشار إليه في الأحاديث النبوية..

فوقع في نفسي لأجل الوجل الذي كنت فيه أن أفواضه في في شيء من ذلك يستريح إليه، ويأنس به مني، ففاتحته وقلت: أيّدك الله! لي اليوم ثلاثون أو أربعون سنة أتمّتي لقاءك. فقال لي التّرجمان عبد الجبّار: وما سبب ذلك؟ فقلت: أمران، الأول أنك سلطان العالم، وملك الدّنيا، وما أعتقد أنه ظهر في الخليقة منذ آدم لهذا العهد ملك مثلك..

وانصرفت الى بيتي داخل المدينة بعد أن استأذنته في ذلك، فأذن فيه. وأقمت في كسر البيت، واشتغلت بما طلب مني في وصف بلاد المغرب، فكتبته في أيام قليلة، ورفعته إليه فأخذه من يدي، وأمر موقعه بترجمته إلى اللسان المغلي..

كنت لما لقيتّه، وتدليت إليه من السور كما مرّ أشار عليّ بعض الصّحاب ممن يخبر أحوالهم بما تقدمت له من المعرفة بهم، فأشار بأن أطرفه ببعض هديّة، وإن كانت نزرة فهي

عندهم متأكدة في لقاء ملوكهم، فانتقيت من سوق الكتب مصحفا رائعا حسنا في جزء محذو، وسجادة أنيقة، ونسخة من قصيدة البردة المشهورة للأبوصيري في مدح النبي صَلَّى اللهُ عليه وسلم، وأربع علب من حلاوة مصر الفاخرة. وجئت بذلك فدخلت عليه.. وتقبّل ذلك كلّه، وأشعر بالرّضى به. ثم حومت على الكلام بما عندي في شأن نفسي، وشأن أصحاب لي هنالك. فقلت أيدك الله! لي كلام أذكره بين يديك، فقال: قل. فقلت أنا غريب بهذه البلاد غربتين، واحدة من المغرب الذي هو وطني ومنشأني وأخرى من مصر وأهل جيلي بها، وقد حصلت في ظلك، وأنا أرجو رأيك لي فيما يؤنسنني في غربتي، فقال: قل الذي تريد أفعله لك، فقلت: حال الغربة أنستني ما أريد، وعساك - أيدك الله - أن تعرف لي ما أريد. فقال: انتقل من المدينة إلى الأردنو عندي، وأنا إن شاء الله أوفي كنه قصدك. فقلت يأمر لي بذلك نائبك شاه ملك، فأشار إليه بإمضاء ذلك، فشكرت ودعوت وقلت: وبقيت لي أخرى. فقال: وما هي؟ فقلت هؤلاء المخلفون عن سلطان مصر. من القراء، والموقّعين، والدواوين، والعمّال، صاروا إلى إياتك والملك لا يغفل مثل هؤلاء فسلطانكم كبير، وعمالاتكم متّسعة، وحاجة ملككم إلى المتصرّفين في صنوف الخدم أشدّ من حاجة غيركم، فقال وما تريد لهم؟ قلت:

مكتوب أمان يستنيمون إليه، ويعولون في أحوالهم عليه. فقال لكاتبه: اكتب لهم بذلك، فشكرت ودعوت. وخرجت مع الكاتب حتى كتب لي مكتوب الأمان، وختمه شاه ملك بخاتم السلطان، وانصرفت إلى منزلي. ولما قرب سفره واعتزم على الرحيل عن الشام، دخلت عليه ذات يوم، فلمّا قضينا المعتاد، التفّت إليّ وقال: عندك بغلة هنا؟ قلت نعم، قال حسنة؟ قلت نعم، قال وتبيعهما؟ فأنا أشتريها منك، فقلت أيدك الله! مثلي لا يبيع من مثلك، إنّما أنا أخدمك بها، وبأمثالها لو كانت لي، فقال: أنا أردت أن أكافئك عنها بالإحسان، فقلت: وهل بقي إحسان وراء ما أحسنت به، اصطنعتني، وأحللتني من مجلسك محلّ خواصّك، وقابلتني من الكرامة والخير بما أرجو الله أيقابلك بمثله، وسكت وسكتّ وحملت البغلة - وأنا معه في المجلس - إليه، ولم أرها بعد. ثم دخلت عليه يوما آخر فقال لي: أتسافر إلى مصر؟

فقلت أيدك الله، رغبتني إنما هي أنت، وأنت قد آويت وكفلت، فإن كان السفر إلى مصر في خدمتك فنعلم، وإلا فلا بغية لي فيه، فقال لا، بل تسافر إلى عيالك وأهلك..].

* أما المناوي فيقول عنه تلميذه ابن حجر العسقلاني في إنباء الغمر:

[محمد بن إبراهيم بن إسحق بن إبراهيم بن عبد الرحمن السلمي المناوي ثم القاهري قاضي القضاة صدر الدين أبو المعالي ولد في رمضان سنة اثنتين وأربعين وأبوه حينئذ ينوب في القضاء عن عز الدين ابن جماعة..، ثم ولي القضاء استقلالاً كما في الحوادث وكان كثير التودد إلى الناس معظماً عند الخاص والعام ومحبباً إليهم، وكان قبل الاستقلال بالقضاء يسلك طريق ابن جماعة في التعاطف، فلما استقل ألان جانبه كثيراً، وكانت له عناية بتحصيل الكتب النفيسة على طريق ابن جماعة فحصل منها شيئاً كثيراً، وكان يهاب الملك الظاهر فلما مات أمن على نفسه وظن أنه لا يعزل لما تقرر له في القلوب من المهابة، فسافر مع العسكر فأسر مع اللنكية فلم يحسن المدارة مع عدوه فأهانته وبالغ في إهانته حتى مات معهم وهو في القيد غريقاً، غرق في نهر الفرات في شوال بعد أن قاسى أهوالاً، عسى الله أن يكون قد كفر بها عنه لما جناه عليه القضاء، وكان شديد الخوف من ركوب البحر إما لنام رآه أو رأي له أو اعتماداً على قول بعض المنجمين فكان لا يركب بحر النيل إلا نادراً، فاتفق أنه مات غريقاً في غيره وكان بعض التمرية قد أسره فلما جاوزا نهر الفرات خاض الأمير في النهر هو وأتباعه لأجل ازدحام غيرهم على القنطرة فغرق القاضي لتقصيرهم في حقه].

فإننا لله وإننا إليه راجعون..

ملهاة علمية في رحاب الطاغية!

بعد أن فعل الطاغية تيمور لنك لعنه الله الأفاعيل في مشرق الإسلام، وبعد أن بنى من جماجم الحليين منارات ثم أحرق حلب وسار إلى دمشق فخدع عددا من مشايخها كابن مفلح وابن خلدون وغيرهم، وبينما هو يستعد لاستباحة دمشق وقتل أهلها وانتهاك أعراض عامة رجالها ونسائها وما فعله فيها من الأفاعيل الشنيعة الفظيعة، وقعت بين يديه هذه الملهاة! رجل يطلب منه أن يوليه الخلافة! فيقول له تيمور لنك: لو وافقك المشايخ على ذلك وليتك، ويطلب من هؤلاء المشايخ الرد عليه!

قال ابن خلدون في تاريخه ناقلا هذه الحادثة وما قاله يومها: "وكان أيام مقامي عند السلطان تمر [تمر هو تيمور لنك]، خرج إليه من القلعة يوم أمّن أهلها رجل من أعقاب الخلفاء بمصر، من ذرية الحاكم العباسي الذي نصبه الظاهر بيبرس، فوقف إلى السلطان تمر يسأله التّصفه في أمره، ويطلب منه منصب الخلافة كما كان لسلفه، فقال له السلطان تمر: أنا أحضر لك الفقهاء والقضاة، فإن حكموا لك بشيء أنصفتك فيه. واستدعى الفقهاء والقضاة، واستدعاني فيهم، فحضرنا عنده وحضر هذا الرجل الذي يسأل منصب الخلافة، فقال له عبد الجبار: هذا مجلس النصفه فتكلم.

فقال: إن هذه الخلافة لنا ولسلفنا، وإن الحديث صحّ بأن الأمر لبني العباس ما بقيت الدنيا، يعني أمر الخلافة. وإني أحقّ من صاحب المنصب الآن بمصر؛ لأن آبائي الذين ورثتهم كانوا قد استحقّوه، وصار إلى هذا بغير مستند.

فاستدعى عبد الجبار كلامنا في أمره، فسكتنا برهة، ثم قال: ما تقولون في هذا الحديث؟ فقال برهان الدّين بن مفلح: الحديث ليس بصحيح.

واستدعى ما عندي في ذلك فقلت: الأمر كما قلت من أنّه غير صحيح.

فقال السلطان تمر: فما الذي أصرّ الخلافة لبني العباس إلى هذا العهد في الإسلام؟

وشافهني بالقول.

فقلت: أيّدك الله! اختلف المسلمون من لدن وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، هل يجب على المسلمين ولاية رجل منهم يقوم بأمرهم في دينهم وديناهم، أم لا يجب ذلك؟ فذهبت طائفة إلى أنه لا يجب، ومنهم الخوارج، وذهب الجماعة إلى وجوبه، واختلفوا في مستند ذلك الوجوب، فذهب الشيعة كلهم إلى حديث الوصية، وأن النبي صلى الله عليه وسلم أوصى بذلك لعلي، واختلفوا في تنقلها عنه إلى عقبه إلى مذاهب كثيرة تشدّد عن الحصر. وأجمع أهل السنّة على إنكار هذه الوصية، وأن مستند الوجوب في ذلك إنما هو الاجتهاد، يعنون أن المسلمين يجتهدون في اختيار رجل من أهل الحق والفقّه والعدل، يفوضون إليه النظر في أمورهم.

ولما تعدّدت فرق العلوية وانتقلت الوصية بزعمهم من بني الحنفية إلى بني العباس، أوصى بها أبو هاشم بن محمد بن الحنفية إلى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، وبثّ دعواته بخراسان. وقام أبو مسلم بهذه الدعوة، فملك خراسان والعراق، ونزل شيعتهم الكوفة، واختاروا للأمر أبا العباس السّفاح ابن صاحب هذه الدّعوة، ثم أرادوا أن تكون بيعته على إجماع من أهل السنة والشيعة، فكاتبوا كبار الأمة يومئذ، وأهل الحلّ والعقد بالحجاز والعراق، يشاورونهم في أمره، فوقع اختيارهم كلّهم على الرضى به، فباع له شيعته بالكوفة بيعة إجماع وإصفاق. ثم عهد بها إلى أخيه المنصور، وعهد بها المنصور إلى بنيه، فلم تزل متناقلة فيهم، إما بعهد أو باختيار أهل العصر، إلى أن كان المستعصم آخرهم ببغداد. فلما استولى عليها هولاءكو وقتله افترق قرابته، ولحق بعضهم بمصر، وهو أحمد الحاكم من عقب الرّاشد، فنصبه الظّاهر بيبرس بمصر، بممالة أهل الحلّ والعقد من الجند والفقهاء. وانتقل الأمر في بيته إلى هذا الذي بمصر، لا يعلم خلاف ذلك.

فقال لهذا الرّافع: قد سمعت مقال القضاة وأهل الفتيا، وظهر أنه ليس لك حقّ تطلبه عندي. فانصرف راشداً."

التعاون مع المنظمات غير الإسلامية^١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.. وبعد؛
فمن القضايا التي تشغل العاملين في الساحة الشامية قضية التعاون مع المنظمات المعروفة بتوجهها غير الإسلامي؛ سواء أكانت هذه المنظمات تسمى جمعيات إغاثية، أم منظمات حقوق إنسان، أم حكومة مؤقتة، أم ائتلاف وطني، أم هيئة أركان...؛ لذا كان من المتعين تسليط الضوء على بعض المحددات التي تؤثر في الحكم الشرعي للتعاون مع هذه المنظمات.

أولاً: الحكم على الكيان:

من الأمور المؤثرة في الحكم على الكيان:

- موثيقه التي بني عليها.
- أهدافه المعلنة.
- النظم التي تدير عمله.
- القيادات المؤثرة فيه.
- تجاربه السابقة.
- توجهه العام.
- السمعة المشتهرة عنه.

ثانياً: حكم التعاون مع المنظمات المعروفة بتوجهها غير الإسلامي:

١- منظمات تقدم خدمات مباحة لأهداف أخلاقية، ولا تسعى بعملها لتحقيق

أهداف غير شرعية:

وهذه يجوز التنسيق والتعاون معها؛ لتلبية حاجيات الأمة وضرورتها.

ويستدل لذلك بأمر منها:

- قول عائشة رضي الله عنها: «استأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر رجلا من بني الدليل هاديا خريتنا وهو على دين كفار قريش، فدفعنا إليه راحلتيهما، وواعده غار ثور بعد ثلاث ليال، فأتاها براحلتيهما صبح ثلاث».

- وقول النبي صلى الله عليه وسلم لصفوان: «يا صفوان، هل عندك من سلاح».

فقال صفوان: عارية أم غصبا؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «لا بل عارية»، قال أبو داود: "وكان أعاره قبل أن يسلم ثم أسلم".

- وقول العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه: «يا رسول الله! هل نفعت أبا طالب بشيء، فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: نعم، هو في ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار».

- وقول عائشة رضي الله عنها: «لما ابتلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجرا قبل الحبشة، حتى إذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة، وهو سيد القارة، فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: أخرجني قومي فأنا أريد أن أسبح في الأرض فأعبد ربي. قال ابن الدغنة: إن مثلك لا يخرج ولا يخرج؛ فإنك تكسب المعدوم، وتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، وأنا لك جار، فارجع فأعبد ربك ببلادك».

- وقول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: "بينما هو -أي عمر- في الدار خائفا؛ إذ جاءه العاص بن وائل السهمي أبو عمرو، وعليه حلة حبرة وقميص مكفوف بجرير- وهو من بني سهم، وهم حلفاؤنا في الجاهلية- فقال له: ما لك؟ قال: زعم قومك أنهم سيقتلوني إن أسلمت، قال: لا سبيل إليك -بعد أن قالها أمنت- فخرج العاص، فلقني الناس قد سال بهم الوادي، فقال: أين تريدون؟ فقالوا: هذا ابن الخطاب الذي قد صبا، قال: لا سبيل إليه، فكر الناس".

- وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقد شهدت مع عمومي في دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو أدعى به في الإسلام لأجبت».

أما **الانضمام لها والعمل تحت إمرتها** فينبغي تضييقه؛ للأدلة التالية:

- قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾، قال ابن كثير: "عن ابن عباس: ولا تميلوا إلى الذين ظلموا، وهذا

القول حسن، أي: لا تستعينوا بالظلمة، فتكونوا كأنكم قد رضيتم بباقي صنيعهم".

- قال تعالى: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ قال ابن كثير:

"كل صداقة وصحابة لغير الله فإنها تنقلب يوم القيامة عداوة إلا ما كان لله عز وجل، فإنه دائم بدوامه".

- وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تقولوا للمنافق سيد، فإنه إن يك سيدا

فقد أسخطتم ربكم عز وجل».

- ونص الفقهاء على جواز أن يعمل المرء أجيرا عند ذمي بلا إذلال له، ولكن يتساهل

مع الذمي ما لا يتساهل مع الحربي.

٢- منظمات تقدم خدمات مباحة سعيا لتحقيق أهداف غير شرعية:

والأصل في هذه المنظمات أنه **لا يجوز التنسيق والتعاون معها** في تيسير تقديم خدماتها

التي تسعى من خلالها لتحقيق أهداف غير شرعية؛ للأدلة التالية:

- قال تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لِمَسْجِدٍ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ

تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى

مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ

لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ

وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

- وقال جل وعلا: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى

أَنْفُسِهِمْ بِالْكَفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ

آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٠﴾.

- وقال جل وعلا: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا

فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٠١﴾.

- وقال تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾.

- وقال تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ

الْخَائِنِينَ ﴿١٠٣﴾.

- وقال جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا

وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾.

- وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: «مر رجلان من الأنصار، فسلمنا على رسول

الله صلى الله عليه وسلم، فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم: على رسلكما إنما هي

صفية بنت حبي».»

- وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين».

أما الانضمام لها والعمل تحت إمرتها فأشد حرمة، وأعظم ذنبا، وأخطر على دين المرء.

* تنبيهات:

- يستدل البعض بأدلة تجيز الحلف والجوار وما شابههما من أمور تندرج في القسم

الأول من المنظمات التي تقدم خدمات مباحة لأهداف أخلاقية، ولا تسعى بعملها لتحقيق

أهداف غير شرعية، ولا يعتني بذكر الصور التي تندرج تحت هذه الأدلة؛ مثل: فتح المعابر،

وتسهيل العمل، وإعطاء الأمان..، بل يبحث بدعوى العمل بتلك الأحكام عن صور غير

شرعية وتندرج تحت القسم الثاني من المنظمات التي تقدم خدمات مباحة سعيا لتحقيق

أهداف غير شرعية، فينزلون الأدلة على ما لا يدخل تحتها؛ بل يدخل تحت بعض أنواع

الموالاتة المحرمة؛ من ائتمار بأمر من يريدون بعملهم الترويج للمذاهب الإلحادية، والالتزام

بتعليماتهم، وتنفيذ سياساتهم المرسومة..

- قد يُتساهل في بيئة يقهر فيها غير الإسلاميين المسلمين ما لا يتساهل في بيئة يتنافس فيها المسلمون وغير المسلمين، وقد يتساهل في الحالات النادرة لأفراد ما لا يتساهل عندما يكون الدخول كتوجه عام أو لكيان كامل.

- من الأصول التي تبني عليها بعض حالات التعاون التي تجوز عموماً أو عند الحاجة أو الضرورة أنه لا بد من الوضوح التام لقضية البراءة من الكفر وأهله ومذاهبه؛ فلا يقاس فعل للنبي صلى الله عليه وسلم فعّله فيه الوضوح التام والبراءة الكاملة، بفعل في بيئة يلتبس الطريق فيها على كثير من الإسلاميين أنفسهم، مما يفتح الباب لجموع المتسلقين لتقليد الإسلاميين فيتم تمرير المشاريع المدمرة.

- من المؤثرات في الحكم أن التحالف الجائر وما شابهه قد يجرم إذا اختلط على عموم المسلمين الفرق بينه وبين الولاء المحرم، وأدى ذلك للتشغيب على الناس، وفي الحديث: «**قام عمر فقال: يا رسول الله، دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: دعه، لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه.**»

- مما يجب التنبيه له تأثير الاشتراك في فعل ما على نزاهة العمل الإسلامي، أو إضفاء غطاء شرعي، أو الانشغال عن الجهاد...

- يبادر البعض في دراسة مثل هذه القضية إلى استدعاء أحكام الضرورة مع ضعف شديد في الاطلاع على الواقع غالباً، وليس هذا البحث مجال تناول فقه الضرورات، فأحكام الضرورة تدرس بطريقة أخرى، تراعي مقاصد الإسلام الكلية، وتستفصل الوقائع استقصاءً، وتضبط العمل بسياج متين من التحديد والضبط والتقيد.

نسأل الله أن يرزقنا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه، وأن يرزقنا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه.

متى يكون سوء الظن عصمة؟^١

إحسان الظن واجب شرعي وخلق إسلامي، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث» متفق عليه.

ولكن مما يلاحظ أحيانا فهم الأمر على غير حقيقته، ووضع الشيء في غير موضعه، وتنزيل الخلق الحميد على غير مستحقه، وعدم مراعاة القيود والاستثناءات التي ترد على الأصل، والمتكررة في كثير من الأخلاق؛ مثل: الغيبة والنميمة والتجسس والكبر والافتخار.. وغير ذلك.

وعدم مراعاة تلك الاستثناءات عند التعامل مع خلق إحسان الظن يؤدي للفساد، خاصة في البيئة الجهادية التي يترصد فيها الأعداء بالمجاهدين الدوائر.. وقد رأينا كيف أن إحسان الظن بالمحتل الغاصب وجعله ضامنا أدى لانتهاك الدين والعرض..

ورأينا كيف أن إحسان الظن بالفصيل المفسد المتاجر بالثورة أدى لضياح القرى والمدن وتسلبت المفسدين..

ورأينا كيف أن إحسان الظن بعالم السوء أدى لإضلال الناس والإرجاف بين المجاهدين..

لذا وجب التنبيه على بعض القيود والاستثناءات التي ترد على أصل إحسان الظن، ومن ذلك:

أولاً: أن حسن الظن لا ينافي الحذر:

قال جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ

(١) كتبت سنة ١٤٣٩هـ.

فَاَحْذَرُوهُمْ»، فحسن الظن بالأهل لا ينافي الحذر من أن يؤدي ذلك للتفريط في بعض أمور الدين.

وقد شرعت كتابة الدين والإشهاد على العقود وتقديم البيئات عند التقاضي حذرا واحتياطا واستغناء بالحرص عن إساءة الظن، قال البهوتي في كشف القناع عن المفتي: "ينبغي له أي للمفتي، أن يكون بصيرا بمكر الناس وخداعهم، ولا ينبغي له أن يحسن الظن بهم، بل يكون حذرا فطنا مما يصورونه في سؤالاتهم؛ لئلا يوقعوه في المكروه".

ثانيا: أنه يندب سوء الظن بأهل الفساد:

فإحسان الظن هو لمن هم أهل لذلك من عموم المسلمين، ولكن إذا ظهر الفسق على الرجل فلا يلومن من أساء به الظن، قال البخاري رحمه الله: "باب ما يجوز من الظن"، وذكر فيه قول النبي صلى الله عليه وسلم عن رجلين من المنافقين: «**ما أظن فلانا وفلانا يعرفان من ديننا شيئا**»، قال ابن حجر في فتح الباري شارحا هذا الحديث: "هذا الذي وقع في الحديث ليس من الظن المنهي عنه؛ لأنه في مقام التحذير من مثل من كان حاله كحال الرجلين، والنهي إنما هو عن الظن السوء بالمسلم السالم في دينه وعرضه، وقد قال ابن عمر: إنا كنا إذا فقدنا الرجل في عشاء الآخرة أسأنا به الظن، ومعناه أنه لا يغيب إلا لأمر سيئ إما في بدنه وإما في دينه".

وقد قال جل وعلا: ﴿**وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ فردت شهادة من رمى محصنة عقوبة له على فسقه، وهذا من سوء الظن به.

وقال صلى الله عليه وسلم: «**لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين**» متفق عليه؛ قال السيوطي في الديباج: "المؤمن الممدوح هو الكيس الحازم الذي لا يستغفل فيخدع مرة بعد أخرى ولا يفطن لذلك".

وقد كثرت رواية الحكم المنسوبة للعلماء والحكماء المتعلقة بهذه الحالة، مثل قولهم: "سوء الظن عصمة"، و"من الحزم سوء الظن"، و"احترسوا من الناس بسوء الظن"، و"مَنْ حَسَنَ ظَنَّهُ بِالنَّاسِ كَثُرَتْ نَدَامَتُهُ"، و"من تردد في الرَّبِّ وطأته سنابك الشياطين"، و"الثقة بكل أحد عجز".

قال النووي في رياض الصالحين: "باب النهي عن سوء الظن بالمسلمين من غير ضرورة" فدل على أن سوء الظن لضرورة ليس منهيًا عنه.

وقال القرافي في شرح تنقيح الفصول: "وأما الاكتفاء بالظاهر فهو شأن الجهلة الأغبياء الضعفاء الحزم والعزم، ومثل هؤلاء لا ينبغي للحاكم الاعتماد على قولهم في التزكية، وكل من كان يغلب عليه حسن الظن بالناس لا ينبغي أن يكون مركزيا ولا حاكما لبعده عن الحزم..، فمن ضيع سوء الظن فقد ضيع الحزم، نعم لا ينبغي أن يبني على سوء ظنه شيئا إلا لمستند شرعي".

وقال ابن مفلح في الآداب الشرعية: "أكثر العلماء أن ظن القبيح بمن ظاهره الخير لا يجوز، وأنه لا حرج بظن القبيح بمن ظاهره قبيح، وقال ابن هبيرة الوزير الحنبلي: لا يحل والله أن يحسن الظن بمن ترفض ولا بمن يخالف الشرع في حال". وقال النيسابوري في تفسيره: "ما هو مندوب إليه وهو إذا كان المظنون به ظاهر الفسق".

وقال السيوطي في الإكليل: "تحريم ظن السوء بأهل الخير وإباحته بأهل الشر؛ لأنه لم ينه عن كل الظن".

وقال المناوي في فيض القدير: "من ظهرت عليه قرينة سوء يستعمل معه سوء الظن وخلافه خلافه..، فإن كل إنسان لا بد له من عدو بل أعداء يأخذ حذره منهم، قال بعض العارفين: هذه حالة كل موجود لا بد له من عدو وصديق..، بما فيهم من التنافس والتباغض والتحاسد والتحاقد".

وقال الصنعاني في سبل السلام "من اشتهر بين الناس بمخالطة الريب والمجاهرة بالخبائث فلا يجرم سوء الظن به؛ لأنه قد دل على نفسه، ومن ستر على نفسه لم يظن به إلا خيرا، ومن دخل في مداخل السوء اتهم، ومن هتك نفسه ظننا به السوء، والذي يميز الظنون التي يجب اجتنابها عما سواها أن كل ما لا تعرف له أمانة صحيحة وسبب ظاهر كان حراما واجب الاجتناب، وذلك إذا كان المظنون به ممن شوهد منه الستر والصلاح، ومن عرفت منه الأمانة في الظاهر فظن الفساد والخيانة به محرم، بخلاف من اشتهر بين الناس بتعاطي الريب فنقابله بعكس ذلك".

* فالحذر الحذر يا أبطال الشام والفتنة الفتنة ف:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته

وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

ووضع الندى في موضع السيف بالعلی

مضر كوضع السيف في موضع الندى

والحمد لله رب العالمين.

وما أسألكم عليه من أجرًا

إن قضية الكسب والمال قضية محورية في حياة البشرية، وهي من أهم عوامل استمرار الحياة على هذه الأرض؛ ولذا فقد جاءت الشريعة الإسلامية بكثير من الأحكام والأوامر والآداب الواضحة والصريحة التي تضبط التصرفات المالية للفرد والمجتمع، ومن أهم ما اعتنت الشريعة بذكره العلاقة بين رجال الدعوة الإسلامية وأموال المدعوين، ويمكن تلخيص بعض ذلك في النقاط التالية:

أولا - منهج الأنبياء أنهم لا يسألون أقوامهم أجرًا على تبليغهم الدعوة:

في سورة الشعراء والتي يسميها بعض العلماء "الجامعة" حيث جمعت بين قصص الأنبياء السابقين صلوات الله وسلامه عليهم مع قصة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وجمعت كثيرا من الأصول المشتركة في دعوات الأنبياء عليهم السلام، فمثلا من تلك الأصول التي تكرر ذكرها في تلك السورة على لسان عدد من الأنبياء عليهم السلام ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا...﴾

وكذلك من تلك الأصول التي تكرر ذكرها في تلك السورة الكريمة خمس مرات قول أنبياء الله عليهم السلام: نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، كل منهم لقومه: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ...﴾

وقد تعدد في القرآن الكريم ذكر هذا المبدأ والتأكيد عليه في مواضع أخرى عديدة غير هذه التي وردت في سورة الشعراء، ففي سورة الأنعام يأتي الأمر الرباني للنبي محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾، وفي سورة الشورى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾.

وفي سورة ص يتكرر الأمر بصيغة: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ

الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٤٠٣﴾، وفي سورة الفرقان: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾.

وفي سورة هود يأتي قول نبي الله نوح عليه السلام: ﴿وَيَاقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ﴾ وقول هود عليه السلام: ﴿وَيَاقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

فهذه الصيغ تخاطب الكفار مبينة أصلا من أصول دعوة الأنبياء وهو أنهم لا يسألون الكافرين أجرا ولا مالا على تبليغ الدعوة.

ثم تأتي الدعوة المطمئنة للناس ﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهَوٌّ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلُكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾.

ثم يخبر القرآن بأن الناس تسامعت بهذا الرقي في دعوة الأنبياء: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَىٰ الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ اتَّبِعُوا مَنِ لَا يُسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾.

ثم بعد ذلك الوضوح في الدعوة يأتي التكرار للتنبية وتقرير المعرضين كما في سورة سبأ: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ﴾، وكما في سورة يونس قول نبي الله نوح عليه السلام: ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ﴾.

ثم يأتي قول الله جل وعلا المبرئ لأنبيائه عن طلب الدنيا الموبخ للكافرين على تركهم الحق الذي لم يطلب ما معهم من دنيا، ففي سورة يوسف قال جل وعلا: ﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾، وفي سورتي الطور والقلم قال جل وعلا موبخا الكافرين: ﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ﴾.

فقد تعددت الصيغ وتكررت وتأكدت (ما أسألكم - لا أسألكم - لا يسألكم - ما سألتكم - ما تسألهم - أم تسألهم)، وجاء النفي عن سؤال الأجر وسؤال المال كذلك؛ فالأجر أشمل من المال فيدخل في الأجر المنصب والخدمة وأنواع الأجر الأخرى، والمال أخص وأهم من عموم الأجر، وكل ذلك يثبت حقيقة واضحة جدا وهي أن الدعوة إلى الله جل

وعلا ليست دعوة للتسلط على أموال الناس وأرزاقهم، بل هي لينجو المدعوون من عذاب الله جل وعلا وينعموا بخيري الدنيا والآخرة..

وقد ذكر القرآن الكريم سؤال الأجر وأخذ المال بالباطل في معرض ذكر الضالين؛ فذكر جل شأنه في سورة الشعراء التي تكرر فيها نفي الأنبياء سؤال الأجر خير سحرة فرعون وهم يخاطبون فرعون طالبين الأجر قائلين: ﴿أَتِنَّا لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْعَالِيْنَ﴾.

وأخبر جل وعلا أن من ظلم أهل الكتاب ﴿أَكْلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾، بل هذا من فعل علمائهم وعبادهم الضالين كذلك، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾.

قال الأستاذ سيد قطب رحمه الله في الضلال: "وهذا التنبيه على عدم طلب الأجر يبدو أنه كان دائما ضروريا للدعوة الصحيحة، تمييزا لها مما عهدته الناس في الكهان ورجال الأديان من استغلال الدين لسلب أموال العباد. وقد كان الكهنة ورجال الدين المنحرفون دائما مصدر ابتزاز للأموال بشتى الأساليب. فأما دعوة الله الحقبة فكان دعاها دائما متجردين، لا يطلبون أجرا على الهدى فأجرهم على رب العالمين".

ثانيا - الواجبات الشرعية المتعلقة بالمال ليست أجرا للدعاة على تبليغ الدعوة:

إن مسألة تجرد الدعاة إلى الله تبارك وتعالى عن الطمع في دنيا المدعوين ينبغي أن تبقى واضحة في مسيرة الدعوة حتى لا يشتبه ذلك بالواجبات الشرعية التي أمر بها الله جل وعلا والمتعلقة بالمال كالزكاة مثلا؛ لذا تكرر التنبيه في القرآن الكريم على أن المال مال الله تعالى استخلفنا فيه وأن هذا الإنفاق هو: خير للمنفق، يأخذه الله تبارك وتعالى ويرده للمنفق مضاعفا من الله تبارك وتعالى، وأنه لا ظلم في هذا الإنفاق، وأن من يبخل فإنما يبخل عن نفسه، وأن ميراث الأمر كله لله تبارك وتعالى...

وما أجمل أن يتأمل المرء قوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ

اللَّهُ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾، فقد أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يأخذ من أموالهم صدقة ثم أخبر جل وعلا في الآية التالية أنه سبحانه هو من يأخذ الصدقات، فالنبي صلى الله عليه وسلم هو عبد الله منفذ لأمره سبحانه لا مطمع له في أموالهم، وإنما الحكمة من هذا الأخذ هي تطهير المذكي من الذنوب والأخلاق الرذيلة، وتزكية المنفق نفسه بمزيد حسن الخلق والعمل الصالح، والثواب الدنيوي والأخروي، وتمنية ماله كذلك، ثم أمر الله جل وعلا نبيه الكريم أن يصلي على المنفق أي أن يدعو له فالدعاء سكن وطمأنينة لقلب المنفق وبشرى له فالله سميع للدعاء عليهم بمن أنفق بيتغي رضوانه سبحانه..، والآيات والأحاديث في هذه المعاني كثيرة جدا، ومن ذلك:

- قال تعالى: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾.

- وقال سبحانه: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ تُمْ لَا يُتَبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنَّا وَلَا أَدَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

- وقال سبحانه: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلْأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾.

- وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾.

- وقال سبحانه: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَحْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾.

- وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شَحْحَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ إِنَّ تَقْرُضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾.

- وقال تعالى: ﴿فَاتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ

يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأَوْلِيكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبًّا لِيَرْبُتُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ».

- وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ».

- وقال سبحانه: ﴿هَآأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ وَمَنْ يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلْ عَن نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ».

- وقال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ».

- وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم».

- وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: «كان أخوان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان أحدهما يأتي النبي صلى الله عليه وسلم والآخر يحترف، فشكا المحترف أخاه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: لعلك ترزق به».

- وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه، قال: «بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: إنك تأتي قوما من أهل الكتاب، فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم، فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب».

ثالثا - التطبيق النبوي للترفع عما بأيدي الناس:

كانت حياة النبي صلى الله عليه وسلم مثالا عمليا لعدم سؤال الأجر على الدعوة، والزهد فيما عند الناس، قال القاضي عياض في الشفا: "انظر سيرة نبينا صلى الله عليه وسلم وخلقه في المال تجده قد أوتي خزائن الأرض، ومفاتيح البلاد، وأحلت له الغنائم، ولم تحل لنبي قبله، وفتح عليه في حياته صلى الله عليه وسلم بلاد الحجاز واليمن، وجميع جزيرة العرب، وما داني ذلك من الشام والعراق، وجلبت إليه من أخماسها وجزيتها وصدقاتها ما لا يُجنى للملوك إلا بعضه، وهادته جماعة من ملوك الأقاليم فما استأثر بشيء منه ولا أمسك منه درهماً، بل صرفه مصارفه، وأغنى به غيره، وقوى به المسلمين، وقال: «**ما يسرني أن لي أحداً ذهباً بيتاً عندي منه دينار، إلا ديناراً أرصده لدين**»، ومات ودرعه مرهونة في نفقة عياله، واقتصر من نفقته وملبسه ومسكنه على ما تدعو ضرورته إليه".

ومن تكريم الله لنبيه صلى الله عليه وسلم أنه حرم عليه وعلى آل بيته الأخذ من مال الزكاة، ولذلك عندما توعد النبي صلى الله عليه وسلم مانع الزكاة بالعقوبة المالية أتبع ذلك بأنه صلى الله عليه وسلم لن يأخذ من ذلك شيئاً حتى لا يقع في نفس أحد ظن من ظنون الشيطان، قال صلى الله عليه وسلم: «**في كل سائمة إبل في أربعين بنت لبون ولا يفرق إبل عن حسابها، من أعطها مؤتجراً فله أجرها، ومن منعها فإنها آخذوها وشطر ماله، عزمة من عزمات ربنا عز وجل، ليس لآل محمد منها شيء**».

بل إن الله تبارك وتعالى أمد هذه الأمة بنصره ومنّ عليهم بإباحة الغنائم ومع ذلك فقد: «أخذ النبي صلى الله عليه وسلم وبرة من جنب بعير، فقال: أيها الناس إنه لا يجلب لي مما أفاء الله عليكم قدر هذه، إلا الخمس، والخمس مردود عليكم» فحتى الخمس من الغنيمة كان ينفق منه صلى الله عليه وسلم في مصالح الأمة، وأما هو في خاصة نفسه صلى الله عليه وسلم فكان حاله ما قالت عائشة رضي الله عنها: «**ما شبع آل محمد صلى الله عليه وسلم**

منذ قدم المدينة من طعام البر ثلاث ليال تباعا حتى قبض»، وتقول رضي الله عنها: «إن كنا لننظر إلى الهلال ثم الهلال ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقد في أبيات رسول الله صلى الله عليه وسلم نار».

رابعاً- ضرورة تنزه العمل الإسلامي المعاصر عن شبهة الطمع في دنيا الناس:

لقد عانت جل أصقاع الأمة الإسلامية من تسلط الطغاة عليها خلال المائة عام الماضية، فنحى الطواغيت الشريعة واستعبدوا الشعوب وسخروا الأمة ومقدراتها وخيراتنا لخدمة المنظومة الصهيونصليبية العالمية، وتعاقبت على الأمة ألوان متعددة من سارقي خيراتنا وناهبي شعوبها، مع تسليطهم لآلة إعلامية ضخمة تشوه الإسلام والعاملين للإسلام وتتهمهم بكل النقائص والذائل.

ومع كل ذلك فإن الشعوب المسلمة عملت جاهدة على المحافظة على إسلامها والتطلع ليوم خلاصها من تسلط هؤلاء المجرمين، لتحمي بالإسلام وللإسلام.

وإن من حق تلك الشعوب على طلائع العمل الإسلامي المعاصر أن يكونوا على قدر الأمانة والمسؤولية يعظمون شعائر الله تبارك وتعالى ويعملون على أن يزداد الناس حبا لربهم ودينهم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾.

وعلى طلائع الأمة أن يتجنبوا طرق الزائغين المتكبرين المنفرين الناس عن شرائع الله تبارك وتعالى حتى يقول قائل عن هؤلاء المنفرين ما نقله الأستاذ أبو الحسن الندوي رحمه الله: "إذا كنتم تسعون لمال أو جاه أو شرف أو حكم على قطعة أرض، فلماذا تظاهرتم بالدين وأقمتم وأقعدتم الدنيا لأجله، وكدرتم علينا صفو العيش، لقد كنتم وكنا في غنى عن هذه الحروب الطويلة التي أيتمت البنين وأيامت النساء وأجلت الناس عن الأوطان!".

وإن من أخطر القضايا التي واجهت العمل الإسلامي المعاصر هي القضايا المتعلقة بتعاملهم مع الأموال العامة والخاصة، ويجدر في هذا المقال المختصر التنبيه إلى ما يلي:

١- ضرورة زهد قيادات العمل الإسلامي بما في أيدي الناس، وأن يكون حالهم

مصدقا لقيلمهم، وألا يتخذوا إماراتهم أو زعاماتهم وسيلة للتنعم الشخصي بمتع الدنيا، قال ابن الموصلي في حسن السلوك الحافظ دولة الملوك: "وينبغي للسلطان أن ينزل نفسه منزلة واحد من المسلمين فلا يتناول من بيت المال فوق كفايته" ثم أورد بعض ما جاء من زهد أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم، وغيرهم من الأئمة الصالحين، ثم قال:

فهذي صِفَاتِ الْقَوْمِ زهدا وعفة

وَنصحا فَأَيِّنَ المقتدي بفعالهم

رجال أمانوا اليَوْمَ عاجل حظهم

ليحيوا بعز دَائِمٍ في مآلهم

يعطر أرجاء المحافل ذكرهم

وتفرق آساد الشرى من ظلالهم

فظوبى لراع يَفْتَنَدِي حسن هديهم

وويل لوال قد خلا من خلالهم

٢- أهمية الحرص على النزاهة فيمن يتولى الأمور المالية ولا بد من المتابعة والمحاسبة، كي لا تُشوه الدعوة بجرائم أو تقصير بعض المنتسبين لها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن رجلا يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة**»، قال الشيخ عمر السيف في كتاب السياسة الشرعية: "من أعظم ما يجب الاحتراز منه انحراف الولاة عن الصراط المستقيم الذي يعد أحد أخطر الأسباب المؤدية إلى هدم الإسلام وزوال دولته، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «**إني لا أخاف على أمتي إلا الأئمة المضلين**»..، لقد استبد الكثير من الحكام بالحكم في القديم والحاضر بعد أن تحققوا من ولاء الجيش وسائر القوات العسكرية لهم، وثبتوا أعوانهم وأنصارهم في الولايات والوزارات والقضاء والقيادة العسكرية، ولم يعد في البلاد سلطة قضائية تحكم عليهم أو تحاسبهم على أعمالهم، فأظهروا الجور والظلم،

وجاهروا بالمعاصي والفسق...، و لكي لا يلدغ أهل الإسلام من هذا الجحر مرة أخرى فلا بد من اتخاذ سياسات احترازية، وسد الطرق والذرائع التي تؤدي إلى استبداد الحاكم بالحكم، وانحراف الحكومة عن الحق ووقوعها في الظلم والفسق".

٣- التفرقة بين مراتب الضرورات والحاجيات والموازنة بينها، فلا يكفي لتسوية أمر كونه ضرورة، ولا يكفي كذلك جمع نصوص الفقهاء التي تبيح عند الضرورة أخذ الأموال بقدر الضرورة لحاجة الجهاد مثلا بل قد يكون ذلك مجرد تبرير للهوى وانحراف التطبيق، فنحن في زمن تزاحم الضروريات فلا بد من الرجوع لأهل العلم للموازنة الدقيقة بين الوقائع، مع اعتبار كلام العلماء عن تأجيل بعض الواجبات الشرعية خوف الفتنة الأكبر كالصد عن سبيل الله تعالى الذي قد يهدم مقصود الجهاد بالكلية في ثغر من الثغور، فلا بد من معرفة أخف الشرين وأعلى الضرورتين عند النظر في تلك المسائل.

ومن الحكايات المؤسفة في التاريخ لعدم مراعاة تلك الموازنات، ما ذكره صاحب نهر الذهب في تاريخ حلب، حيث قال: "في سنة ٩٣٤ كان قاضي علي بن أحمد علاء الدين الرومي متوليا على خطة تفتيش أوقاف حلب وأملاكها والنظر على الأموال السلطانية فبالغ في جمعها وتتميرها حتى أخرج حكما سلطانيا بمنع توريث ذوي الأرحام من الشافعية بخصوصهم، وضبط التركة لبيت المال. وأراد أن يجعل ملح المملحة المضبوط لبيت المال أغلى من الفلفل، زاعما أن الناس أحوج إلى الملح منه، ومنع بيع حنطة كانت مخزونة للسلطان سليمان خان مع أن السنة كانت مجدبة والقحط والغلاء مستولين. ولما اجتمعت هذه الأسباب وأراد الله إنفاذ أمره فيه حضر لصلاة الجمعة خامس شعبان من السنة المذكورة في الجامع الكبير، فقام عليه غوغاء الناس وأسافلهم وكثر لغطهم فيه، ثم كبروا ووثبوا عليه وقتلوه ضربا بالنعال ورجما بالحجارة وقتلوا معه أحمد بن أبي بكر الأصلي العريقي الحلبي؛ لأنه كان يعضده في أعماله. ومن العجب أن قصابا شق بطن أحمد المذكور وأخذ من شحمه شيئا بيده والناس يرونه ولم يردعه أحد عن فعله. وقد سحبوه إلى تلة عائشة بالقرب من السفاحية

ليحرقوه، فتزأى عليه أهله وسحبوه وخلصوه. كما أن السفلة المذكورين جزّوا جثة قرا قاضي وجرده من ثيابه ليحرقوه، فخلصه جماعة من أهل الخير وخبّؤوه في الميضأة إلى ثاني يوم ثم غسلوه ودفنوه!!".

٤- الحذر من الغرور بوهم القوة العارض الذي يؤدي للتسلط على الناس وأموالهم

بدعاوى التنظيم والترتيب والتخديم؛ فتغور الحركات الإسلامية الجهادية والدعوية والتربوية اليوم هي أصل دعوتها، والاتفات عن ذلك في زمن عدم توفر الكفاية التي تسد تلك الثغور إلى الانغماس في الشؤون الحياتية التي تراحم الناس أعمالهم يؤدي لمفاسد كبيرة، ومما يفيد في ذلك تأمل قول ابن الأزرق في بدائع السلك: "تجارة السلطان تؤدي إلى ضرر الرعية وفساد الجباية وأنها تؤول بآخرة إلى خراب العمران ونفاذ الدولة، ومن ثم ورد النهي عنها مصرحاً فيه بإفضائها إلى هذا المخدور، فعن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنه كتب لبعض عماله أن تجارة الولاة لهم مفسدة وللرعية مهلكة فامنع نفسك ومن قبلك عن ذلك".

وجاء في رسائل الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله نصيحته للمجاهدين في الصومال بأنه: "ينبغي تنبيه وتحذير الإخوة المسؤولين والعاملين في أجهزة الإمارة من أن يدخلوا في المسائل التجارية فهو أمر في غاية الخطورة ويتعارض مع مهمة الدولة سياسة الدنيا بالدين وحفظ الأمن والعدل في القضاء، أما أمور الدنيا فإن قامت الدولة بواجباتها وشجعت رعيته على الأمور التي ضمن طاقتهم وتصلح حال بلادهم فإن الرعية سيسيروا في هذه المسائل فهم أقدر على عمارة الأرض بالزراعة والتجارة وغيرها.

فموظفو الدولة أو الإمارة ما ينبغي لهم أن يتنافسوا في التجارة فقوة الناس ماليًا في أي دولة هي قوة للدولة، وتكفي الإمارة الزكاة، فضلاً عن أن الزراعة في الصومال تكون نسبة الزكاة منها العشر؛ لأن دخول أعضاء الإمارة أصحاب القرار في التجارة إفساد للإمارة ودمار للحركة الإسلامية ويؤدي إلى فجوة كبيرة بينها وبين الناس وهدم للدولة بأيدي منشئها، ولكم عبرة بالحركة الإسلامية في السودان الذين ضحوا بأنفسهم في سبيل قيام الدولة التي

تعلق تطبيق الشريعة، فأقاموا الدولة ومن قبل أن يتراجعوا عن تطبيق الشريعة كانوا قد دخلوا في مسائل خطيرة بسبب أنهم قد أصبحت الدولة بأيديهم وما زالوا يفكرون في تقوية الحركة التي أسسوها قبل السيطرة على الدولة مما أدى إلى احتكارهم لكثير من السلع التي يحتاج إليها كل الناس والتجارة فيها من حقوق جميع الناس؛ كالغاز والسكر واحتكارهم للأسواق الحرة، فبدلاً من أن تدعم السودان بعدل النظام الإسلامي أشارت تقارير الشفافية الدولية إلى أن السودان من أكثر الدول التي تعاني من فساد مالي وإداري كبير، ومن هنا يكون التفكير بالدخول في التجارة لتقوية الكيان الإسلامي الحاكم خطأ كبير ودماراً للكيان".

٥- كلما وقع التقصير في الأصل وقع التجاوز: فالأصل أن يكون أخذ المال وصرفه وفق الأوامر الشرعية، وعلى طلائع الأمة أن تجتهد في تحصيل ذلك بالوسائل المشروعة، وكلما وقع التقصير في تحصيل الحلال كان اللجوء لما أصله التحريم من فرض المكوس واحتكار السلع والتجارة في المحرمات..، قال ابن تيمية في السياسة الشرعية: "الأموال السلطانية التي أصلها في الكتاب والسنة ثلاثة أصناف: الغنيمة، والصدقة، والفيء؛ فأما الغنيمة فهي المال المأخوذ من الكفار بالقتال.. قال النبي صلى الله عليه وسلم: «بعثت بالسيف بين يدي الساعة، حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي»..، وأما الصدقات، فهي لمن سمي الله تعالى في كتابه..، وأما الفيء فأصله ما ذكره الله تعالى في سورة الحشر، التي أنزلها الله في غزوة بني النضير، بعد بدر..، وهذا مثل الجزية التي على اليهود والنصارى، والمال الذي يصلح عليه العدو أو يهدونه إلى سلطان المسلمين..، وما يؤخذ من تجار أهل الحرب وهو العشر، ومن تجار أهل الذمة إذا تجروا في غير بلادهم وهو نصف العشر...، ثم إنه يجتمع من الفيء جميع الأموال السلطانية التي لبيت مال المسلمين: كالأموال التي ليس لها مالك معين، مثل من مات من المسلمين وليس له وارث معين، وكالغصوب والعواري والودائع التي تعذر معرفة أصحابها".

٦- السياسة الحقة تقوم على الإحسان للرعية وتأليف القلوب، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**كفى بالمرء إثماً أن يحبس عمن يملك قوته**»، وعن أنس رضي الله عنه قال: «**ما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام شيئاً إلا أعطاه، ولقد جاءه رجل، فأعطاه غنماً بين جبلين، فرجع إلى قومه، فقال: يا قوم، أسلموا فإن محمداً يعطي عطاء من لا يخشى الفقر**».

جاء في سراج الملوك للطرطوشي: "الباب الثلاثون: في الجود والسخاء: وهذه الخصلة الجليل قدرها العظيم موقعها الشريف موردها ومصدرها، وهي إحدى قواعد المملكة وأساسها وتاجها وجمالها، تعنو لها الوجوه وتذل لها الرقاب، وتخضع لها الجبايرة وتسترق بها الأحرار وتستمال بها الأعداء وتستكثر بها الأولياء، ويحسن بها الثناء ويملك بها القرباء والبعداء، ويسود بها في غير عشائهم الغرباء. وهذه الخصلة بالعزائم والواجبات أشبه منها بالجمال والمتممات، وكم قد رأينا من كافر ترك دينه والتزم دين الإسلام ابتغاء عرض قليل من الدنيا يناله، وكم قد سمعنا من مسلم ارتد في أرض الشرك افتناناً بيسير من عرض الدنيا!".

٧- حسن الخلق هو السلطان الحقيقي على الناس: فالتعامل مع المجتمع بالصدق والرحمة والإحسان والتودد واحترام الكبير والعطف على الصغير والتشاور الحقيقي يجعل المجتمع عضواً فاعلاً في بناء الحضارة وتبني القضية، وسوء الخلق يهدم ببيان المجد العظيم، فالأمور المالية أخذاً وعطاءً إن أُحيطت بحسن الخلق سارت سلسلة مقبولة، فإذا كان الله جل وعلا يخاطب نبيه صلى الله عليه وسلم قائلاً: ﴿**وَإِخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**﴾، فهل يليق بأحدنا أن يرفع جناحه على المؤمنين!؟

قال صلى الله عليه وسلم: «**ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله**»، رفعه في الدنيا والآخرة، وقال صلى الله عليه وسلم: «**ما كان الرفق في شيء إلا زانه ولا نزع من شيء إلا شانه**». بل إن من حسن الخلق ما هو صدقة بلا دفع مال، قال صلى الله عليه وسلم:

«تبسمك في وجه أخيك صدقة»، وقال عليه الصلاة والسلام: «لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طلق»، يقول الأستاذ محمد قطب في "قبسات من الرسول صلى الله عليه وسلم": "وأى رابطة يمكن أن تربط القلوب أقوى من المودة والحب؟ ﴿وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلْفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ﴾ إنها هبة الله والنعم المادية أو الاقتصادية كذلك هبة الله، ولكن الآية تضع كلاً في مكانه في ميزان القلوب وميزان الحياة! لا يكفي المال وحده لتأليف القلوب ولا تكفي التنظيمات الاقتصادية والأوضاع المادية. لا بد أن يشملها ويغلفها ذلك الروح الشفيف المستمد من روح الله، ألا وهو الحب، الحب الذي يطلق البسمة من القلب فينشرح لها الصدر وتنفرج القسّمات، فيلقى الإنسان أخاه بوجه طليق. ذلك الحب هو الذي يصنع المعجزات. هو الذي يؤلف القلوب. هو الذي يقيم البناء الذي لا يهدمه شيء ولا يصل إليه شيء".

* أسأل الله أن يغني المسلمين بحلاله عن حرامه وبفضله عمن سواه، والحمد لله رب العالمين.

عن أهمية المنح

**إضاءة:

في ذي القعدة من السنة الثامنة للهجرة كان توزيع الغنائم الكثيرة الكثيرة التي اغتنمها المسلمون في حنين فأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم عطاء من لا يخشى الفقر، قال الإمام مسلم في صحيحه: «اقتتلوا بحنين فنصر الله دينه والمسلمين، وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ صفوان بن أمية مائة من النعم ثم مائة ثم مائة»، وفيها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده لو أفاء الله عليكم مثل سمر تامة نعما لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلا» رواه مالك..

وبعد ثمانية أشهر في رجب سنة تسع للهجرة كانت غزوة تبوك غزوة العسرة التي جاءت في حين قلة من المال والعتاد، ولم يتندم أحد على ما أنفق قبل بعد حنين، قال تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.

**عناية الشريعة بكفالة الجاهد:

وجهت الشريعة المطهرة كثيرا من الأموال لإعانة وتشجيع وإغناء المجاهد في سبيل الله تعالى ف:

* للمجاهد سهم في زكاة المال وإن كان غنيا قال تعالى ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

* وفضل الله جل وعلا أمة الإسلام بإباحة الغنائم وكانت محرمة على الأمم من قبلنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا فأيما رجل من أمي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي المغنم ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة».

* وزاد الإسلام في تشجيع المجاهد على كثرة البذل فكان النفل وهو مال زائد عن نصيب الفرد في الغنيمة يخص به الإمام بعض المجاهدين تشجيعا لهم على القتال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم «ينفل الربع بعد الخمس، والثالث بعد الخمس إذا قفل».

* وشرع الإسلام للإمام أن يعطي السلب وهو أن يأخذ المجاهد الذي يقتل أحد الكفار ما مع عدوه الكافر من سلاح ومال زيادة على نصيبه في الغنائم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين «من قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه».

* وكذلك جاءت الشريعة بالرضخ وهو مال من الغنيمة يعطى لمن أعان على القتال من غير الرجال المجاهدين كالنساء والأطفال ونحوهم ففي أجوبة ابن عباس رضي الله عنه لنجدة الخارجي «كتبت تسألني هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو بالنساء وقد كان يغزو بهن فيداوين الجرحى ويحذين من الغنيمة».

* ومع كل ذلك حث الله جل وعلا عامة الأمة على الوقوف مع المجاهدين ولو من غير الصدقات فجاء الترغيب في تجهيز الغازي وخلافته في أهله وماله بخير ولو كان غنيا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من جهز غازيا في سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازيا في سبيل الله بخير فقد غزا».

قال الشاطبي رحمه الله في الاعتصام: "إذا قدرنا إماما مطاعا مفتقرا إلى تكثير الجنود لسد الثغور وحماية الملك المتسع الأقطار، وخلا بيت المال عن المال، وارتفعت حاجات الجند إلى ما لا يكفيهم، فللإمام إذا كان عدلا أن يوظف على الأغنياء ما يراه كافيا لهم في الحال..

وإنما لم ينقل مثل هذا عن الأولين لاتساع مال بيت المال في زمانهم بخلاف زماننا؛ فإن القضية فيه أخرى، ووجه المصلحة هنا ظاهر؛ فإنه لو لم يفعل الإمام ذلك لانهل النظام وبطلت شوكة الإمام، وصارت ديارنا عرضة لاستيلاء الكفار. وإنما نظام ذلك كله شوكة الإمام بعدته، فالذين يحدرون من الدواهي لو تنقطع عنهم الشوكة يستحقرون بالإضافة إليها أموالهم كلها فضلا عن اليسير منها، فإذا عورض هذا الضرر العظيم بالضرر اللاحق لهم بأخذ البعض من أموالهم فلا يتمارى في ترجيح الثاني على الأول...، والاستقراض في الأزمات إنما يكون حيث يرجى لبيت المال دخل ينتظر أو يرتجى، وأما إذا لم ينتظر شيء وضعفت وجوه الدخل بحيث لا يغني كبير شيء، فلا بد من جريان حكم التوظيف".

** دور تقديم المنح للمجاهدين في استمرارية الجهاد:

بعد أن طال زمن الجهاد في سوريا أصبح من الضروري تلبية الحاجيات المعيشية للمجاهدين؛ حيث أتت الحرب على أغلب الموارد التي كان يقتات منها المجاهدون أول الحرب؛ فتعطلت كثير من المصانع ودمرت كثير من المنازل، وأنفق الناس ما كانوا يملكونه من أموال مدخرة، وتدهورت قيمة العملة السورية.. كل ذلك يدفع للعمل على تأمين منح دورية للمجاهدين تفاديا للأخطار التالية:

- ترك الجهاد والانشغال بتحصيل حاجيات المعيشة، وهناك عشرات الآلاف تركوا الجهاد لانشغالهم بالعمل على تأمين ضروريات الحياة.
- الجمع بين الجهاد والأعمال الأخرى، مما ينتج مجاهدين غير متفرغين، جاهزيتهم غير كاملة، وليس عندهم وقت لتطوير خبراتهم وإتقان الأسلحة التي يحتاجونها.
- انتقال الأفراد للجهاد مع الفصائل غير الفاعلة التي تعطي منحاً كبيرة؛ لأنها مدعومة بقوة من دول إقليمية، فنخسر الفاعلية الحقيقية للمجاهدين.
- التحول من الجهاد في الأماكن المشتعلة إلى الجهاد في الأماكن الباردة؛ حيث تتميز الأماكن الباردة بتوفر بعض الخدمات كالكهرباء والماء والأمن والاستقرار.

- انتقال الكفاءات الجهادية للأعمال الإدارية؛ حيث يحصل كثير ممن يعملون في الأعمال المدنية والإدارية كالتمريض والإعلام أضعاف ما يحصل عليه المجاهد، فتخسر الجبهات كفاءات يمكنها تنظيم الجهاد وتطويره.
- إعانة الشيطان على إغواء أضعاف النفس؛ حيث إن ضغوط الحياة الأسرية تجعل الشيطان يوسوس لأضعاف النفس فيسرقون أو يغفلون..

** مقترحات لحل الإشكالية المالية:

- تحديد نسبة كالنصف مثلا من كامل دخل الهيئة للمنح.
- تحديد الكفالات حسب الفاعلية.

ليسوا صحابة ولا عبيدا

من المؤسف في الجهاد الشامي انتقاص حقوق المجاهدين المالية، والازدراء بمطالبهم المشروعة في تأمين الكفاف مما تيسر من أموال الجهاد..

وأصبح كثير من القادة -لضعف إيمانهم- ينفق الأموال في كل شيء إلا في كفاية المجاهد، فهي عندهم آخر ما ينظرون فيه إن نظروا.

أما الصحابة الكرام في عهد النبوة فلم يعاملهم النبي صلى الله عليه وسلم تلك المعاملة، فمثلاً؛ أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه شارفين بعد غزوة بدر، أي ناقتين حسنتين كبيرتين، وتقدر الواحدة منهما بالفي دولار، أي أعطاه ما يعادل اليوم أربعة آلاف دولار!..

وبعد حنين أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان أربعين أوقية ومائة من الإبل، فقال: ابني يزيد؟ فأعطاه مثلها، فقال: ابني معاوية؟ فأعطاه مثلها، وأعطى حكيم بن حزام مائة من الإبل، ثم سأله مائة أخرى فأعطاه إياها، وأعطى صفوان بن أمية مائة من الإبل ثم مائة ثم مائة، وأعطى الحارث بن كلدة مائة من الإبل، وكذلك أعطى من رؤساء قريش وغيرها مائة مائة من الإبل، وأعطى آخرين خمسين خمسين وأربعين أربعين حتى شاع في الناس أن محمداً صلى الله عليه وسلم يعطي عطاء ما يخاف الفقر، فازدحمت عليه الأعراب يطلبون المال حتى اضطره إلى شجرة، فانتزعت رداءه فقال: «**أيها الناس ردوا علي ردائي، فوالذي نفسي بيده لو كان عندي شجر تمامة نعماً لقسمته عليكم، ثم ما ألفتهموني بخيلاً ولا جبانا ولا كذاباً**» وبعد إعطاء المؤلف قلوبهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإحضار الغنائم فوزعها فكان لكل رجل أربعاً من الإبل وأربعين شاة [أي ما يعادل اليوم عشرة آلاف دولار!!]، فإن كان فارساً أخذ اثني عشر بعيراً ومائة شاة!!.

بل إن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينفق على أهله نفقة سنة من أموال بني النضير،

وما بقي يجعله في الكراع والسلاح عدة في سبيل الله...

وبالتأكيد سيأتي الشيطان، ويقول للبعض: إنه تم توزيع تلك الغنائم في زمن لم تكن الدولة تحتاج لتجهيز الجيوش، وهذا خطأ فبعد شهور قليلة من غزوة حنين كانت غزوة تبوك التي خرج فيها جيش العسرة وهو يعاني الفقر والقلّة.

هكذا تعامل الرسول صلى الله عليه وسلم مع الصحابة المجاهدين خير الأمة، فكيف كان الهدي النبوي في التعامل مع العبيد الأرقاء؟

أما التعامل مع العبيد الأرقاء فهو أنه على السيد نفقة عبده وأن يسعى في زواجه كما قال جل وعلا: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾، وعليه بعد أن يزوج عبده نفقة زوجة عبده الرقيق، وعلى السيد أن تكون تلك النفقة بالمعروف، قال صلى الله عليه وسلم: «إن إخوانكم خولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم ما يغلبهم فأعينوهم».

فجل الجماعات المجاهدة اليوم لم تعط المجاهدين الحقوق التي أخذها الصحابة الكرام ولا الحقوق التي نالها العبيد الأرقاء، رغم ضخامة المال الذي ورد للجهاد من الغنائم وآبار النفط والآثار وتبرعات رجال الأعمال ودعم الدول وفدية الأسارى والضرائب و... ورغم أن كنز كثير من الأمراء للأموال جعل كثيرا منها يؤول في النهاية للخارج أو قطاع الطرق أو الدول المتربصة أو اللصوص المتسلقين على الثورة والجهاد...، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

إن تلك المعاملة تؤدي غالبا لفتور المجاهد في جهاده، أو لحقده على أميره، أو لسرقته المال العام، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

فهل يتوب كانوا مال الجهاد؟

هلموا إلى تحكيم الشريعة

نداءً إلى أهل الحِلِّ والعقد، وحركة حماس، وعموم المسلمين في غزّة العزّة!

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وبعد، فيا أَحِبَّتِنَا فِي أَرْضِ غَزَّةِ الْحَبِيبَةِ، أَرْضِ الرِّبَاطِ وَالْجِهَادِ، فِي أَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ

الذي بَارَكَ اللهُ حَوْلَهُ:

هنيئًا لكم وبشرى، لقد اجتاحتكم عواصفٌ وزلازلٌ تهزُّ الجبال الرواسي، وانتابتكم

خطوبٌ فوق خطوب، ولكن هيهات هيهات أن تُوهنَ تلك المحنُ عزائمَ الصابرين! الذين

استشعروا عظمة الله وصدق وعده؛ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ

مَعَ الصَّابِرِينَ * وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ *

وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ

الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ

صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٣-١٥٧].

وهيهات هيهات أن تُفَتَّتَ تلك المؤامراتُ في عَضُدِ مَنْ اسْتَجَابَ لِأَمْرِ اللَّهِ! فلم يَهِنَ، ولم

يُحْزَنُ، متدبرًا عظيمَ النِّعمِ، ووفيرَ المنح التي تُسَدِّدُ مع المحن؛ ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ

الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ

نُذِرُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ

* وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ * أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ

اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩ - ١٤٢].

إخوة الإيمان:

لا يخفى عليكم أن الإسلام دين الله الذي ارتضاه لعباده، وهو استسلامٌ لله - جلَّ وعلا - وانقيادٌ لشريعته، ودخولٌ في الإسلام بكافة شرائعه، خلافاً لسبيل من اتبع الشيطان الرجيم، وآمن ببعض الكتاب، وكفر ببعض؛ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

ولا يخفى عليكم أن من ركائز دين الإسلام تطبيق شريعته، والاستسلام لحكمه؛ ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠]، ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء: ١٠٥].

وقد نهي الله - جلَّ وعلا - المؤمنين عن اتباع أهواء المنافقين الذين يُريدون فتنتهم عن بعض ما أنزل الله، ووضَّح حالهم؛ قال - تعالى - : ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ * أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٤٩ - ٥٠].

وقال - سبحانه وتعالى - : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا * فَكَيْفَ إِذَا أَصَابْتَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَجْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾ [النساء: ٦٠ - ٦٢].

وحذَّر الله - جلَّ وعلا - المؤمنين من ترك تحكيم الشريعة خشيةً من الناس؛ قال -

تعالى -: ﴿فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَآخِشُوا وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]، وبين أن الكفار يتكون الهدى متعللين بزعم الخوف من الأذى والمحاربة؛ قال - تعالى -: ﴿وَقَالُوا إِنْ نَتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نَتَّخِطْفُ مِنْ أَرْضِنَا﴾ [القصص: ٥٧]، وطمان الله - جلّ وعلا - أهل الإيمان بقوله: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ * وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ﴾ [الزمر: ٣٦، ٣٧].

إنّ الأمر بتحكيم الشّرع والتحذير من خلافه واضح جلي، وهو من مُحكّمات الشريعة الغرّاء، ولا يسوغ تعطيل أحكام الشّرع لشبهه واهية، تخدع العقول بكلام مُنمّق، وفنون من الجدل، وقلب للحقائق، بعيداً عن إحكام نصوص الشّرع؛ ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: ٧]، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١١].

والنوايا الطيبة لا تُصحح العمل الفاسد، ولا تُغيّر حقيقة الفتنّة، وإحسان الظنّ بالمسلمين لا يعني التهاون في ركائز الشّرع، وتقليد الأكاير ليس حكماً على الشّرع؛ بل إنّ الشّرع حكّم على الأقوال والأعمال، ومسايرة القواعد الإداريّة - التي ينادي بها الغرب - ليس حجة في دين الله - جلّ وعلا - وليحذر كل امرئ ترك الاستجابة لأمر الله أن يحول الله بينه وبين قلبه؛ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ * وَادْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤ - ٢٧].

إخواننا المسلمين في حركة حماس:

إنَّ في تحكيم الشَّرْع المطهَّر استجابةً لأمر الله، واعتصامًا بجله، وجمعًا لشتات أهل الخير، وفضحًا للمنافقين، وإغاضةً للكافرين، وبشرى للمسلمين أجمعين، ومعرفةً بقدر الدِّماء التي أُريقَت في شتَّى بقاع الأرض؛ لأنَّها تطالب بتحكيم الشريعة، فهلمُّوا إلى تطبيق شرِّع الله حكمًا عدلاً، واصدُّقوا ما وعدتم، ألسُّم القائلين: "حركة المقاومة الإسلاميَّة: الإسلامُ منهجها، منه تستمدُّ أفكارها ومفاهيمها وتصوراتها عن الكون والحياة والإنسان، وإليه تحتكم في كلِّ تصرُّفاتهما، ومنه تستلهم ترشيدهُ خطاها".

واعلموا أنَّ شرعية الحكم تُستمدُّ من تحكيم الشريعة، والفرقان تميِّز بين سبيل الله وسبيل الشيطان؛ ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١]، ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨].

للتذكير لا لجدال المنبطحين

"كلام أهل العلم في حكم من بدل الشريعة"^١

منذ قرابة عشرين سنة يخرج علينا بين حين وآخر منبطح يحمل همين: أحدهما نفي الكفر عن طواغيت الحكام، والثاني: الصد عن الجماعات الإسلامية التي تتصدى لهؤلاء الطواغيت..، وقد سماهم الناس "مداخلة أو جامية" واتحد معهم في الأعوام الأخيرة مع اختلاف في بعض التفاصيل من يسميهم الناس "البراهمة أو حزب الزور التلفي"..
وجل هؤلاء مرضى نفسيون، وكثير منهم - عياذا بالله - ينتكس بعد فترة من إثارته البلبلة والفتن بين المحيطين به.

وقد أرسل لي أحد الأجياب أن أحد هؤلاء المخذلين في حلب الشهباء حلب الشهداء حلب البطولة والفداء..، يقيم بها تحت البراميل والصواريخ، وهو معتزل الجهاد، يزعم التصفية والتريبة والتخلية والتحلية، ومعركته المصيرية يخوضها ضد شهيد الأمة الشوكة في حلوق المنبطحين الأستاذ سيد قطب عليه سحائب الرحمة والرضوان...

وقد أرسل له هذا المدخلي بعض النقول التي يزعم بها أن الطواغيت الذين بدلوا الشريعة وحكموا بالطاغوت ليسوا كفارا...

*** ورغم أن طواغيت الحكام يكفرون من جل أبواب الكفر والشرك، كفر بالله وبرسوله، وشرك بتحكيم الطاغوت، وموالة الكفار، وحرب الإسلام، وبغض دين الله جل وعلا والاستهزاء به والإعراض عنه، وعبادة غير الله تعالى..، ورغم علمي أن المشكلة مع هؤلاء المساكين ليست في تحقيق أقوال أهل العلم؛ لأن هذا المسكين يعلم أن بشارا الأسد نصيري مرتد يجب جهاده، ومع ذلك لا يجاهد...

ورغم كل ذلك أرسلت للأخ المجاهد الذي سألني عن النقول بعض كلام أهل العلم ليزداد قلبه اطمئنانا وثباتا.

(١) كتبت سنة ١٤٣٦ هـ.

-- قال ابن حزم في الإحكام: "لا خلاف بين اثنين من المسلمين أن هذا منسوخ وأن من حكم بحكم الإنجيل مما لم يأت بالنص عليه وحي في شريعة الإسلام فإنه كافر مشرك خارج عن الإسلام".

-- قال ابن حزم في الفصل: "وقال عز وجل ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُجَلُّونَهُ عَامًا وَيُخَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُؤَاطِقُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾".

قال أبو محمد: وبحكم اللغة التي بها نزل القرآن أن الزيادة في الشيء لا تكون البتة إلا منه لا من غيره فصح أن النسيء كفر وهو عمل من الأعمال وهو تحليل ما حرم الله تعالى فمن أحل ما حرم الله تعالى وهو عالم بأن الله تعالى حرمه فهو كافر بذلك الفعل نفسه".

-- قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى: "فقد وعد الله بنصر من ينصره ونصره هو نصر كتابه ودينه ورسوله؛ لا نصر من يحكم بغير ما أنزل الله ويتكلم بما لا يعلم فإن الحاكم إذا كان ديننا لكنه حكم بغير علم كان من أهل النار وإن كان عالما لكنه حكم بخلاف الحق الذي يعلمه كان من أهل النار وإذا حكم بلا عدل ولا علم كان أولى أن يكون من أهل النار. وهذا إذا حكم في قضية معينة لشخص. وأما إذا حكم حكما عاما في دين المسلمين فجعل الحق باطلا والباطل حقا والسنة بدعة والبدعة سنة والمعروف منكرا والمنكر معروفا ونهى عما أمر الله به ورسوله وأمر بما نهى الله عنه ورسوله: فهذا لون آخر. يحكم فيه رب العالمين وإله المرسلين مالك يوم الدين الذي ﴿لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ﴿الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾".

-- قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى: "نسخ هذه التوراة مبدلة لا يجوز العمل بما فيها، ومن عمل اليوم بشرائعها المبدلة والمنسوخة فهو كافر".

-- قال ابن تيمية في منهاج السنة: "من لم يلتزم تحكيم الله ورسوله فيما شجر بينهم فقد أقسم الله بنفسه أنه لا يؤمن، وأما من كان ملتزما لحكم الله ورسوله باطنا وظاهرا، لكن

عصى واتبع هواه، فهذا بمنزلة أمثاله من العصاة... ومن لم يلتزم حكم الله ورسوله فهو كافر... فالأمور المشتركة بين الأمة لا يحكم فيها إلا الكتاب والسنة، ليس لأحد أن يلزم الناس بقول عالم ولا أمير ولا شيخ ولا ملك... ومن اعتقد أنه يحكم بين الناس بشيء من ذلك، ولا يحكم بينهم بالكتاب والسنة فهو كافر".

-- قال ابن القيم في أحكام أهل الذمة: "وقد جاء القرآن، وصح الإجماع بأن دين الإسلام نسخ كل دين كان قبله، وأن من التزم ما جاءت به التوراة والإنجيل، ولم يتبع القرآن، فإنه كافر".

-- قال ابن كثير في تفسيره: "ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات، التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات والجهالات، مما يضعونها بأرائهم وأهوائهم، وكما يحكم به التتار من السياسات الملكية المأخوذة عن ملكهم جنكز خان، الذي وضع لهم الياسق وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها عن شرائع شتى، من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية، وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه، فصارت في بنيه شرعا متبعا، يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. ومن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله، حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير".

-- قال ابن كثير في البداية والنهاية: "ذكر الجويني نتفا من الياسا من ذلك: أنه من زنا قتل، محصنا كان أو غير محصن، وكذلك من لاط قتل، ومن تعمد الكذب قتل، ومن سحر قتل، ومن تجسس قتل، ومن دخل بين اثنين يختصمان فأعان أحدهما قتل، ومن بال في الماء الواقف قتل، ومن انغمس فيه قتل، ومن أطعم أسيرا أو سقاه أو كساه بغير إذن أهله قتل، ومن وجد هاربا ولم يرده قتل، ومن أطعم أسيرا أو رمى إلى أحد شيئا من المأكول قتل، بل يناوله من يده إلى يده، ومن أطعم أحدا شيئا فليأكل منه أولا ولو كان المطعوم أميرا لا أسيرا، ومن أكل ولم يطعم من عنده قتل، ومن ذبح حيوانا ذبح مثله بل يشق جوفه ويتناول

قلبه بيده يستخرجه من جوفه أولا.

وفي ذلك كله مخالفة لشرائع الله المنزلة على عباده الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فمن ترك الشرع المحكم المنزل على محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة كفر، فكيف بمن تحاكم إلى الياسا وقدمها عليه؟ من فعل ذلك كفر بإجماع المسلمين".

-- قال الشوكاني في رسالة الدواء العاجل: "إنهم يحكمون ويتحاكمون إلى من يعرف الأحكام الطاغوتية في جميع الأمور التي تنوبهم وتعرض لهم من غير إنكار ولا حياء من الله ولا من عباده، ولا يخافون من أحد، بل قد يحكمون بذلك من يقدر على الوصول إليهم من الرعايا ومن كان قريبا منهم، وهذا الأمر معلوم لكل أحد من الناس لا يقدر أحد على إنكاره ودفعه وهو أشهر من نار على علم، ولا شك ولا ريب أن هذا كفر بالله سبحانه وتعالى وبشريعته التي أمر الله بها على لسان رسوله واختارها لعباده في كتابه وعلى لسان رسوله، بل كفروا بجميع الشرائع من لدن آدم عليه السلام إلى الآن، وهؤلاء جهادهم واجب وقتالهم متعين حتى يقبلوا أحكام الإسلام ويدعنوا لها ويحكموا بينهم بالشرعية المطهرة ويخرجوا من جميع ما هم فيه من الطواغيت الشيطانية...".

-- قال الشيخ حمد بن عتيق: "ومثل هؤلاء ما وقع فيه عامة البوادي ومن شابههم من تحكيم عادات آبائهم وما وضعه أوائلهم من الموضوعات الملعونة التي يسمونها شرع الرفاقة يقدمونها على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ومن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله".

-- قال الشيخ محمد حامد الفقي في تعليقه على فتح المجيد: "الحكم بالقوانين الأجنبية عن الإسلام وشرائعه وغيرها من كل ما وضعه الإنسان ليحكم به في الدماء والفروج والأموال، وليبطل بها شرائع الله، من إقامة الحدود وتحريم الربا والزنا والخمر ونحو ذلك، مما أخذت هذه القوانين تحللها وتحميها بنفوذها ومنفذيها. والقوانين نفسها طواغيت، وواضعوها ومروجوها طواغيت. وأمثالها من كل كتاب وضعه العقل البشري ليصرف عن الحق الذي جاء

به رسول الله صلى الله عليه وسلم إما قصداً أو من غير قصد من واضعه، فهو طاغوت".

-- قال الشيخ محمد حامد الفقي في تعليقه على فتح المجيد: "ومثل هذا وشر منه

من اتخذ من كلام الفرنجة قوانين يتحاكم إليها في الدماء والفروج والأموال، ويقدمها على ما علم وتبين له من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. فهو بلا شك كافر مرتد إذا أصر عليها ولم يرجع إلى الحكم بما أنزل الله. ولا ينفعه أي اسم تسمى به، ولا أي عمل من ظواهر أعمال الصلاة والصيام ونحوها".

-- قال الشنقيطي في أضواء البيان: "وبهذه النصوص السماوية التي ذكرنا يظهر غاية

الظهور: أن الذين يتبعون القوانين الوضعية التي شرعها الشيطان على السنة أوليائه مخالفة لما شرعه الله جل وعلا على السنة رسوله صلى الله عليهم وسلم، أنه لا يشك في كفرهم وشركهم إلا من طمس الله بصيرته، وأعماه عن نور الوحي مثلهم".

-- قال الشيخ محمد بن إبراهيم في رسالة تحكيم القوانين: "الخامس: وهو أعظمها

وأشملها وأظهرها معاندة للشرع ومكابرة لأحكامه ومشاقة لله ورسوله ومضاهاة بالمحاكم الشرعية إعداداً وإمداداً وإرصاداً وتأصيلاً وتفريعاً وتشكيلاً وتنوعاً وحكماً وإلزاماً ومراجع ومستندات، فكما أن للمحاكم الشرعية مراجع مستمدات، مرجعها كلها إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فهذه المحاكم مراجع هي القانون الملقق من شرائع شتى وقوانين كثيرة؛ كالقانون الفرنسي والقانون الأمريكي والقانون البريطاني، وغيرها من القوانين ومن مذاهب بعض البدعيين المنتسبين للشيعة وغير ذلك، فهذه المحاكم الآن في كثير من أمصار الإسلام مهياةً مكملة مفتوحة الأبواب والناس إليها أسراب إثر أسراب، يحكم حاكمها بينهم بما يخالف حكم السنة والكتاب من أحكام ذلك القانون، وتلزمهم به وتقرهم عليه وتحتمه عليهم، فأبي كفر فوق هذا الكفر؟ وأي مناقضة لشهادة أن محمداً رسول الله بعد هذه المناقضة؟!...".

-- قال الشيخ عبد الرزاق عفيفي في رسالة الحكم بغير ما أنزل الله: "من كان

منتسباً للإسلام؛ عالماً بأحكامه، ثم وضع للناس أحكاماً، وهياً لهم نظاماً؛ ليعلموا بها

ويتحاكموا إليها؛ وهو يعلم أنها تخالف أحكام الإسلام؛ فهو كافر، خارج من ملة الإسلام. وكذا الحكم فيمن أمر بتشكيل لجنة أو لجان لذلك، ومن أمر الناس بالتحاكم إلى تلك النظم والقوانين أو حملهم على التحاكم إليها وهو يعلم أنها مخالفة لشريعة الإسلام. وكذا من يتولى الحكم بها، وطبقها في القضايا، ومن أطاعهم في التحاكم إليها باختياره، مع علمه بمخالفتها للإسلام فجميع هؤلاء شركاء في الإعراض عن حكم الله لكن بعضهم يضع تشريعا يضاهاى به تشريع الإسلام ويناقضه على علم منه وبينه، وبعضهم يأمر بتطبيقه، أو يحمل الأمة على العمل به، أو ولي الحكم به بين الناس أو نفذ الحكم بمقتضاه، وبعضهم يأمر بطاعة الولاة والرضا بما شرعوا لهم مما لم يأذن به الله ولم ينزل به سلطانا.

فكلهم قد اتبع هواه بغير هدى من الله، وصدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه، وكانوا شركاء في الزيغ؛ والإلحاد، والكفر، ولا ينفعهم علمهم بشرع الله، واعتقادهم ما فيه، مع إعراضهم عنه، وتجاهيفهم لأحكامه، بتشريع من عند أنفسهم، وتطبيقه، والتحاكم إليه؛ كما لم ينفع إبليس علمه بالحق، واعتقاده إياه، مع إعراضه عنه، وعدم الاستسلام والانقياد إليه، وبهذا قد اتخذوا هواهم إلهًا".

-- قال الشيخ ابن باز في نقض القومية العربية: "إن القوميين غير المسلمين لن يرضوا تحكيم القرآن، فيوجب ذلك لزعماء القومية أن يتخذوا أحكاما وضعية تخالف حكم القرآن حتى يستوي مجتمع القومية في تلك الأحكام، وقد صرح الكثير منهم بذلك كما سلف، وهذا هو الفساد العظيم، والكفر المستبين والردة السافرة، كما قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.. وكل دولة لا تحكم بشرع الله، ولا تنصاع لحكم الله ولا ترضاه فهي دولة جاهلية كافرة ظالمة فاسقة بنص هذه الآيات المحكمات، يجب على أهل الإسلام بغضها ومعاداتها في الله، وتحرم عليهم مودتها ومولاتها حتى تؤمن بالله وحده وتحكم شريعته وترضى بذلك لها وعليها".

-- قال الشيخ ابن عثيمين في كتاب **فقه العبادات**: "أن يبطل حكم الله ليحل محله حكم آخر طاغوتي، بحيث يلغي الحكم بالشرعية بين الناس، ويجعل بدله حكم آخر من وضع البشر، كالذين ينحون الأحكام الشرعية في المعاملة بين الناس، ويحلون محلها القوانين الوضعية، فهذا لا شك أنه استبدال بشرية الله سبحانه وتعالى غيرها، وهو كفر مخرج عن الملة، لأن هذا جعل نفسه بمنزلة الخالق، حيث شرع لعباد الله ما لم يأذن به الله، بل ما خالف حكم الله عز وجل، وجعله هو الحكم الفاصل بين الخلق، وقد سمي الله تعالى ذلك شركاً في قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾".

-- قال الشيخ صالح الفوزان: "وقال الشيخ محمد بن إبراهيم: (وأما الذي قيل فيه أنه كفر دون كفر، إذا حاكم إلى غير الله مع اعتقاد أنه عاص، وأن حكم الله هو الحق، فهذا الذي يصدر منه المرة ونحوها. أما الذي جعل قوانين بترتيب وتخضع، فهو كفر، وإن قالوا: أخطأنا وحكم الشرع أعدل؛ فهذا كفر ناقل عن الملة) ففرق رحمه الله بين الحكم الجزئي الذي لا يتكرر، وبين الحكم العام الذي هو المرجع في جميع الأحكام، أو غالبها، وقرر أن هذا الكفر ناقل عن الملة مطلقاً؛ وذلك لأن من نحى الشرعية الإسلامية، وجعل القانون الوضعي بديلاً منها فهذا دليل على أنه يرى أن القانون أحسن وأصلح من الشرعية، وهذا لا شك أنه كفر أكبر يخرج من الملة ويناقض التوحيد".

موالاة الكفار بنصرتهم في القتال ضد المسلمين ردة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.. وبعد؛
ففي زمن الغربة تنقض عرى الإسلام عروة عروة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.
ومن البلايا التي تظهر في تلك الأزمنة موالاة الكفار ونصرتهم على المسلمين، والاستهانة
واللامبالاة بذلك.

ولأهمية هذه القضية كانت هذه المقالة التي تدور حول المحاور التالية:
أولاً: التنبيه على الخلط الحاصل في بعض مسائل الموالاة.
ثانياً: الإشارة إلى بعض الأدلة التي تدل على كفر من ناصر الكفار على المسلمين
بالقتال.

ثالثاً: بعض نصوص العلماء في كفر من ناصر الكفار على المسلمين بالقتال.
رابعاً: بعض نصوص العلماء في التكفير بما دون المناصرة المذكورة.

- * أولاً: التنبيه على الخلط الحاصل في بعض مسائل الموالاة.
- يخلط بعض الباحثين بين صور الموالاة؛ حيث:
- أ- يتم الخلط بين قضية الجاسوس وقضية المقاتل في صفوف الكفار.
 - ب- يتم الخلط بين نصرتهم على كافر ونصرتهم على مسلم.
 - ج- يتم الخلط بين أن يعين الكافر المسلم على ما عند المسلم من حق، وأن يعين المسلم الكافر على ما عند الكافر من باطل.
 - د- يتم الخلط بين نصرة صاحب الكفر الخفي وصاحب الكفر الجلي.
 - هـ- يتم الخلط بين النصرة الظاهرة والنصرة الخفية.
 - و- يتم الخلط بين الحكم العام وحكم المعين.

= وحتى لا يتشعب الأمر فالصورة التي نتحدث عنها هي الحكم العام لصورة الموالاة الظاهرة بإعانة المشركين بالقتال في صفوفهم ضد الموحيدين..

* ثانيا: الإشارة إلى بعض الأدلة التي تدل على كفر من ناصر الكفار على المسلمين بالقتال.

أ- الأدلة الكثيرة في حكم تولى الكفار، كقوله تعالى: ﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾، وقوله جل وعلا: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنْ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ومعلوم أن النصرة من أبرز معاني الموالاة قال الجوهري في الصحاح: "الولاية: النصرة. يقال: هم على ولاية، أي مجتمعون في النصرة"، وقال ابن منظور في لسان العرب: ﴿إِنَّمَا يَنْهَأكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَتَوَلَّوهُمْ﴾، أي تنصروهم، يعني أهل مكة، قال أبو منصور: جعل التولي هاهنا بمعنى النصر من الولي، والمولى وهو الناصر.

ب- قوله تعالى: ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾، وقد ذكر الأزهري في تهذيب اللغة والزيدي في تاج العروس في تفسير هذه الآية: "أي مظاهرا لأعداء الله تعالى".

ت- حكم الله جل وعلا بالنفاق الأكبر على من وعد بنصر الكفار في قوله تعالى: ﴿لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾.

ث- ما وقع لمن قاتل مع كفار قريش في بدر، فروى البخاري عن ابن عباس رضي الله

عنهما، أن أناسا من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سواد المشركين على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيأتي السهم فيرمى فيصيب أحدهم فيقتله أو يضربه فيقتله، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾..

وروى أحمد أن العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم لما أسره المسلمون يوم بدر، قال للنبي صلى الله عليه وسلم: «قد كنت مسلما قبل ذلك وإنما استكروني، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: الله أعلم بشأنك إن يك ما تدعي حقا فالله يجزيك بذلك، وأما ظاهر أمرك فقد كان علينا، فافد نفسك».

* ثالثا: بعض نصوص العلماء في كفر من ناصر الكفار على المسلمين بالقتال.

هذه بعض نصوص العلماء -من غير علماء المدرسة النجدية- الصريحة في حكم من نصر الكفار على المسلمين بالقتال:

١- قال ابن جرير في تفسيره: "من تولاهم ونصرهم على المؤمنين فهو من أهل دينهم وملتهم فإنه لا يتولى متولا أحداً إلا وهو به وبدينه وما هو عليه راض، وإذا رضي به ورضي دينه فقد عادى ما خالفه وسخطه وصار حكمه حكمه".

٢- قال ابن حزم في المحلى: "من لحق بدار الكفر والحرب مختاراً محاربا لمن يليه من المسلمين، فهو بهذا الفعل مرتد له أحكام المرتد كلها: من وجوب القتل عليه، متى قدر عليه، ومن إباحة ماله، وانفساخ نكاحه، وغير ذلك...، فإن كان هناك محاربا للمسلمين معيناً للكفار بخدمة، أو كتابة: فهو كافر...، وأما من حملته الحمية من أهل الثغر من المسلمين فاستعان بالمشركين الحربيين، وأطلق أيديهم على قتل من خالفه من المسلمين، أو على أخذ أموالهم، أو سبيهم، فإن كانت يده هي الغالبة وكان الكفار له كأتباع، فهو هالك في غاية الفسوق، ولا يكون بذلك كافرا؛ لأنه لم يأت شيئا أوجب به عليه كفرا: قرآن أو إجماع، وإن كان حكم الكفار جاريا عليه فهو بذلك كافر على ما ذكرنا".

٣- قال ابن مفلح في الفروع: "ونقل عنه الميموني أمر هذا الكافر بابك لعنه الله ليس

كغيره، سبي النساء المؤمنات فوقعوا عليهن فحملن، فالولد تبع لأمه، كذا حكم الإسلام، ثم خرج إلينا يحاربنا وهو مقيم في دار الشرك، أي شيء حكمه؟ إذا كان هكذا فحكمه حكم الارتداد".

٤- قال ابن تيمية في الفتاوى: "العصاة التي بالشام ومصر في هذا الوقت هم كتيبة الإسلام وعزهم عز الإسلام وذلمهم ذل الإسلام. فلو استولى عليهم التتار لم يبق للإسلام عز ولا كلمة عالية ولا طائفة ظاهرة عالية يخافها أهل الأرض تقاتل منه. فمن قفز عنهم إلى التتار كان أحق بالقتال من كثير من التتار؛ فإن التتار فيهم المكره وغير المكره وقد استقرت السنة بأن عقوبة المرتد أعظم من عقوبة الكافر الأصلي من وجوه متعددة".

٥- قال التسولي في أجوبته عن مسائل الأمير عبد القادر في الجهاد: "سُئِلَ الإمام سيدي أحمد بن زكري: عن قبائل من العرب امتزجت أمورهم مع النصارى، وصارت بينهم محبة، حتى أنّ المسلمين: إذا أرادوا الغزو، أخبر هؤلاء القبائل النصارى، فلا يجدهم المسلمون إلاّ متحذرين متهيّبين، والفرض أنّ المسلمين لا يتوصّلون إلى الجهاد إلاّ من بلاد هؤلاء القبائل وربما قاتلوا المسلمين مع النصارى.

ما حكم الله في دمائهم، وأموالهم؟ وهل ينفون من البلاد؟ وكيف إنّ أبوا من النفي إلاّ بالقتال؟.

فأجاب رحمه الله بقوله ما نصّه: ما وصف به القوم المذكورون: يوجب قتالهم كالكفار الذين تولّوهم، ومن يتولّ الكفار فهو منهم".

٦- قال الزمخشري في تفسيره: "ولكن نصر المنافقون اليهود لينهزم المنافقون ثم لا ينصرون بعد ذلك، أى: يهلكهم الله تعالى ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم".

٧- قال الرازي في تفسيره: "فأما قوله: ثم لا ينصرون ففيه وجهان: الأول: أنه راجع إلى المنافقين يعني لينهزم المنافقون، ثم لا ينصرون بعد ذلك أي يهلكهم الله، ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم".

٨- قال النسفي في تفسيره: "ولكن نصر المنافقون اليهود لينهزم المنافقون ثم لا ينصرون

بعد ذلك أي يهلكهم الله ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم".

٩- قال أبو الفداء الإستانبولي في تفسيره: "ثم لا ينصرون أي المنافقون بعد ذلك أي

يهلكهم الله ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم بنصرهم اليهود".

١٠- قال الألوسي في تفسيره: "ولئن نصرهم على سبيل الفرض والتقدير ليولن أي

المنافقون الأدبار فرارا ثم لا ينصرون بعد ذلك أي يهلكهم الله تعالى ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم".

١١- قال الخازن في تفسيره: "من يتولى اليهود والنصارى دون المؤمنين فينصرهم على

المؤمنين فهو من أهل دينهم وملتهم؛ لأنه لا يتولى مولى إلا وهو راض به وبدينه وإذا رضيه ورضي دينه صار منهم".

١٢- قال أبو العباس السلاوي في الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: "كان من

خير هذه الغزوة أن السلطان المخلوع أبا عبد الله محمد بن عبد الله السعدي لما دخل طنجة قصد طاغية البرتغال... وشكا إليه ما ناله من عمه أبي مروان المعتصم بالله وطلب منه الإعانة عليه كي يسترجع ملكه وينزع منه حقه فأشكاه الطاغية ولي دعوته..، وكان محمد بن عبد الله المذكور قد كتب عند خروجه بجيش البرتغال إلى بلاد الإسلام رسالة بعث بها إلى أعيان المغرب من علمائه وأشرفه وذوي رأيه يغمض عليهم بها في نكث بيعته ونقضها ومبايعة عمه من غير موجب شرعي وقال لهم ما استصرخت بالنصارى حتى عدت النصره من المسلمين وقد قال العلماء أنه يجوز للإنسان أن يستعين على من غصبه حقه بكل ما أمكنه وتهددهم فيها وأبرق وأرعد وقال فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله... فأجابه علماء الإسلام رضوان الله عليهم عن رسالته تلك برسالة دامغة لجيش أباطيله وفاضحة لركيك تأويله وهذا نص جواب تلك الرسالة حرفا حرفا... وهذا كله بالنظر إلى ما كان من حديثك قبل التحزب مع عدو الدين والأخذ في التخليط العظيم على المسلمين فإنك اتفقت معهم على دخول أصيلا وأعطيتهم بلاد الإسلام فيالله ويا لرسوله لهذه المصيبة التي أحدثتها وعلى المسلمين فتقتها ولكن الله تعالى لك ولهم بالمرصاد ثم لم تتمالك أن ألقيت بنفسك

إليهم ورضيت بجوارهم وموالاتهم كأنك ما طرق سمعك قول الله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ قال أبو حيان رحمه الله: أي لا تنصروهم ولا تستنصروا بهم، وفي كتاب القضاء من نوازل الإمام البرزلي رحمه الله أن أمير المسلمين يوسف بن تاشفين اللمتوني رحمه الله استفتى علماء زمانه رضي الله عنهم وهم ما هم في استنصار ابن عباد الأندلسي بالكتابة إلى الإفرنج على أن يعينوه على المسلمين فأجابه جلهم رضي الله عنهم بردته وكفره فتأمل هذا مع قضيتك تجدها أحرورية مناسبة لقضية ابن عباد في عقدها ابتداء وأنه متى طرأ الكفر وجب العزل وناهيك بقول النبي صلى الله عليه وسلم عليكم بالسمع والطاعة وبما أفتى العلماء رضوان الله عليهم بردة من استنصر بالنصارى على المسلمين فهو نص جلي في وجوب خلعتك وسقوط بيعتك... وكيف لا تنظر لقضايا تلمسان وتونس وغيرها من سائر البلدان وكيف وقع لأمرائهم المستنصرين بالكفار على المسلمين هل حصلوا على شيء مما قصدوه أو بلغوا شيئاً مما أملوه على أن أكثر العلماء حكموا بردتهم ففاتهم الدنيا والآخرة والعياذ بالله... انتهت الرسالة.... وبحث في القتلى عن محمد بن عبد الله المستصرخ بهم والقائد لهم إلى مصارعهم فوجد غريقاً في وادي المخازن... فاستخرجه الغواصون وسلخ وحشي جلده تبنا وطيف به في مراکش وغيرها من البلاد".

١٣- قال عليش في فتح العلي المالك: "ما قولكم في إقليم من المسلمين هجم الكافر العدو على بلادهم وأخذها وتملك بها وبقيت جبال في طرف الإقليم المذكور لم يصلها، ولم يقدر عليها وهي محروسة بأهلها وهاجر إليها بعض أهل الإقليم المذكور بالأهل والمال والولد وبقي من بقي تحت حكم الكافر وفي رعيته، وضرب عليهم خراجاً يشبه الجزية المعلومة يأخذها منهم، وفيمن هاجر بعض من العلماء وفيمن بقي بعض كذلك فصار التشاجر بين فريقين العلماء، فمن هاجر مع المسلمين إلى الجبال المذكورة يقول: الهجرة واجبة ويفتي بأن من بقي تحت الكافر من المسلمين مع القدرة على الهجرة يباح دمه وماله وسبي أهله وذريته مستدلاً بهذا القائل بأن من بقي معه صار معيناً له على قتال المسلمين ونهب أموالهم وساعياً

في غلبة الكافر عليهم...

الصورة الأولى الممثل بها عندهم طراً للإسلام فيها على الإقامة والصورة الثانية الملحقة بها المسئول عنها طرأت الإقامة فيها على الإسلام واختلاف الطرو فرق صوري، وهو غير معتبر في استدعاء نص الحكم عليه وانتهائه إليه، وإنما خص من تقدم من أئمة الهدى المقتدى بهم الكلام بصورة من أسلم، ولم يهاجر؛ لأن هذه الموالاة الشركية كانت مفقودة في صدر الإسلام وعزته، ولم تحدث على ما قيل إلا بعد مضي مئتين من السنين وبعد انقراض أئمة الإسلام المجتهدين فلذلك لم يتعرض لأحكامها الفقهية أحد منهم، وإنما نبغت هذه الموالاة النصرانية في المائة الخامسة وبعدها من تاريخ الهجرة وقت استيلاء ملاعين النصارى دمرهم الله تعالى على جزيرة صقلية وبعض كور الأندلس".

١٤ - قال الونشريسي في أسنى المتاجر: "الجهاد لإعلاء كلمة الحق ومحو الكفر من قواعد الأعمال الإسلامية وهو فرض على الكفاية وعند ميسس الحاجة ولا سيما بمواضع هذه الإقامة المسئول عنها وما يجاورها ثم هم... مقتحمون نقيضه بمعونة أوليائهم على المسلمين إما بالنفوس وإما بالأموال فيصيرون حربيين مع المشركين وحسبك بهذه مناقضة وضلالة".

١٥ - قال الوزاني في النوازل الصغرى: "وسئل الفقيه أبو الحسن علي بن عبد الله الأنصاري عن أناس سكنوا بأوطانهم، والنصارى يجاورونهم... فأجاب:... وأما إن أشهر السلاح مع النصارى ويأتي في عسكرهم، فهذا القسم قد مرق من الدين، فحكمه حكم النصارى في دمه وماله".

- ونقل الوزاني كذلك في النوازل الكبرى جواب أهل العصر فيمن يدخل تحت حماية الغربيين جاء فيه: "إن الذين في الحمية قد جمعوا أموراً شنيعة وقبائح فظيعة منها ما هو محرم ومنها ما هو كفر، فمن الأول خروجهم عن طاعة السلطان...، ومن الثاني استنصارهم بهم على إمام المسلمين وتمنيهم كون الغلبة لهم عليه، وإيثارهم قوانينهم على القواعد الشرعية، واستحلالهم موالاة أعداء الدين معتذرين بقولهم: إنما فعلت ذلك صيانة لعرضي ومالي

وغيرهما، وذلك لا ينفع، وتصريحهم بالنسبة إليه على وجه الافتخار، يقول أحدهم هو إفرنسيسي وهو إنجليزي، فلا جرم أنهم بذلك مرتدون وعن الإسلام خارجون..، وقد يوجد فيهم أفراد ليس فيهم ما يقتضي الكفر لا يقصدون الاستنصار بهم على المسلمين".

* رابعاً: بعض نصوص العلماء في التكفير بما دون المناصرة المذكورة.

نص العلماء على كفر فاعل كثير من الجرائم مع أنها أقل كفراً من جريمة المناصرة بالقتال ضد المسلمين، ومن ذلك:

١- نص العلماء على كفر من أتى بقول أو فعل فيه استهزاء بالدين، قال البهوتي في الروض المربع عن نواقض الإسلام: "أو أتى بقول أو فعل صريح في الاستهزاء بالدين" فإذا كان المستهزئ بالصلاة أو الجهاد كافراً فكيف بمن حارب هذه الأشياء!!.

٢- ونصوا كذلك على كفر من رضي بالكفر ولو ضمناً، قال النووي في روضة الطالبين: "والرضا بالكفر كفر حتى لو سأله كافر يريد الإسلام أن يلقيه كلمة التوحيد فلم يفعل.. فهو كافر".

وقال الهيثمي في الإعلام بقواطع الإسلام: "ومن المكفرات أيضاً أن يرضى بالكفر ولو ضمناً، كأن يسأله كافر يريد الإسلام أن يلقيه كلمة الإسلام فلا يفعل".

وقال ابن عابدين في حاشيته: "عن الإمام القرافي أنه أفتى بأنه لا يعاد ما انهدم من الكنائس وأن من ساعد على ذلك فهو راض بالكفر والرضا بالكفر كفر".

ونقل الوزاني في النوازل الكبرى عن الونشريسي قوله: "الدعاء للملاعين الكفرة أبعدهم الله بالبقاء وطول المدى فالظاهر أن ذلك علم على ردة الداعي وإلحاده وفساد سيرته واعتقاده لما تضمنه من الرضى بالكفر، والرضى بالكفر كفر".

ليس من يقاتل المسلمين مع الذين ﴿إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾ أولى بأن يوصف بالرضا بالكفر من هذه الصور المذكورة.

٣- ونصوا كذلك على كفر من فعل أمرا لا يصدر إلا من كافر، قال القاضي عياض في الشفا: "نكفر بكل فعل أجمع المسلمون أنه لا يصدر إلا من كافر وإن كان صاحبه مصرحا بالإسلام مع فعله ذلك الفعل...، والسعي إلى الكنائس والبيع مع أهلها، والتزبي بزيهم من شد الزناير وفحص الرؤوس، فقد أجمع المسلمون أن هذا لا يوجد إلا من كافر، وأن هذه الأفعال علامة على الكفر وإن صرح فاعلها بالإسلام" فإذا كان من سعى مع الكافرين إلى كنائسهم كافرا فكيف بمن سعى معهم في هدمهم للمساجد وتحكيمهم للطاغوت وتقتيلهم للمسلمين وانتهاكهم للأعراض!.

نسأل الله الهداية والتوفيق.

الموقف من القانون العربي الموحد^١

من المآسي التي حلت بسوريا أنها تحولت لساحة دولية مفتوحة للتجارب؛ تجارب عسكرية وفكرية وتجارية وأمنية ومنهجية وقضائية...

وفي هذه الدوامة المتكررة من التجارب ظهرت في حلب الدعوة لاعتماد القانون العربي الموحد بتعديلاته؛ بدعوى أنه مستمد من الشريعة الإسلامية وبه نصوص عن الحدود وسيتم تعديل النصوص التي تناقض الإسلام.

وأمام هذه القضية نوضح التالي:

١- توقيت الإعلان:

ظهر الإلحاح في طرح هذه القضية في مرحلة حرجة من مراحل الجهاد الشامي متزامنة مع عدة ملاحظات تثير الريبة مثل: القضاء على الهيئة الشرعية الرئيسية بحلب، والانتشار المفاجئ لحواجز الشرطة الحرة، وكثرة الملصقات التي تدعو لحرية المعتقدات والأفكار في شوارع حلب، وإزالة كثير من لوحات حزب التحرير التي تحذر من المشروع الغربي، ومبادرة ديمستورا لتجميد القتال في حلب، والإعلان في عواصم عربية عن مشروع القانون العربي الموحد لمكافحة الإرهاب.. مما يدل بوضوح على أن للقضية ما قبلها وما بعدها.

٢- من التقنين إلى القانون:

يقوم البعض بذكر مقدمات طويلة، يصل فيها ويجول، ويحاول أن يدلل وأن يرد، ثم تأتي الخاتمة بنتيجة غير التي جادل وناقح من أجلها، وغالبًا ما تستخدم هذه الطريقة لكسر حاجز المعارضة لأمر ما، وعندما يبدو أن الحاجز قد كُسر، وتُهيأ الواقع للأمر، تأتي نتائج لا تتعلق بالمقدمات بقدر تعلقها بحالة الانقياد التي يحاول البعض إيصال الأمة لها؛ ولهذا الطريقة أمثلة كثيرة منها الجدل في حكم التوسل والتبرك بالصلحين لتكون النتيجة عبادتهم من دون الله جل وعلا، وكذا الجدل في تسويق ما يسمونه ديمقراطية إسلامية لتكون النتيجة الحكم بالطاغوت،

(١) كتبت سنة ١٤٣٦ هـ.

ومنها الحديث عن استعانة المسلم بالكافر في الجهاد لتكون النتيجة إعانة المسلم للكافر في الصد عن سبيل الله تعالى، ومنها هنا النقاش الطويل حول تقنين الشريعة لتكون النتيجة هي تطبيق القانون العربي الموحد، وصدق الشيخ رفاعي سرور رحمه الله إذ نبه لهذه الآفة فقال في كتاب التصور السياسي للحركة الإسلامية: "الخط الأساسي لمعركة المصطلحات هو تفرغ التصور الإسلامي من مضمونه العقدي الصحيح؛ فالمصطلح الشرعي الصحيح الحاكمة يتحول إلى مصطلح تقنين الشريعة الذي تحول بدوره إلى تنقية القوانين!" فتعميم تقنين الشريعة خطأ، وعلى فرض صحة الحاجة له فلا يعني هذا قط مجرد تنقية القوانين الطاغوتية وتزيينها كما هو حال القانون العربي الموحد.

٣- الانحرافات العقدية:

يجوي القانون العربي الموحد العديد من الموبات العقدية التي تناقض الإسلام؛ ومن ذلك:

أ- تعطيل إقامة العقوبات الشرعية على من هم دون سن الثامنة عشرة:

وهذا خلاف الإجماع؛ إذ للبلوغ علامات متى ما توفر بعضها كان المرء مكلفا تجري عليه أحكام العقوبات الشرعية، ينص قانون الأحداث على أن: "الحدث المنحرف هو من أتم السابعة من عمره ولم يتم الثامنة عشرة عند ارتكابه فعلا معاقبا عليه.."، "إذا ارتكب الحدث الذي أتم الخامسة عشرة ولم يجاوز الثامنة عشرة من عمره إحدى الجنايات فيحكم على النحو التالي: ١- إذا كانت الجريمة من الجنايات المستحقة عقوبة الإعدام يحبس من ست سنوات إلى اثني عشرة سنة..".

ب- تعطيل إقامة الحكم الشرعي مراعاة لحكم المحاكم الطاغوتية:

يضع القانون استثناءات تمنع من محاكمة بعض المجرمين مراعاة للمحاكم الطاغوتية، جاء في القانون العربي للجرائم التي تدخل في اختصاص المحكمة الجنائية الدولية، المادة الخامسة: "لا يجوز محاكمة أي شخص عن وقائع شكلت الأساس القانوني لأي من الجرائم المنصوص عليها في هذا القانون صدر بشأنها حكم نهائي بالبراءة أو الإدانة من المحكمة الجنائية الدولية".

وفي القانون الجنائي المادة الحادية عشرة: "يسري القانون الجنائي العربي الموحد على كل من يوجد في إقليم إحدى الدول العربية من مواطنين وأجانب وعديمي الجنسية مع مراعاة

الاستثناءات المقررة في القانون العام الداخلي أو الدولي".

وفي المادة الحادية عشرة: "في حالة وجود عدة قوانين سارية المفعول بين تاريخ ارتكاب الجريمة والحكم النهائي بشأنها يتعين تطبيق القانون الأصلح للمتهم".

ت- مساعدة الكافرين على كفرهم:

العلاقة بين العقيدة الإسلامية وغيرها من العقائد هي العلاقة بين الإيمان والكفر والحق والباطل، وهي علاقة العداوة التامة الكاملة، أما القانون العربي الموحد فيعتبر للعقائد الكفرية حقاً مكفولاً تساعد الدولة أصحابها على تعلمها، جاء في قانون تنظيم السجون المادة ٢٤: "تعمل إدارة السجن على غرس التهذيب الديني والخلقي في نفوس نزلاء السجن وتوفير أماكن العبادة لأداء الشعائر الدينية".

وفي المادة ٣٠: "يكون لكل سجن واعظ ديني أو أكثر لترغيب المسجونين في الفضيلة وحثهم على الاستقامة والصلاح وعلى أداء الفرائض الدينية".

وفي قانون الإجراءات الجزائية، المادة ٣٢٤: "لأقارب المحكوم عليه بالإعدام أن يقابله في اليوم الذي يعين لتنفيذ الحكم على أن يكون بعيداً عن محل التنفيذ، وإذا طلب المحكوم عليه مقابلة واعظ المنشأة العقابية أو أحد رجال دينه قبل التنفيذ وجب إجراء التسهيلات اللازمة لتمكينه من ذلك".

وفي القانون الجزائي، المادة ٢٤٦: "يعاقب بالحبس مدة لا تقل عن سنة كل من ارتكب عملاً من شأنه المس بجرية العبادة أو ممارسة شعائرها".

٤- الغلو في الأحكام:

وذلك بوضع عقوبات تعزيرية شديدة بصورة تبدو ناشزة عن الحدود والعقوبات الشرعية، امتثالاً لأصول فاسدة بنيت عليها القوانين الوضعية، ومن أمثلة ذلك في قانون العقوبات: "١٩٥- الاعتداء على شخص رئيس الدولة الذي لا ينتج عنه مساس بحريته ولا يسبب له إراقة دم يعاقب عليه بالسجن المؤبد".

"٢٩١- من تعمد قتل موظف أثناء تأدية وظيفته يعاقب بالإعدام".

"٣٩٥- يعاقب بالسجن المؤبد على القتل العمد... إذا وقع على قاصر دون الخامسة

عشرة".

"٤٠٤- إذا كان الجرح أو الضرب أو غيرها من وسائل الإيذاء أو العنف قد ارتكب عمدا ودون نية القتل وترتب عنه الموت فإن العقوبة تكون السجن مدة لا تزيد عن خمسة عشرة سنة".

"٤٧٧- من عرض للخطر أو ترك طفلا أو عاجزا لا يستطيع حماية نفسه بسبب حالته الجسمية أو العقلية في مكان خال من الناس أو حمل غيره على ذلك يعاقب بالحبس من سنة إلى ثلاث سنوات".

"٥٩٠- من أوقد النار عمدا في مبنى أو بيت أو مسكن أو خيمة .. سواء كان مملوكا له أو لغيره يعاقب بالسجن المؤبد.. ٥٩٤- إذا ترتب عن الحريق العمد موت شخص أو أكثر فإن مرتكب الحريق يعاقب بالإعدام".

"٦٠٠- من سمم دابة من دواب الركوب أو الحمل أو الجر أو من البقر أو الغنم أو الماعز أو غيرها من أنواع الماشية ... يعاقب بالحبس لمدة لا تقل عن سنة وبالغرامة".

= ولا يخفى أن هذا الغلو في الأحكام يكون فقط فيما يتمشى مع المنفعة الشخصية والتسلط الحكومي، أما إذا تعلق الأمر بحفظ الدين والأخلاق فلا يكاد القانون يعتني بهذه الأمور، ونرى التساهل التام؛ ومن أمثلة ذلك هذا النص في قانون العقوبات: "٤٩٤- لا يلاحق الخاطف إذا تزوج بالقاصرة المختطفة بعد موافقة وليها على هذا الزواج وإذا سبق أن صدر حكم في القضية أوقف تنفيذه...، ٥١٦- يعاقب بالحبس من ستة أشهر إلى ثلاث سنوات... استخدم أو استدرج أو رعى شخصا قاصرا أو بالغاً بقصد ممارسة البغاء".

٥- الانفصام عن الواقع:

القانون العربي الموحد عبارة عن قانون جامد وضع في زمان ومكان وبيئة تحالف الواقع الذي نعيشه في سوريا زمن جهاد الدفع، ومن ذلك:

أ- تعقيد الإجراءات القضائية:

لا يخفى طول إجراءات التقاضي في الدول التي تطبق مثل هذا القانون، والتعقيد الإداري وتنازع المحاكم، مما يجعل أقل قضية تحتاج أعواما طويلة بل وعشرات الأعوام في كثير من

الأحياء، ويضع الناس بين المحاكم المختصة والاختصاص المكاني وإجراءات المحاكمة؛ فتهدر الحقوق بين النيابة العامة ومحكمة الجنايات ومحكمة الجنائيات..، والاعتراض والاستئناف والنقض وإعادة النظر..

ب- اعتبار القانون وجود سلطة داخلية موحدة مستقرة:

فهو يعلق كثيرا من الأحكام على وجود دولة وحكومة تدير الداخل، مغفلا حقيقة انعدام هذه السلطة وقيام كثير من الكيانات بملء فراغ السلطة وتعدد الهيئات القضائية، واعتراف كل فصيل ببعض المحاكم وعدم الاعتراف ببعضها، ومن أمثلة ذلك: " - يعاقب بالسجن المؤبد... من قام بدون أمر أو إذن من السلطة الشرعية بتأليف فرق مسلحة، أو أمر بتأليفها، أو قام باستخدام أو تجنيد جنود، أو أمر بذلك، أو أمدهم أو زودهم بأسلحة أو ذخائر."

ت- جهل الوضع الجهادي والاجتماعي:

بحيث يفرض القانون نصوصا تتعارض مع مراعاة الواقع الجهادي والاجتماعي، مثل: - "يعاقب بالإعدام أو بالسجن المؤبد أو الحبس كل من... ١٨/١ قتل أو أصاب مقاتلا ألقى سلاحه أو لم تعد لديه وسيلة للدفاع بعد أن استسلم مختارا أو كان موجودا خارج نطاق العمليات القتالية".

- "يعاقب بالسجن أو الحبس كل من: ... أساء استعمال علم العدو أو شعاراته العسكرية أو زيه العسكري..".

- "تضع الدولة ضوابط عدم تشغيل القاصر إلا ما كان منه لغرض تعليم حرفة أو تأهيل مهني".

- "يعاقب بالإعدام أو بالسجن المؤبد أو الحبس كل من... ١١/١ جند طفلا أو أكثر دون الخامسة عشر من العمر في القوات المسلحة أو مجموعة مسلحة أو ضمه إليها أو استخدمه للمشاركة بصورة فعلية في الأعمال الحربية...".

- "كل حكم بالإدانة في غيبة المتهم يستلزم حتما حرمانه من أن يتصرف في أمواله أو أن يديرها أو أن يرفع أي دعوى باسمه، وكل تصرف أو التزام يتعهد به المحكوم عليه يكون باطلا".

- "لا يعذر أحد بجهل القانون الجزائري".

- وضع فصل كامل لعقاب المتسولين.

ث- عدم تلبية احتياجات الواقع:

يهدف الداعون إلى تطبيق القانون العربي الموحد إلى تطبيق قانون مفصل يقضي على النزاع، ولكن القانون العربي الموحد ناقص جدا في هذا الباب، تنقصه كثير جدا من المسائل التي تحتاجها الأمة في سوريا الآن؛ كتفصيل وسائل حفظ الدين ورعاية حرمانه، وأحكام الجهاد والمخربين والمستأمنين والمعاهدين، ومصارف الأموال العامة المحررة، وتجارة السلاح، ومعايير اعتبار الجماعات، والعلاقة بين الهيئات القضائية للفصائل المتنوعة، وتنظيم أوضاع اللاجئين والمشردين والمخيمات، وضوابط استعمال المنافع الخاصة عند الضرورة، والحقوق المترتبة على العاقلة...

٦- إساءة اختيار العقوبات التعزيرية:

فالعقوبات التعزيرية في القانون العربي الموحد تقوم على أساس التعزير بالسجن والتعزير بالمال؛ فآلاف العقوبات هي إما السجن أو الغرامة أو كلا الأمرين؛ مع أن المتأمل للشريعة وأحكامها يعلم أن العقاب بالسجن والغرامة ليس من الأولويات، وأن العقوبات التعزيرية تتوازن مع الجريمة، وتتناسب مع مرتكبتها، وتعتبر المآلات المترتبة عليها، وتراعي زجر الجاني وإصلاحه، وإنصاف المجني عليه، وصلاح الناس واستقامتهم، وسلامة المجتمع من الجرائم أو تقلييلها. وهناك الكثير من العقوبات التي يمكن اعتمادها؛ كالوعظ، والعتاب، والتوبيخ، والتهديد، والإشهار، والهجر، والعزل من الولاية، والحرمان من السفر أو العمل في مجال ما، وحلق الشعر، والتعليم، والأشغال النافعة، والنفي، والتغريب، والجلد، والقتل، والصلب...

والمتأمل للواقع يرى الكوارث التي تسببها هذه الأحكام الكثيرة للسجون، ويرى كيف أن السجون تحولت لبؤرة إجرام وفساد، ويرى الصعوبات الضخمة في تأمين السجون ومستلزمات المساجين، مع ضياع لأهل المساجين وحقوقهم، فإذا كانت كبرى الهيئات القضائية تعاني من تنفيذ حكم بالسجن لمدة ستة أشهر فكيف بآلاف الأحكام بالسجن المؤبد وعشرين سنة وعشر سنين وخمس سنين وستين وسنة؟!.

وكذلك تعميم الغرامات المالية لا يتناسب مع الوضع الاقتصادي المتدهور، ولا يتناسب كذلك مع كثرة المستغلين للثورة في تحقيق ثروات ضخمة بحجة التعزير بالمال، مع عدم وجود

بيت مال عام يمكن به توجيه هذه المبالغ للصالح العام.

*** خلاصة الموقف من القانون العربي الموحد:

- إن القضاء الشرعي المبني على أسس شرعية تقوم أولاً على حفظ الدين، يختلف اختلافاً جوهرياً عن القانون الوضعي - وتعديلاته التي يراد منها ألا يناقض الإسلام مناقضة تامة-؛ المبني على أسس وضعية تقوم أولاً على النفعية الفردية...

- وإن إفسال القضاء في المناطق المحررة وإظهاره بمظهر التابع الذليل للمنظومة الفكرية الغربية من أهم أهداف أعداء الإسلام الذين فشلوا في إيقاف الجهاد الشامي فسعوا بمكرهم لإفساده.

- وإن تطبيق هذا القانون -ولو تم بعض التعديل فيه- يجر مفاصد وبيبة ومصائب جمّة، ولن يزيد الأمة إلا تفرقاً وخبالاً.

- وإن إقامة قضاء شرعي شامخ يفصل في الخصومات ويضبط التعاملات، أمر ميسور إذا توفرت النية الصادقة ووسد الأمر لأهله.

نسأل الله أن يلهمنا رشدنا وأن يهدينا سواء السبيل.

البديل عن القانون العربي الموحد^١

بعد نشر مقالة "الموقف من القانون العربي الموحد" التي بينت أن بالقانون العربي الموحد انحرافات عقدية وأن تطبيقه يجر مفاسد وبيلة ومصائب جمّة، وأنه لن يزيد الأمة إلا تفرقا وخبالا...، تساءل البعض ما البديل المقترح لنقضي به؟
والحقيقة أن "القانون العربي الموحد" لم يطبق فيما أعلم في أي بقعة من بقاع الدنيا، حتى نفتش له عن بديل!، وأن المحاكم التي زعمت أنها تطبق بعضه في سوريا وقعت في فوضى قضائية وتناقض في الأحكام وعشوائية أبشع مما زعمت الهروب منه.
فليس الحديث الآن عن بديل عن القانون العربي الموحد... بل الحديث عن آلية قضائية شرعية تيسر أمور التقاضي وتضبطها، ومن هذه الآليات:

١- اختيار فريق قضائي مركزي متميز مكون من خمسة قضاة مثلا، وفرق قضائية مساعدة، ويقوم الفريق القضائي المتميز بالتشاور والحكم في القضايا الشائكة والحساسة، ويحيل القضايا اليسيرة إلى الفرق القضائية المساعدة ويراقب أداءها ويراجع أحكامها، وقد رأينا كيف أن بعض الهيئات الشرعية ودور القضاء نجحت وتميزت وما قامت إلا على قاضيين من القضاة الأكفاء أو ثلاثة.

٢- اختيار قضاة متخصصين أو فرق قضائية متخصصة، يبلغ كل منهم مرتبة الاجتهاد في جزئية معينة؛ ليقضي كل قاض أو كل فريق باجتهاده في هذه الجزئية.

٣- إحالة القضايا للجنة قضائية عليا مكونة من عشرة قضاة مثلا، للحكم فيها، ثم إنشاء فرق قضائية تحكم في القضايا المماثلة بنفس الحكم تحت إشراف اللجنة القضائية

(١) كتبت سنة ١٤٣٦هـ.

العليا، ومع الأيام يتكون عندنا قرابة مائة حكم تدور عليها أغلب القضايا التي تعرض على المحاكم في واقعنا، وتبقى حوادث قليلة تتجدد مع الأيام أو تتغير مع تجدد المعطيات، فترفع للجنة القضائية العليا لتحكم فيها...

وتوجد في الغرب طريقة قريبة من هذه تسمى طريقة السوابق القضائية، وهي مطبقة في دول أوروبية عديدة كأستراليا، وأيرلندا، ونيوزيلندا، وبريطانيا؛ حيث لا ينشأ القضاء من قانون متكامل مكتوب، بل من الأحكام السابقة للمحاكم.

* وعموما فلو اتقينا الله جل وعلا لأهمننا رشدنا وهدانا سواء السبيل، قال تعالى:

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

أنظمة فيها جاهلية

وقف الرسول صلى الله عليه وسلم في عرفة يخطب خطبة الوداع فكان مما قال: «**ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع**»، هكذا بصيغة العموم هدم صلى الله عليه وسلم عقائد الجاهلية وتصوراتها ومعاملاتها وأخلاقها..، ليستمد المسلم كل شأنه وأمره من الإسلام العام الشامل لكل أجزاء الحياة ﴿**مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ**﴾.

لذا عندما أخطأ أبو ذر رضي الله عنه يوماً بيّن له صلى الله عليه وسلم سبب ذلك الخطأ وأنه ناتج عن بقية باقية من أخلاق الجاهلية غلبته فأوقعته في الخطأ، فقال صلى الله عليه وسلم: «**يا أبا ذر، إنك امرؤ فيك جاهلية**».

ولقد قامت الصحوة الإسلامية المعاصرة فكراً على تأصيل المفاصلة التامة مع الجاهلية المعاصرة وصياغة الدنيا باسم الإسلام وتحذير الحركات الإسلامية من أن تتسلل لهم بقايا الجاهلية فيصيغوا جوهر الجاهلية بأسماء إسلامية لا تغير من حقيقة المضمون شيئاً، كما قال الأستاذ سيد قطب رحمه الله في المعالم وهو يصف الجاهلية المعاصرة: "نحن اليوم في جاهلية كالجاهلية التي عاصرها الإسلام أو أظلم، كل ما حولنا جاهلية.. حتى الكثير مما نحسبه ثقافة إسلامية، ومراجع إسلامية، وفلسفة إسلامية، وتفكيراً إسلامياً.. هو كذلك من صنع هذه الجاهلية!!".

وإن بعض الحركات الإسلامية عندما انتقلت من مرحلة التصور إلى مرحلة التطبيق ومن مرحلة الدراسة إلى مرحلة العمل غلبت عليها ثقافتها القديمة وأثرت فيها المعاشية الطويلة للجاهلية المعاصرة وفتنتها فلم تستطع التخلص من تلك البقايا الجاهلية القابعة في النفوس

فاكتنفت بإطلاق المصطلحات الإسلامية على معاملات جاهلية وعملت على البحث عن ثوب إسلامي لأجسام جاهلية.

فلم يعد مستغرباً أن تجد اقتصاداً اسمه إسلامي وجوهره ربوي، وتعليماً اسمه ديني وجوهره علماني، وإعلاماً اسمه محافظ وجوهره متفلت، وسياسة اسمها شرعية وجوهرها ميكافيلية، وحكماً اسمه شوري وجوهره استبدادي...

وجوهر الإشكال في تلك الأنظمة التي فيها جاهلية ليس في خطأ التطبيق بل في الانبهار الذي يعمل على استنساخ النظم الجاهلية بدعوى أسلمتها، ثم يكون قصارى العمل هو تغليف "ميتة الحيوانات" بعبارة "مذبوح على الشريعة الإسلامية!"

وللأسف استشرت في بعض أماكن الثورات الإسلامية تلك العقلية المفتونة بالغرب فأدى استيراد "نظرية السيادة" عند الغرب للتضييق على العمل الإسلامي باسم "طاعة ولي الأمر"، وأدى استيراد "الأساليب القمعية" لإرهاب المسلمين باسم "حفظ الأمن"، وأدى استيراد "الفساد الاقتصادي" لسرقة خيرات الشعوب باسم "مصلحة الأمة" ..

وإن تعجب فاعجب لنظام جاهلي يحاكم من يصلي الجمعة في بيته لأنه خالف النظام العام، ونظام المفترض فيه أنه إسلامي يمنع المصلين من صلاة الجمعة إن اجتمعوا في المسجد وتوفرت شروطها ويأمر بتأديتها ظهراً مراعاة للنظام العام!!

وإن تعجب فاعجب لنظام جاهلي يمنع تعليم القرآن إلا بتصريح، ونظام المفترض فيه أنه إسلامي يمنع تعليم القرآن إلا بتصريح!.

وإن تعجب فاعجب لنظام جاهلي يمنع الفتيا إلا لمن يسمح له، ونظام المفترض فيه أنه إسلامي يمنع نشر الفتاوى والأحكام قبل أن يعتمدها.

* ورحم الله ابن القيم الذي وضع يده على الداء الذي يدفع للتشبه بالطواغيت وعلى الدواء الذي ينجي من ذلك فقال: "النفس فيها مضاهاة للربوبية، ولو قدرت لقات كقول فرعون، ولكنه قدر فأظهر، وغيره عجز فأضمر، وإنما يخلصها من هذه المضاهاة ذل العبودية، وهو أربع مراتب:

المرتبة الأولى: مشتركة بين الخلق، وهي ذل الحاجة والفقر إلى الله..

المرتبة الثانية: ذل الطاعة والعبودية..

المرتبة الثالثة: ذل المحبة، فإن المحب ذليل بالذات، وعلى قدر محبته له يكون ذله..

المرتبة الرابعة: ذل المعصية والجنابة..

فإذا اجتمعت هذه المراتب الأربع كان الذل لله والخضوع له أكمل وأتم، إذ يذل له خوفا وخشية، ومحبة وإنابة، وطاعة، وفقرا وفاقا".

اللهم أصلح الحال والطف بنا فيما جرت به المقادير، والحمد لله رب العالمين.

حقيقة التكنوقراطية^١

- ١- للعلمانية وسائل عديدة للوقوف ضد تحكيم الشريعة؛ فيتحدثون عن الديمقراطية أو الدولة المدنية أو التعددية...، ومرادهم هو تحكيم الطاغوت..
- ٢- ومن مكرهم المتكرر بفلسطين والعراق ومصر ويريدونه بالشام المناداة بدولة تكنوقراطية بزعم أنها تعالج الإشكاليات العقدية والمذهبية عن طريق حكومة متخصصين.
- ٣- فالحكومة التكنوقراطية هي حكومة مختارة من النخب المتخصصة المثقفة غير المنتمية لأفكار أو عقائد معينة..
- ٤- فيقولون: ندع شؤون الحكم للأكفاء من أهل الاختصاص فالطبيب للصحة والخبير المالي للمالية والمهندس للبترو..
- ٥- فللمختص أن يقرر حسب علمه أن الربا مفيد، وأن تعدد الأزواج نافع للمرأة، وأن تحديد النسل يقوي الاقتصاد، وأن الانتحار يريح النساء..
- ٦- وهذه الحكومة التكنوقراطية هي شكل من أشكال الحكومات العلمانية التي تجعل العلم حكما بلا ضابط من عقيدة الإسلام..
- ٧- أما الإسلام فمتعلق بكل شؤون الحياة، وله نظامه الذي يقيم كيان الإنسان والمجتمع، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾.
- ٨- وكل نظام لا يخضع للإسلام فهو نظام جاهلي سواء كان ديمقراطية أو تكنوقراطية أو عبقرية أو أدهقراطية أو استحقرافية..
- ٩- ونذكر الفرحين بالجاهلية بقول الله: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾.

(١) كتبت سنة ١٤٣٧ هـ.

حقيقة الصراع مع العلمانية

صراع المسلمين مع العلمانية هو صراع بين الإسلام والكفر؛ فالعلمانيون يدعون الإسلام ثم ينحون شرائع الإسلام عن كثير من مناحي الحياة، ويصرفون كثيرا من حقوق الألوهية لغير الله جل وعلا.

والعلمانية أشكال وألوان؛ منها ما هو شديد العداوة للإسلام ومنها ما هو أشد عداوة، منها ما يحارب الإسلام في شؤون الحكم ومنها ما يحارب الإسلام في كل مناحي الحياة. والتعامل مع طوائف الكفر بشتى أشكالها ومنها العلمانية مبني على التوصيف الشرعي والتكييف الواقعي؛ فالقوة والضعف والمصلحة والمفسدة لها أثر كبير في الفتوى الشرعية المنضبطة التي تحدد طبيعة التعامل في كل زمان ومكان على حدة.

وهذا ما فعله علماء الإسلام العاملين مع العلمانيين في العصر الحديث؛ فتارة يقاتلونهم، وتارة يخاشنونهم، وتارة يتحاشون الصدام معهم، وتارة يهادنونهم، وتارة يقاتلون قوما منهم ويهادنون آخرين... إلخ.

والتعاملات العارضة المؤقتة مع العلمانية ليست ناسخة ولا مبטلة لأصل الصراع مع العلمانية إنما هل تعاملات تقوي جبهة المسلمين في صراعهم مع العلمانية؛ لأن فتح جبهة صراع في غير وقتها وبغير العدة المطلوبة لها يضعف المسلمين، وتأجيل ذلك لحينه هو زيادة لقوة المسلمين.

وهذا التقيد بضوابط الشرع يجعل تلك التصرفات والتعاملات لا تتعارض مع توحيد الله جل وعلا، ولا مع واجبات الشريعة، ولا مع التوصيف الشرعي الدقيق لطوائف الكفر، فهي سياسة شرعية ليست من مداينة الأعداء في شيء.

والحمد لله رب العالمين.

زهرة الدنيا، كم قتلت عشاقها!

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فإليكم صورةً لروضة من رياض العلم الشريف:

- الشيخ: هل لكم يا إخواني في تذوق بعض حلاوة بلاغة النبي - صلى الله عليه

وسلم - والسمو إلى رحاب الأفق الواسع من وصايا الخير الجامعة؟

- الطلاب: نحن لا نستغني عن تعلم هذه الفوائد، وكلنا شوق إلى سماع هذا الخير

العميم.

- الشيخ: نقف اليوم مع حديث عظيم في صحيح الإمام مسلم - رحمه الله - ومن

عظم هذا الحديث؛ جعله الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم باباً مستقلاً، لم يذكر فيه

غيره، سماه باب: "التحذير من الاغترار بزينة الدنيا وما يبسط منها"، اقرأ يا بُني هذا

الحديث.

- الطالب: روى الإمام مسلم - رحمه الله - عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه -

قال: «قام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فخطب الناس، فقال: ((لا والله، ما

أخشى عليكم أيها الناس إلا ما يُخرج الله لكم من زهرة الدنيا))، فقال رجل: يا رسول

الله، أيأتي الخير بالشر؟ فصمت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ساعة، ثم قال:

((كيف قلت؟))، قال: قلت: يا رسول الله، أيأتي الخير بالشر؟ فقال له رسول الله -

صلى الله عليه وسلم -: إن الخير لا يأتي إلا بخير، أوخيرٌ هو؟! إن كل ما يُنبئ الربيعُ

يقتل حَبَطاً أو يُلْمُ، إلا آكلة الحَصْرِ، أكلت حتى إذا امتلأت خاصرتها، استقبلت

الشمس ثَلَطَتْ أو بَالَتْ، ثم اجترت فعاتت فأكلت، فمن يأخذ مالا بحقه يُبارك له فيه،

وَمَنْ يَأْخُذْ مَالًا بِغَيْرِ حَقِّهِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ».

- الشيخ: فتح الله عليك.

- الطالب: معذرةً شيخنا، فليُعدنا عن هذه البلاغة الظاهرة، نودُّ منكم توضيحًا مفصلاً للحديث، وما يحويه من حِكَمٍ وفوائد.

- الشيخ: إن هذا الحديث دعوةٌ للتأمل في عواقب الأمور؛ لأن من رزق بصيرةً يرى بها نهايةَ الطريق قبل أن يسلكه، نال الخير، ونجا من الشر، ومن لم يرِ العواقب، عاد عليه بالألم ما طلب منه السلامة، وبالتعب ما رجا منه الراحة، وقد أمر الله - جل وعلا - بالاعتبار فقال: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: ٢].

لقد قام الرسول - صلى الله عليه وسلم - خطيبًا، فحذّر الصحابةَ من الفتنة بزهرة الدنيا وزينتها، وحسنها وبهجتها ونضارتها، وما فيها من أنواع المتاع، مما يغترُّ الناسُ بحُسنه، ويتعجبون من بديع منظره، مع قلةِ بقائه، تمامًا كزهرة النبات، تغرُّ الخلق بحسنها وطيب رائحتها، برغم قلةِ بقائها، وقصر عمرها، وبرغم أنه يعقبها ثمارٌ يانعة، هي خيرٌ منها وأبقى، وكذا متاع الدنيا، قصير زائل، أين مُلك فرعون القائل: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي﴾ [الزخرف: ٥١]؟! وأين مال قارون القائل: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص: ٧٨]؟! وأين قوة عاد الذين قالوا: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥]؟! لقد فُتِنوا كلُّهم بزهرة الحياة الدنيا، وكانت تلك المنخ التي وُهبت لنفوس مريضة سببًا في تمرُّدهم وطغيانهم.

وأمام هذا التحذير النبوي الكريم، تفتن أحدُ الصحابة الأجلاء إلى عِظَم هذه القضية، التي استدعت قيامَ النبي - صلى الله عليه وسلم - وخطبته، وقسمه بالله، وخشيته عليهم، فسأل سؤالَ المستفهم المستزيد: كيف تكون زهرة الدنيا، المشتعلة على أنواع الخير من

النساء، والبنين، والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة، والخيل المسومة، والأنعام، والحِث - مؤديَّةٌ إلى الشرِّ؟

عندها سكت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لتنزل الوحي عليه؛ حيث ذكر الإمام مسلم - رحمه الله - في بعض طرق الحديث قولَ الصحابيِّ - رضي الله عنه -: «**وَرَيْنَا أَنَّهُ يُنْزَلُ عَلَيْهِ، فَأَفَاقَ يَمْسَحُ عَنْهُ الرُّحْضَاءُ**»، والرحضاء هو العرق الكثير، الناجم عن ثقل أمانة الوحي، وهذا يدل على مكانة هذا الأمر وعظيم شأنه، ثم أخبره - صلى الله عليه وسلم - أن كل شيء قضى الله أن يكون خيراً فلا يكون شراً أبداً، وهذا الخير هو الخير الحقيقي المحض، من فعل الطاعات، وابتغاء مرضات الله - جل وعلا - لمن وفقه الله ورضي عنه، أما زهرة الدنيا، فإنما هي فتنة، وليست خيراً محضاً، ويُحشى على من رزقه الله زهرة الدنيا أن يعرض في تصرفه ما يجلب الشرَّ، وأن يضعف إقباله على الآخرة.

ثم وضع الرسول - صلى الله عليه وسلم - صورةً من صور الضرر الناجم عن سوء استخدام البع، فهذا المطر ينهمر متواليًا، فيسيل في جداول الماء، فيسقي الزرع، فيتزعزع النبات والعشب ويخضر، مع بديع منظره وبهجته، وطيب نعيمة وحلاوته، فتهرول إليه بعض الدواب لتأكل منه، فتستطيعه وتستلذه، وتنهمك في التهامه، حتى تُصاب بالحَبْط؛ أي: التخمة وانتفاخ البطن، مع عدم القدرة على إخراج ما في البطن بالبول أو غيره، فتنتفخ بطنها، ويظن من يراها أنها سمينة عظيمة، وسرعان ما تنشق أمعاؤها وتهلك، أو توشك على الهلاك وتمرض مرضاً مخوفاً.

وكذلك زهرة الدنيا موفقة، تُعجب كثيراً من الناظرين، فيستكثرون منها، ويجمعونها بشره وجوع نفس، لا بقليل يقنعون، ولا بكثير يشبعون، ويتقلبون في الحرام، فهم قد تعرّضوا للهلاك بمنازعة الناس لهم، وحسداهم إياهم؛ بل وموت القلب والدين؛ **﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا**

يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوَىٰ لَهُمْ ﴿محمد: ١٢﴾:

تَفَنَّى اللَّذَاذَةُ مِمَّنْ نَالَ لَذَّتَهَا مِنَ الْحَرَامِ وَيَبْقَى الْإِثْمُ وَالْعَارُ

تَبْقَى عَوَاقِبُ سُوءٍ مِنْ مَعَبَّتِهَا لَا خَيْرَ فِي لَذَّةٍ مِنْ بَعْدِهَا النَّارُ

فكم قتل المال والجاه، والصحة والفرغ أصحابه! وكم هلك في سبيل تحصيل لذة فانية من أقوام وأقوام! إن النفوس المريضة إذا تَلَقَّفت بعضَ زهرة الحياة الدنيا، سارت في درب مظلم، وباعت دينها ودنياها في سبيل الوهم والخداع، وكلما زاد الحرص على فضول العيش، زاد الهُم، وتشَّت القلب، واستعبد العبد واغترَّ بالسلامة، ونسي أن الله - تبارك وتعالى - أخبر عن قوم بقوله: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا مُمَدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَيْنَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٥، ٥٦]، وعن قوم بقوله: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا دُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤]، وقال - تعالى -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِمَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ * أُولَٰئِكَ مَاوَأَهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يونس: ٧، ٨]، فليحذر كلُّ امرئ أن يركن إلى الدنيا، ويسير في درب الضياع دون أن يشعر، فلا يُفِيق إلا عند الهلاك، ولات ساعة مندم.

- الطالب: أظن أننا بحمد الله في عافية؛ حيث لم نَنَلْ من زهرة الدنيا إلا القليل.

- الشيخ: لا والله، لقد فُتحت علينا الدنيا، ونلنا منها نصيبًا وافرًا؛ ولكن ماذا نفعل وقد غطى مدُّ العين إلى الآخرين على كثير من القلوب، مع أن الله - جل وعلا - حدَّرتنا بقوله: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الدُّنْيَا لِنَفْسِنَهُمْ فِيهِ وَرَزَقْنَا رَبَّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: ١٣١]!؟

هل تعلمون أن ما نلناه يفوق في أمور كثيرة ما ناله الملوك قبلنا؟! انظر إلى عظيم

الجاهلية يفتخر، أتعلمون بماذا يفتخر؟ إنه يفتخر بشرب الماء صفواً حينما يرد على البئر:

وَنَشْرَبُ إِنْ وَرَدْنَا الْمَاءَ صَفْوًا وَيَشْرَبُ غَيْرَنَا كَدْرًا وَطِينًا

إننا نشرب الماء عذباً زُلاًلاً، دون ورود على بئر ولا غيره.

إن الحقيقة الخفية هي أن طعامنا أشهى من شهية طعام ملوكهم، وشرابنا ألد من لذيذ شراب ملوكهم، ولباسنا أرق من رقيق لباس ملوكهم، ومركبنا أسرع من سريع مركب ملوكهم، ودورنا أنظف من نظيف دور ملوكهم، فنحن ملوك دون أن نشعر.

- الطالب: وكيف يعرف المرء أنه يسير في درب الضياع؟

- الشيخ: إن طريق الفتنة بزهرة الدنيا طريق ملتبس، وهو حلقات يسلم بعضها إلى بعض، وكلما نال المفتون بعض حطام الدنيا، ازدادت رغبته، واستقل ما في يده، ونظر إلى ما فوقه، فلا يستغني بشيء أبداً، وقد تبدأ الفتنة مثلاً بالتوسُّع في المباحات من مال، وجاه، وترف... إلى غير ذلك.

وهذا التوسع يصاحبه غالباً استئثاراً لكثير من الطاعات؛ لأن النفس تركن إلى الراحة والدعة، فينتج عن ذلك التفریط في أمور كثيرة، مثل صلاة النوافل، وضعف مراجعة القرآن، فضلاً عن التفریط في شعيرة الاحتساب، والتغافل عن حقيقة دور المسلم في الحياة، ثم يتحوّل الأمر من التوسع في المباحات، إلى الحرص عليها، واختصاصها بالأموال الكثيرة، والأوقات النفيسة، ثم ينقلب الأمر إلى الهلع على الدنيا منشرحةً نفسه بإقبالها، جزعة بإدبارها، حتى يحيق بالمرء الهلاك والعياذ بالله؛ لأن من قارب الفتنة، بعدت عنه السلامة، ومن ادعى الصبر، وكل إلى نفسه، وهذه المراحل تصاحبها غالباً أمراضٌ قلبية من: ضعف الإيمان، وهجر الورع، وقلة التوكل، وتذبذب الإخلاص، وعدم الرضا، وتغيب الصبر.

خذ مثلاً على ذلك فتنة المال، الذي قال الله - جل وعلا - عنه: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: ٢٠]، قد يتوسّع المرء في الإنفاق، فيضطر لجمع المال بطرق عديدة، ويتعب نفسه بالتفكير في وجوه المكاسب، دون أن يشغل نفسه بتعلّم أحكام المعاملات؛ مما يوقعه في الاستدانة والمعاملات المشتبهة، وقد يحتاج إلى الاحتيال والمماطلة والكذب، وكثيراً ما يؤدي هذا إلى الوقوع في الربا الصريح والاختلاس والسرقة، أو في الافتقار والسؤال والمذلة، أو في الحصول على مالٍ محقّق البركة، ينشر الحسد بين الأهل، والعداوة بين الأصدقاء، والحقّد بين أفراد المجتمع.

وقد يجمع المرء بين كل هذا، فيقع في المعاملات المحرّمة، جامعاً للمال بلا بركة، وينتهي أمره بالدلّة والمهانة، وهذا بعض الهلاك الذي ذكره الرسول - صلى الله عليه وسلم - في هذا الحديث بقوله: «وَمَنْ يَأْخُذْ مَالًا بِغَيْرِ حَقِّهِ، فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ»، مع سخط الله - جل وعلا - الذي يلحق العصاة من عباده؛ ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [التوبة: ٧٥، ٧٦].

توسع في المباحات ← حرص على الدنيا ← هلع على حظامها ← هاوية الهلاك

- الطالب: وكيف يمكننا النجاة من الافتتان بزهرة الدنيا؟

- الشيخ: هذا هو ما نستفيده من مثال آكلة الخضر، حيث ذكر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حالاً من أحوال الماشية، يخالف حال من هلكت بأطياب النبات، وهو حال من تأكل الخضر، وهو كالأصلب غليظ، لا تستسيغه الماشية، ينتشر في وقت الصيف بعد جفاف البقول النضرة، فتضطر الماشية لأكله؛ لقلة وجود غيره، ولا تستكثر منه؛ لأنها

تستقله، فتأكل منه شيئاً فشيئاً، حتى إذا شبعت منه أعرضت عمّا يضُرُّها من الشره في المرعى، وأقبلت على ما ينفعها من استقبال الشمس، التي يحصل بحرارها إنضاج ما أكلته وإخراجه، ورفعت ما أدخلته في كرشها من العلف، فأعادت مضغه، وبذا يسهل خروج بولها وروثها، وتلقيه سهلاً رقيقاً مائعاً، فتنجو من التخمّة والهلاك الذي أصاب غيرها.

وكذا من اقتصد في جمعه الدنيا، وطابت نفسه بأن ينال منها قدرٌ بلغته، ولم يأخذها إلا بحقها، وترك إمساك ما تعين إخراجها، وأنفق الحقوق التي عليه، فهذا ينجو من وبالها؛ بل وتكون له الدنيا بلاغاً تعينه على التزود لآخرته، ويبارك له فيه، كما في هذا الحديث: «**فمن يأخذ مالاً بحقه، يُبارك له فيه**».

وهذا يتطلب من المرء أن يراقب نفسه مراقبة تامة؛ ليحقق في نفسه العبودية التامة؛ ﴿ **قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ** ﴾ [الأنعام: ١٦٢]، [١٦٣]، بإخلاص الحياة لله يحدّد هدف المسلم، ويجعله يسير على النهج القويم بنفس مطمئنة، لا تجزع على ما فاتها من حطام الدنيا، ولا تفرح فرح بطرٍ بما نالها منها، وهذه نفسية مفعمة بالإيمان، نالت خير الدنيا والآخرة؛ إن أعطيت شكرت، وإن حرمت صبرت، وإن سعت في طلب الرزق توكلت، وإن اشتبهت عليها الأمور تورّعت، والرضا عن الله ينير سريرتها الطاهرة.

إن هذه النفوس تنال السعادة الحقيقية؛ لأنها تطلب الخير من مسببه - جل وعلا - وقد قال الله - جل وعلا -: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ** ﴾ [الذاريات: ٥٨]، وقال - سبحانه -: ﴿ **فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرَّزْقَ** ﴾ [العنكبوت: ١٧]، وهذه النفوس تعلم القيمة الحقيقية لمتاع الدنيا، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «**من أصبح منكم آمناً في سربه، معافى في بدنه، عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها**».

بل إن المؤمن في سعيه في الدنيا يعلم أن الله - جل وعلا - منّ على عبده بأن عجّل لهم بعضَ نعيم الدنيا؛ بسبب أنواع طاعتهم، بركة يهبها الله - جل وعلا - من اختار؛ قال الله - جل وعلا - : ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: ١٠ - ١٢]، وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُسَيِّطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَأَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحْمَةَ»، وقال: «لو أنكم تتوكلون على الله حقَّ توكلِهِ، لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصًا، وتروح بطانًا»، وقال: «وهل تُنصرون وتُرزقون إلا بضعفائكم»، وقال: «اللهم بارِكْ لأمتي في بكورها»، وقال: «من يسرَّ على معسر، يسر الله عليه في الدنيا والآخرة».

- الطالب: إن هذا الحديث عظيم الشأن، يحوي فوائدَ جمّةً.

- الشيخ: يا بني، هذا غيض من فيض، وقليل من كثير، إن هذه الكلمات النبوية المعدودة هي من جوامع كلمه - صلى الله عليه وسلم - ومن أمعن فيها، وتتبع كلام أهل العلم في شرحها، رأى دررًا نفيسة في شتى العلوم من عقيدة، وفقه، وحديث، وسلوك، وبلاغة، وحسبنا الآن أن نعمل بمفتاح الخير الذي تلقفناه من هذا الحديث الشريف، ألا وهو الحذر من زهرة الدنيا.

رزقني الله وإياكم حسن الانتفاع بهدي نبيه - صلى الله عليه وسلم.

الفرار الفرار فإهم يشيعون الفواحش^١

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فقد اجتهد أعداء الإسلام في محاولاتهم الشائنة، الرامية إلى إفساد الأخلاق والقيم، عبر كثيرٍ من الوسائل، من صحفٍ ومجلات، وقنواتٍ وإذاعاتٍ ومواقع، وذلك بنشر الأغاني الماجنة، والأفلام الساقطة، والإعلانات الهابطة، وصُورِ المتبرجات، من مزيجاتٍ ومقدماتٍ برامج، متناسين قوله - تعالى - : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجْبُونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [النور: ١٩].

وأمام هذا الغناء المتكاثر تأتي هذه الكلمات دعوةً للعفاف والمروءة، والحشمة والحياء، والوقار والأدب، وتحذيرًا من الرذيلة والفاحشة والمنكر، وتوضيحًا لكلٍ من أراد سلوك طريق الخير والاستقامة؛ عسى الله أن يهدي المسلمين إلى صراطه المستقيم؛ ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٢٧].

إن السد المنيع أمام هذه المخاطر هو التوبة العامة، والرجوع إلى الله رجوعًا مطلقًا؛ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾ [التحريم: ٨]، والاستجابة لشرع الله استجابةً تامة؛ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]، والالتزام الحقيقي بالوقوف في محراب العبودية، ومراقبة الله في السرِّ والعلن، وارتداء لباس الفضيلة بمعناها الكامل، المشتملة على طهارة الظاهر والباطن، المتضمنة للالتزام بالسلوك الفاضل، والكلام الفاضل، واللباس الفاضل.

ومن الأمور التي تيسّر على العاقل الفرارَ من طوفان الفتن المحيطة ما يلي:

- الفهم الصحيح لمعنى الحجاب؛ فليس الحجاب مجرد لباسٍ ترتديه المرأة؛ بل هو صيانة للمرأة عن الابتذال، فيشترط فيه أن يكون حجابًا ساترًا لا يَشِفُّ، واسعًا لا يَصِف، وألاً يكون تشبُّهًا بملابس الرجال أو الكافرات، وألاً تكون ألوانه زينةً تلفت الانتباه، وألاً يكون معطرًا، وبذلك نعلم أن ما انتشر من ملابسٍ ضيقة، أو شفافة، أو معطرة، أو ذات زخرفة وألوان تلفت الانتباه، كلُّ ذلك وغيره مما يُسَوِّلُ الشيطان لبعض النساء ارتداءه أمام عامة الرجال، من صُورِ التبرُّج المنهبيِّ عنه، ولا يعبر عن الحجاب الشرعي الذي يُرضي الله - جل وعلا.

- تجنُّب الاختلاط الحَرَم بين الرجال والنساء، والحرص على صيانة الحُرُمات، والابتعاد بالمدارس والجامعات، ومعاهد العلم، ومكاتب العمل، والمصالح العامة، أن تكون محلاً للشُّبُهات.

- الابتعاد عن الأماكن التي تُتخذ موطناً للعبث الباطل، وتقصدها الفتيات المتبرجات والشبابُ التافه، ويُخلَع فيها ثوبُ الحياء، مثل كثيرٍ من الأفراح المختلطة، والمصايف، والمطاعم، والحدائق.

- استحضار معاني الفضيلة عند ركوب المواصلات، وتحريّ أنواع المواصلات والأوقات التي يقلُّ فيها الزحام، وتحملُ بعض المشقة في انتظار المواصلات الأقل زحامًا، ودفع بعض المبالغ لركوب مواصلاتٍ أقرب للإنسانية، وعلى المرأة أن تأنَسَ بمنزلها، وأن تجعل الخروج وركوب المواصلات عند الأمور المهمة، ويُفضَّل أن تصطحب معها أحد محارمها؛ ليعينها على صيانة نفسها؛ قال - تعالى -: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٣].

- صيانة شرف مهنة الطب، ومراعاة آدابها، وعلى الرجل المريض أن يجتهد في اختيار الأطباء والمرميين، وعلى المرأة أن تجتهد في اختيار الطبيبات والمرمضات، وعند مخالفة ذلك للضرورة، يُراعى تحريمُ الخلوة، وصيانةُ العورات، وارتداءُ جلباب الحياء والعفة.

- قضية الصداقة بين الرجل والمرأة، المشتملة على الاستئناس بسردِ الكلام دون داعٍ، مع التبسط فيه والضحك، كلُّ هذا محرّمٌ، سواء كان بين الطلبة والطالبات، أم الموظفين والموظفات، أم عبر غرف الدردشة.

- غض البصر وحفظ العين، فكم من نظرةٍ أوقعت في القلب ظلماً حالكة! وكم من نظرةٍ أردت صاحبها قتيلاً وهو لا يدري! قال - تعالى - : ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣٠، ٣١].

- الابتعاد عن العمل في كلِّ أمرٍ يساعد على نشر المنكر، وتزيين الباطل، وتيسير الفساد، سواء كان باسم الإعلام، أم التعليم، أم الثقافة، أم السياحة، أم التجارة، ومن ترك شيئاً لله، عوّضه الله خيراً منه.

وختاماً:

نُهمس في أذن الغيورين على جناب الشرع الحنيف، من آباء ودعاة، ومربين ومسؤولين: لقد تعاضمت مهامكم في تحمّل أمانة البلاغ، والتواصي للخروج من دائرة هذه الفتن، والسعي حثيثاً لتحقيق معاني العفة، ومنع أسباب الانحراف، وتقويم الاعوجاج، فأرؤوا الله من أنفسكم خيراً.

تحقيقاً لا تعليقاً

من الأصول المتفق عليها أن المتشابه يرد إلى المحكم، وأن الفرع لا ينقض الأصل، وأن الشاذ لا يعارض المحفوظ..، ومن ذلك أقوال أهل العلم فإنها يستدل لها ولا يعارض بها الدليل الثابت..

وقد يستأنس ببعض أقوال أهل العلم وتكرر لتعلقها بالترغيب والترهيب أو الفضائل، فإن تحولت إلى قواعد يتفرع عليها عمل تعين النظر لها بعين الفحص والتثبت صيانة للشريعة الغراء وحفظاً لأصول الدين وقواعده..

وقد كثر في سني الأمة الأخيرة ترداد عبارة منسوبة لابن تيمية رحمه الله تتعلق بيقينه بالنصر في معركة شقحب، وأنه أقسم على ذلك كثيراً، فقليل له: قل إن شاء الله. فقال ابن تيمية: "إن شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً".

بل ازداد الأمر إلى أن أصبح البعض يؤكد ويقسم على أن المجاهدين سينتصرون في المعركة الفلانية وفي الجبهة الفلانية، ثم قد تأتي نتيجة هذه المعركة المعينة بتقدم للكافرين، فيكون ذلك فتنة لبعض المسلمين وقد يقع البعض في الشك في وعد الله جل وعلا لا في ظنون هذا المجترئ على تحديد نتائج المعركة الخاصة المحددة.

والأصل في ذلك أن الله وعد عباده المؤمنين بالنصر وأن العاقبة لهم في الدنيا في آيات كثيرة، قال جل وعلا: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ هُمُ الْمُنتَصَرُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾، وقال سبحانه: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾، وقال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾، وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾.

وهذه الوعود الربانية حق، ولكن تنزيل هذا الوعد على معركة معينة ليس من الهدى الصحيح، فضعف إيمان البعض قد يؤدي لنزول بلاء وتحلف النصر في تلك المعركة الخاصة، وهذا مشاهد معلوم، ثم تكون العاقبة للمتقين في الزمان والمكان الذي يقدره الله جل وعلا بحكمته البالغة.

وقد دل على هذا الأصل في عدم تعيين الغيبات كثير من الأدلة، مثل قوله جل وعلا: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيُذَرَّ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾، وقوله سبحانه: ﴿قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾، وقال جل وعلا مخاطبا نبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَأَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾..، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

= أما ما ينقل عن ابن تيمية رحمه الله فهو لم يذكره في كتبه، بل نقله عنه ابن القيم رحمه الله في كتاب مدارج السالكين، وهو كتاب في الرقائق توسع فيه ابن القيم رحمه الله بعض الشيء، وذكره ابن القيم في منزلة الفراسة أي أنه جعلها من فراسة ابن تيمية، ومعلوم أن الفراسة لا تفيد اليقين، ونقل معها حكايات أخرى عن ابن تيمية فيها غرابة لا تقبل، ولذلك تعدد فهم العلماء لما نُقل عن ابن تيمية، فعده بعضهم من باب الإقسام على الله جل وعلا، وعده بعضهم من باب التحريض، وأنكره بعضهم وعده خطأ من ابن تيمية رحمه الله..

وقبل نقل كلام بعض العلماء أنقل حكاية ابن القيم رحمه الله، قال ابن القيم في مدارج السالكين: [ولقد شاهدت من فراسة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أمورا عجيبة. وما لم أشاهده منها أعظم وأعظم. ووقائع فراسته تستدعي سفرا ضخما.

أخبر أصحابه بدخول التتار الشام سنة تسع وتسعين وستمائة، وأن جيوش المسلمين تكسر، وأن دمشق لا يكون بها قتل عام ولا سبي عام، وأن كلب الجيش وحدته في الأموال.

وهذا قبل أن يهجم التتار بالحركة.

ثم أخبر الناس والأمراء سنة اثنتين وسبعمائة لما تحرك التتار وقصدوا الشام: أن الدائرة والهزيمة عليهم. وأن الظفر والنصر للمسلمين. وأقسم على ذلك أكثر من سبعين يمينا. فيقال له: قل إن شاء الله. فيقول: إن شاء الله تحقيقا لا تعليقا. وسمعتة يقول ذلك. قال: فلما أكثروا علي. قلت: لا تكثروا. كتب الله تعالى في اللوح المحفوظ: أنهم مهزومون في هذه الكرة، وأن النصر لجيوش الإسلام. قال: وأطمعت بعض الأمراء والعسكر حلاوة النصر قبل خروجهم إلى لقاء العدو.

وكانت فراسته الجزئية في خلال هاتين الواقعتين مثل المطر.

ولما طلب إلى الديار المصرية، وأريد قتله - بعدما أنضجت له القدور، وقلبت له الأمور - اجتمع أصحابه لوداعه. وقالوا: قد تواترت الكتب بأن القوم عاملون على قتلك. فقال: والله لا يصلون إلى ذلك أبدا. قالوا: أفتحبس؟ قال: نعم، ويطول حبسي. ثم أخرج وأتكلم بالسنة على رؤوس الناس. سمعتة يقول ذلك.

ولما تولى عدوه الملقب بالجاشنكير الملك أخبروه بذلك. وقالوا: الآن بلغ مراده منك. فسجد لله شكرا وأطال. فقيل له: ما سبب هذه السجدة؟ فقال: هذا بداية ذله ومفارقة عزه من الآن، وقرب زوال أمره. فقيل: متى هذا؟ فقال: لا تربط خيول الجند على القرط حتى تغلب دولته. فوقع الأمر مثل ما أخبر به. سمعت ذلك منه.

وقال مرة: يدخل علي أصحابي وغيرهم، فأرى في وجوههم وأعينهم أمورا لا أذكرها لهم. فقلت له - أو غيري - : لو أخبرتهم. فقال: أتريدون أن أكون معرفا كمعرف الولاية؟

وقلت له يوما: لو عاملتنا بذلك لكان أدعى إلى الاستقامة والصلاح. فقال: لا تصبرون معي على ذلك جمعة، أو قال: شهرا. وأخبرني غير مرة بأمر باطنة تختص بي مما عزمت عليه، ولم ينطق به لساني. وأخبرني ببعض حوادث كبار تجري في المستقبل. ولم يعين أوقاتها. وقد رأيت بعضها وأنا أنتظر بقيتها. وما شاهدته كبار أصحابه من ذلك أضعاف أضعاف ما شاهدته. والله أعلم.]

وقد تأول بعض العلماء فقط عبارة "تحقيقاً لا تعليقاً" وليس كامل هذا النقل:

- فقال الشيخ بكر أبو زيد في معجم المناهي اللفظية: ("والله لا يكون كذا" هذا اللفظ من الإقسام على الله تعالى، وقد فصلت النصوص الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه على قسمين: جائز وممنوع...، وأما الجائز، فهو من المسلم القانت لربه، الواثق بعطائه، المؤمن بقدره...، ومن هذا قول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في بعض مغازيه: لنتصبرن، فليل له: قل: إن شاء الله، فقال: إن شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً)، ومعلوم أن الإقسام على الله تعالى لا يفيد اليقين باستجابة الله لذلك الدعاء، إلا لمن ثبت بالنص استجابة قسمه على الله كعمرو بن الجموح وأنس بن النضر والبراء بن مالك وأويس القرني رضي الله عنهم.

- وقد أولها الشيخ ابن عثيمين رحمه الله أنها من باب التشجيع، فقال: (إذا قال: إن شاء الله تحقيقاً لا تعليقاً لم يستفد من قوله: إن شاء الله شيئاً، ما دام أنه جزم، وهذا من آداب الله عز وجل التي أدب بها العباد ألا يجزم الإنسان على شيء في المستقبل...، شيخ الإسلام قصده تشجيع الجند على الإقدام)، ومعلوم أن مجرد التشجيع لا يكفي لقول ذلك، خاصة أن كثيراً من قادة المماليك في ذلك الزمن لم يكونوا مشهورين بالصلاح، فالخوف من الهزيمة بسبب العصيان محتمل.

- أما الشيخ محمد الفقي رحمه الله فتكلم على النص كاملاً ورأى الخطأ فيه، فعلق في تحقيقه لمدايح السالكين على هذا النقل قائلاً: (وهل اطلع على ما في اللوح المحفوظ؟ فعله كان يقصد بتلك الجرأة في القول تشجيعهم وتقوية روحهم المعنوية، فإن هذا من أقوى أسباب النصر على الأعداء، مفاتيح الغيب عند الله لا يعلمها إلا هو سبحانه وغفر الله لنا وله، فأين هذا من الفراسة؟! وإنما هلك من هلك بالخلو في شيوخهم. عفا الله عنه).

* فصيانة الشريعة وسد ذرائع الفساد ومداخل الشك أولى من مصلحة موهومة، وسبل التحريض كثيرة، والمبشرات الصادقة للصادقين عديدة، نسأل الله الهداية والتوفيق.

هل ننصح بزواج المجاهد؟^١

يتساءل الكثير من المجاهدين عن الأولى للمجاهد أهو الزواج مع الجهاد أم ترك الزواج والتفرغ للجهاد؟

والجواب: أن الأصل استحباب الزواج للمجاهد، وهو سنة الأنبياء من قبل، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾.

وسيد المجاهدين وقدة المرابطين هو سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم القائل: «**وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنِّ سُنِّيَّ فَلَيْسَ مِنِّي**» متفق عليه.

وأمر الله جل وعلا أهل الولايات بتزويج من تحت ولايتهم، قال جل وعلا: ﴿**وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ**﴾، قال السعدي: وإذا كانوا مأمورين بإنكاح من تحت أيديهم، كان أمرهم بالإنكاح بأنفسهم من باب أولى اهـ.

وأمر النبي صلى الله عليه وسلم الشباب بالزواج فقال: «**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**» متفق عليه.

وحث النبي صلى الله عليه وسلم على طلب الولد، فقال: «**تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم**» رواه أبو داود والنسائي بإسناد صحيح.

واستأذن عثمان بن مظعون رضي الله عنه في التبتل والانقطاع عن النساء فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك، متفق عليه.

وقال ابن عباس رضي الله عنه لسعيد بن جبیر: «**هل تزوجت؟ فقال سعيد: لا، فقال ابن عباس رضي الله عنه: تزوج فإن خير هذه الأمة أكثرها نساء**» رواه البخاري.

(١) كتبت سنة ١٤٣٨هـ.

بل إن على المجاهد أن يضع نية إنجاب الولد الصالح المجاهد ليستمر الجهاد من بعده، قال البخاري رحمه الله "باب من طلب الولد للجهاد"، وذكر فيه قول سليمان بن داود عليهما السلام: «لأطوفن الليلة على مائة امرأة، أو تسع وتسعين، كلهن يأتي بفارس يجاهد في سبيل الله».

ومن تأمل سيرة النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام في جهادهم علم أن المرحلة المدنية كلها جهاد وغزو، ومع ذلك كانوا يتزوجون في كل أحوالهم قبل الغزو وبعده، وما سيرة جليبيب وحنظلة عنا ببعيد، وتزوج أبو بكر رضي الله عنه أسماء بنت عميس عند الغزو، وهذا جابر رضي الله عنه يتزوج فينادي المنادي للجهاد فيخرج، وعند العودة من المعركة يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسبقهم إلى المدينة؛ لأنه عروس تزوج قريباً، فيأذن له الرسول صلى الله عليه وسلم، متفق عليه.

* ويتعلل بعض المجاهدين في عدم الزواج بأنه لا يريد أن يرتبط بزواج يقيد جهاده ويضعف إقدامه، أو بزواج يضاعف أعباءه المالية، أو بزواج يوشك أن يموت فيبيتم أطفاله من بعده.

فنقول وبالله التوفيق: علم الله جل وعلا أن الزوجة والولد فتنة تضعف الجهاد فحذرنا من الاغترار بهم، قال جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِنْ تَعَفَّوْا وَتَصَفَّحُوا وَتَغَفَّرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الولد مبخلة مجننة» رواه ابن ماجه بإسناد صحيح، ورغم ذلك لم يكن الأمر الإلهي بترك الزواج لعلاج هذه الفتنة، بل بمجاهدة

النفس والهوى، فالإنسان ضعيف والهوى غلاب ولأن يغلبه هواه مرة فيجبن ويغلب هواه مرات فيقدم، خير له من أن يغلبه هواه مرة فتنحرف شهوته فيسقط سقوطاً مدوياً فاضحاً.

- أما الأعباء المالية، فمن توكل على الله جل وعلا وجاهد أمم الكفر رغم قلة العدد والعتاد، حري به أن يتوكل على الله القائل: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

- أما ترك المجاهد للزواج خوفاً من ترك أيتام خلفه، فليتذكر أن الولد الصالح سبب لاتصال عمل العبد بعد موته، وأن الله جل وعلا أرشد من خاف ذلك، فقال تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾.

*** فتزوجوا أيها المجاهدون الودود الولود وطيبوا نفسا وقرؤا عينا، وتذكروا قوله

تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾.

الوفاء للشهداء

تنافسا على الخروج للمعركة، وألح كل واحد منهما على أن يخرج هو، ثم وقع الاختيار على أن يخرج الأول ويبقى الثاني للمؤازرة، فتقدم الفارس الأول للميدان وقارع الأعداء حتى نال مراده واختاره الله شهيدا، وبقي الثاني مخلفا في الحياة بعده.

هذا مشهد متكرر مألوف لألوف كثيرة من الأبطال الذين سبقونا وحملونا أمانة الجهاد من بعدهم وأتمنونا على تضحياتهم ودمائهم ألا تذهب سدى..

والوفي الصادق يأبى إلا أن يكمل المسير على درب الشهداء لا يرضى به بدلا، فقد "مر أنس بن النضر يوم أحد بنفر من المسلمين وقد ألقوا ما بأيديهم من سلاح، فقال لهم: ما تنتظرون؟ فقالوا: قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال أنس: ما تصنعون بالحياة بعده؟ قوموا: فموتوا على ما مات عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم".

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزور خالته من الرضاعة أم سليم رضي الله عنها، ويقول: «إني أرحمها قتل أخوها معي».

بل إن الصحابة الكرام رضي الله عنهم كانوا يتذكرون الوفاء لإخوانهم الشهداء ولو طال الزمن، فقد جيء يوما بطعام إلى عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، فقال: "قتل مصعب بن عمير وكان خيرا مني فلم يوجد له ما يكفن فيه إلا بردة، وقتل حمزة أو رجل آخر خير مني فلم يوجد له ما يكفن فيه إلا بردة، لقد خشيت أن يكون عجلت لنا طبيباتنا في حياتنا الدنيا، ثم جعل يبكي".

فيا أيها المجاهدون أوفوا بالعقود وأكملوا المسيرة واثبتوا على الطريق، واعلموا أن إخوانكم الشهداء ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

مواليد الثورة هم حملة رايتها غداً

قدمت ثورة الجهاد الشامي ملايين الشهداء والجرحى والأسرى، وانتشر في أرجاء الأرض بعيداً عنها ملايين أُخرى، ويعيش ملايين تحت ظل طغيان النظام النصيري، وواصل جزء من الشعب ثورته ضد الطغيان، وتحمل شدة القصف والتهجير مردداً: "الموت ولا المذلة".

وإن من أقوى ما يعين البقية النائرة المواصلة للجهاد على أداء الرسالة وتبليغ الأمانة للأجيال القادمة استمرار النسل وكثرة المواليد، فتلك هي القنبلة الديموغرافية أحد أسرار قوة المسلمين عبر التاريخ وإحدى أدوات مواجهة المجرمين المحتلين جيلاً بعد جيل، وهي القنبلة التي يخشاها اليهود في فلسطين ويخشاها النصيرية في سوريا ويخشاها الفرنسيون في أوروبا.

نعم، فإن التكاثر وطلب الأولاد الذي هو من مقاصد الإسلام والذي تلقته الأمة بالجدية والقبول، قوة حضارية للأمة المسلمة لم تستطع أي أمة أخرى مجاراتها فيه.

- وإن مما يبشر بالخير أن وعي الأهالي بذلك كبير فلم تمنعهم محن الحرب وآلامها من السعي في طلب الولد وزيادة النسل، موقنين أن ذلك من نعم الله التي يجب حفظها ومن رزقه الطيب الذي يجب شكره، كما قال جل وعلا: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِئِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾.

- ولإيمان أهلنا في إدلب بالله جل وعلا فإنهم لم يلتفتوا لصوت الشيطان الذي يخوفهم الفقر إن زاد عدد أولادهم، متذكّرين قوله تعالى عن رزق الوالد والولد: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ

﴿وَأَيُّهُمْ﴾، وقوله سبحانه: ﴿نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾، وقوله جل وعلا: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾.

- وإن من خطوات الشيطان التي عمل عليها لإهلاك نسل المسلمين الدعوة لتحديد النسل وتقليله، وعمل البرامج الإعلامية والطبية التي تسعى لنشر هذه الدعوة الخبيثة التي يراد منها مواجهة تفوق المسلمين في التكاثر على غيرهم من الأمم، ولئن كان الشيطان وحزبه نشروا تلك الدعوة في بعض بلاد المسلمين فإنه من الواجب ألا يكون لها أي وجود في أرض حُررت بالدماء وقدمت الشهداء وتبغى مواصلة الجهاد.

- وإن من خطوات أولياء الشيطان التي يسلكونها في سبيل تحقيق مآربهم التدرج في إظهار حقيقة دعوتهم، فيُظهرون التعاطف مع حالات إنسانية خاصة مدعين أن سبب معاناتهم هو في عدد الأبناء، ثم يدعون لتأخير سن الزواج، ثم لتنظيم النسل بعد الزواج، ويشجعون على الولادة القيصرية، وينشرون أدوية منع الحمل..، لا لهدف إلا للوصول إلى غايتهم في تحديد النسل وتقليله، والحقيقة أن المجتمع في غنى عن دعوات تلك المنظمات المشبوهة، فعنده من التجربة والثقافة ما يكفيه، والوالدان يعلمان متى يصلح أبنائهم للزواج، وكيف يتعاملون مع الحمل والولادة والرضاعة بما يناسب كل حالة، ومتى يضطرون للولادة القيصرية...، إلى غير ذلك من مسائل توضع في إطارها الصحيح لا في إطار برامج منظمات معادية للإسلام.

والحمد لله رب العالمين.

أينع الجيل فاستوصوا به خيرا^١

سبعة أعوام مرت على ثورة الشام المباركة كأنها سبعة أيام أو طرفة عين أو لمع برق، مرت ومرت معها كثير من الأفراح والأحزان والفتوحات والأهوال والأحداث التي لا يستطيع المؤرخون إحصاءها فضلا عن تسجيلها...

ولكن هناك جيل كامل عايش تلك الأحداث لحظة بلحظة وقذيفة بقذيفة، فأحصى المساكن التي تهدمت أمام ناظره، والشهداء الذين واراهم بيديه، والجراحات والأرامل واليتامى والمهجرين والمعتقلين...

إنهم من كانوا بالأمس أبناء الأربعة عشر ربيعا، والعشر سنين، والسبعة أعوام، ثم هم اليوم فتية الإسلام الأبرار وجيل التضحية الأخيار في أرض الشام المحررة..

- جيل نشأ على الإسلام الصافي، والجهاد بلا تواني، والعزيمة والإصرار..
- جيل يحمل المصحف والسيف، تعليمه رمي، ولعبه إعداد، وأحلامه فتوحات، وأمنيته شهادة، وشعاره لا نجوت إن نجا عدو الله...
- جيل ينشأ متوشقا ليوم النزال كما تشوق رافع بن خديج رضي الله عنه للجهاد، فعرض نفسه يوم بدر للخروج للجهاد، فرده الرسول صلى الله عليه وسلم لصغر سنه ثم أجازته يوم أحد.
- جيل إن زد أحدهم لصغر سنه، قال للقائد كما قال سمرة بن جندب رضي الله عنه لرسول الله صلى الله عليه وسلم: "لقد أجزت هذا ورددتني، ولو صارعته لصرعته!".
- جيل إن رد أحدهم يوما لصغر سنه بكى كما بكى عمير بن أبي وقاص رضي الله

(١) كتبت سنة ١٤٣٩ هـ.

عنه يوم بدر فأجازته الرسول صلى الله عليه وسلم.

- جيل إن حضر أحدهم النزال ورأى أئمة الكفر، قال كما قال ابن العفراء رضي الله عنه: "عاهدت الله إن رأيته أن أقتله أو أموت دونه".

- جيل رضع الفروسية مع الحليب، فلا يبلغ الثامنة عشرة حتى يقود الجيوش كما قادها أسامة بن زيد رضي الله عنه.

يا فتية الحق إن الله ناصركم

فأنتم لحمة الدين أحفاد

تزودوا للقاء الله وانطلقوا

لنصره الحق والتقوى هي الزاد

ما كان للظلم أن يمحو عقيدتنا

ولن يروق لنا كفر وإلحاد

إنه جيل النصر والتضحية؛ فاستوصوا به خيرا أيها المجاهدون..،

علموهم ودرّبوهم وأكرمّوهم..،

خذوا بأيديهم، وأقلّوا عثراتهم، وأفسحوا لهم المجال، فهم بإذن الله خير خلف يؤتمن على

الجهاد..

والحمد لله رب العالمين.

التحذير من الإسراف في المال العام

عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته؛ فالأمير الذي على الناس راع وهو مسئول عن رعيته..» متفق عليه.

وعن معقل بن يسار رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من عبد يسترعيه الله رعية فلم يحطها بنصحها إلا لم يجد رائحة الجنة» رواه البخاري.

إن الأمانة ثقيلة، والمهمة الملقاة على العاتق كبيرة، ولا يسع المرء وقد اضطر لتحمل المسؤولية إلا أن يجتهد في تحقيق المصلحة المعتبرة شرعا، وأن يحتاط لدينه، وأن يجتاز من مزالق الهوى، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الحلال بين وإن الحرام بين، وبينهما مشبهات لا يعلمهن كثير من الناس؛ فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه» متفق عليه.

ومن الأمور التي ينبغي الحذر منها صرف الأموال العامة في غير الأصلاح: فالتفويض في صرف أموال المسلمين العامة، ليس تفويضا مطلقا، بل هو مقيد بأوامر الشرع؛ مثل: تحري مصلحة المسلمين، وتقديم الأولى فالأولى، ومراعاة الضرورات، وعدم الإسراف والتبذير؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أعطيكم ولا أمنعكم، إنما أنا قاسم، أضع حيث أمرت» رواه البخاري، وعن خولة الأنصارية رضي الله عنها، قالت: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إن رجلا يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة» رواه البخاري، ويروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه: «كان إذا بعث عماله شرط عليهم ألا تركبوا برذونا، ولا تأكلوا نقيا، ولا تلبسوا رقيقا، ولا تغلقوا أبوابكم دون حوائج الناس، فإن فعلتم شيئا من ذلك فقد حلت بكم العقوبة..» انطلقوا وأنا شريككم» رواه عبد الرزاق في

المصنف.

قال العز بن عبد السلام في قواعد الأحكام: "يتصرف الولاة ونوابهم بما ذكرنا من التصرفات بما هو الأصلح للمولى عليه، درءا للضرر والفساد، وجلبا للنفع والرشاد، ولا يقتصر أحدهم على الصلاح مع القدرة على الأصلح، إلا أن يؤدي إلى مشقة شديدة، ولا يتخيرون في التصرف حسب تخييرهم في حقوق أنفسهم... لأن اعتناء الشرع بالمصالح العامة أوفر وأكثر من اعتنائه بالمصالح الخاصة".

ومن الأمور التي يتساهل فيها البعض:

١- التكلفة في إطعام الضيوف والأمراء من المال العام: ولا شك أن إكرام الضيوف وأشرف الناس من خصال الخير الحميدة عندما تكون بمال خاص، إلا أن للمال العام حرمة، والإسراف فيه يضاد المصلحة المعتبرة شرعاً، قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ "الأعراف: ٣١" وليس هناك وجه لتفضيل طعام الأمراء على طعام الجند إذا كان من المال العام؛ لأن المقصود في الحالتين الأكل بالمعروف.

٢- العناية بالكماليات على حساب الحاجيات والضروريات: وذلك بالعناية بتوفير الأمور الكمالية التحسينية المتعلقة ببعض الأشخاص؛ من: أثاث رفيع للمكتب، وسيارة فارهة للتنقل، وسلاح شخصي ثمين، بلا حاجة معتبرة شرعاً؛ فمثلاً إذا احتاج شخص لسيارة معتادة، فلا يعطى سيارة جبلية متطورة؛ لأن الحاجة تقدر بقدرها، مع الأخذ في الاعتبار أن الحكم لما يغلب استعمال السيارة فيه، ولا يعتد بالنادر، فلا يقاس من يكثر سفره في الطرق الوعرة أو البعيدة على من يستعمل السيارة داخل المدن غالباً.

وخلاصة الأمر: أننا في زمان غربة، كثرت فيه أغراض النفوس وأهواؤها، فعلى المرء أن يحتاط لدينه، وأن يحذر المزالق الخفية، والمسالك الرديئة، عسى الله أن يأخذ بأيدينا وأن يرحمنا.

حلب الحمراء^١

- ١- قال المؤرخون: "حلب تلقب بالشهباء والبيضاء لبياض أرضها لأن غالبها من الحجارة الحوارة وتراها يضرب إلى البياض". وتاريخ حلب شهداء ودماء حمراء.
- ٢- كثيرة هي كتب تاريخ حلب التي تذكر أحداث حلب وأيامها بل وعدد بيوتها وأبوابها وصفة مائها وهوائها وتراها بل ووصف خراباتها.
- ٣- فضائل بلاد الشام العامة بعض فضائل حلب، فحلب أرض مباركة ومقدسة وخيرة الله من أرضه، والراجح أنه يخرج منها جيش الأخيار الذي يقا تل الروم بدابق..
- ٤- "حلب واسطة عقد الشام وقلب صدوره والأعيان" وهي "أم البلاد".. لذا كانت أرض الملاحم الكبار عبر التاريخ.. يتصارع فيها مختلف أمم الأرض..
- ٥- وتاريخ حلب سلسلة ملاحم يشيب لذكرها الولدان فكم مرة حرقت وهدمت ودمرت وشرذ أهلها؛ بالحروب والزلازل والمجاعات، ثم بقيت قلعة أهل السنة.
- ٦- وحلب من الشام فيها "كثير قتل الأنفس وغرست هذه الاضطرابات.. خصوصا وجبالها أكثر من سهولها.. وتصلح للدفاع والهزيمة والاستمرار على المشاكسة لصاحب القوة".
- ٧- وقلما تقوم دولة بالشام أو العراق أو مصر أو تركيا إلا وترسل الجيوش لضم حلب فتنازع أهلها وتنتزعها وتنتزع منها إلى أن يأذن الله بالسلامة.
- ٨- مثال ذلك الطولونيون والإخشيديون والحمدانيون والفاطميون والمرداسيون والسلاجقة والأرتقيون والزنكيون والأيوبيون والمماليك والجراكسة..
- ٩- لما وقع الخلاف بين الأمويين والعباسيين، وبين العباسيين أنفسهم في الشام، قال المؤرخون: "إن العباسيين قتلوا من الشاميين ما لا يحصى".
- ١٠- وعندما دخل هولاء حلب: "امتألت الطرقات بالقتلى وصارت عساكر التتر

(١) كتبت سنة ١٤٣٧هـ.

- تمشي على الجيف..، وأسر منها زيادة على مائة ألف من النساء والصبيان..، وخرها".
- ١١- ولما دخل تيمور لنك حلب: "وقع السيف في الناس..، وقتل أطفالهم، وسبي حريمهم، وأبكارهم، وافتضاد الأبيكار في الجامع والشارع جهارا من غير احتشام".
- ١٢- "وبنى من رؤوس القتلى منارا مرتفعا دوره نيف وعشرون ذراعا وارتفاعه نحو العشرة أذرع، وبنى عدة منائر مثل تلك ثم تركها خاوية على عروشها".
- ١٣- ومن مآسيها وعجائبها سنة ١٠٨٠ أنه مات بالطاعون مائة ألف إنسان، ثم شوهدت أزقة حلب بعد ثمانية أيام من انقضاء الطاعون غاصة بالناس كما كانت.
- ١٤- وفي مرة واحدة من مرات الزلازل قال المؤرخون: "وردت الأخبار بوقوع زلازل في الشام وقع فيها نصف حلب، ويقال، هلك من أهلها ثمانون ألفا".
- ١٥- أما الغلاء والمجاعات، فأصابها ما أصاب الشام من "الغلاء العظيم بالشام الذي لم يسمع بمثله. وأكلت الحمير والقطاط والصبيان".
- ١٦- والتفرق بحلب تاريخ وطبع "لكل محلة لهجة فسكان باب النيرب يغلب على لهجتهم ألفاظ أهل الصوف والوبر وسكان الكلاسة يغلب عليهم ألفاظ أهل الحرث".
- ١٧- ويذكر البعض أن "الملك في الشام لا يثبت، لعدم الثبات المغروس في أهله، ولتلون الطبائع فيه تلون أقاليمه وسمائه وهوائه".
- ١٨- وما أكثر مشاريع التوحيد وما أسرع فشلها، ولا يكاد يتوحد أحد إلا تحت سوط الملح وسلطان الفرع، وسيرة نور الدين وصلاح الدين في توحيد الشام عجيبية.
- ١٩- واليوم لضراوة معركة حلب كثر الراغبون عنها فخسارة معركة بحلب تفوق خسارة خمس معارك بغيرها، وغنائم معركة بغيرها تفوق غنائم خمس معارك بحلب.
- ٢٠- وبآخر الزمان يخرج جيش من حلب من خير أهل الأرض فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم ويقتل ثلث أفضل الشهداء عند الله ويفتتح ثلث لا يفتنون أبدا..
- ٢١- وكان هذا واقع حلب اليوم.. يفر الأشرار، ويستشهد الأحيار، ويثبت وينتصر الأبرار..

٢٢- فبحلب ثلة مباركة يصارعون النصيرية وحلفاءهم الرافضة، ويجاهدون ملاحدة ال

ب ك ك والزنادقة، ويكيد لهم الائتلاف العلماني واللصوص..

٢٣- ويكفرهم الخوارج، ويتاجر بهم سماسة الحروب، ويغدر بهم أمراء الحرب، ويطعنهم

أدعياء السياسة الشرعية..، فله تلك الثلة المجاهدة كم واجهت مشاريع.

٢٤- ونعزي من شق عليه الأمر في حلب بقول الشاعر:

قل لمن رام التوى عن بلدة

ضاق فيها ذرعه من حرج

علل القلب بسكنى حلب

إنّ في الشهباء باب الفرج

العيد في إدلب نغز باسم وعين دامعة^١

كلما اقترب عيد فاضت قرائح فريقين من الكُتَّاب مُعَبِّرين عما اعتمل في نفوسهم عند قدوم هذا العيد الجديد..؛

١- فأما الفريق الأول: فهو فريق هبت عليه نسائم فرحة العيد فاصطدمت بأحزان دفينه وخواطر كسيرة وآلام شديدة؛ فهاجت تلك الأحزان والآلام وهيجت مجالسها وغنت بألم قول المتنبي:

عيدٌ بآيةِ حالٍ عُدتَ يا عيدُ،، بما مَضَى أمْ لأمرٍ فيكَ تجديدُ
أما الأحيَّةُ فالبيداءُ دوهمُ،، فليتَ دونكَ بيداً دوهاً بيدُ
أصخرةٌ أنا، ما لي لا تُحرِّكني،، هذي المدامُ ولا هذي الأغاريدُ

ورددت بحسرة قوله كذلك:

بِمَ التعلُّلِ لا أهلٌ ولا وطنٌ،، ولا نديمٌ ولا كأسٌ ولا سَكْنُ

وتذكرت قول أبي فراس:

أزأك عَصِيَّ الدَّمعِ شِيمَتُكَ الصَّبْرُ،، أما للهوى هُيَّ عليك ولا أمرُ؟
بلى أنا مشتاقٌ وعندي لوعة،، ولكنَّ مثلي لا يداغُ له سرُّ!
إذا الليلُ أضواني بسطتُ يدَ الهوى،، وأذلتُ دمعاً منْ خلائقه الكبرُ

وتنهدت بقول الآخر:

(١) كتبت سنة ١٤٤٠هـ.

أَقْبَلْتُ يَا عِيدَ وَالْأَحْزَانَ أَحْزَانًا،، وَفِي ضَمِيرِ الْقَوَافِي تَارُ بُرْكَانُ

وقد يحتج لتلك المشاعر بمثل قوله صلى الله عليه وسلم: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِهِمْ وَتَرَاحِمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى»، وأن: «مَنْ لَا يَرْحَمَ لَا يُرْحَمَ».

٢- وأما الفريق الثاني: فهو فريق يُرَجِّح اللحظة الراهنة ويُقدم حق اليوم، فهو يدعو للبهجة والفرح والسرور، ويلوم دعاة التوجع والحزن يوم العيد...
ويحتج هذا الفريق بقوله صلى الله عليه وسلم: «لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرِحُهُمَا؛ إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِهِ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ»، وقوله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ عِيدًا، وَهَذَا عِيدُنَا»..

ويستأنسون كذلك بأن العهد المدني لم يخل من آلام وأحزان، وكان المسجد الأقصى تحت يد العدا، بل وكان المسجد الحرام تحت سلطان كفار قريش، وتحت قهرهم كذلك أناس من ﴿الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾، ومع ذلك شرع الإسلام للمسلمين في المدينة الفرحة بالأعياد، والسرور بها، وإدخال البهجة على المجتمع المسلم.

* لكن حقيقة واقع المجتمع في إدلب هو مزيج من المذهبين وجمع بين القولين، فما قد مر على المسلمين عامة والمجاهدين خاصة في أراضي سوريا المحررة ستة عشر عيدًا خَطُّوا فيها مذهبهم الجديد وطريقتهم النابعة من واقع حياتهم، فكلما جاء العيد أظهروا بسمة لطيفة على ثغورهم النيرة، وهنؤوا أهاليهم وإخوانهم وأصحابهم بالطاعة والعيد السعيد، وأخذوا أطفالهم إلى الأراضي الخضراء وأركبهم الأحصنة وأطعموهم الحلواء..

- وهم مع ذلك يتتبعون سير طائرات الدمار، ويتسمعون صفارات الإنذار، ويدفنون

شهداءهم، ويداوون جرحاهم، ويكون شوقا لغائبين تحت التراب وآخرين مشتتين في أصقاع الأرض..

- هم مع ذلك لا ينسون أن: هذا يتيم، وتلك أرملة، وذاك معاق، وأولئك فقراء معدمون، ويسمون الأشياء بمسمياتها؛ فهذه خيمة، وتلك مقبرة، وذاك بيت مهدم، وأولئك نازحون.

- هم مع ذلك يتناوبون يوم العيد على الثغور خوفا من أن يجد العدو خلايا يتسلل منه أو ضعفا يهجم عليه.

- إنهم لا يجتزون الأحزان الماضية ولا يجددون المآسي الفائتة، ولكن أنى لهم الغيبة عن واقع أليم وجراح متجددة.

= نعم إن الإسلام يستحب الفرحة يوم العيد، ولكنه مع ذلك يشرع في العيد دفن الموتى وعبادة الجرحى وإنقاذ الهدمى وسد الثغور ومواساة المحروم..

* إن مذهب أهل إدلب اليوم هو مذهب من أصيب ابنه يوم العيد، أو من مات أبوه ليلة زفافه، أو من قاده العدو للأسر ساعة نجاحه..، وهو مذهب لا يعيه إلا من عاناه واقعا معاشا لا تصورا وتصويرا، فله دركم يا أهل إدلب الخضراء وهو حسبكم ونعم الوكيل.

دمعة مهاجر في العيد^١

صلى العيد واستمع الخطبة، ثم قام الناس وبدأوا يتعانقون ويهتفون بعضهم البعض، فتصفح وجوه الناس إلى أن وجد واحدا يعرفه فصافحه، ثم انزوى يراقب تهنئة الناس بعضهم البعض. صحيح أنه هاجر من سنين ولكن تقلب الأحوال وتعدد الجبهات لم يجعل له مستقرا في مكان فهو دائم التنقل والترحال.

وردت متنهدا قول المتنبي:

(بِمِ التَّعَلُّلِ لَا أَهْلًا وَلَا وَطَنًا ** وَلَا نَدِيمًا وَلَا "جَارًا" وَلَا سَكَنًا)

ثم لمح في زاوية المسجد مكانا للماء البارد فهولول للشرب كي لا يبدو غريبا وسط الجموع، وهو يعلم أن السنة في عيد الأضحى أن لا يطعم حتى يذبح ولكن ماذا يفعل والاعتراب أثقل عليه ذبح الأضحية؛ فكثرة النفقات تثبطه، والمشقة في شراء الأضحية وتأمين مكان لها وتوفير أدوات الذبح ثم عدم وجود الكهرباء وآلة التبريد كل هذا يجعل ذبح الأضحية شاقا على مهاجر مثله، والأيسر له إن توفر معه المال أن يدفع ثمن الأضحية لجمعية تتوكل بالذبح والتوزيع.

شرب كأس الماء ثم انصرف من المسجد، وتذكر أن السنة مخالفة الطريق أثناء العودة، وأن العلماء يذكرون أن من الحكمة في ذلك لقاء أكبر عدد من الناس، وهو لو سلك أي طريق فلن يجد إلا من لا يعرفه، لكن اتباع السنة أولى فسلك الطريق الآخر.

عاد إلى مسكنه وأمسك بالهاتف ليهنئ أهله الذين تركهم من سنين، حاول مرارا ولكن كالعادة ضعف الشبكات جعل المكالمة متعثرة.

فرت من عينه دمعة لا يدري ما هي، أهي دمعة شوق أم دمعة ألم، وأوحى له الشيطان قول الشاعر:

(قد أتى العيدُ وما عدِ ** دي له ما يقتضيه)

(غاب عن عيني فيهِ ** كلُّ شيءٍ أشتهيه)

(١) كتبت سنة ١٤٣٨ هـ.

(لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ أَنْتُمْ ** أَيَّهَا الْأَحْبَابُ فِيهِ)

فتعود بالله من همزات الشياطين وتذكر أن هذا الشوق وتلك اللوعة طبع لا مفر منه، فهذا بلال رضي الله عنه وهو الحبشي لا المكي اشتاق لمكة بعد هجرته للمدينة النبوية وقال:

(أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَيْبِتَن لَيْلَةَ ** بُوَادٍ وَحَوْلِي إِذْخِرَ وَجَلِيلِ)

(وَهَلْ أُرْدَنَ يَوْمًا مِيَاهَ مَجْنَةَ ** وَهَلْ يَبْدُونَ لِي شَامَةَ وَطْفِيلِ)

كفكف المهاجر دمعته وتذكر أن العيد فرح بفضل الله على عباده بأن وفقهم للطاعة ومنَّ عليهم بمواسم التقرب والتزود للأخرة ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾.

- كفكف المهاجر دمعته وتذكر أن العيد إدخال للسرور على المسلمين وأي سرور أكبر من أن يجتمع المجاهدون في أرض الإسلام لا يخافون إلا الله يجهرون بالتوحيد ويكفرون بالطاغوت ويجاهدون في سبيل الله ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ بَعُدْ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.

- كفكف المهاجر دمعته فقد عوضه الله جل وعلا خيرا كثيرا فقد صحب الشهداء وجالس الأتقياء ورأى الكرامات وأكل من بركات الأرض والسماء ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبْوَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جُزْءَ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

- كفكف المهاجر دمعته، وانطلق يكمل مسيرته التي خرج لها، فهو لم يترك الأهل والأحباب والأموال والديار زهدا ولا عقوقا، إنما خرج مهاجرا إلى الله وأجره على الله. لم يشترط عند خروجه أن تيسر له سبل لقيا أهله وأحبابه في الدنيا، بل استودعهم الله جل وعلا وفوض أمره لله تبارك وتعالى، فإن كان في الدنيا لقاء فالحمد لله حمدا كثيرا، وإن لم يكن فرجاؤه أن تكون الهجرة والجهاد سببا لاجتماع دائم مقيم في جنة عرضها السماء والأرض أعدت للمتقين.

اللهم شهادة في سبيلك يا رب العالمين.

فزاعة المنهج الأزهرى

يحاول البعض أن يتسلط على الأمة بدعوى الحفاظ على منهج الأزهر، ومحاولة التصدي للدخلاء على منهجه وتراثه، ثم يفسر هذا المقصود بما يراه مسلماً لا مجال للحوار حوله!، وهو التمدد الفقهى، والعقيدة الأشعرية والماتريديّة، والتصوف الطرقي.

وتوضيحا لمن يبغى الحق أقول:

١- التمدد الفقهى: الأزهر يقوم بتدريس المذاهب الأربعة، وينشأ الطلاب على ذلك، ولكن الحقيقة كذلك أن جل المدارس العلمية التي يُطلق عليها سلفية في: مصر، وجزيرة العرب، وبلاد الهند، وغيرها، تدرس المذاهب الفقهية الأربعة أو بعضها، ولكنها تؤكد على الاجتهاد الشرعي وعدم التعصب المذهبي، وهو ما يفعله كثير من الأزهريين عند مباشرة مهام الدعوة والوعظ، وهو ما يفعله شيوخ الأزهر ومفتوه قديماً وحديثاً. فالتشغيب بذلك لا معنى له.

٢- دعوى أن الأزهر أشعري العقيدة: وهي دعوى مجانية للصواب، نعم، قد يكون كثير من شيوخه وطلبته أشاعرة، ولكن يوجد منهم كذلك من يعتقدون اعتقاد أهل الحديث، بل ويوجد في الأزهر معتزلة وفلاسفة، ولم يكن ذلك نسق التعليم الأزهرى؛ حيث كان الأزهر طول تاريخه ملتقى تعليمياً يقوم بالتدريس فيه العلماء؛ سواء منهم من نشأ في الأزهر، أم من وفد على مصر أياماً أو شهوراً أو أعواماً.

بل إن الأزهر لم يُعرف بالعناية بكتب المذهب الأشعري -فضلاً عن الماتريدي- بعض عنايته بكتب الفقه أو اللغة، فأشهر الكتب التي يدرسها أشاعرة الأزهر هي لمشاركة أو مغاربة؛ مثل: الرازي، والباقلاني، والإيجي، والتفتازاني، والسنوسي، ولم يشتهر شيء من كتب

أشاعرهم إلا ما ندر مثل بعض كتب المتأخرين كمتن الدردير الذي عاش مؤلفه في القرن الثامن عشر الميلادي!.

بل والأعجب من ذلك أن بعض من تتبعوا تاريخ الأزهر والعلوم التي كانت تدرس فيه لم يذكروا علم الكلام ضمن العلوم التي اعتنى بها الأزهر، فهذا الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي يؤلف كتاباً بعنوان: "الأزهر في ألف عام"، ويضع باباً عن النشاط العلمي في الأزهر، يتضمن عنواناً عن المدارس العلمية في الأزهر، ويذكر المدرسة الفقهية، ومدرسة التفسير والحديث والقراءات، ومدرسة التصوف، ومدرسة الأدب والشعر والبلاغة والنقد، والمدرسة التاريخية، ومدرسة العلوم الرياضية والهندسة والطب والفلسفة، ويذكر في كل مدرسة أعلامها وجهودهم، ومع كل ذلك لا يذكر مدرسة علم الكلام أو العقيدة أو التوحيد!!

ومن راجع تراجم جل علماء الأزهر وجد ألقاباً لهم تبين مذاهبهم الفقهية مثل: الشافعي والحنفي والمالكي، وقد يجد أحياناً طريقتهم الصوفية مثل: الشاذلي والدسوقي، ولكنه لا يكاد يجد اتجاههم العقدي مثل الأشعري والماتريدي والمعتزلي!!

بل إن موافقة بعض فقهاء الأزهر كابن حجر العسقلاني للأشاعرة في مسائل تقابلها انتقادات لهم في مسائل أخرى كما انتقدهم في مسائل عديدة، ومن ذلك قوله: (عن أبي الوليد الباجي، عن أبي جعفر السمناني وهو من كبار الأشاعرة، أنه سمعه يقول: إن هذه المسألة من مسائل المعتزلة بقيت في المذهب، والله المستعان) بل إن ابن حجر ترجم في لسان الميزان لرأس الأشعرية الفخر الرازي، فأورد ما قاله العلماء عن علمه وفلسفته وضلالاته! ولكنه يرى أن وصيته عند موته تدل على أنه حسن اعتقاده.

٣- دعوى التصوف الطريقي: نعم، وجد بين بعض الأزاهرة التصوف الطريقي، ولكنه كان لوناً من ألوان الحياة الثقافية ولا يعبر عن طريقة في التعليم عامة، فبقي كثير من الأزاهرة غير منتمين للطرق الصوفية بل ومنكرين عليهم بدعهم، ولا أدل على ذلك من قول أحد كبار المتصوفة في الأزهر وهو السيوطي في رسالته التي يدافع فيها عن ابن عربي الحلوي:

(الشيخ عز الدين كان في أول أمره على طريقة الفقهاء من المسارعة إلى الإنكار على الصوفية، فلما حجَّ الشيخ أبو الحسن الشاذلي ورجع، جاء إلى الشيخ عز الدين وأقرأه السلام من النبي صلى الله عليه وسلم، فخضع الشيخ عز الدين لذلك، ولزم مجلس الشاذلي، وصار يبالح في الثناء على الصوفية لما فهم طريقهم على وجهها، وصار يحضر معهم مجالس السماع ويرقص فيها!) فهو يذكر أن طريقة الفقهاء كانت المسارعة إلى الإنكار على الصوفية، وهكذا كان أكثر فقهاء ومحدثي الأزهر بعيدين عن التصوف البدعي، زاهدين في الدنيا الزهد الشرعي، فهل كان يعرف بالتصوف الطريقي البلقيني أو ابن حجر العسقلاني؟.

٤- فلنفترض أن للأزهر منهجًا ما: فهل هذا دليل العصمة، ألم يكن الأزهر إسماعيلياً شيعياً، ثم تحول، ألم يوجد بالأزهر مع ما وجد فيه من خير عميم، تشبع البعض بالفلسفات المناقضة للإسلام؟ ألم يوجد بالأزهر تصوف فلسفي؟ ألم يوجد بالأزهر دعاة للتغريب والعلمنة؟ ألم يوجد بالأزهر عباد للسلطين يبيعون دينهم بعرض من الدنيا.

ألم ينحرف التعليم في الأزهر في كثير من فترات تاريخه -وكذلك في جل المدارس العلمية بالعالم الإسلامي- عن مهمته الأساسية في الدعوة إلى الإسلام بشموله وكماله، لينغلق في تفريعات ثانوية، ومماحكات لفظية، فتسلط على العالم الإسلامي الجبارون والظلمة، ثم الجيوش المحتلة الكافرة، ومع ذلك فلم تكن تلك المدارس في أغلب الأوقات على مستوى قريب من الحدث أصلاً، وهذا من الخلل الذي حاولت بعض الحركات الإسلامية المعاصرة سده وتكميله، ومع ذلك حاربها كثير من أدياء المنهج الأزهري، ورضوا بأن يكونوا في موقع المفعول به لا الفاعل.

العصمة في الوحي، وعلينا أن نسدد وأن نقارب، وأن نعمل للإسلام حقاً، بعيداً عن التعصب للأوهام المغلوطة.

زيارة الجفري وجمعة للأقصى بين الحقائق والشبهات^١

في خضم الأحداث المتلاحقة، والقضايا المتشابكة، ظهرت فجأة الدعوة للمسلمين من غير الفلسطينيين لزيارة المسجد الأقصى، وتسارعت فصول هذه الدعوة؛ لنجد الرئيس الفلسطيني محمود عباس ينبري في الإلحاح على نشر هذه الدعوة، ويكررها في كثير من المحافل الإقليمية والدولية، بل ونراه يحاول تدعيم موقفه باستخدام الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، بل وأكثر من ذلك؛ حيث نراه يتقمص دور أهل العلم، فيقوم بالرد على الفتاوى المتكاثرة التي تمنع المسلمين من خارج فلسطين من السفر لزيارة المسجد الأقصى طالما كان في ذلك رضوخ للحكم الصهيوني الغاصب.

ولكن ما إن سار محمود عباس في هذا الطريق حتى رأينا رمزين من رموز التصوف المعاصر يقومان بالاستجابة العملية لهذه الدعوة؛ حيث قام علي الجفري من اليمن بزيارة للمسجد الأقصى، ثم أعقب ذلك زيارة مفتي مصر علي جمعة للمسجد الأقصى.

وقد أثارت هاتان الزيارتان موجة من ردود الأفعال في الأوساط الدينية والثقافية، وأصبحت قضية زيارة المسجد الأقصى وهو تحت احتلال اليهود مثار جدل صاخب، وأصبح الكثير يتكلمون ويكتبون فيها بعلم وبغير علم، تمامًا كما يحدث مع كثير من القضايا المستجدة في ظل ثقافة الغوغائية التي تنتشر في المجتمعات^٢.

ولأن هذا الموضوع متشعب، فستقتصر هذه المقالة على الإشارة إلى الأسباب التي تدفع اليهود للسماح لبعض المسلمين من غير الفلسطينيين بزيارة القدس، ثم الإشارة لعلاقة بعض رموز التصوف ببعض الشبكات العالمية الغامضة، ثم رد بعض الشبهات التي تثار حول هذا الموضوع.

(١) كتبت سنة ١٤٣٣هـ.

٢ - من الدراسات التي تتبعت أصداء هذه الزيارات، دراسة بعنوان: زيارة القدس والأقصى تحت الاحتلال تطبيع أم دعم وتشجيع؟ أعدها الباحث إبراهيم الحمامي، ونشرها مركز الشؤون الفلسطينية بلندن.

١- الأسباب التي تدفع اليهود للسماح لبعض غير الفلسطينيين بزيارة القدس

تقوم الحكومة الإسرائيلية بتضييق الخناق على الفلسطينيين، وتمنع عامتهم من زيارة المسجد الأقصى، سواء كانوا من الفلسطينيين الذين خرجوا من ديارهم إبان بدء الاحتلال اليهودي والقمع والترهيب الذي دفعهم للهجرة؛ فرارًا بدينهم وأنفسهم، أم كانوا ممن أحكم اليهود حصارهم في الضفة الغربية وقطاع غزة، بل حتى الفلسطينيين الذين يعيشون داخل الأرض المحتلة عام ١٩٤٨م، وكذلك الذين يعيشون في نفس مدينة القدس، بجوار المسجد الأقصى، يمنعهم اليهود من زيارة المسجد الأقصى، ولا يسمحون لأحد من مسلمي القدس بالدخول إلا بشروط كثيرة؛ من أهمها أن يكون في مرحلة عمرية متقدمة.

وهذا الواقع بمجرد كفيل بأن يبعث الحذر في نفس كل من تيسر له أسباب السفر للمسجد الأقصى من غير الفلسطينيين، خشية أن ينطلي عليه مكر اليهود وخبتهم، وحثرًا من أن يكون أداة يستخدمها الصهاينة في حرب الإسلام وأهله.

لماذا يمنع اليهود الفلسطينيين من زيارة المسجد الأقصى، في حين أنهم يسمحون

للحبيب الجفري وهو شاب في الأربعين من عمره بزيارة المسجد الأقصى؟

والإجابة بدهاءة هي أن اليهود يمنعون كل من قد تسبب زيارته للمسجد الأقصى أدنى خطر عليهم، ويسمحون لبعض غير الفلسطينيين بالزيارة إذا تمكن اليهود من استغلال هذه الزيارة في تحقيق مآرب خاصة بهم.

والذي يظهر أن اليهود يحاولون تحقيق أحد الأهداف التالية:

أ- تغيير الوضع الدولي للقدس:

في سنة ١٩٤٧م صدر من الأمم المتحدة القرار الظالم الذي يوصي بتقسيم فلسطين، ويدعي للمحتل اليهودي حقًا في فلسطين، وينصح بإقامة دولتين؛ دولة عربية وأخرى يهودية، أما منطقة القدس فتمثل منطقة مستقلة تدار من قبل إدارة دولية تضمن حرية زيارة الأماكن الدينية لجميع من في فلسطين من عرب ويهود وللأجانب كذلك، مع المحافظة على

الوضع الراهن للمدينة، ومنع أي عمل من شأنه تغيير طابعها، وفي سنة ١٩٤٨م أعلن اليهود قيام دولتهم استنادًا على قرار التقسيم، وفي سنة ١٩٤٩م قبلت الجمعية العامة للأمم المتحدة عضوية إسرائيل فيها، وأصبحت إسرائيل الدولة رقم ٥٩ في منظمة الأمم المتحدة، وأكدت الأمم المتحدة دعوة إسرائيل إلى الالتزام بقرار التقسيم، وكان المسجد الأقصى إلى ذلك الحين بعيدًا عن سيطرة اليهود، وفي سنة ١٩٦٧م احتل اليهود كامل فلسطين بما في ذلك المسجد الأقصى، خلافًا لقرار مجلس الأمن، ولذلك أصدر مجلس الأمن عام ١٩٦٧م قرارًا يدعو إلى انسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضي التي احتلت في الصراع الأخير. بهذا العرض المبسط يتبين أن الأمم المتحدة لم تعترف بحكم إسرائيل للمسجد الأقصى، وتدعوه في ذات الوقت للسماح للجميع بزيارة الأماكن الدينية.

- سبب وضع الأمم المتحدة للقدس تحت الحماية الدولية:

من المؤكد أن الأمم المتحدة اتخذت هذا القرار لأهداف عدائية، قد يكون منها:

* **قطع أمل المسلمين في حكم مدينة القدس:** وذلك بأن تجعل الدول العربية بين خيارين؛ فإما أن يقبلوا بحكم اليهود للقدس، وإلا فليطالبوا بحكم الأمم المتحدة لها وفق قرار الأمم المتحدة، أما أن يحكم المسلمون القدس فهذا غير مطروح بتاتًا عند من يدير موائد المفاوضات في أروقة الأمم المتحدة.

* **مراعاة موازين القوى العالمية:** حيث شهد العالم قبيل تلك السنوات أحداث الحرب العالمية الثانية، التي غيرت موازين القوى العالمية، وظهر نتيجة لذلك المعسكر الشرقي كِنْدٍ وحيد للمعسكر الغربي، وعمل كل معسكر منهما على بسط نفوذه في أماكن انتشار الآخر، وكان التصريح بإعطاء القدس لليهود يعني إهداء فرصة للمعسكر الشرقي لاستمالة دول الشرق الأوسط؛ بحجة دعم موقفها إزاء العدوان الغربي واليهودي.

* **وضع نصيب للنصارى في مدينة القدس:** حيث إن القدس يحوي كنيسة القيامة، وهي كنيسة لها قدسيته عند كثير من النصارى، كما أن فلسطين عامة فيها كثير من

الأماكن التي يعتقد النصارى لها قدسية خاصة، وبذلك فإن نص الأمم المتحدة على دولية المدينة فيه تمكين للنصارى يفوق ما قد يحصلون عليه وهي تحت حكم اليهود.

* **الضغط على اليهود:** حتى تصبح مدينة القدس واحدة من القضايا التي يمكن استغلالها في مواجهة النفوذ اليهودي الذي قد يضر بكثير من القوى العالمية، تلك القوى التي وإن أظهرت التأييد لليهود فإنها تخشى في الحقيقة من أن تصبح إسرائيل نداءً لها، قال تعالى: ﴿تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾^١.

* **الخوف من غضب المسلمين:** حيث إن المسلمين رغم ضعفهم الظاهر، تبقى لهم هيبة تلقي في قلوب أعداء المسلمين الرعب، قال تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾^٢، وهذه الهيبة تجعل كثيرًا من الأعداء يستخدم طريقة الحرب على مراحل؛ حيث يحصل في كل مرحلة على بعض ما يريد؛ خوفًا من حصول بركان إسلامي يدمر ما انتهوه منذ مئات السنين.

* **استدراج المسلمين بهذه القرارات:** وذلك بأن تكون هذه القرارات التي تخدع المسلمين ببعض حقوقهم، سببًا في ركوب بعض المسلمين إلى هذه الهيئات الطاغوتية، والرضا بالتحاكم إليها، واعتقاد أنها وسيلة أنجح وأمن من وسائل الجهاد والمقاومة، مما ييسر على اليهود التدرج في تحقيق بقية أطماعهم التي لا تنتهي قطعًا عند القدس ولا فلسطين.

- واليهود يسعون منذ أكثر من مائة عام بخطط دؤوبة إلى تحقيق طموحاتهم، تلك الخطط التي يتم تنفيذها في مراحل متتابعة، تستغرق كل مرحلة زمنيًا ليس باليسير، ولذلك لا نعجب إذا علمنا أن اليهود احتلوا الجزء الأول من القدس وهو ما يسمى بالقدس الغربية عام ١٩٤٨م، وفي عام ١٩٦٧م أكملوا احتلال القدس واستولوا على المسجد الأقصى، وفي عام ١٩٨٠م أعلنوا قرار ضم القدس واعتبار القدس عاصمة أبدية لدولة إسرائيل، وهذا القرار لم

١- الحشر: ١٤

٢- آل عمران: ١٥١.

يلق تجاوبًا دوليًا وقتها، ولم تقره الأمم المتحدة، ويستخدم اليهود منذ أمد سياسة الأمر الواقع لتقرير احتلالهم القدس، ويحاولون استصدار اعتراف من الأمم المتحدة بهذا الوضع، وكذلك يحاولون إقناع دول العالم بالاعتراف بهذا الوضع عبر نقل سفاراتها إلى القدس.

ولذلك فإن زيارة رموز التصوف للقدس من الأدلة التي تجمعها إسرائيل؛ لتدعي حمايتها لأماكن العبادة، وفتحها أمام الزوار من مختلف بلدان العالم، ومن المؤسف أن تصريحات مفتي مصر علي جمعة، تخدم هذه الخطة الإسرائيلية بشدة؛ حيث صرح بأنه لم يحصل على تأشيرة منهم، ولا ختموا على جواز سفره، بل ولا رأى واحدًا منهم، وهذا عين ما يطلبه اليهود، تصريح من رجل دين يشهد لهم بعدم الحجر على المسلمين، ويسعيهم في تيسير زيارة المسلمين للقدس^١.

ب- التستر على جرائمهم القائمة والقادمة:

يرتكب اليهود يوميًا الكثير من الجرائم في حق إخواننا المسلمين في فلسطين؛ من قتل، واعتقال، وتهويد، واستيطان، وحفريات، وحصار، وتجريف، وتدمير... إلى غير ذلك من جرائم يندى لها الجبين، ولكن اليهود قوم بهت، يستحلون الحرام بأدنى الحيل، ولا يخجلون من تقديم التبريرات الواهية المضحكة؛ ولذلك فالكيان الصهيوني قد يستخدم هذه الزيارات للترويج لدعوى محافظته على حقوق الإنسان والأديان، وفي ذات الوقت لا يستبعد أن تزداد وتيرة الإجرام اليهودي في فلسطين، بل ولا يستبعد أن يتم عمل عدواني ضد بنيان المسجد الأقصى، أو تمكين لليهود من بعض أجزائه المخصصة للمسلمين.

ت- التطبيع:

يهتم اليهود كثيرًا بمسألة التطبيع مع الدول العربية، ويسعون في ذلك سعيًا حثيثًا،

١- ينظر في التطورات التاريخية لقضية فلسطين وموقف الأمم المتحدة من قضية القدس، موقع مؤسسة القدس الدولية، وموقع منظمة التحرير الفلسطينية، على الشبكة العنكبوتية.

لأهداف من أهمها إفساد المسلمين، ونشر ثقافة الفجر والإلحاد بينهم، واختراق بنيتهم، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾^١، وأخبر الله جل وعلا أن من صفات اليهود الإفساد في الأرض، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾^٢، وقال جل وعلا: ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾^٣، وقد عملوا بدأب منذ أمد على التغلغل في البلاد المحيطة بهم، عبر عدد من الوسائل؛ منها أفواج السياح التي ترتع في تلك البلدان حيث شاءت.

ومع بزوغ الثورات العربية اضطربت كثير من مخططاتهم، وتغيرت كثير من المعطيات المحيطة بهم، وفي فتح باب زيارة الأقصى للمسلمين من غير الفلسطينيين فرصة كبيرة للتغلغل بين المسلمين، واختراق صفوفهم، وإضعاف روح العداوة المتوقدة في قلوب المسلمين تجاه اليهود، واستقطاب العملاء والجواسيس، ونشر الفساد الخلقي بين المسلمين، وتنشيط الاقتصاد اليهودي وتدعيمه.

إن اليهود ليسوا بهذه السذاجة التي يتصورها البعض؛ حيث يصورون الزيارة بأنها رباط في المسجد الأقصى الذي بارك الله فيه للعالمين، ودعم لأهل القدس المناضلين، وتكثير لسواد المسلمين، ونكاية في اليهود الغاصبين...!!!

٢- علاقة بعض رموز التصوف ببعض الشبكات العالمية الغامضة

ليست هذه هي المرة الأولى التي تطرح فيها قضية زيارة المسجد الأقصى وهو تحت الاحتلال اليهودي، بل القضية مطروحة منذ أمد بعيد، وأصدر شيخ الأزهر الشيخ جاد الحق فتوى بالمنع منذ سنين طويلة.

وأصبح الواقع العملي يرفض هذه الزيارات منذ أمد بعيد، واستقر هذا الأمر عند الدعاة

١- النساء: ٢٧.

٢- المائدة: ٦٤.

٣- آل عمران: ٦٩.

والسياسيين، بل والشعوب نفسها.

فما الجديد إذن؟

الجديد أن زيارة الجفري وجمعة تأتيان في سياق مريب، وتزامن غريب، ومخططات لم تتضح أبعادها بعد.

فما الذي يربط بين الرئيس الفلسطيني محمود عباس، وأمراء الأردن هاشم بن الحسين وغازي بن محمد، ومرافقيهما الجفري وعلي جمعة؟

وما الذي يدعو نصارى مصر لتكثيف زيارتهم للقدس الآن؟

وما الجهة التي تعمل في فلسطين والأردن ومصر واليمن؟

ولماذا لم يؤيد هذه الزيارات غالبًا سوى من لا يؤمنون في مثل هذه المواقف؛ إما لسيرتهم غير المرضية، أو لمنصبهم الحكومي، أو لجهلنا بحالهم؛ مثل البوطي، ووزير الأوقاف الفلسطيني، ومستشار ملك الأردن، ورئيس رابطة العالم الإسلامي، وبيان منسوب لعلماء البلقان، وآخر لما يسمى بمجلس المواصلة بجنوب شرق آسيا؟

ولماذا ترحب إسرائيل بهذه الزيارات، ولا تضع أمامها أدنى العراقيل، بل ولا تؤخر الإجراءات الإدارية؟

إننا لا نستطيع أن نعرف حقيقة الاتصالات التي تدور، ولكننا نضع نصب أعيننا أن الجفري كان ضمن الفريق الذي أسهم في تطبيع العلاقات مع الدنمارك إبان أزمة الرسوم المسيئة للرسول صلى الله عليه وسلم بزيارته المشهورة للدنمارك مع عمرو خالد وطارق السويدان، وأن الجفري له علاقة بمشاريع ثقافية مشبوهة، تدور حول ما يسمى حوار الأديان والحضارات في مثل: مؤسسة آل البيت للفكر الإسلامي بالأردن، مما دفع مؤسسة أوجن بيسر الألمانية إلى تكريمه تقديرًا لمساهمته في الحوار الإسلامي المسيحي، وبذله الجهود من أجل السلام بين الشعوب.

وكذلك علي جمعة لا ننسى زيارته الشهيرة لأعضاء نادي الليونز الماسوني بالقاهرة واحتفاله بعيد ميلاده معهم، وكذلك حصوله على الدكتوراه الفخرية من جامعة ليفربول في

بريطانيا، ومشاركته في كثير من الأنشطة الثقافية المقلقة، مثل ندوة تحديات الإسلام المعتدل: المؤسسة الدينية المصرية ضد التطرف، التي عقدها معهد السلام الأمريكي. وقد صدرت دراسة بعنوان: ولتستبين سبيل المجرمين، أعدها الدكتور محمد يسري، ترصد الجهود الغربية في احتواء الطرق الصوفية وتوجيههم لخدمة مخططات الغرب وأهدافهم. إن هذه المعطيات جميعها تجعلنا نتوجس خيفة، عندما نرى تجمع العلمانية السياسية مع الصوفية الحركية، لينفردا بتوجيه العلاقة مع الكيان الصهيوني إلى وجهة جديدة غامضة في ظل أوضاع إقليمية متشابكة.

٣- رد بعض الشبهات التي تثار حول هذا الموضوع

يقوم البعض بمحاولة جمع الشبهات وتكثيرها؛ ليرر هذه الزيارات، بل وليجعلها بمنزلة الأمر المتعين على الأمة، الذي تأثم إن فرطت فيه. وممن قاموا بهذه المهمة الحبيب الجفري؛ حيث ذكر في موقعه على الشبكة العنكبوتية عددًا من الشبه التي يبرر بها موقفه، وهذا عرض لأهمها:

أ- فضيلة شد الرحال إلى المسجد الأقصى:

يستدل الجفري بقول النبي صلى الله عليه وسلم: «لَا تُشَدُّ الرَّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ: مَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِي، وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى»^١.

وهذا الحديث في غير محل النزاع؛ لأن النزاع ليس في أصل حكم الزيارة، بل في وضع استثنائي، وهو الزيارة التي تقوي موقف اليهود الغاصبين، وتفتح لهم الباب أمام اختراق الأمة الإسلامية، وتجعل الزائر خاضعًا لسلطان أهل الحرب، متقيدًا بنظمهم الطاغوتية. ومناطق المسألة هو: هل يسوغ الوقوع في هذه المخالفات في سبيل تحصيل فضيلة الصلاة في المسجد الأقصى؟ ومثال ذلك: هل تجوز السرقة لتحصيل نفقة السفر إلى المسجد الحرام؟ إذن الاستدلال بأحاديث شد الرحال استدلال في غير محل النزاع.

١- رواه البخاري ومسلم.

ب- حصول الإسراء إلى المسجد الأقصى وهو تحت حكم الرومان:

وهذا أيضًا حيدة عن أصل القضية، فقد كان إسراء النبي صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى آية من الله جل وعلا أيد بها نبيه صلى الله عليه وسلم، ولم يكن هناك أدنى سلطان للروم على النبي صلى الله عليه وسلم، ولا تطبيع، ولا رأي لهم أصلاً، بل كان هذا بقوة الله جل وعلا القاهرة، فأين هذا من ذلك؟

ج- أداء النبي صلى الله عليه وسلم عمرة القضاء ومكة تحت حكم كفار قريش:

يقول الجفري: (اعتمر عمرة القضاء مع الصحابة، ومكة تحت حكم كفار قريش، واعتمر وصلى والأصنام منصوبة في الكعبة وحواليها، والتزم بشروط كفار مكة في الزيارة، فلم يكن ذلك تطبيعًا ولا استسلامًا).

وهذا أيضًا قياس مع الفارق، فالنبي صلى الله عليه وسلم خرج معتمرًا قاصدًا مكة، يسبقه الرعب الذي ينزل في قلوب مشركي مكة من خوفه ومهابته، قال صلى الله عليه وسلم: «**نصرت بالرعب مسيرة شهر**»^١، وكان قاصدًا للعمرة رغم أنف قريش، ففي حديث صلح الحديبية، قال صلى الله عليه وسلم: «**أشيروا أيها الناس علي، أترون أن أميل إلى عيالمهم وذراري هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت...**» فقال أبو بكر: (يا رسول الله خرجت عامدًا لهذا البيت، لا تريد قتل أحد ولا حرب أحد، فتوجه له، فمن صدنا عنه قاتلناه) فقال صلى الله عليه وسلم: «**امضوا على اسم الله**»^٢.

وعندما أراد كفار قريش التفاوض مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرجع في عام الحديبية ويعود من العام القادم، ظهر فزعهم من المسلمين، فهذا عروة بن مسعود ينوب عن قريش في التفاوض مع النبي صلى الله عليه وسلم، ويقول له: (أي محمد، رأيت إن استأصلت أمر قومك هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك)^٣.

١- رواه البخاري ومسلم.

٢- رواه البخاري في صحيحه.

٣- رواه البخاري في صحيحه.

وقبل صلح الحديبية أكد النبي صلى الله عليه وسلم أن تعظيم حرمان الله هو الأصل الذي لا محيد عنه، قال صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمان الله إلا أعطيتهم إياها»^١.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم مطمئنًا إلى تأييد الله ونصره، قال صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب لما سأله عن صلح الحديبية: «يا ابن الخطاب، إني رسول الله، ولن يضيعني الله أبدًا»^٢.

ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عزيزًا شامخًا، ودخل معه أصحابه أعزة شامخين، ولهذه العزة مظاهر كثيرة، من أمهجها حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: «إن النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة في عمرة القضاء، وعبد الله بن رواحة بين يديه يمشي، وهو يقول:

اليوم نصر بكم على تنزيله

خلوا بني الكفار عن سبيله

ويذهل الخليل عن خليله

ضربًا يزيل الهام عن مقيله

فقال له عمر: يا بن رواحة، بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي حرم الله تقول الشعر، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: خل عنه يا عمر، فلهي أسرع فيهم من نضح النبل»^٣.

بل إنه صلى الله عليه وسلم لما بلغ يأجج، وهي منطقة شمال التنعيم لا تبعد عن الحرم سوى قرابة عشرة كيلو متر، وضع الأسلحة مثل المجان والنبيل والرماح، وخلف عليها أوس بن خولي الأنصاري في مائتي رجل، ودخل بسلاح الراكب: السيوف في القرب، أي أنه أخذ الحيلة التي ترهب كفار قريش من التفكير في الغدر بهم.

١ - رواه البخاري في صحيحه.

٢ - رواه البخاري ومسلم.

٣ - رواه الترمذي والنسائي في سننهما.

٤ - ينظر تفاصيل صلح الحديبية وعمرة القضاء في كتاب الرحيق المختوم.

فكيف تتأني المقارنة بين هذه العزة وتلك الزيارات التي يستغلها اليهود في خدمة أغراضهم الخبيثة؟

د- ادعاء وجود مصلحة في الزيارة تفوق المفسد المترتبة عليها:

حاول الجفري أن يسوق عددًا من المصالح التي يظنها دليلاً على صحة فعلته، ومن ذلك قوله: (لا يذهب عاقل سليم الذوق إلى تلك المواطن إلا ويزداد رفضاً للظلم والاحتلال...، المسجد الأقصى الذي صار شبه مهجور من المسلمين بسبب خوف التطبيع...، المرابطون يعانون العزلة والتضييق عليهم نفسياً واقتصادياً وأمنياً، وقد غادر البعض منهم القدس لشدة الحاجة ولم يعد الأمر سهلاً على الفلسطيني في الضفة أو غزة أن يصلي في الأقصى...، يجب تفويج المصلين والزوار مع إرشادهم إلى ضرورة السكن والشراء من المقدسيين مسلمين ومسيحيين لإنعاش اقتصادهم...، خدمة الاقتصاد الفلسطيني؛ إذ إن حوانيت المقدسيين وحاناتهم تكاد تكون خالية؛ لأنها تعتمد بالأساس على خدمة من يقومون بزيارة المسجد الأقصى).

وهذه المصالح المزعومة تتغاضى حقيقتين مهمتين، هما:

- ١- أن اليهود الذين يضيقون على مسلمي القدس هم هم الذين يرحبون بزيارة الجفري وجمعة وأمثالهم، وهذا دليل قاطع على أن المصلحة في عكس ما يرغب اليهود.
- ٢- أنه يمكن السعي في تحقيق جل هذه المصالح بوسائل أخرى لا تترتب عليها المفسد المتوقعة، حيث إن دعم مسلمي فلسطين هو مفتاح العلاج لكل هذه الأمور، وهناك وسائل عديدة للدعم المادي والمعنوي؛ عبر كثير من المنظمات الإسلامية التي تعمل هناك ولها مندوبون خارج فلسطين، وعبر آلاف الفلسطينيين الذين يسافرون إلى البلاد الإسلامية من أجل الحج والعمرة والعلاج والتعليم والتجارة والعمل...

هـ- موقف العلماء المسلمين تاريخياً من زيارة الأماكن المحتلة:

أورد موقع الجفري شبهات أخرى ونسبها لآخرين، ممن يدعمون موقفه، وهي عبارة عن كلام عام لا تحديد فيه، يزعم أن علماء المسلمين عبر القرون لم يصدر عنهم مثل ذلك المنع،

فيقولون مثلاً: (التتار عندما احتلوا بغداد، لم تصدر فتوى من أي من علماء المسلمين بتحريم زيارة بغداد؛ لأنها تحت حكم الاحتلال، بل دعا علماء المسلمين إلى شد الرحال إليها لتحريرها) نعم العلماء دعوا إلى شد الرحال للتحرير، ونحن كذلك ندعو لشد الرحال لتطهير المسجد الأقصى من دنس الغاصبين، وجهادهم والتنكيل بهم، أما الزيارة التي تدخلت تحت اتفاقيات السلام والتطبيع فتلك التي نحاربها.

وفي تلاعب بالتاريخ ينقل موقع الجفري قول بعضهم: (القدس كانت تحت الاحتلال الصليبي لسنوات طويلة، أين فتاوى العلماء؛ حيث كان بها العز بن عبد السلام سلطان العلماء، وكان بها أبو حامد الغزالي وابن تيمية، هل حرموا على المسلمين دخول القدس، فهؤلاء أعلام في تاريخ الأمة الإسلامية، ولم يقولوا بأنهم لن يدخلوا القدس طالما أنها تحت الحكم الصليبي، بل بالعكس، أبو حامد الغزالي عندما دخل القدس وهي تحت الاحتلال الصليبي دخل من باب الأسباط، ورأى ٣٦٠ حلقة علم في ساحات المسجد الأقصى، وأصبح يبكي، حيث قال: إنه رأى أن إقبال الناس على العلم انخفض).

وهذا جهل بالتاريخ وافتئات على هؤلاء العلماء، فما عاش أحدهم بها وهي تحت احتلال الصليبيين، بل إن صلاح الدين الأيوبي عندما حرر القدس كان العز بن عبد السلام في السادسة من عمره، وابن تيمية ولد بعد تحريرها بأكثر من سبعين سنة، أما الغزالي فمات بعد احتلال القدس بثلاث عشرة سنة، ولم يدخل في تلك السنين الثلاث عشرة القدس أصلاً!!

وكذلك نجد بعض الكتاب يقولون: (المسلمون لم يتوقفوا عن زيارة القدس إبان الانتداب البريطاني) وهذا كذلك قياس مع الفارق؛ لأن جل بلاد المسلمين وقتها كان واقعاً فعلاً تحت الاحتلال الأوروبي، فكان الانتقال هو من مكان محتل إلى مكان محتل آخر، إضافة إلى أن

١ - ينظر تاريخ تلك الحقبة وأعلامها، في البداية والنهاية لابن كثير، وسير أعلام النبلاء للذهبي، والأعلام للزركلي.

التواجد الكثيف بالمسجد الأقصى وقتها كان ضروريًا للوقوف ضد العصابات اليهودية التي كانت تقدم لاستيطان فلسطين؛ تمهيدًا لإقامة دولتهم عليها، أما الآن فلم تعد المصلحة تقتضي قدوم غير الفلسطينيين إليها زائرين، وأصبح تحكم اليهود في القدس وفي من يدخلها أمرًا في غاية الوضوح.

وختمًا:

فهذه القضية في الحقيقة ما هي إلا فصل من فصول الصراع بين الأمة الإسلامية والموجات العاتية التي تحاول التلاعب بها، مستخدمة في ذلك الأساليب الملتوية، والحيلة والخديعة، والدهاء والمكر، ولكن هيهات هيهات، فسينقلب تديرهم تدميرًا عليهم، ﴿وَلَا يَحِقُّ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾^١.

الفكر الصوفي عند علي جمعة^١

ظهر الدكتور علي جمعة في الحقبة الأخيرة؛ كرجل مثير للجدل، يخرج بين فينة وأخرى بأطروحات وقضايا وآراء مستغربة، تارة في علم الكلام، وتارة في الفقه، وتارة في التصوف، وتارة في السياسة الشرعية ...

وكانت آراؤه المتعلقة بالتصوف تمثل رافدًا مهمًا لكثير من الصوفية؛ بحيث اعتبروه رجل إنقاذ يحاولون بالالتفاف حول آرائه البقاء في ساحة الفكر، بعد أن عصفت بمناهجهم العواصف، فاقتلعت طرقهم من جذورها في كثير من بقاع الأرض، وبقيت بقية من هذه الطرق تترنح بمئة ويسرة منتظرة يوم السقوط.

وقد سلك علي جمعة في نصرته للفكر الصوفي طريقة المقدمات والنتائج؛ كما يلي:

المقدمات الصوفية: يقدم علي جمعة النقاش حول بعض القضايا التي يهتم بها الصوفية ويكثر الجدل حولها، وقد يحتمل بعضها وجهًا من الوجوه، أو يستند على شبهة دليل، أو يقول بما عالم أو عدد من العلماء؛ مثل قضايا: التوسل إلى الله جل وعلا بجاه النبي صلى الله عليه وسلم، أو الاحتفال بمولده صلى الله عليه وسلم، أو مصير والد النبي صلى الله عليه وسلم في الآخرة، أو حياة الخضر عليه السلام، أو التسبيح بالسبحة، أو قراءة القرآن للميت، أو البناء على القبور، أو الصلاة في مسجد به قبر ... إلى أمثال هذه القضايا.

وعلي جمعة يجمع لتأييد رأيه في هذه القضايا كل ما يتأتى له، محاولًا إقناع مرديه أن قوله حق لا مرية فيه، وأن المخالفين قوم شذوذ وتعت وجهل، ويظهر ذلك جليًا في كتابيه: (البيان لما يشغل الأذهان مائة فتوى لرد أهم شبه الخارج ولم شمل الداخل)، و(البيان لما يشغل الأذهان فتاوى شافية في قضايا عاجلة).

(١) كتبت سنة ١٤٣٤هـ.

النتائج الصوفية: بعد أن يحاول علي جمعة إقناع مريديه بالمقدمات الصوفية، يأخذهم بغتة إلى التسليم بالتصوف جملة وتفصيلاً، بكل طرقه ومدارسه واتجاهاته، بقديمه وحديثه، وحقه وباطله، دون أدلة أو مناقشات أو حتى شرح أو توضيح؛ لذلك فهو يقدم في ثنايا كلامه التصوف في أعلى درجات الغلو دون اكتراث أو مبالاة؛ ومن ذلك:

- **يمتدح غلاة التصوف الفلسفي:** ومن ذلك ما نقله عن أبي الحسن الديلمي أنه (كان صديقاً للحلاج المتوفى عام ٣٠٩هـ، ولكنه نصح مريديه أن يسلموا له حاله ولا يقتنوا به في شطحاته)^١، وأما ابن عربي فيقول عنه: (يأتي محي الدين بن عربي ليعطي لنا مثلاً قوياً وحكمًا عجيبيًا ويقول: (التصديق بنا ولاية)؛ لأن التصديق بالولي الذي ظهرت عليه علامات الشرع، وتمسكه، والتزامه بالذكر والفكر، وسيره وأدبه مع الله، وإرشاده للخلق لدين الحق، فالإيمان بما رواء ذلك إنما هو إيمان بالغيب، فالتصديق به ولاية)^٢.

ويقول عن البسطامي: (قال أبو يزيد البسطامي وكان فيه جذبة: خضنا بحرًا وقف على شاطئه الأنبياء، فظنوا أنه يتعالى على الأنبياء، وهو كان رجلًا مجذوبًا يقول أشياء ظاهرها غير مقبول وحققتها لطيفة لا شيء فيها، خضنا بحرًا وقف الأنبياء بشاطئه، قالوا: أي بعدما ذهبوا ورجعوا، يعني هو ذهب وتاه في البحار يتمتع بها ويشاهد هنا وهناك، لكن الأنبياء لكمال حالهم مع الله ذهبوا ورجعوا، وهناك من لم يذهب ولم يعد وهم العوام)^٣.

ويقول عن ابن الفارض: (هناك ظاهرة تحتاج إلى دراسة وإلى تعامل حضاري معها، هذه الظاهرة اسمها يس التهامي أحد المغنين بالمدائح النبوية، والذي بدأ في تخصص الغناء بقصائد ابن الفارض، وإذ به يشيع عند عمال التراهيل وبسطاء القرى في الصعيد، وبدأ الناس يزدادون يومًا بعد يوم لسماع صوته الرخيم، وهو يؤدي قصائد الحب الإلهي والرؤية

١ مقال في جريدة الأهرام، بعنوان: عطف الألف المؤلف على اللام المعطوف، بتاريخ ٢٥ - ٦ - ٢٠٠٥.

٢ كتاب الطريق إلى الله، د.علي جمعة، ص(١٠٨).

٣ كتاب سبيل المبتدئين في شرح البدايات من منازل السائرين، د.علي جمعة، ص(٧٨).

الكونية العاشقة لسلطان العاشقين ابن الفارض، أليس هذا غريبًا يحتاج إلى دراسة؟ كيف انصرف المتقفون إلى الهراء السمعي والكلامي، والذي أضيف إليه الهراء المنظور في Video Clip وانصرف البسطاء إلى (يس التهامي) في قصائد ابن الفارض... كان الناس يتلقون قصائده ويترنمون بها، وقد جرى فيها على طريقة الحب والغرام، والتصوف في حقيقته حب وحنين إلى الذات الإلهية^١.

- ويرر علي جمعة الطوام العقدية التي انتشرت بين الصوفية وتؤدي لعبادة الأولياء وإشراكهم في الربوبية والألوهية؛ ومن ذلك:

١- **يقول علي جمعة:** (عن ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن لله ملائكة في الأرض سوى الحفظة، يكتبون ما يسقط من نوى الشجر، فإذا أصاب أحدكم عرجة بأرض فلاة؛ فليناد: أعينوا عباد الله)^٢ قال عن سنده الحافظ الهيثمي: (رواه البزار ورجاله ثقات)^٣، وفي الحديث دليل على الاستعانة بمخلوقات لا نراها، قد يسببها الله عز وجل في عوننا، وتتوسل بها إلى ربنا في تحقيق المراد كالملائكة، ولا يبعد أن يقاس على الملائكة أرواح الصالحين، فهي أجسام نورانية باقية في عالمها)^٤، فعلي جمعة يستحسن طلب العون من أرواح الصالحين، والله عز وجل يقول: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ (١٣) إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّتُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣ - ١٤].

مع أن هذا الحديث - مع ما قيل عن صحته وضعفه - متعلق بصنف خاص من الملائكة الحاضرين؛ حيث ينص على أنهم ملائكة في الأرض سوى الحفظة، في أمر مخصوص أقدرهم الله عز وجل عليه، وهو إذا أصابت المرء عرجة أي شيء في رجله، وعلمنا هذه

١ مقال في جريدة الأهرام، بعنوان: ظاهرة ثقافية، بتاريخ ١٤ - ٥ - ٢٠٠٥ م.

٢ رواه البيهقي في شعب الإيمان، (١٦٧)، والبزار في مسنده، (٤٩٢٢).

٣ مجمع الزوائد، الهيثمي، (١٠/١٨٨).

٤ البيان القويم لتصحيح بعض المفاهيم، د.علي جمعة، ص(٥٠).

القدرة بالوحي، فلا يقاس على ذلك بقية الملائكة كجبريل وميكائيل؛ لأن لكلٍ ما أمره الله به، ولا يقاس على ذلك بقية الأمور التي تصيب الإنسان؛ لعدم النص، أما قياس أرواح الصالحين على الملائكة، وزعم أن أرواحهم تشترك مع الملائكة في الوظائف التي أمر الله الملائكة بأدائها، فخيال مريض أشبه ما يكون بتناسخ الأرواح الذي يقول به أتباع بعض الديانات الهندية وبعض طائفة الحشاشين الباطنية.

٢- تكلم علي جمعة عند وفاة حفيد الرئيس المصري السابق حسني مبارك

والمسمى محمد علاء محمد حسني مبارك، وكان من العجائب التي قالها: (حقائق لا بد أيضاً أن الكبار (يفهموها) إن (محمد سَمِعْنَا دلوقتي)، (ديه) حقيقة وثابتة في الدين، وإن (ده مش) خاص بالأطفال ولا بالكبار ولا بالمسلمين وغير المسلمين، (ده) عملية خاصة بالروح، فالروح عندما تتحرر من الجسد لها اطلاع على ما يجري في الأرض ... فمحمد قاعد (يتفرج) علينا (دلوقتي)، وقاعد يسمع كلامنا، (وشايفنا إحنا كمان)، (وشايف) الأرض كلها، وأصبحت الروح (إللي إحنا وإحنا) في جسدنا (مش) قادرين (نشوف) إلا حدود ما نراه الآن، هو أصبح متحرر، (وشايف) كل الناس، وفاهم كل اللغات، وهو في هذا الإدراك الذي خرج خلاص من الجسد، أصبح إدراكه روحي، وهذا الإدراك أصبح (إدراك تام متحرر) ... هو الآن يسمعنا ويرانا ويشعر بنا وأشياء كثيرة جداً)¹ وبهذا يمكننا أن نفهم سر تعلق كثير من الصوفية بالأموات.

٣- أما الطواف حول قبور الأموات؛ فيقول عنه: (الطواف حول قبر الولي ... فإن

الفيصل في ذلك هو نية من يفعل ذلك، فإن كان لا يقصد التوسل بهذا الولي، أو يتشبهه بالطواف بالكعبة، فلا شيء عليه)².

٤- أما الخرافات التي تنسج بدعوى أنها كرامات فنجدها في مثل قوله: (سيدنا عبد

١ حوار في برنامج البيت بيتك في الفضائية المصرية، يوم الثلاثاء ٢٤ جماد أول ١٤٣٠ هـ - ١٩ مايو ٢٠٠٩ م.

٢ فتاوى عصرية، د.علي جمعة، (٢/٥٠).

القادر الجيلاي كان يأكل بطة، فدخلت عليه امرأة، قالت له: أتحمرب ابني من النوم والأكل والشرب حتى ضعف، وتأكل بطة! فأشار إلى البطة فقامت! قال لها: عندما يكون ابنك هكذا^١.

بل إن هذه الخوارق المسماة كرامات، تحصل عنده حتى إن رأينا من مدعي الولاية كبائر الإثم والفسوق فيقول: (سيدنا المرسي أبو العباس سمع ضجة، فقال: ما هذا؟ قالوا: ضبطنا أحد العباد يفعل الفاحشة ومع امرأة متزوجة، فلما أردنا أن نمسك به جرى، فأخرج منديلاً من جيبه وفرشه على الماء ومشى عليه بعيداً، قال: هذا رجل فاسق، قالوا: أفهمنا ما هذا؟ قال: إن الكريم إذا وهب ما سلب، ربنا عرفه كيف يمشي على الماء، فلا يسلبها منه لأنه عصي وزنا، وأصبح فاسقاً)^٢.

وقال: (المقام أمر مستقر، يجد العابد نفسه فيه، إذا ترقى إليه لا يهبط منه، فإن (الكريم إذا وهب ما سلب)، هذه من قواعد الطريق؛ الكريم وهو الله، إذا وهب الإنسان هبة معينة، بأن أعطاه سرّاً من الأسرار، أو أكرمه بنور من الأنوار، أو فتح عليه بفتح من الفتوح، أو علمه قضية من القضايا، أو رقاها إلى مقام من مقامات العبودية، فإنه سبحانه لا يسلبه، ولكن قد يسلب ثوابه والعياذ بالله، وهذا يسمى الخذلان، نعوذ بالله منه، ولذلك فإن أولياء الله ليسوا معصومين، بل هم معرضون تحت قدر الله سبحانه وتعالى للمعصية، ومعرضون أيضاً للسلب، والسلب هنا هو سلب المكانة وليس سلب المقام، يعني تجده هو نفسه يشعر بما يشعر به، ولكنه يسلب بمعنى أنه عندما عصى الله تعالى وأصر على عصيانه فإن الله سبحانه وتعالى يسلب منه ثوابه، يوقف الثواب لكن ما وصل إليه من مقام فإن الكريم إذا وهب ما سلب)^٣.

مع أن نص القرآن يصادم هذا الذي يدعيه، قال الله تعالى: ﴿وَلَنْ أَدْفِنَا الْإِنْسَانَ مِمَّا

١ سبيل المبتدئين في شرح البدايات من منازل السائرين، د.علي جمعة، ص(١٥٨).

٢ المصدر السابق، ص(١٨٣-١٨٦).

٣ الطريق إلى الله، د.علي جمعة، ص(١١٦).

رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكُونُ مِنْكُمْ كَفُورًا ﴿٩﴾ [هود: ٩].

٥- والتسليم لشيخ الطريق مطلق عنده؛ حيث يقول: (فأما الرسل والشيخ فلا يأمرهم بمعصية الله أصلاً، فإن الرسل معصومون من هذا والشيخ محفوظون)١، ويقول: (قد يكون الشيخ مرشداً تاماً، وهو الذي يسمى بالوارث المحمدي، الوارث المحمدي يراعي تلامذته ومريديه حتى على الغير، فإن الله سبحانه وتعالى من شدة صفاء ذلك المرشد الكامل، ومن شدة صقل قلبه، تنعكس على ذلك القلب الأحوال الحادثة مع المريد حتى مع نفسه، فأروا عن تجربة أنه إذا ما رأى الشيخ المريد فإن الله يكشف له مساوئ ذلك المريد ونقصه، ومع ذلك لا يتأثر لهذا النقص، ولذلك لا نخاف من أن يظن ظناً سيئاً في المريد؛ لأنه يعلم أن النقص قد استولى على جملة البشر إلا من عصمه الله)٢.

ويقول: (بل إن الشيخ عlish تكلم عن أن رؤية النبي صلى الله عليه وسلم من أسباب تأييد آراء العلماء المجتهدين فقال: وسمعت سيدي علياً الخواص يقول: لا يصح خروج شيء من أقوال الأئمة المجتهدين عن الشريعة أبداً عند أهل الكشف قاطبة، وكيف يصح خروجهم عن الشريعة مع اطلاعهم على مواد أقوالهم في الكتاب والسنة وأقوال الصحابة، ومع اجتماع روح أحدهم بروح رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسؤاله عن كل شيء توقفوا فيه من الأدلة: هل هذا من قولك يا رسول الله أم لا؟ يقظة ومشافهة.

وكذلك كانوا يسألونه صلى الله عليه وسلم عن كل شيء من الكتاب والسنة قبل أن يدونوه في كتبهم ويدينوا الله تعالى به، ويقولون: يا رسول الله، قد فهمنا كذا من آية كذا، وفهمنا كذا من قولك في الحديث الفلاني كذا، فهل ترضاه أم لا؟ ويعملون بمقتضى قوله وإشارته صلى الله عليه وسلم، ومن توقف فيما ذكرناه من كشف الأئمة ومن اجتماعهم برسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث الأرواح قلنا له: هذا من جملة كرامات الأولياء

١ البيان لما يشغل الأذهان فتاوى شافية في قضايا عاجلة، د.علي جمعة، ص(٣١٨).

٢ الطريق إلى الله، د.علي جمعة، ص(١٨-١٩).

بيقين)^١.

- ورغم كل ذلك فإن النتيجة النهائية عند علي جمعة هي قوله: (ما الفرق بين الصوفي وغيره؟ هو الفرق بين من سلك في طريق الله وبين من تزندق وخرج)^٢.

هذا هو التصوف عند علي جمعة؛ أما ما ينسبونه للتصوف من زهد في الدنيا والرغبة عنها والتقشف؛ فلعلي جمعة رأي آخر يظهر في آرائه الفقهية التي تأخذ من الدنيا ومتاعها بشتى الطرق؛ فجل معاملات البنوك مشروعة^٣، ونظر الصالحين إلى النساء المتبرجات مباح مباح^٤، والانضمام لجيوش أوروبا وأمريكا واستخباراتها مباح إلا إذا اشترك في الإضرار بالمسلمين^٥، وعمومًا هو يرى أن العصر ليس عصر الورع؛ لأن الأخذ بالورع سيعطل الحياة على حسب تعبيره؛ فيقول: (جدد حياتك مع الله، التزم بالحلال والحرام، لا تلجأ إلى محاولة الورع وأن تتمسك به، فالعصر ليس عصر ورع)^٦.

ويقول: (عصرنا هذا هو عصر الحلال والحرام وليس عصر الورع، لو أخذنا بالورع فإن حياتنا سوف تتعطل، والله سبحانه وتعالى لم يأمرنا بذلك، فقد أمرنا بالورع على قدر المستطاع، لكن لو جعلنا الورع هو الأساس كما كان قديمًا لم نستطع أن نحيا بصورة نقوم فيها بواجب الوقت)^٧.

١ البيان لما يشغل الأذهان، د.علي جمعة، ص(١٦٧).

٢ الطريق إلى الله، د.علي جمعة، ص(١٢٤).

٣ انظر مثلاً: فتاوى عصرية، د.علي جمعة، ص(١١٦).

٤ مقال في جريدة الأهرام، بعنوان: رسالة في أدب الخلاف، بتاريخ ٤-٦-٢٠٠٧م.

٥ مقال في جريدة الأهرام، بعنوان: كنت في لندن، بتاريخ ١٧-٧-٢٠٠٤.

٦ النبي صلى الله عليه وسلم، د.علي جمعة، ص(٩٦).

٧ فتاوى عصرية، د.علي جمعة، (١/٤٧٧).

الدكتور أحمد الطيب والتصوف الفلسفي^١

اتسم النتاج العلمي لشيخ الأزهر الدكتور أحمد الطيب -على قلته- بالانزواء في قالب أكاديمي، يلي الاحتياجات الضرورية لعمله في البيئة الجامعية، ويخاطب شريحة صغيرة جداً ممن تتطلب البيئة الجامعية مخاطبتهم.

ورغم أنه تولى عدة مناصب ذات صبغة جماهيرية؛ مثل الإفتاء، ثم رئاسة جامعة الأزهر، ثم مشيخة الأزهر، إلا أن هذا العزوف عن التوسع في الإنتاج العلمي وملاحقة الأحداث ظل هو السمة البارزة في شخصيته.

وكون الشخص مسهباً في الإنتاج العلمي أو مقتصدًا فيه، ليس هو المعيار الحقيقي الذي يؤثر في جهود الشخص وأعماله.

لكن العجيب أن هذا النتاج القليل للدكتور أحمد الطيب ظهر فيه ولع واهتمام بشخصية من الشخصيات التاريخية، التي كان لها أثر كبير في كثير من الانحرافات الخطيرة التي وقعت في تاريخ الأمة الإسلامية.

إن الدكتور أحمد الطيب اهتم بشخصية ابن عربي اهتمامًا ملحوظًا، وقد برز هذا الاهتمام في بحوث الدكتور أحمد الطيب؛ حيث لم تحظ أي شخصية أخرى بمثل دراسات الدكتور أحمد الطيب عن ابن عربي؛ فقد اهتم بدراسة ابن عربي سواء بتأليف البحوث أو ترجمتها من اللغات الأوروبية؛ فنجد مثلاً للدكتور أحمد الطيب هذه العناوين لدراسات ألفها أو ترجمها:

- ١- مؤلفات ابن عربي تاريخها وتصنيفها.
- ٢- دراسات الفرنسيين عن ابن عربي.
- ٣- ابن عربي في أروقة الجامعات المصرية.
- ٤- الولاية والنبوة عند الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي.

(١) كتبت سنة ١٤٣٢هـ.

وإذا قبلنا صفحات ترجمته لكتاب "الولاية والنبوة عند الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي" الذي ألفه بالفرنسية علي شوكيفيتش، نجده بيدي الإعجاب الشديد بالنموذج الفكري عند ابن عربي، مدعيًا أن قراءة ابن عربي تحتاج إلى ما يسميه عمقًا في الفهم والعلم، يقول د. أحمد الطيب عن ابن عربي في مقدمة ترجمته لهذا الكتاب: "قد تتفق أيها القارئ المدقق فيما يقصه عليك ابن عربي وقد تختلف معه، جذريًا أو جزئيًا، بدءًا من العناوين التي يبدأ منها أنظاره العرفانية، وانتهاء بما يريد أن يقوله للسالك المتذوق، في صراحة أحيانًا، وفي إشارة أو رمز في أغلب الأحيان، لكن الذي لا أظن أحدًا يمكن أن يتمارى فيه هو أن من يلقي نفسه في خضم تراث ابن عربي الذي تمتزج فيه علوم العقل والنقل والذوق امتزاجًا عجيبًا، لا يسعه إلا الاعتراف -مختارًا أو مكرهًا- بأن هاهنا مستوى من المعرفة -كائنًا ما كان موقفنا منه- يفوق كل طاقات البحث والدرس، ويقع وراء كل الحدود التي وقف عندها جهاذة العلماء والمفكرين المسلمين، وهذه في حد ذاتها معضلة من معضلات تراث ابن عربي؛ إذ الصبر على فهم هذا التراث، ومحاولة ترتيبه، وربط خوافيه بقوادمه، والسيطرة على النتائج المستخلصة، يتطلب عمرًا مديدًا، وجهدًا شاقًا لا يطيقه إلا الأفاضل من علماء العصر الحديث"^(١).

والكتاب يتعامل مع كثير من عبارات ابن عربي وفلاسفة الصوفية بناء على أساسين:

١- الإقرار بصحة نسبة أكثر هذه العبارات: حيث ترد هذه العبارات بصيغ الجزم في

نسبتها لهم، وليس كما كان يفعل البعض من إنكار كل ما تظهر مخالفته للشريعة، وادعاء أن ذلك منحول عليهم.

٢- إحسان الظن بهذه العبارات: مهما بلغت درجة مصادمتها للشريعة، واستخفافها

بأصوله.

فمثلاً يصطدم قارئ ترجمة د. أحمد الطيب لهذا الكتاب، أول ما يصطدم، بدياجة من

(١) الولاية والنبوة عند الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي، تأليف علي شوكيفيتش، ترجمة د. أحمد الطيب، دار القبة الزرقاء، المغرب، ص ٣.

عبارات ابن عربي افتتح بها الكتاب، دون أدنى تعليق، وهي: "قال الشيخ الأكبر، سلطان العارفين بالله، محيي الدين بن العربي الحاتمي: ورد في الخبر الصحيح في صحيح مسلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الله جميل يحب الجمال» وهو تعالى صانع العالم وأوجده على صورته؛ فالعالم كله في غاية الجمال ما فيه شيء من القبح، بل قد جمع الله له الحسن كله والجمال..، فما رأى العارفون فيه إلا صورة الحق..، فهو المتجلي في كل وجه، والمطلوب في كل آية، والمنظور إليه بكل عين، والمعبود في كل معبود..، فجميع العالم له مصل، وإليه ساجد، وبحمده مسبح، فالألسنة به ناطقة، والقلوب به هائمة عاشقة"^(١)!!.

والكتاب مليء بكثير من التعبيرات التي تناقض كثيراً من أمور الإسلام، والتي لا مبرر لها عند القوم إلا زعمهم أن اللغة لا تحيط بالمعاني الجليلة، ومن ذلك:

- قول أحد فلاسفة التصوف: "جعلني متصفاً بصفاته، ثم جعلني متحدًا بذاته، ثم رأيت نفسي كأني هو، ثم أفقت من ذلك، ونزلت من مقام الربوبية إلى مقام العبودية"^(٢).

- وقول المؤلف: "إن ابن عربي يبين بعد ذلك أن النبوة بالمعنى الخاص وهي نبوة التشريع إذا كانت تنتهي وتقطع فإن النبوة العامة وهي التي لا تشريع فيها باقية دون انقطاع، والنبوة بالمعنى العام هي ما يعبر عنها عادة باصطلاح الولاية"^(٣).

- وقوله كذلك: "ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم نهي عن قتل الرهبان ممن اعتزلوا الناس وانقطعوا في الجبال لعبادة ربهم، وأنه قال في شأنهم: (ذروهم وما انقطعوا إليه) وهنا يستنبط ابن عربي أن تبليغ الدعوة رغم أنه من الواجبات المفروضة على المؤمنين، إلا أنه غير مطلوب في مثل حالة الرهبان هذه، مما يدل فيما يقول ابن عربي

(١) السابق، ص ٨.

(٢) السابق، ص ٤٩.

(٣) السابق، ص ٥٧.

على أن هؤلاء الرهبان كانوا على بينة من أمر ربهم" (١).

- ونشر الخزعبلات التي تفسر أحوال بعض المرتدين عن الإسلام، بزعم أن هؤلاء المرتدين أولياء غلب عليهم حال نبي من الأنبياء السابقين، كما قال المؤلف: "ثمة أنموذج آخر للولي العيسوي يمكن أن نتعرف عليه في يسر وسهولة من خلال شخصية عين القضاة الهمداني، الذي يشبه من وجوه عديدة أنموذج الحلاج أيضاً، لقد كان عين القضاة تلميذاً لأحمد الغزالي، واتهم بالزندقة ودعوى النبوة، وحكم عليه بالموت شنقاً، وقطعت رأسه بهمدان سنة ٥٢٥ / ١١٣١، وكان عمره آنذاك ثلاثة وثلاثين عاماً، وهو العمر الذي رُفِع فيه المسيح إلى السماء، وهو أيضاً عمر أهل الجنة في الجنة" (٢).

- ومع أن دعوى حب النبي صلى الله عليه وسلم هي أساس كثير من مبتدعات هؤلاء القوم، إلا أن استمراءهم لإطلاق الألفاظ على عواهنها، يجعل من السائغ عندهم إساءة الأدب مع النبي صلى الله عليه وسلم، كما نقل المؤلف عن أحدهم: "رأيت النبي صلى الله عليه وسلم جالساً على وسط لجة البحر متربعاً سكران" (٣).

- وعقلية الخرافة هي الجامع لشطحات الكتاب الكثيرة؛ مثل ما نقله عن ابن عربي من قوله: "وشاهدت جميع الأنبياء كلهم؛ من آدم إلى محمد صلى الله عليه وسلم، وأشهدني الله تعالى المؤمنين به كلهم، حتى ما بقي منهم أحد ممن كان ويكون إلى يوم القيامة، خاصهم وعامهم، ورأيت مراتب الجماعة كلها، فعلمت أقدارهم" (٤)، وكذلك قول بعضهم: "كان شيخنا ابن عربي متمكناً من الاجتماع بروح من يشاء من الأنبياء والأولياء الماضين على ثلاثة أنحاء؛ إن شاء الله استنزل روحانيته في هذا العالم وأدركه متجسداً في صورة مثالية شبيهة بصورته الحسية العصرية التي كانت له في حياته الدنيا،

(١) السابق، ص ٨١.

(٢) السابق، ص ٨٤.

(٣) السابق، ص ٤٨.

(٤) السابق، ص ٢٥.

وإن شاء الله أحضره في نومه، وإن شاء انسلخ عن هيكله واجتمع به" (١).

ومع كل ذلك وأكثر منه، فإن الدكتور أحمد الطيب يقدم هذا النتاج بأريحية قائلاً: "وأكبر الظن أيضاً أن موقف التسليم أو التوقف فيما يشكل من آراء ابن عربي هو أقرب إلى المنهج العلمي والضمير الديني منه إلى موقف التكفير ونزع ربة الدين من عنقه" (٢) ويوضح الدكتور أحمد الطيب الأسباب التي تؤدي إلى التوقف في عبارات ابن عربي الغامضة وعدم تكفيره ببعضها، ومنها أن ابن عربي يشهد الشهادتين، ويقر بأركان الإسلام، و "قصور اللغة، وعجز ألفاظها، وعدم وفائها بالإفصاح عن علوم الأسرار والمخاطبات والمكاشفات، ومن ثم فلا مفر من الرمز والتلغيز، والإشارة والتلميح، بقدر الوسع والطاقة" (٣).

ثم يتحسر الدكتور أحمد الطيب على تفریط الأمة في تراث من يصفه بالملهم العملاق ابن عربي قائلاً: "كان من المأمول حسب المنطق الطبيعي للأشياء، أن يتعرف الغرب على قممنا الروحية من خلالنا، ومن ثمرات أقلامنا نحن الشرقيين الناطقين باللغة العربية، وأن يفيدوا في فهم مذاهبهم الروحية من كتابات أبناء هذا التراث، ومن أبحاثهم وتحليلاتهم، أما وقد انعكست الأمور، فإن هذا الكتاب -ويعيداً كل البعد عن التعصب للشيخ الأكبر أو التعصب ضده- لا شك سيغدو في يد القارئ مصباحاً قوي الضوء، ينكشف به كثير مما كان مجهولاً من قبل في تراث ابن عربي، سواء انتهى قارئ هذا الكتاب في ترجمته العربية إلى شيء من حسن الظن بابن عربي، أو انتهى إلى شيء من سوء الظن به، فالهمم في الحالين هو حسن الفهم لما يقوله هذا الملهم العملاق" (٤).

(١) السابق، ص ٢٥.

(٢) السابق، ص ٥.

(٣) السابق، ص ٥.

(٤) السابق، ص ٦.

العلمانيون وابن عربي وأحمد الطيب:

العجيب في ترجمة الدكتور أحمد الطيب لكتاب "الولاية والنبوة عند الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي" أنها طبعت في أوائل طبعاتها في منشورات المجلس الأعلى للثقافة، في عهد وزيرها فاروق حسني، الذي اشتهر بكثير من موافقه التي تصب في خانة العداء للدين الإسلامي، والذي نُشرت في عهده كثير من الكتب التي تستهزئ بالإسلام والمسلمين. وقد اتخذ العلمانيون هذه الطبعة ستارًا لدعوتهم الإلحادية التي تعادي الإسلام أشد العداء؛ حيث كتب أحمد عبد المعطي حجازي، مقالًا في جريدة الأهرام، وهي أشهر جريدة مصرية، بتاريخ ٦ محرم ١٤٢٣هـ، ٢٠ مارس ٢٠٠٢م، عقب تولي د. أحمد الطيب منصب الإفتاء مباشرة يقول فيه: "القرار الجمهوري الذي صدر بتعيين مفت جديد لم أتشرف بمعرفته حتى أعلق عليه ما ينبض به قلبي من آمال، ولكني وجدت له في منشورات المجلس الأعلى للثقافة ترجمة ممتعة للبحث الممتع الذي كتبه المستعرب الفرنسي المسلم ميشيل شوركيفتش عن ابن عربي، وسماه الولاية؛ لأنه يكشف فيه عن رأي المتصوف الأندلسي في وراثة الأولياء للأنبياء؛ إذ الدين عند ابن عربي واحد، وإن تعددت صورته بتعدد الشرائع التي لا تختلف إلا كما تختلف طرق تلتقي عند غاية واحدة.

ومن هنا قول ابن عربي في قصيدته البديعة:

ألا يا حمامات الأراكة والبان

ترفقن لا تضعفن بالشجو أشجاني

لقد صار قلبي قابلا كل صورة

فمرعي لغزلان، ودير لرهبان

وبيت لأوثان، وكعبة طائف

وألوان توراة، ومصحف قرآن

أدين بدين الحب أنى توجهت

ركائبه، فالحب ديني وإيماني

ثم انظر في كلمته الرائعة التي يقول فيها: إن الحب في جوهره عاطفة واحدة، حب العابد لربه وحب العاشق لمعشوقته:

لنا أسوة في بشر هند وأختها

وقيس وليلي، ثم مي وغيلان

هذه الترجمة، ترجمة الدكتور أحمد الطيب لكتاب شوركيفتش أشاعت في نفسي قدرًا من الطمأنينة؛ لأنها دلتي علي أن المفتي الجديد عالم فقيه واسع المعرفة بالتراث العربي الإسلامي، ويتقن الفرنسية كما يتقن لغته، ويختار للترجمة بحثًا لا يختاره إلا رجل ذو عقل راجح، وقلب فياض بمحبة الآخرين، والقدرة على فهمهم والتعاطف معهم، فالذي يجب ابن عربي لابد أن يكون شبيهًا به!".

ورغم أن هذا الكلام منشور منذ قرابة عشر سنوات، وما يزال منشورًا على الشبكة العنكبوتية، إلا أن المتابع لا يجد أي رد من الدكتور أحمد الطيب على هذا الكلام الخطير.

البوطي بين التصوف الفكري والتصوف السياسي^١

يظهر البوطي داخل دائرة التصوف كرجل يرتدي ثوب المجددين للتصوف، الذين يُقَيِّمون تجربته، ويعيدون تشكيلها وفق رؤيته لما يسميه وظيفة التصوف في الحياة. فالبوطي يعبر عن التصوف بقوله: (أما التصوف بمعناه الحقيقي السليم فهو لُبُّ الإسلام، وجوهره الكامن في أعماق فؤاد الإنسان المسلم، وبدونه يغدو الإسلام مجرد رسوم ومظاهر وشعارات يجامل بها الناس بعضهم بعضاً...، ولا توقفنا إزاء هذه الحقيقة مشكلة الاسم؛ فلقد كان التحلي بهذا اللباب في صدر الإسلام مسمى لا اسم له إلا الإسلام الحقيقي الذي يستدعي من صاحبه تركية النفس والسعي إلى بلوغ درجة الإحسان)^(٢). وهو بهذه الطريقة يبدو للسالكين على طريقته رجلاً متجرداً لصحيح الإسلام لا غير؛ بل إن هذا الظن قد يتجح عند بعض الناس عندما يرى البوطي يقف موقف الناقد لبعض قضايا التصوف، ولمسلك بعض رجالات الصوفية، فهو يرفض تفسير بعض المنتسبين للصوفية القرآن بالطريقة الباطنية، ويرى ذلك خروجاً عن الإسلام فيقول: (اتباع كثير من الناس في تفسير نصوص القرآن أو السنة ما تخيله إليه أو هامهم وسمادير^(٣) أحلامهم، باسم التصوف أو علم الباطن، دون التقيد بأي ضابط من قواعد اللغة العربية أو أصول الدلالات أو قواعد تفسير النصوص، ومن الأمثلة على ذلك ما ساقه الألووسي في تفسيره نقلاً عن بعض هؤلاء الذين يلبسون مسوح التصوف زوراً وبهتاناً من تفسير (مَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ) في سورة الكهف بمجمع ولاية الشيخ وولاية المرید...، ومهما يكن فإن الأمانة العلمية لا تسمح بنسبة هذه التأويلات الخيالية الباطلة إلى الصوفية هكذا على وجه التعميم...، ظهر في تاريخ

(١) كتبت سنة ١٤٣٣هـ.

(٢) كتاب السلفية مرحلة زمنية مباركة، ص ١١٧.

(٣) قال الجوهري في كتابه الصحاح في اللغة، مادة سمر: (السَمَادِيرُ: ضَعْفُ الْبَصَرِ عِنْدَ السُّكْرِ وَعَشْيِ النَّعَاسِ وَالذُّوَارِ).

هذه الأمة فئات شتى من الزنادقة والباطنية تسلبوا بضلالاتهم إلى الفكر الإسلامي عن طريق التصوف، والاصطباغ بصبغته، وارتداء مسوحه، وما هم في الحقيقة من التصوف أو الإسلام في شيء، ولكنهم اتخذوا من هذا وذاك قناعاً لإيهام الناس وجرحهم باسم الحقيقة إلى الإباحية، وباسم الوجود والفناء إلى ألوان من الزندقة والحلول^(١).

بل هو بيدي رفضه لبعض بدع الصوفية المنتشرة؛ مثل الرقص والتثني، فيقول عن ذكر الله بطرق غير مشروعة: (كأن يلتبس الذكر بعمل منهي عنه كالرقص والتثني، فهذا ممنوع وخارج من عموم النص القرآني العام استناداً إلى دليل حرمة الرقص والتثني)^(٢).

بل والأكثر من ذلك أنه يُعَرِّض بشيوخ الطرق الصوفية في هذا العصر قائلاً: (إذا سألتني عن الطرق في هذا العصر، فأنا أرجوك أن تدلني على طريقة من الطرق مرشدها يتمتع بالعلم بالشريعة الإسلامية علماً وافراً كافياً، بالزهد في الدنيا وما حولها وذيولها، نعم، والاستقامة في السلوك، سأذهب غداً لأكون مريداً لديه، ولكنني التفتُ يميناً وشمالاً فلم أجد هذا المرشد)^(٣).

ولكن من لا يعلم حقيق الأقوال قد يعجب حين يرى البوطي يدور حول التصوف في صورته الغالية؛ فيدافع مثلاً عن طعن بعضهم في ذات الله جل وعلا عندما يكونون فيما يسميه الصوفية حال السكر، بدلاً من أن يهاجم هذه الطريقة في العبادة، وينهى عنها؛ لما تؤدي إليه من فساد وإفساد؛ فيقول: (ربما وصل أحدهم ومن خلال التدرج في هذه المراتب إلى ما أسموه بوحدة الشهود؛ إذ يفنى السالك بالمكون عن الأكوان، وبرؤية موجهه عن ملاحظة وجوده، وربما اندفع في غمرة هذا الاصطلام إلى النطق بكلمات لا تنضبط بموازين العقل والمنطق، ولكنها تنبعث من فيح مشاعره الوجدانية التي فنيت كما قلنا عن كل ما

(١) كتاب السلفية مرحلة زمنية مباركة، ص ١١٦.

(٢) كتاب السلفية مرحلة زمنية مباركة، ص ١٩٢.

(٣) مقطع من حلقة رقم ١٨ من حلقات برنامج "مع البوطي في حياته وفكره" والذي بث في رمضان

سوى الله، كقول أبي يزيد البسطامي قدس الله روحه: "ما في الجبة إلا الله" وكقول بعضهم: "أنا الحق" أو "سبحاني"...، ومع ذلك فلا جناح على من وقع في حال الفناء ووحدة الشهود...، ولكن كما أنه لا جناح عليهم بسبب هذا العذر فلا يجوز الاقتداء بهم لمن كان في حالة صحو، ولا حمل كلامهم وأفعالهم على الصحة؛ بل يجب النظر إلى ذلك على أنه شطحات يُعفى عنها لأهل الأحوال والمواجيد الصحيحة، ويؤخذ بها كل من ردها تشبهاً أو أيدها عقلاً ممن لم يكونوا في مثل تلك الحال^(١).

وهو يترجم بكل سرور قصة من اللغة الكردية، تسير على ما يسميه الغلاة العشق الإلهي، وتوهم بالحلول؛ فمن نصوصها: (أسألك بيحوموم عشق المعذبين، وبكمال صدق العاشقين، أسألك بحلاوة الجمال ونشوته، وبعظمة الجلال ودهشته، أسألك بداء الهجر وعذابه، وبشهد الوصال ولذة شرابه، أسألك بلذة حب العاشقين، وبمرارة عداوة الرقباء والكائدين، أسألك بماء عيون البلابل والأطيّار، وبالندى المتساقط على الورود والأزهار، أسألك بكل ذلك يا مولاي أن تزيح عن عينيّ غشاوة هذه الظلال الفانية، حتى لا أرى فوق صفحة الدنيا إلا قوة سلطانك...، أي رب: لقد آمنت بقوتك وجبروتك، وأيقنت بنورك وبهائك، آمنت أن هذا الكون كله جسم وأنت روحه)^(٢).

ويقول عن والده: (كان إذا وضع الطعام واجتمعنا معه على مائدته، أمرنا جميعاً أن نجلس جلسة أدب، حتى لكأننا ماثلون من هذه المائدة أمام الله)^(٣).

أما الغلو الذي يتعلق بعبادة غير الله جل وعلا بدعوى الاستغاثة بالصالحين، وما إلى ذلك؛ فنتشر للبوطي على الشبكة العنكبوتية فتاوى تشير إلى تفریطه في هذا الجانب، وتساهله في توجيه الناس؛ مثل ما نراه في جوابه عن سؤاله عن طلب المدد من الشاذلي والرفاعي مع الاعتقاد بأن الله هو الضار والنافع، فيقول: (كن على يقين بأن لا نافع ولا

(١) كتاب الإسلام ملاذ كل المجتمعات، ص ٢١٠.

(٢) كتاب ممو زين، للكاتب أحمد خاني، وترجمه للعربية محمد سعيد البوطي، ص ١٨٩.

(٣) كتاب هذا والدي، ص ٦٥.

ضار إلا الله، ثم توسل أو استغث بمن شئت من الصالحين، من أمثال من ذكرت أسماءهم). بقي أن البوطي استخدم التصوف سلاحًا ضد من يكشفون خبايا الباطنية العلويين في سوريا؛ ذلك أنه يقرر أن السياسة تضعف جانب الإخلاص عند الداعي، ويتخذ نموذج نور الدين النورسي مثالاً على ذلك قائلًا: (إن الذي جعله يعزف عن النهج السياسي تنامي مشاعر الإخلاص لله في قلب الإنسان، فأصبحت أعماله خالصة له وحده، لم يعد يقبل بوجود أي من الشوائب والقصود الأخرى التي من شأنها أن تعكر صفو توجهه الخالص إلى الله وحده)^(١).

ثم يقرر البوطي رأيه في السياسة قائلًا: (إن النهج السياسي في معالجة الأمور يأخذ سلطانه دائمًا من الرعونات البشرية، ومن ثم فإنه لا يبالي أن يقوض صروحًا من المكاسب أو القيم في سبيل تحقيق مآرب شخصي)^(٢).

ويشرح البوطي نظريته لموقف الدعاة من الحكم قائلًا: (إن عليهم في مرحلة دعوتهم إلى الله والتعريف بدينه أن يُعرضوا عن الحكم وأهله؛ حتى لا تشوب هوياتهم الإسلامية شائبة قصد سياسي فتزول ثقة الناس بهم، فإذا تغلب الخير وشاع الالتزام بدين الله في المجتمع، اصطبغ الحكم آليًا بصبغة الإسلام ونظامه، فإذا ظلت رغبتهم مع ذلك باقية في بلوغ الحكم فهم إذن طلاب مغنم دنيوي لا طلاب جهاد إسلامي)^(٣).

لذلك لا يفتأ البوطي من نقد الجماعات التي تضاد نظام الحكم النصيري في سوريا؛ فيقول مثلًا عن الأستاذ مصطفى السباعي، المرشد الأول للإخوان المسلمين في سوريا: (وحسبك من كثير ممن جاءوا على أعقابه أنهم يتجاهلون ما به تكون مرضاة الله ورعاية الأخوة الإسلامية؛ سعيًا إلى ما به تتحقق مرضاة الجماعة وتُستجر المغانم)^(٤).

(١) كتاب شخصيات استوقفتني، ص ١٦٣.

(٢) كتاب شخصيات استوقفتني، ص ١٦٦.

(٣) كتاب الجهاد في الإسلام، ص ١٩٥.

(٤) كتاب شخصيات استوقفتني، ص ٢٠٨.

وهذه النظرة التي تغفل كثيراً من تعاليم الإسلام في الحكم والسياسة الشرعية؛ لاستنادها على هذه الأهواء التي تمتلئ في قالب تصفية الروح، أدت به إلى أن يجنح في عداوة الأسباب وأن يحرف تاريخ الإسلام؛ ليبرهن على صحة دعواه؛ فيقول مثلاً: (رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقاتل في سبيل الحصول على دار إسلام، ولم يقاتل في سبيل بناء دولة إسلامية، أو إيجاد حشد من المسلمين تتألف منهم تلك الدولة، ويتحقق بهم نظامها، وإنما قاتل بعد أن منحه الله كل ذلك حراسة له ودفاعاً عنه)^(١).

ولو أن البوطي توقف عند نظرتة للإخلاص وعلاقته بالسياسة، لحاول البعض تلمس الأعدار له، أما ألا نجد للبوطي أي تحذير للمسلمين من خطر النصريرية وخبثهم، بل يقوم البوطي بكيل المديح جزافاً لأعداء الله النصيريين في سوريا، في ذات الوقت الذي يهاجم فيه كثيراً من الجماعات الإسلامية؛ فهذا ما لا يمكن تحمُّله، خاصة إذا كان يصف نفسه بقوله: (من فضل الله علي وجليل نعمته أنني قد عشت إلى اليوم دون أن أستعمل قلمي مرة واحدة مدح من لا أو من بفضله أو قدح من لا يطاوعني قلبي على ذمه)^(٢).

فمثلاً يقف البوطي أمام حافظ الأسد، معتذراً عن الأسد في إعراضه عن تعظيم شرع الله في دولته قائلاً: (السيد الرئيس: ... إننا نعلم جميعاً أن في المسلمين المجاورين لنا من قريب أو بعيد، من يتعاملون بالاحترام والتبجيل مع مظاهر الإسلام وصوره وشعاراته السطحية والشكلية؛ كرفع الأذان في أجهزة الإعلام عند دخول مواقيت الصلاة، وكبدء نشرات الأخبار بالبسملة، وكالإكثار من بث تلاوة القرآن والأحاديث الدينية التقليدية في الراديو والتلفزيون، ومع يقيني بأن الالتزام بهذه المظاهر أمر مستحسن، فإني لعلى يقين أيضاً بأنه لا خير في شيء من هذه المظاهر إن كانت مجرد غطاء لسلوكيات وأعمال وأنظمة وأخلاقيات لا ترضي الله عز وجل، ومع يقيني بأن علينا أن نكون أول الناس التزاماً بهذه المظاهر والشعارات فإني لعلى يقين أيضاً بأنه لا حرج في تجاوزنا لها أو تقصيرنا بشأنها، إن قبض الله

(١) كتاب الجهاد في الإسلام، ص ١٩٧.

(٢) كتاب شخصيات استوقفتني، ص ١٩٩.

من قادتنا وشعبنا في هذه البلدة المباركة، حماة لجواهر هذا الدين، حراساً لبنيانه، عاملين على تطبيق مبادئه وأحكامه^(١).

ويقول كذلك عن حافظ الأسد: (إنَّ الأمة كلها ترى وتعلم أن فؤادكم مشدود إلى مراقبة الله، وأن إيماناً تَرًا يتنامى بين جوانحك، وأن إسلامكم ليس محل ريب ولا شك)^(٢). ولهذا كان طبيعيًا أن تنتقل موالاة البوطي لحافظ الأسد إلى ابنه بشار من بعده؛ ليقول البوطي لبشار: (لقد آل الأمر في هذا اليوم إليك بمشيئة الله عز وجل أولاً، ثم ببيعة صادقة صافية من الشوائب من هذا الشعب ثانيًا، بيعة لا والله لا يمكن أن تُترجم إلا بالولاء الصادق، وبالحب العفوي الصافي عن الشوائب، بيعة لا تستطيع الديمقراطيات المطبوخة المصطنعة أن تتسامى إليها، ولم تستطع المزايدات أن تُعْشِي على شيء منها بشكل من الأشكال)^(٣).

ومع كل هذا الحب الذي يظهره البوطي للنظام السوري، فليس مستغربًا أن نرى له في هذه الأيام هجومًا متكررًا على الأبطال الذين قاموا بالثورة على هذا النظام النُصيري الكافر، متهمًا لهم بسبيل الاتهامات الفارغة.

ولكن يبقى التساؤل: هل حقًا إخلاص النية لله هو الذي دفعه للهجوم على كل جماعة إسلامية أرادت أن تسوس الناس بشرع الله، ودفعه كذلك للوقوف مع النُصيريين في سوريا ضد المستضعفين في تلك البلاد؟

(١) كتاب هذا ما قلته أمام بعض الرؤساء والملوك، ص ٦٥.

(٢) كتاب هذا ما قلته أمام بعض الرؤساء والملوك، ص ٨٦.

(٣) كتاب هذا ما قلته أمام بعض الرؤساء والملوك، وهذه عبارة من كلمة طويلة قالها في حفل تأبين حافظ الأسد بعد مرور ٤٠ يومًا على وفاته، انظر الكلمة كاملة ص ١٤٧ وما بعدها.

حب النبي الكريم اتباع لا ابتداء^١

كتب البعض كلمة عن الاحتفال بميلاد النبي صلى الله عليه وسلم عليها بعض

الملاحظات:

١- يقول الكاتب: "الاحتفال هو التعبير عن الفرح برسول الله صلى الله عليه وسلم" أما فرح السني فدائم بفعل السنة وتعظيم الشريعة وجهاد أعداء الحبيب المصطفى، واجتناب المحذور، أما احتفال البدعي فهو تخصيص ليلة المولد باجتماع وذكر وحلوى ورقص وطبل وترداد الكفر كقول القائل: ممد يا رسول الله، ومن علومك علم اللوح والقلم،.. فأأي الفريقين أصدق حبا؟

٢- يقول الكاتب: "والفرح به صلى الله عليه وسلم يكون طول العام ولكن يشتد في أيام ميلاده" أهذا يكون دليلا على ابتداء عمل هذه الموالد، فماذا لو قال قائل ولكن الفرح به يشتد في أيام بعثته وزواجه وهجرته وفتوحاته وحجه وتمام رسالته..، أأيكون هذا دليلا على ابتداء الاحتفال في مثل هذه الأيام؟..

٣- يقول الكاتب: "المحدث هو المنهي عنه شرعا ولا يشمل المسكوت عنه" والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: «من يعيش منكم بعدى فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة» فعلى كلام الكاتب لو قام رجل باختراع صلاة يومية جماعية بعد الظهر، ولو اخترع عيدا للأمة في رجب، ولو اخترع أذانا عند الدروس الشرعية، وإقامة عند نداء التجار على البضاعة لم يكن على قول الكاتب محدثا.

٤- خلط بين البدعة والسنة الحسنة، فالسنة مشروعة يأتي من يذكر الناس بها، بخلاف البدعة التي لا أصل لها، أما عمر رضي الله عنه فأصل صلاة قيام الليل جماعة في رمضان ورد في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وذكر به عمر رضي الله عنه، وهي فعل خليفة راشد

(١) كتبت سنة ١٤٣٧هـ.

ونحن مأمورون باتباع سنة الخلفاء الراشدين.

٥- زعم أنهم يحتفلون بالمولد لأن القرآن يعظم أيام ميلاد الأنبياء لقوله تعالى عن يحيى عليه السلام: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾، ولا علاقة لهذه الآية ببدعة الاحتفال فهذا فهم مبتدع يخالف فهم العلماء، قال ابن كثير: "أي: له الأمان في هذه الثلاثة الأحوال. وقال سفيان بن عيينة: أوحش ما يكون الخلق في ثلاثة مواطن: يوم يولد، فيرى نفسه خارجًا مما كان فيه، ويوم يموت فيرى قَوْمًا لم يكن عاينهم، ويوم يبعث، فيرى نفسه في محشر عظيم"، فأين هذا من بدعة الاحتفال السنوي بليلة المولد.

٦- استدل الكاتب على تعظيم ليلة المولد بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصوم يوم الاثنين وقال ذلك يوم ولدت به، ثم قال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ نعم لنا فيه أسوة حسنة بصيام يوم الاثنين أما الاحتفال بليلة المولد فهو بدعة سيئة لم يفعلها النبي صلى الله عليه وسلم.

٧- زعم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يكثر الصدقات والذكر والعلم في يوم الاثنين وهذا فيما أعلم كذب على النبي صلى الله عليه وسلم، قال صلى الله عليه وسلم: «**من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار**».

٨- ذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم ذبح في ذكرى ميلاده، وذكر رواية أن النبي صلى الله عليه وسلم عقق عن نفسه بعد النبوة، مع أن هذا الحديث نص العلماء على أنه ضعيف جدا قال ابن الملقن: "ضعيف بمرة" ومع ذلك فليس فيه أنه ذبح هذه العقيقة في يوم المولد ولا أنه كرر هذا الذبح.

٩- استدل على تعظيم المولد بصيام النبي صلى الله عليه وسلم يوم عاشوراء؛ لأنه يوم أنجى الله فيه موسى، ونسي أن فعل النبي صلى الله عليه وسلم تشريع وأنه لم يشرع صوم يوم نجاته من كفار قريش ولا نجات إبراهيم الخليل ولم يفعل ذلك الخلفاء ولا التابعون، فنحن متبعون لا مبتدعون.

١٠- يشغب الكاتب بالاستدلال على جواز مدح النبي صلى الله عليه وسلم والجلوس

في حلق العلم، وليس الاختلاف في هذا، إنما تخصيص ليلة المولد بعبادة..

١١- من التدليس أنه يستدل على ضرب المبتدعة للدخول في ليلة المولد بأنه قد حدث ضرب بالدفع في بيت النبي صلى الله عليه وسلم، ونسي أن الذي ضرب جارية بنت صغيرة لا رجل كبير، وشتان بين هذا وذاك.

١٢- وانتهت المقالة بالتدليس على ابن تيمية حيث قص كلاما يظنه يوهم جواز الاحتفال، وابن تيمية يقول: "ما يحدثه بعض الناس، إما مضاهاة للنصارى في ميلاد عيسى عليه السلام، وإما محبة للنبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمًا. والله قد يثيبهم على هذه المحبة والاجتهاد، لا على البدع من اتخاذ مولد النبي صلى الله عليه وسلم عيدًا مع اختلاف الناس في مولده؛ فإن هذا لم يفعله السلف، مع قيام المقتضي له وعدم المانع منه لو كان خيرًا. ولو كان هذا خيرًا محضًا أو راجحًا لكان السلف رضي الله عنهم أحق به منا، فإنهم كانوا أشد محبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيمًا له منا، وهم على الخير أحرص".

وفي النهاية: فليس الخلاف فقط في الاحتفال بليلة المولد، بل إن كثيرا من هؤلاء الذين يشغلون الأمة بتلك الاحتفالات هم من أبعد الناس عن الدفاع عن الشريعة والجهاد ومقاومة الطواغيت..

تحريرات المتكلمين الجدد

قراءة في كتاب «الأقليات المسلمة في مواجهة "فوبيا" الإسلام»^١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.. وبعد؛

فإن المحن عواصف تهمز الوجدان وصدما تخطج في النفوس، أما إذا كانت تلك المحن طعنات من وراء وقتل غيلة فهي طعنات نافذة وزلازل ماحقة، ويعظم الخطب إن كانت تلك اليد الطاعنة يد قريب حسيب، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

لقد قرأت كتاب "الأقليات المسلمة في مواجهة فوبيا الإسلام" الذي نشرته مؤسسة الوقف السعودية دون أن يكتب عليه اسم مؤلف، وهو كتاب لا تتجاوز صفحاته أربعاً وستين صفحة صدر عام ١٤٢٨ هـ، وانتابني شدة الذهول من هول ما قرأت، لذا أردت أن أنبه على بعض ما ورد في هذا الكتاب، تحذيراً من بعض الظواهر التي بدت تتفحم الدراسات العلمية.

بداية يقرر الكتاب طريقة عرضه للمادة العلمية بقوله ص ٤: "اتسم بالشفافية والصراحة والوضوح والدقة" وهذه الأوصاف تجعلنا نتعامل بجديّة مع الكتاب.

- تعرض الكتاب لموقف المسلم في بلاد الغرب من القوانين الغربية، وأتى بعين كلام العلمانيين وهو كلام يناقض الإسلام من جذوره متغافلاً عن مبادئ شمولية الإسلام ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ومرجعته الحاكمة ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ والدخول في الإسلام كافة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ وبغض الطاغوت «أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله» ولم يفرق بين الاستفادة من الواقع وإقرار الواقع فقال ص ٥٣، ٥٤: "المبدأ الإسلامي كما عبر عنه الفقيه السلفي ابن القيم في القرن الثامن الهجري (حيث يوجد العدل والمصلحة فثم شرع الله) يعني

(١) كتبت سنة ١٤٣٠ هـ.

هذا التعبير أن القانون عندما يحقق العدل ويهدف للمصلحة العامة فيعتبر قانونا إسلاميا، ولما كانت القوانين في الغالب (باستثناء قوانين الدول الشمولية أو الفاسدة) تهدف إلى تحقيق العدل والمصلحة، فستكون الحالات التي يعتبر فيها المسلم القانون العلماني قانونا معارضا للشريعة الإسلامية حالات قليلة، أو هي نادرة نسبيا، وهذا في حد ذاته يقلل من احتمال أن يجد المسلم نفسه في حرج إذا خضع لقانون صادر من دولة علمانية.

قبل خمسين سنة وضع فقيه فرنسي القانون المدني المغربي واقتبسه من القوانين الأوروبية، وكان من السهل أن تؤيد كل مواده تقريبا اقتباسات من نصوص الكتب الفقهية في المذهب المالكي.

المسلم حتى لو كان يعارض العلمانية في بلده ذات الأغلبية المسلمة فإنه في العادة يقبلها في البلاد التي يكون فيها فردا من الأقلية، على سبيل المثال يؤيد المسلمون في الهند العلمانية ويناصرونها، السبب واضح: أنها تحمي حقوقهم وحررياتهم بما فيها الحرية الدينية أكثر مما تحمي في ظل حكومة أصولية تنتهك المبادئ العلمانية...

القانون المعارض للإسلام إما أن يبيح أمورا يحرمها الإسلام كبعض صور الربا أو الزنا أو القمار أو أن يحرم أمورا يجيزها الإسلام كتعدد الزوجات.

وفي كل الحالين لن تواجه المسلم مشكلة في التعايش مع القانون؛ لأن القوانين حين تبيح بعض الأفعال كبعض صور الربا والزنا فإن هذا لا يمنع المسلم التقى من أن يترك هذه الأفعال اختيارا؛ لأن القانون وإن أباحها فهو لا يرفضها، وحين يحرم القانون العلماني أمرا مباحا في الشرع فهذا أيضا لا يشكل حرجا للمسلم، إذ يمكن أن يمتنع عن الفعل المحرم قانونا اختيارا بإرادته الحرة...

إن المسلم في حالتي التحريم والإباحة حين يخضع للقانون لا يشعر بما يؤدي ضميره الخلقى أو اعتقاده الديني، وإذا لم يكن هناك سبب ديني ولا علمي لأن يواجه المسلم في الأقليات المسلمة في أوروبا مشكلة من جراء خضوعه للقانون في الدولة المضيفة، فهل يوجد سبب عاطفي يجعل من المحتمل أن يشعر المسلم بشعور سلبى تجاه قانون الدولة المضيفة؟

والجواب أن هذا المسلم إذا كان على درجة من التعليم كافية فلن يكون لديه مثل هذا الشعور... ص ٥٨: "إننا نرى أن المسلمين في الغرب في الماضي لم يشعروا بأي حرج أو حساسية ضد القوانين المحلية، ولا نرى مبررا للخوف من أن يتغير هذا الشعور في المستقبل ونرى أن أي تخوف من جانب المسلمين أو من الجانب الآخر مستند إلى التعارض بين القانون وأحكام الإسلام هو تخوف من قبيل الفوبيا لا يستند لأي مبرر موضوعي ولا يصمد أمام المحاكمة العقلانية".

- ومن أعجب العجب أن يحاول الكاتب تملق الغرب بمزاعم عن الإسلام وتكون المفاجأة أن الغربيين الذين يستشهد بكلامهم أكثر فهما لحقيقة موقف الإسلام من هذه القضايا من الكاتب نفسه؛ ومثال ذلك أنه من المعلوم أن الإسلام يميز ويفرق بين الناس بناء على أسس معروفة وليس في ديننا مساواة مطلقة؛ فهناك فرق بين الرجل والمرأة، والصغير والكبير، والعالم والجاهل، والتقي والفاجر، فضلا عن المسلم والكافر ﴿ **أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ** ﴾ و ﴿ **أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ** ﴾ و ﴿ **أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ** ﴾ ومع نصوص هذه الحقيقة فإن الكاتب زعم أن الإسلام نفى التمييز بين البشر ثم استشهد بكلام الغربيين الذين يؤكدون انتفاء التمييز بين المسلمين وليس بين البشر كافة؛ فقال ص ٢١: "كان من نتائج هذا القدر العظيم من التسامح أو ربما كان من أسبابه انتفاء التمييز بين البشر والذي اعتبر من أعظم إنجازات الإسلام" ثم نقل من كلام الغربيين ما يحاول تأكيد كلامه فنقل قول بعضهم ص ٢٢: "إن انعدام التمييز العنصري بين المسلمين...، إن الأخوة الإسلامية بين الأعراق...".

- ومع أن الحب والبغض للبشر عبادة شرعية لها ثواب وعليها عقاب وفق أحكام الشريعة، وبغض الكفار عبادة وقد حكى الله جل وعلا قول نبي الله إبراهيم عليه الصلاة والسلام ﴿ **وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكَمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ** ﴾ إلا أن الكاتب قال

ص ٢٠: "الإسلام ألغى الكراهية الإنسانية وفتح الطريق للأخوة والمساواة بين البشر".

- كلنا يعلم بعض الأحكام المتعلقة بالكفار ووجود فروق بينهم وبين المسلمين، وأن المسلم مقدم على الكافر ومع ذلك يقول الكاتب ص ٣٣: "بشهادة الأمريكيين أنفسهم لا توجد حالة واحدة ميز فيها ضد أمريكي بسبب دينه النصراني لا من جهة العمل ولا من جهة شروط العمل ولا حتى معاملة الشخص العادي".

- ومعلوم أن السلفية كمصطلح أريد به المعنى الشمولي للإسلام، وأن قضايا السياسة تلقى العناية من السلفيين، وقامت الدعوات السلفية بخوض معارك ضد الكفار والمنافقين، وقام الشيخ محمد بن عبد الوهاب بتحريك الجيوش نصرة للدعوة، وانتقلت طريقة هذه الحركة السلفية المجاهدة إلى شبه القارة الهندية ودول المغرب العربي، ووضح السلفيون أن الفصل بين الدين والسياسة كفر وردة عن الإسلام، وجل الكتب السلفية تهتم بمسائل الولاء والبراء وعلاقة المسلم بأنواع الكفار اهتماما لا يكاد يوجد عند بقية المسلمين، بعد كل هذا يأتي الافتراء من حيث لا نحتسب ويقول الكاتب ص ٢٩: "يلاحظ مما سبق أن السلفية مفهوم يتعامل مع قضايا لاهوتية بحتة، ولم يكن هذا الاصطلاح يتصل بقضايا سياسية مثل علاقة المسلم بغير المسلم قبل خمسة عشر عاما".

- وقد اجتهد العلماء في التحذير من استقدام الكفار لجزيرة العرب ووضع الشروط والضوابط، هذا في الكافر العادي، أما إقامة قواعد عسكرية في الخليج العربي فمعظم العلماء يمنعون ذلك، بل لا نعلم أحدا أباحها بالشكل الحاصل البتة، ومن برر قدوم القوات الأجنبية أيام حرب الخليج وضع شروطا لم تتحقق، ومع ذلك يفترى الكاتب بقوله ص ٣٢: "لم يسبق في الفترة الماضية لأحد (حتى لو كان أكثر المتدينين تشددا في السعودية أو غيرها) أن اعترض على وجود غير المسلمين على أرض السعودية بمبرر ديني".

في الخمسينيات من القرن المنصرم كانت توجد قاعدة عسكرية أمريكية على أرض السعودية، ووجدت معارضة قوية لبقائها وكانت هذه المعارضة من القوة بحيث لم تستطع الحكومة السعودية مقاومتها فطلبت من الولايات المتحدة إجلاء هذه القوة، واستجاب

ابن الله ذلك قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِيُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٥٣٢﴾

يقول مؤلف كتاب مآلات الخطاب المدني: "إن كثيراً من الأفكار والمقالات المموجة في صورتها النهائية أو المتناقضة مع أجديات الوحي والعقلانية إنما بدأت بالترام مبدأ نظري معين دون الاستكشاف المسبق لكافة آثاره النهائية ولوازمه ومؤداه، وفي ثنايا سجلات الفرقاء ينجرف صاحب المقالة إلى الالتزام التدريجي لمقتضيات هذا المبدأ بهدف الاحتفاظ بعنصر الاطراد وعدم التناقض، فيتجارى به ذلك حتى يصل إلى مستشعات ما ظن أنه سيصل إليها يوماً ما، وهو ما يمكن تسميته قانون المتوالية الفكرية".

إن بعض هذه الكتابات التي استعرضناها مدهانة صريحة جر إليها الافتتان بمثل ما افتتن به المتكلمون قديماً من تنسيق الكلام وفنون الجدال وقلب الحقائق بعيداً عن إحكام نصوص الشرع.

إن هذه صرخة نذير لهذه الظاهرة التي يتسارع إليها بعض الكتاب المحسوبين على الصف الإسلامي الصامد أمام التحديات، وهي اختراق خطير ينبغي التفطن له والرجوع للراسخين في العلم كمرجعية علمية تقود الأمة للنجاة.

إن النوايا الطيبة لا تصحح العمل الفاسد، ولا تغير حقيقة الفتنة التي سقط فيها هؤلاء، ونحن نخطبهم باسم التقوى أن يراجعوا ما كتبوا مستشعرين قوة الله وعظيم انتقامه وأن النصر للإسلام.

م. عبد المنعم الشحات والدولة الحديثة ومحاولة تغيير العقل السلفي^١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.. وبعد؛

فقد فجعت بمقالة للمهندس عبد المنعم الشحات بعنوان: "مقارنة بين نظام الخلافة وبين الدولة الحديثة ذات المرجعية الإسلامية"؛ حيث يظن المرء أنها مقالة تتحدث عن الشريعة والسياسة الشرعية، وإذ به يفاجأ بالخلط العجيب بين الإسلام والعلمانية. ومقالته تلك بعيدة كل البعد عن التحقيق والتأصيل العلمي؛ لذا لن أتبع تدقيق كل معلومة وردت فيها، مكتفياً بتأمل خطرين اثنين؛ أولهما: دعوى أن ما يسمى بالدولة الحديثة ذات المرجعية الإسلامية لا تصادم قطعيات الشريعة. ثانيهما: تمرير بعض النظم العلمانية وتبرئة الرئيس من تبعات ذلك:

أولاً: ما يسمى "الدولة الحديثة" بين العلمانية والإسلام:

أ- تؤكد المقالة أن نظام الدولة الحديثة في الغرب والشرق نظام علماني: حيث إن الغرب (أنشأ ما يُعرف بالدولة الحديثة؛ لتكون علمانية ديمقراطية على أنقاض نظام ديني ديكتاتوري...، ومن أهم أسس هذا النظام السيادة للشعب، وهو مصدر السلطات...، قيام هذا النظام على أساس لا ديني).

ثم يذكر أن الغرب صَدَّر للعالم الإسلامي: (نظام الحكم القائم على الدولة الحديثة، ومن أسسها: فصل الدين عن الدولة، وقامت نظم سياسية في تلك الدول لم تأخذ من تلك الدولة الحديثة إلا فصلها للدين عن الدولة).

ب- تدعي المقالة أن هذا النظام تقيد بالمرجعية الإسلامية فأصبح لا يصادم قطيعات الشريعة: حيث يذكر أن الحركات الإسلامية كافحت (من أجل تحسين وضع الدول الإسلامية المعاصرة في اتجاهين: الأول: محاربة العلمانية. الثاني: محاربة الديكتاتورية. وكان القدر المتاح في محاربة العلمانية وفق النظام الدستوري هو إلزام السلطات التي تحدت وفق هذا النظام سواء التشريعية أو التنفيذية، والقضائية بالتبع لهما، بعدم مخالفة الشريعة فيما يصدر عنهما من قوانين وقرارات فيما عُرف بنظام الدولة الدستورية القانونية الحديثة ذات المرجعية الإسلامية، وهذا النموذج من النظم السياسية ليس مطابقاً لنظام الإمامة الذي تكوّن عبر تاريخ الأمة، ولكنه في ذات الوقت غير مصادم للقطيعات الشرعية، وإن بقيت فيه مخالفات يمكن التغلب عليها)، و (القيد الدستوري بمرجعية الشريعة...؛ يبقى ملزماً لجميع السلطات).

وهذا الكلام خطأ بيّن:

- فما معنى "المرجعية الإسلامية"؟

- وما معنى "إلزام السلطات التي تحدت وفق هذا النظام سواء التشريعية أو

التنفيذية، والقضائية بالتبع لهما، بعدم مخالفة الشريعة"؟

لا يوجد شيء في الدستور والقانون اسمه مرجعية الشريعة، ولا يوجد شيء في الدستور والقانون يلزم سلطات الدولة بعدم مخالفة الشريعة.

كل ما في الأمر هو نسيان الكاتب لمعنى العلمانية وتطبيق الغرب لها؛ حيث توجد مادة في الدستور تقول: "الإسلام دين الدولة، واللغة العربية لغتها الرسمية، ومبادئ الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسي للتشريع"، وهذه المادة موجود شرطها الأول منذ أول دستور نشأ في مصر في ظل الاحتلال البريطاني، وهو يشابه المواد الموجودة في كثير من دول أوروبا العريقة في العلمانية، والتي تنص على دين الدولة أو مذهبها؛ حيث إن المقصود بالدين عندهم بعض العقائد والشعائر التبعدية، وهذا كان مقصد الدستور المصري من معنى الإسلام دين الدولة، ولذلك كان علماء المسلمين دومًا يردون هذا المعنى الذي قصده الدستور، مؤكدين أن

الإسلام دين ودولة، ويمكن مراجعة ردود العلماء على أمثال علي عبد الرزاق في تلك الفترة الزمنية التي كُتب فيها الدستور المصري.

ولذلك لم ير من وضع الدستور مناقضة بين هذه المادة والمواد الكفرية؛ مثل: الديمقراطية، والمواطنة، والسيادة للشعب وحده وهو مصدر السلطات، ولا تمييز بسبب الدين أو العقيدة، وتكفل الدولة حرية العقيدة، واحترام القانون...

ولذلك أيضًا لم ير من وضع القانون مناقضة بين هذه المادة والقوانين الكفرية التي تبيح الردة والزنا والربا، وتلغي الحدود الشرعية.

أما أن مبادئ الشريعة المصدر الرئيسي للتشريع فليس ملزمًا دستوريًا للسلطات التنفيذية ولا القضائية، بل هي تتعلق بما إذا صدر قانون جديد في المستقبل، فلا ينبغي لما يسمونه بالسلطة التشريعية أن تخالف المجمع عليه، وتظل في نظامهم كل القوانين الكفرية واجبة التطبيق، واجبة الاحترام، يعاقب ويحارب كل من أعاق العمل بها.

ويسمح النظام الحديث الذي يدعي البعض أنه مقيد بمرجعية الشريعة بحذف وإلغاء هذه المادة المتعلقة بالإسلام والشريعة! حسب نتيجة المعادلة الانتخابية.

فأي شريعة هذه التي يدعي كاتب المقال أن هذا النظام لا يصادم قطعياتها؟!

ألا إن الدستور السابق والحالي، بل والذي أعلنت سلفية الإسكندرية والإخوان المسلمون أنهم يسعون لكتابته، كلها دساتير كفرية لا تجتمع مع الإسلام البتة، "سواء بقيت كلمة مبادئ أم حذفت"؛ فإن كانوا صادقين فليضعوا مادة حاکمة لا تقبل تقييدًا ولا تغييرًا: بأن أي مادة دستورية أو قانونية سابقة أو قائمة أو قادمة، تخالف أي شيء من الإسلام، فإنها باطلة مردودة، يمنع العمل بها.

فهل سيفعلون ذلك؟ أم سيكون لبس الحق بالباطل وكتمان الحق وهم يعلمون.

تقرير بعض النظم العلمانية وتبرئة الرئيس من تبعات ذلك:

فجأة ذهب حاكم وأتى آخر، وظل الدستور هو الدستور والقانون هو القانون، ولكن

كاتب المقال يصف بعض من سبقوا بأنهم طواغيت -وهذا حق-؛ حيث كان عامة الذين يحكمون بلاد الإسلام بهذه الطريقة طواغيت يحاربون المرجعية الإسلامية، كما يحكي عن المداخلة أنهم: (أنزلوا النصوص الواردة في الإمام على الرؤساء، بل على رؤساء يُحاربون المرجعية الإسلامية...، وهل سيعاملونهم معاملة ولاة الأمور كما عاملوا الطواغيت قبلهم). أما الحاكم الجديد فلا عليه أن حكم بنفس نظام الدولة!!؛ فكاتب المقال يقرر المبادئ الآتية:

١- إعفاء الرئيس من مهمة حفظ الدين: قائلًا: (ومن أهم الأمور التي خرجت عن صلاحيات الرئيس بينما كانت على رأس صلاحيات الإمام: هي مهمة حفظ الدين، وهي مهمة وفق نظام الدولة الحديثة موكولة إلى المؤسسة الدينية الرسمية، وهي في مصر: الأزهر...، التي لا يستطيع الرئيس حتى ولو كان مؤمنًا بالمرجعية الإسلامية إلا أن يحاول أن يوفر لها المناخ المناسب للعمل فقط، وأما التفاصيل فخارجة عن اختصاصه).

وهذا دليل دامغ على تسرب المبادئ العلمانية؛ حيث إن حفظ الدين متعلق بكل شؤون الحياة من سياسة، واقتصاد، وشؤون داخلية وخارجية، وتعليم، وإعلام، وأوقاف...، فللدين في كل شأن أمره الذي يجب حفظه.

٢- الإقرار بحق العلمانيين "الكفرة" في المعارضة الأيديولوجية للحكم الإسلامي: حيث يقول: (وجود المعارضة المادية يمثّل أحد أهم جوانب التوازن في نظام الدولة الحديثة، وعندما يصل للحكم فريق يؤمن بالمرجعية الإسلامية فمن الطبيعي أن تنظم القوى العلمانية صفوفها، وأن تمارس معارضة مادية موضوعية ذات طابع أيديولوجي أمام الفصيل الإسلامي الحاكم).

فأي إسلام هذا الذي يقر العلمانيين الكفرة على نشر كفرهم "أيديولوجيتهم"؟!

٣- يوجب الالتزام بهذا النظام العلماني الذي يدعي وجود مرجعية إسلامية له: قائلًا: (الواجب علينا جميعًا أن نعي النظام الذي التزمنا به، ولماذا التزمنا به؟ وأن نؤكد للجميع أن جميع فصائل العمل الإسلامي ملتزمة بالآليات التي تم الاتفاق عليها)، وقائلًا:

(يجب على الرئيس ذي المرجعية الإسلامية أن يفي بشروط عقده مع الشعب حتى في تلك الأمور التي يخالف فيها نظام الإمامة نظام الدولة الحديثة، مثل: توقيت العقد...، ومثل عدم تعدي الاختصاصات، ومن ثمَّ يجب الإنكار على مَنْ عدل عن ذلك).

وبهذا يتبين قطعاً بطلان دعوى من زعموا أنهم يتدرجون من أجل تطبيق الشريعة، مع أن كثيراً من كلامهم عن التدرج باطل من أساسه، ومع ذلك فما هم يلتزمون النظام العلماني بدعوى الوفاء بالعهد! ذاك العهد المناقض للشريعة أصلاً، فلا يسأل أحد عن أسلمة الدولة، وإعداد القوة، فضلاً عن جهاد الكافرين والمنافقين والغلظة عليهم.

والعجيب أن توصف السذاجة السياسية بأنها السياسة النظيفة الشريفة، التي تقابل خبث ومكر سياسة غيرهم!.

٤- تبرئة الرئيس من مسئولية القوانين: فيقول: (حق إصدار القوانين، وبعد تقييدها بالشرع، هو الآن من صلاحيات البرلمان...، نعم، يملك الرئيس إصدار بعض القرارات، ولكنها مقيدة جداً).

بل الرئيس في النظم التي تسمى بالحديثة له في أغلبها حق إصدار إعلان دستوري، ومراسيم بقوانين، والموافقة على القوانين، والاعتراض عليها، وله اقتراح القوانين على ما يسمى بالمجلس التشريعي.

وباختصار:

إن مقالة "مقارنة بين نظام الخلافة وبين الدولة الحديثة ذات المرجعية الإسلامية" ما هي إلا رسالة من الرسائل التي يرسلها البعض لطمأنة "الدوائر السياسية العلمانية والخارجية" أنهم لن يخرجوا عن الإطار الذي رسموه لهم، والذي يُعبّر عنه أحياناً بـ"المتاح"، وهي كذلك خطوة من الخطوات المتسارعة لـ"تغيير العقل السلفي".

تقرير حول كلية الحقوق في جامعة حلب الحرة^١

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد النظر في كلية الحقوق بجامعة حلب الحرة تبين لنا ما يلي:

أولاً: كلية الحقوق في جامعة حلب الحرة هي امتداد لكلية الحقوق في جامعة حلب المحتلة، فهي تتبع نفس الخطة التدريسية والمناهج بشكل عام، وبعض المناهج التي يوجد فيها تغيير يسير هو تغيير بنفس مفردات المقرر السابق ولمؤلفين حقوقيين في جامعات سورية أخرى.

ثانياً: تقوم كلية الحقوق في جامعة حلب الحرة إجمالاً على تدريس القانون الوضعي الذي يحكم به النظام النصيري السوري بجميع أقسامه؛ كقانون العقوبات وقانون البنات والقانون المدني والقانون التجاري والقانون الدستوري "ما يسمى الدستور السوري" والدبلوماسية والدولي، وهو قانون وضعي بحت جملة وتفصيلاً يخالف الإسلام في أصوله وفروعه.

والمواد الموجودة في منهاج هذه الكلية ويدعى أنها شرعية مادتان فقط من أصل ٥٢ مادة، في المادة الأولى التعريف بتاريخ التشريع الإسلامي وفي المادة الثانية مقتطفات يسيرة من أصول الفقه.

وفي المقابل هناك ٥٠ مادة هي مواد قانونية بحتة جلها أو أكثرها مصادم للشريعة الإسلامية مصادمة صريحة.

ثالثاً: هدف كلية الحقوق تخريج حقوقيين يعملون قضاة ومحامين يدافعون عن حقوق الناس، وكليات الحقوق سابقا تدرس القانون الوضعي لأنه المعمول به في تلك المجتمعات، أما اليوم فالمحاكم في المناطق المحررة تحكم بشرع الله تبارك وتعالى، ومناهج كلية الحقوق لا تؤهل لتخريج طويلب علم شرعي، فلا عناية أصلا بتعليم القرآن ولا السنة وهما أهم مصدر للقضاء فضلا عن العقيدة والفقه والتفسير وعلوم اللغة، وهذه العلوم هي من أهم مقومات القضاء والدفاع عن الحقوق في الإسلام.

فالأصل الذي تقوم عليه الكلية بناء على ما كان في كليات الحقوق، هو قولهم: في مادة المدخل إلى علم القانون: مصادر القانون هي بالترتيب:

١- المصدر الأول الذي يرجع إليه القاضي هو التشريع.

٢- إذا لم يجد القاضي في التشريع حلا للمسألة رجع إلى مبادئ الشريعة الإسلامية.

ثم يشرح العبارة فيقول:

إن المصدر الأول للتشريع هو المصدر الأصلي أما بقية المصادر "مبادئ الشريعة الإسلامية - العرف.." فهي مصادر احتياطية.

رابعاً: هناك يقين تام في الأماكن المحررة والهيئات والمحاكم وعند العاملين في القضاء الشرعي والقضاة المنشقين والمحامين الأحرار بعدم صلاحية القوانين السابقة للتطبيق وأنها تخالف الشرع في أصولها وآلياتها وغاياتها، وأن ذلك القانون يخدم مصلحة النظام النصيري، وأن مصدره القوانين الوضعية الغربية التي تقيم المجتمعات على المادية اللاأخلاقية التي تبيح الربا والزنا والخمور وتحارب الإسلام باسم الإرهاب والتطرف، وقد قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ
بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾.

خامسا: مدرسو كلية الحقوق في جامعة حلب الحرة يقومون على تدريس المواد القانونية آنفة الذكر وهم بعيدون كل البعد عن الاختصاص الشرعي الذي يعطيهم إمكانية تصحيح أي شيء غير شرعي من المنهاج الدراسي، وهم بسبب دراستهم السابقة بعيدون تماما عن العلم الشرعي عامة والقضاء الشرعي خاصة، ويتفوق عليهم في ذلك طلاب أدنى مدرسة شرعية.

سادسا: توجد وفرة في الحاصلين على شهادات الحقوق سابقا، يمكن الاستعانة بهم عند الحاجة كالنظر مثلا في القوانين الدولية وتعلقها بالجهاد الشامي.

سابعا: لا يمكن تغيير المناهج والإبقاء على الكلية في ظل ارتباط الكلية بخطة دراسية معدة سابقا تحتوي عناوين المناهج والساعات الدراسية، فالأصل بلورة هدف الكلية وحاجة المجتمع ثم وضع الخطة الدراسية والمناهج لا العكس.

ثامنا: الأصل أن يكون التخصص الحقوقي بعد الدراسة الشرعية وهذا ما قامت به عدة جهات في الداخل ككلية الشريعة وكمعهد القضاء، فلا حاجة لكلية الحقوق هذه.

******* من أجل كل ذلك تبين لنا أن تعديل مناهج كلية الحقوق في ظل وجود مؤثرات غير علمية سابقة أمر غير ممكن، وأنه توجد مساحات في المؤسسات التعليمية الأخرى تسد هذا الجانب خاصة مع قلة عدد الطلاب الفعليين في تلك الكلية.
والحمد لله رب العالمين.

ملاحظات عن دراسة "هيكلية نظام الحكم في تركيا وتطوره"^١

أصدر قسم "الدراسات الإستراتيجية" في "الجناح السياسي" دراسة بعنوان "هيكلية نظام الحكم في تركيا وتطوره" يلاحظ عليها ما يلي:

أ*** أن هذه الدراسة ما هي إلا "تلخيص" أو "سرقة" لدراسة منشورة من سنتين بعنوان "النظام السياسي في تركيا (نظام الحكم - المؤسسات)" أصدرها مركز سورية للبحوث والدراسات، وهي منشورة على هذا الرابط:

<http://www.syriasc.net/%D8%A5%D8%B5%D8%AF%D8%A7%D8%B1%D8%A7%D8%AA-D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B1%D9%83%D8%B2/>

-٢٥٧

D8%A7%D9%84%D9%86%D8%B8%D8%A7%D9%85-%
D8%A7%D9%84%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B3%
D9%8A-%D9%81%D9%8A-%
D8%AA%D8%B1%D9%83%D9%8A%D8%A7-%
D9%86%D8%B8%D8%A7%D9%85-%
D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%83%D9%85-%
E2%80%93-%
D8%A7%D9%84%D9%85%D8%A4%D8%B3%D8%B3%
D8%A7%D8%AA%

وهذا "الاختصار" أو "السرقه" كان من البساطة بحيث لم يراع الفرق الزمني بين كتابة البحث الأول وهذا النشر الثاني؛ فنجد مثلا قوله: "ومن ثم أتت الاعتقالات الأخيرة لعدد من المسؤولين الحكوميين وأبنائهم بقرار من النائب العام المقرب من جماعة كولن" فكلمة الاعتقالات الأخيرة تشير في البحث الأول إلى حادثة وقعت وقتها، أما في البحث الثاني فتشير إلى حادثة وقعت قبل سنين!! يضاف إلى ذلك الأخطاء اللغوية والأسلوبية الكثيرة التي لا تخفى على طالب علم.

فقيام قسم "الدراسات الإستراتيجية" في "الجناح السياسي" بتقديم دراسة نشرها قبل عامين مركز بحثي آخر سببة لا تليق بحركة أحرار الشام الإسلامية.

ب *** الإطار العام للبحث أنه بحث ترويجي للتجربة الأردوغانية، يدل على ذلك

ما يلي:

١- يرى البحث أن التجربة الأردوغانية هي التجربة المثلى خلافا للتجربة التقليدية المتشددة لأربكان، يقول البحث ص١٨: "كما أن توترات داخل حزب الرفاه نفسه بين عقليتي التقليديين والتجديديين، أدت لاضمحال تأثير القادة التقليديين للحزب الذين أسسوا حزب الفضيلة، ولم يستطع الحزب الجديد استقطاب أنصار الحركة الإسلامية في تركيا نتيجة غياب الرؤية الواقعية للعمل السياسي، وتشدد وأبوية قادته الكبار. لكن الحدث الأبرز في تاريخ الحركة السياسية التركية كان تأسيس حزب العدالة والتنمية عام ٢٠٠١ بجهود شباب حزب الرفاه وتيار الإسلام السياسي الذي فهم واقع الحياة السياسية في البلاد وطرق مباشرة اللعبة السياسية وكسب الجماهير... مثل حزب العدالة والتنمية مرحلة متقدمة في تاريخ الأحزاب السياسية التركية ذات التوجه الإسلامي، وحركة تفهم القواعد ومتطلبات بناء حركة سياسية تركية تعمل بالتوازي على خطي البعد الإسلامي وتوجهات المجتمع التركي، ليشكل بذلك حلقة التوازن بين البعد الاسلامي لجذور المجتمع والثقافة والتوجه العلماني للحياة العامة".

٢- يكيل البحث المدح للتجربة الأردوغانية ويرى أنها التجربة التي تقتدي الشعوب بها، يقول البحث ص ٢٣: "النجاح الكبير لحزب العدالة والتنمية في بناء قاعدة شعبية كبيرة وتحقيق نجاحات اقتصادية وانتهاج سياسة خارجية جعلت من تركيا وقادتها نموذجاً شعبياً يحتذى به في المنطقة".

٣- يمدح البحث الديمقراطية وآلياتها فيقول: ص ٤٠: "يتميز النظام السياسي في تركيا بديناميكية واضحة تلعب الأحزاب والقوى السياسية دوراً كبيراً فيه، وتسهم قواعد الديمقراطية وآلياتها في توفير بيئة سياسية تمكن الأحزاب من تداول السلطة وفق قواعد الدستور والنظام الانتخابي التركي. ومع الإقرار بأهمية الآليات الديمقراطية والحريات وتأثيرها في بلورة نموذج سياسي تركي ناجح في المنطقة".

٤- يركز البحث على دعوى إعجاب الشعوب بالنموذج الأردوغاني السياسي فيقول ص ٤١: "ظاهرة الإعجاب بالنموذج التركي في الرأي العام، وهي ظاهرة تنقسم إلى منحيين: الأول هو الإعجاب بالنموذج التركي الاجتماعي والسياسي الداخلي الذي تقدمه تركيا، والثاني هو الإعجاب بسياساتها الإقليمية المتقدمة في القضايا التي تهم شعوب المنطقة. ولربما كان المنحى الأول أشد تأثيراً في الرأي العام العربي، وأكثر رسوخاً فالوعي السياسي للشوارع العربي يرى أن النموذج التركي يكاد يكون النموذج الوحيد في المنطقة الذي يتجه نحو المستقبل على كافة الأصعدة السياسية والاجتماعية والسياسية".

٥- يصف البحث التجربة الأردوغانية أنها كالتجربة العثمانية! فيقول ص ٤٤: "يقترّب فيها حزب العدالة والتنمية الحاكم من توصيف الحركة التاريخية والاجتماعية في تشابه كبير إلى حدٍ ما من الحركة التاريخية التي مثلها السلاجقة أو العثمانيين".

٦- يرى البحث أن الديمقراطية مطلب مشروع للشعوب، يقول البحث ص ٣٧: "وقعت السياسة الخارجية التركية بين خيارين أحلاهما مر، فإما دعم الأنظمة الاستبدادية أو دعم مطالب الشعوب المشروعة المتمثلة بالحرية والديمقراطية".

٧- يخشى البحث أن يضطر أردوغان "للتشدد" مع المعارضة فيقول ص ٤٥: "ومن

نافل القول إن وجود معارضة وطنية في أي نظام يشحذ من رؤى الحزب الحاكم ويدفعه باتجاه التحسين والتطوير المستمر، أما هذا الشكل من المعارضة فقد يفرز عملية تأمريه مرتبطة، ما يدفع الحزب الحاكم إلى مواقع التشدد والاستئصال لها وهو أخطر ما قد تواجهه التجربة التركية الحالية".

٨- يهتم البحث بنصح الحركات التحررية أن تتطور وتبني تجربة "سياسية شعبية حقيقية" مستفيدة من تجربة أردوغان، فيقول ص ٤٥: "إن المسؤولية الكبرى الآن تقع على عاتق حركات التحرر في منطقتنا، وذلك لأهمية اللحظة التاريخية وعظم التحديات، فتطوير هذه الحركات لنفسها وبناء تجربة سياسية شعبية حقيقية هو واجب هذه الحركات التي يجب عليها الاستفادة من تجربة حزب العدالة والتنمية الشعبية".

** وباختصار فلو كان اهتمام "الجناح السياسي" (إن كانت عنده كفاءات علمية لذلك) بدراسة العمل السياسي لحركات مجاهدة كطالبان والقاعدة وحماس وحركة مورو والجهاد الشيشاني والبوسنوي، أو حتى لدراسة العمل السياسي لجماعات مقاتلة كحزب الله والحوثيين وانفصاليي جنوب السودان..، لكان الأمر مفهوماً، أما هذا الهيام الملحوظ بالتجربة "السياسية" الأردنية مع ما يتخلل دراساتهم من انحرافات متكررة، فهذا خطر على حركة أحرار الشام الإسلامية خاصة وعلى الجهاد الشامي عامة، والله المستعان..

ليبب النحاس وحوار صحيفة الحياة^١

كالعادة.. والمجاهدون في أوج انشغالهم.. يخرج ليبب النحاس بخطاب يثير تجاذبات عديدة..

ولا بد قبل الكلام عن بعض المآخذ على حوار ليبب مع صحيفة الحياة أن نعرف هل الخطاب موجه للداخل السوري أم للآخر الخارجي؟
الواضح أنه خطاب موجه للآخر "للأعداء" بهدف تهيئهم على الأقل..
وبناء على ذلك ننظر للحوار لنجد أن:

- ليبب يصر على الدخول في حديث مطول عن رفاق الدرب جبهة فتح الشام، وهو في حديثه ينبه إلى أن خطوة فك الارتباط "يجب أن تتبعها خطوات عملية تثبت أن فك الارتباط ليس تنظيميا فقط" ففي الوقت الذي يحارب الغرب الجبهة؛ لأنها قاعدة، ويصرحون بأن تغيير الاسم لا يكفي لإيقاف حربهم، يخرج ليبب ليشير إلى وجود ارتباط تنظيمي وارتباط غير تنظيمي!! ولا بد من إثبات فك بقية الارتباطات!! ماذا يعني هذا في مخاطبة الأعداء؟!..

ولا يكتفي النحاس بذلك بل يزيد الخرق اتساعا فيخاطب الأعداء مؤكدا لهم "عدم أخذ الأحرار بمفهوم التغلب، فكان شعارهم المشاركة لا المغالبة، في حين ما زال مفهوم المغالبة سائدا في المدرسة السلفية عموما والسلفية الجهادية خصوصا" فهو يخاطب الأعداء مؤكدا لهم أن النصره تقوم على مبدأ "التغلب" الذي لن يفهمه الأعداء إلا على أنه قتال المسلمين للوصول للحكم، مما يذكرنا بخطابات بوش وأوباما التي تريد استمالة الأمة فتنفي الإرهاب عن الإسلام وتلصقه بالقاعدة بدعوى أنها تحارب العالم بل وتحارب المسلمين.

إن كان ليبب متحدثا عن الجبهة ولا بد، وغير قادر على الحديث عنها بلهجة تساوي

(١) كتبت سنة ١٤٣٧ هـ.

حديثه عن يسميهم "الأشقاء في المملكة في سعيهم مشكورين لمحاولة لم شمل المعارضة السياسية السورية" فليتحير ما لا يفرق صفنا ولا يثير عليهم عدونا...

- ثم يدخل لبيب النحاس في حديث عن الديمقراطية يلاحظ فيه ما يأتي:

= إذا كان الحوار موجها للخارج فلم الترويج الإعلامي له داخليا بصورة تفوق وجوده في أصله، ولم الإصرار على الضخ الإعلامي لحوار كهذا بين صفوف طلائع المد الإسلامي ليثير هذه البلبال، خاصة مع وجود أطروحات تمجد الديمقراطية كأطروحات محمد مختار الشنقيطي، ووجود دعوات لدستور ١٩٥٠ الديمقراطي، وغير ذلك من الانحرافات التي لم يشغل الجناح السياسي نفسه بمجرد التنبيه إلى خللها..

= لبيب يذكر قيما، ويتشكك في اعتقاد أن الديمقراطية هي الطريقة الوحيدة القادرة على تقديم هذه القيم؛ فيقول: "تم ربط لفظ الديمقراطية بقيم الحرية وحكم القانون وتداول السلطة والمؤسساتية بطريقة حصرية وكأنها النظام السياسي الوحيد القادر على تقديم هذه المنظومة من القيم، وهذا أمر غير دقيق" وهذا امتداح لما تقدمه الديمقراطية من قيم الحرية وطرق حكم القانون وتداول السلطة.

ثم يؤكد لبيب أنه "لا شك أن الديمقراطية حاليا هي أنجح نظام سياسي مطبق في العالم"، وهذا امتداح للديمقراطية؛ لأن السياق سياق امتداح فالسؤال هو عن سوريا ديمقراطية، ثم إن الديمقراطية ليست أنجح نظام سياسي مطبق في العالم فالنظام السياسي في مناطق المجاهدين أنجح لأنه نابع من الإسلام، والنظام السياسي السعودي أقل سوءا من النظام الديمقراطي..

ويتابع المدح فيقول: "ولكن لا يعني أنه أفضل ما يمكن الوصول له، والأهم من ذلك أنه ليس بالضرورة النموذج الأمثل لجميع الدول والشعوب" فأنجح وأفضل وأمثل ألا تدل على المدح!.

وبعد هذا التفخيم للديمقراطية يتحدث لبيب مع الأعداء عن الإسلام حديث المستحي من ذكره، فيقول: "ولكن في نفس الوقت يجب أن يضمن النظام السياسي القادم الهوية

الإسلامية للمجتمع دون أن يكون هذا مصدرا لقلق الأقليات بل العكس وألا يتعارض هذا النظام مع الأحكام والقيم الإسلامية التي يتمسك بها غالبية المجتمع السوري المسلم" طبعاً لا يعرف البعض معنى هذه الكلمات بعد ذكر الديمقراطية عند الحديث مع الأعداء، ولا يعلمون أن هذا لا يتعارض عند الأعداء الذين يخاطبهم مع الديمقراطية؛ فـدستور ١٩٥٠ الديمقراطي ينص على أنه: "لما كانت غالبية الشعب تدين بالإسلام فإن الدولة تعلن استمساكها بالإسلام ومثله العليا" وينص دستور بشار على أن "دين رئيس الجمهورية الإسلام الفقه الإسلامي مصدر رئيسي للتشريع"، بل وينص دستور السيسى على أنه "حين بعث خاتم المرسلين محمد عليه الصلاة والسلام للناس كافة ليتمم مكارم الأخلاق انفتحت قلوبنا وعقولنا لنور الإسلام فكنا خير أجناد الأرض جهادا في سبيل الله ونشرنا رسالة الحق وعلوم الدين في العالمين... نكتب دستوراً يؤكد أن مبادئ الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسي للتشريع.. الإسلام دين الدولة واللغة العربية لغتها الرسمية ومبادئ الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسي للتشريع".

إن العدو يعرف ميثاق الأحرار فوق معرفة الكثيرين به، ولكنهم يريدون خطاباً جديداً يستدرجون به المجاهدين، قال تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾.. = ويؤكد لبيب أن انسحابه من مؤتمر الرياض الذي تبني الديمقراطية لم يكن قراراً جازماً، بل كان الاستمرار أمراً متقبلاً؛ فيقول: "نحن نتقبل رأي أطراف كثيرة في الثورة طالبت ببقائنا داخل هيئة التفاوض"!!.

*** وختاماً فيا أخ لبيب أنا لك ناصح وعليك مشفق، ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾..

تعليق على تعميم منع إصدار الفتاوى^١

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله... وبعد؛

فقد صدر عن لجنة المتابعة ورئاسة المجلس الشرعي بهيئة تحرير الشام تعميم بتاريخ

٢٤ - ٥ - ١٤٤٠ هـ، فيه أمور عديدة تحتاج مراجعة؛ من أهمها؛ قول التعميم:

(انطلاقاً من المسؤولية الشرعية والإدارية وتحقيقاً للمصلحة العامة والشاملة للجهاد

وتفديهما على المصالح أو الآراء الشخصية تقرر ما يلي:

أ- يمنع منعاً باتاً في وسائل الإعلام العامة والشخصية الآتي:

١- إصدار الفتاوى والأحكام قبل اعتماد المجلس الشرعي العام لفتوى معينة، وخصوصاً

في مسائل النوازل..).

*** وحول هذه العبارة ترد هذه التعليقات الثلاثة:

- أولاً: أن الفتيا بشروطها الشرعية من العبادات الجليلة:

وهي داخلة في قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

وقوله جل وعلا: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِهُمْ بِالَّتِي هِيَ

أَحْسَنُ﴾.

وقوله سبحانه: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ

وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾.

(١) كتبت سنة ١٤٤٠ هـ.

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾.
وغير ذلك من الأدلة الكثيرة.

- ثانيا: أن منع الفتوى الشرعية هو من الصد عن سبيل الله تعالى:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾.
وقال جل وعلا: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾.

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

وقال تعالى: ﴿لَعْنُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾.

وقال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي

الأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ ﴿٥٥٠﴾.

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

وقال تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

وقال تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَنْبِيَاءُ عَنِ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾.

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾.

- ثالثا: أن المصلحة المترتبة على منع الفتوى الشرعية قبل اعتمادها من المجلس الشرعي هي مصلحة ملغاة؛ لأمر عديدة؛ منها:

أ- أن حقيقة الفتوى الشرعية تتعلق بكل مسائل الشريعة العامة والخاصة في العقائد والعبادات والمعاملات والآداب، وهي من المصالح الكلية المتعلقة بكل أفراد الأمة، فمنعها إلا بعد اعتمادها صد عن سبيل الله تعالى..

ب- أن تاريخ الأمة الطويل الذي مر بمراحل شتى من القوة والعجز والنوازل لم يشهد منعا لإصدار الفتاوى إلا على يد الطواغيت، فدل على أن ما يظنه البعض مصلحة خفيت على الأمة في تاريخها الطويل هو وسوسة شيطانية.

ت- هذا المنع للفتوى في الأمور العامة والنوازل لا يحق للخليفة المجتهد الممكن، فكيف بأمرء الحرب الذين يقومون ببعض فروض الكفايات المناطة بالأئمة حسب الاستطاعة؛ فهذا أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم اجتهدوا في مسائل ونوازل وخالفهم صحابة آخرون فأفتوا بخلاف اجتهادهم، بل وقع الخلاف عند الفتنة في القتال والدماء وحفظت الأمة فتاوى الصحابة المختلفة المتنوعة وقتها، ولم يتعرض المفتي للمساءلة والمحاسبة القضائية أصولاً!.

ث- أن من عدم التوفيق الذي أصاب من كتب التعميم أنه عمم وخصص، فكتب: "يمنع.. إصدار الفتاوى والأحكام قبل اعتماد المجلس الشرعي العام لفتوى معينة، وخصوصاً في مسائل النوازل"، فلو كان كلامه عن النوازل فقط لكان خطأ كذلك، ولكنه منع الفتاوى عامة ثم خصص النوازل بالذكر.

ج- ويبدو أن مصدر التعميم خلط بين الفتوى والإلزام في المسائل العامة المتعلقة بالأئمة، فللأئمة بشروط ليس هذا موضع ذكرها اختيار اجتهاد في نوازل ومسائل عامة لمصلحة عامة والإلزام بها، ولكن ليس لهم منع المفتي من ذكر فتواه المخالفة لاجتهادهم، وليس لهم من باب أولى منع المفتي من ذكر فتواه في كل مسائل الدين سواء وافقت اجتهاد الإمام أو خالفته إلا بعد موافقة المجلس الشرعي!!.

ح- ولعل سبب خلل التعميم هو الخلط بين المصلحة الملغاة التي ألغاهما الشرع ولم يلتفت لها والتي يتعلق بها هذا التعميم وبين تقييد بعض أفراد المباح مؤقتاً لضرورة تحقيق مصلحة حقيقية عامة لا تتحقق إلا بذلك، وشتان بين الأمرين.

خ- ومما يبين خلل التعميم أنه جاء كردة فعل مستعجلة نتيجة خلاف شخصي، فلم يأخذ التعميم الشرعي أقل ما ينبغي أخذه من مناقشة المجلس الشرعي والمشايخ وضبط العبارات والنظر في المصالح الكلية والجزئية، والعامة والخاصة، والمعتبرة والملغاة، والحقيقية والمتوهمة..

د- أن هذا التعميم يدل على النظرة القاصرة التي أدت لصدوره؛ ففي الوقت الذي لا

زالت المناطق المحررة بدماء الأبخار فيها مناهج تعليم تدرس لمئات الآلاف من الطلاب تحتوي الكفر البواح الذي لنا فيه من الله برهان، ويختبر الطلاب فيها، ومن أمثلة ذلك مادة الفلسفة في الثانوية التي تحتوي الكفر بلا رد عليه، ورغم وجود حلول حقيقية لمشكلة مناهج التعليم وكوادر قادرة على حل المشكلة؛ لكن قصر النظر، والتفوق في دائرة التأثير بالإرهاب الفكري الذي يمارسه الأعداء، واللامبالاة بالمسؤوليات الحقيقية، وعجز الثقة، هو الذي يجعل جماعة كجماعتنا تصدر هذا التعميم قبل أن تستطيع علاج مشكلة تدريس الكفر البواح لجيل الأمة الناشئ.

ذ- أما انتظار اعتماد المجلس الشرعي العام لفتوى معينة في مسائل الفتيا عامة ومسائل النوازل خاصة فهو كلام لا يمت للواقع بصلة، فكم فتوى اعتمدها المجلس الشرعي العام من يوم إنشائه إلى اليوم؟! وكم من نوازل يفترض أن يبحثها المجلس نزلت ومرت دون أن تناقش أصلا فضلا عن أن يصل نقاش المجلس فيها لفتوى مؤصلة..

ر- ولعل سبب التعميم فيما يظهر لي هو منع نشر أي كلام قد يخالف اختيار قيادة الجماعة، فإذا كانت الفتوى تزعم فكيف بما ذكره العلماء من مشروعية الإنكار على الأئمة بشروطه المرعية؟!

- وختاما: فالواجب إلغاء هذا التعميم، والبعد عن ردود الفعل غير المنضبطة، وشكر الله على نعمة البطانة الصالحة التي تعين على الخير ولا تنافق على حساب دينها..

والحمد لله رب العالمين.

حول بيان إدارة الشؤون السياسية^١

خرج بيان لإدارة الشؤون السياسية بالهيئة حول تصنيف الإدارة الأمريكية لهيئة تحرير الشام وسياسة الكيل بمكيالين التي تتبعها أمريكا..

وتوجد حول هذا البيان ملاحظات عديدة؛ منها:

- البيان وجه رسائل مباشرة للإدارة الأمريكية، وللنخب، وللفصائل، وللأهل في المناطق المحررة، ونسي أن يوجه رسالة لأبناء الهيئة!

- خلا البيان من أي آية قرآنية أو حديث نبوي؛ سواء عند الكلام على أفعال الإدارة الأمريكية أو عند تبيين مشروع الهيئة أو عند توجيه رسائل عامة، وكأن من خصائص البيان السياسي عندهم ألا يشتمل على الآيات والأحاديث!.

- الملاحظ في تجارب عدد من الجماعات الإسلامية أنها عندما تخصص فريقا سياسيا يبدأ الفريق السياسي عمله بالبيانات والحوارات، هذه البيانات التي تتحول فجأة بسبب طريقة العرض والنشر إلى رسائل داخلية لجنود الجماعة تسبب اضطرابا فيه، ثم تكتشف تلك الفرق السياسية بعد مدة أن تلك البيانات والحوارات ذات تأثير محدود جدا وقد تسبب أضرارا تفوق ما يراد لها من نفع، ومع الأيام يستخدمون وسائل عديدة للممارسة السياسية وتقل بياناتهم وحواراتهم الصحفية.

- تشيع في البيان لغة توصل انهزامية لا تنبغي: ومن أمثلة ذلك اعتبار أن: "هذا القرار المتهور سيكون له أثر سلبي كبير على عموم الثورة السورية وحصنها الأخير الشمال الحر..،

(١) كتبت سنة ١٤٣٩هـ.

ربما تفجر أزمات عديدة أبرزها أزمة اللاجئين والتي سيقف الجميع عاجزا أمامها حينها ولن يغفر التاريخ لمن تسبب فيها" فهذه التعبيرات تبين أن الثورة السورية على وشك الانهيار بسبب هذا القرار وسيجتاح العدو المنطقة ويتشرد أهل إدلب، وهذا هو الإرجاف، خاصة وأن البيان يخاطب كذلك الفصائل وعمامة الشعب.

- لم يوفق البيان في عرض محاوره الثلاثة؛ وهي: (جرائم الأمريكان، ومشروع الهيئة، والرسائل الموجهة) فالمبنى الذي أقيم عليه البيان وهو الأسلوب التعبيري تظهر فيه ركافة الأسلوب وتفكك العبارات، والمعنى الذي احتواه البيان ضعيف لا يؤدي الغرض..
فمثلا يهدف نصف البيان في صفحته الأولى ونصف صفحته الثانية إلى بيان جرائم الإدارة الأمريكية، والمفهوم من البيان أن جرائم الأمريكان بالمجمل سلبية أي عدم مساعدة الثورة لا أنها حاربت الثورة! فأفعال الإدارة الأمريكية هي: (ما فعلته وتفعله إيران في العراق وسوريا واليمن من إجرام لا تخفى على الإدارة الأمريكية لكنها تحظى بالتجاهل والتعمية مشجعة لإيران..، أتاحت الفرص لصناعة مشروع الدولة وعملت على إبرازه بصورة وحشية..، فسحت تحت بند سياسة عدم التدخل المجال لدولة الاحتلال الروسي بقصف المدن..، وقد صاحب هذه السياسة نزع اليد وترك الساحة الدولية للحل في سوريا لصالح روسيا..، توقفت الإدارة الأمريكية عن دعم المعارضة..، والعمل على منعها من قتال النظام..، وإجبارها على إعادة المناطق للنظام..، لم يعد الرد أن كان بعض التصريحات الإعلامية..، دعم تنظيم البككة).

وكان يمكن إعادة الصياغة لتكون بعض أفعال الإدارة الأمريكية هي: جعل العراق منطلقا لإعداد وتذخير المليشيات الرفضية لمهاجمة الثوار داخل سوريا، وتعمد تدمير البنية التحتية للبلد وقتل الشعب وتهجير الأهالي بزعم محاربة تنظيم الدولة، والتحالف مع تنظيم البككة الإرهابي ودعمه بالسلاح والمال وتقديمه كمثل للثورة السورية، واستهداف وقتل

مئات الثوار من عدد من الفصائل في إدلب خلال السنين الماضية، والاستيلاء على بترول الشعب السوري ومصادرته لصالح الخزينة الأمريكية، واستغلال الثورة السورية كورقة لعقد اتفاقيات دولية وتحقيق مكاسب في أماكن أخرى من العالم كأوكرانيا دون النظر لمصالح الشعب السوري..

- يضاف لذلك ما نبهت عليه من قبل من: إشعار بمحاربة القاعدة بقولهم بعد نفي انضمام الهيئة للقاعدة "وأنها لن تسمح باستخدام قضية أهل الشام وأرضهم بما يجلب عليهم المفاسد والضرر"، وادعاء أن الهيئة لا تمثل خطراً على الخارج، وهو تعبير غير حقيقي وتركه أفضل.

* إن التسرع في إخراج البيانات، والتهويل من أهميتها في عالم السياسة، وعدم عرضها على اللجنة الشرعية ولا إخضاعها لمشاورات مناسبة، وتجاهل الصف الداخلي للجماعة، وتناسي استغلال الأعداء لتلك البيانات غير المنضبطة في إضعاف الجماعة، يوجب وقفة متأنية ودراسة مستفيضة قبل تكرار مثل هذه البيانات.

فهرس الكتاب

٣	- المقدمة
	- الفصل الأول: وحرص المؤمنس
٥	١ المشتاقون إلى الموت
٢١	٢ رباط الخسل
٢٦	٣ حنظلة والنفر
٣١	٤ التحرفض على القتال
٤٢	٥ قاتلوهم
٤٥	٦ معركة الثبات
٤٨	٧ الثبات الثبات يا أبطال الإسلام
٥٠	٨ تالله لسننصرن المجاهدون
٥٢	٩ شداثد في حياة الأنبساء
٥٩	١٠ بعد قرار مجلس الأمن حول سوريا.. نقول: هذا ما وعدنا الله ورسوله..
٦١	١١ هذا يوم عظمس أنجى الله فيه موسى وقومه
٦٥	١٢ منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة
٦٨	١٣ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ
٧٠	١٤ زمجروا يا أسود - انتفاضة الشباب المسلم
٧٢	١٥ "الجهاد التطوعي"
٧٣	١٦ الجهاديون.. لله ذرهم!
٧٦	١٧ الذئب المنفرد الأسد الهصور البطل المقدام عمر أبو ليلى رحمه الله
٧٩	١٨ المبادرة أصل الثورة
٨٢	١٩ بذل الوسع في جهاد الدفع

٨٥	٢٠	اللهم أمض لأصحابي هجرتهم
٨٧	٢١	واغوظناه آهٍ وواحلباه
- الفصل الثاني: حول جهاد الكفار والعصاة -		
٩٠	٢٢	وحاذر فما الحزم إلا الحذر
٩٢	٢٣	حقيقة خوف الكفار من الإسلام
١٠٢	٢٤	لا جديد في أحكام الصلاة ولا الجهاد
١٠٤	٢٥	جدلية جهاد النخبة وجهاد الأمة
١٠٦	٢٦	فائدة: حول معنى قولهم "قتال الدفع لا يشترط له شرط"
١٠٧	٢٧	هل يشترط العلم في أمراء الجماعات الشامية الكبرى؟
١٠٨	٢٨	أحكام الجهاد مع الإمام الفاجر
١١٤	٢٩	أهمية لبس الدروع عند الجهاد
١١٨	٣٠	الردع في الجهاد
١٢٧	٣١	بدعة الجهاد الأليف
١٣١	٣٢	هكذا نصره
١٣٤	٣٣	قتل شاتم الرسول صلى الله عليه وسلم
١٤٥	٣٤	دفع الصائل
١٤٩	٣٥	طاعة الأمراء في القتال بين الفصائل
١٥١	٣٦	قتيل قتال البغاة
١٥٢	٣٧	قلة عدد الصحابة المعتزلين لما جرى من قتال بين الصحابة رضي الله عنهم
١٥٤	٣٨	لا ينال عهدي الظالمين
١٥٩	٣٩	صفات الخوارج
١٦٠	٤٠	استتابة شرعي الدولة
١٦٤	٤١	حكم مشجعي تنظيم البغدادي

١٦٦	مسألة التنسيق مع الطيران التركي ضد الخوارج	٤٢
١٧٠	الحملة الصليبية	٤٣
١٧٣	معركة شرق الفرات	٤٤
١٧٦	بخصوص الجيش الوطني في إدلب	٤٥
١٨٠	هم العدو	٤٦
١٨٢	المرجفون في المدينة	٤٧
١٨٤	جاهدوا أبا ذنيبة قبل أن يصبح ضفدعا	٤٨
١٨٧	ظاهرة الانشقاق من درع الفرات إلى حضن النصيرية	٤٩
١٨٩	الناس معادن، ومعدن النصيرية هو الحقد	٥٠
١٩٢	"فضائل بشار" في عيون عبيده	٥١
١٩٤	على حرف	٥٢
١٩٨	العمل الأمني آدابه وأحكامه	٥٣
٢٠٦	آداب إقامة الحواجز	٥٤
٢٠٨	الظلم باسم الأحكام السلطانية	٥٥
٢١٣	السجون في الواقع الثوري (إشكاليات وحلول)	٥٦
٢١٩	تعهد السجين هل يلزمه؟	٥٧
٢٣١	أدب التخفي من الظالم	٥٨
- الفصل الثالث: عن الحركة والسياسة -		
٢٤١	وقفه مع مصطلح المنهج الحركي	٥٩
٢٤٥	فزاعة "أخوة المنهج"	٦٠
٢٥١	ظاهرة الإعجاب بالعمل الخيري الغربي	٦١
٢٥٥	خواطر بعد سعودة محفظي القرآن	٦٢
٢٥٩	سياسة الحكم الذاتي داخل جامعة الملك عبد الله للعلوم والتقنية	٦٣

- ٢٦١ خطيب المرتدين "بارك حسين أوباما"، لا مرحبًا ٦٤
- ٢٦٤ أيها الملوك والرعماء والقادة والأمراء... اعتبروا بأحداث مصر ٦٥
- ٢٦٩ الإسلاميون بين موجة الثورات وإعادة حساب موازين القوى ٦٦
- ٢٧٤ هل ستشهد الثورات العربية عودة العلاقة المتذبذبة بين (الزعيم) والحركات الإسلامية؟ ٦٧
- ٢٨٠ وفي المرحلة الثانية من الثورة تشتعل معارك الحصاد ٦٨
- ٢٨٧ هل يمكن للجهاد في سوريا أن يحقق ما لم يحققه في العراق؟ ٦٩
- ٢٩٤ عداوة الكافر أصل ومعاملته فرع ٧٠
- ٢٩٨ الثقة بالقيادة في العمل الإسلامي المعاصر ٧١
- ٣٠٧ تقارب شيوخ الساحة رغم المخاوف الحركية ٧٢
- ٣١٣ ظاهرة التخبط الفكري ٧٣
- ٣١٥ عشر وسائل للنجاة من الشبهات ٧٤
- ٣١٧ التهجير والحسابات الواهمة ٧٥
- ٣٢٠ إدلب وإرهاصات المشروع الجديد ٧٦
- ٣٢٥ إدلب وداء تطبيع المحنة ٧٧
- ٣٢٨ الوصاية التركية على إدلب ومآلاتها ٧٨
- ٣٣٣ عاصمة من قاصمة النظم السياسية غير الإسلامية ٧٩
- ٣٣٧ براءة صلح الحديبية من تنازلات أذعياى السياسة الشرعية ٨٠
- ٣٥١ حول الأخذ بالرخصة والضرورة في مسائل السياسة الشرعية المعاصرة ٨١
- ٣٥٤ نظرة للعمل السياسي ٨٢
- ٣٥٧ طائفة السياسيين ٨٣
- ٣٥٩ شورى لا استبداد ٨٤
- ٣٦١ حقيقة الهدنة مع النظام ٨٥

- ٣٦٤ (المسارعة فيهم) بزعم (التقاء المصالح) ٨٦
- ٣٦٧ ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ ٨٧
- ٣٧٢ التميميع ٨٨
- ٣٧٣ زخرف القول غرورا ٨٩
- ٣٧٦ عندما يجادل الضالون ٩٠
- ٣٧٧ الناشطون ٩١
- ٣٧٩ فقه ابن زايد الإبليسي ٩٢
- ٣٨١ اتفاقية دمشق ٩٣
- ٣٨٣ ابن مفلح وابن خلدون والمناوي وموقف كل واحد منهم من تيمور لنك ٩٤
- ٣٩١ ملهاة علمية في رحاب الطاغية ٩٥
- ٣٩٣ التعاون مع المنظمات غير الإسلامية ٩٦
- ٣٩٨ متى يكون سوء الظن عصمة؟ ٩٧
- ٤٠٢ وما أسألكم عليه من أجر ٩٨
- ٤١٤ عن أهمية المنح ٩٩
- ٤١٩ ليسوا صحابة ولا عبيدا ١٠٠
- الفصل الرابع: في رحاب الشريعة والحياة**
- ٤٢١ هلموا إلى تحكيم الشريعة نداءً إلى أهل الحلّ والعقد، وحركة حماس، وعموم المسلمين في غزّة العزّة ١٠١
- ٤٢٥ كلام أهل العلم في حكم من بدل الشريعة ١٠٢
- ٤٣٢ موالاة الكفار بنصرتهم في القتال ضد المسلمين ردة ١٠٣
- ٤٤١ الموقف من القانون العربي الموحد ١٠٤
- ٤٤٨ البديل عن القانون العربي الموحد ١٠٥
- ٤٥٠ أنظمة فيها جاهلية ١٠٦

- ٤٥٣ ١٠٧ حقيقة التكنوقراطية
- ٤٥٤ ١٠٨ حقيقة الصراع مع العلمانية
- ٤٥٥ ١٠٩ زهرة الدنيا، كم قتلت عشاقها!
- ٤٦٣ ١١٠ الفرار الفرار فإنهم يشيعون الفواحش
- ٤٦٦ ١١١ تحقيقا لا تعليقا
- ٤٧٠ ١١٢ هل ننصح بزواج المجاهد؟
- ٤٧٣ ١١٣ الوفاء للشهداء
- ٤٧٤ ١١٤ مواليد الثورة هم حملة رايتها غدا
- ٤٧٦ ١١٥ أينع الجيل فاستوصوا به خيرا
- ٤٧٨ ١١٦ التحذير من الإسراف في المال العام
- ٤٨٠ ١١٧ حلب الحمراء
- ٤٨٣ ١١٨ العيد في إدلب نغر باسم وعين دامعة
- ٤٨٦ ١١٩ دمعة مهاجر في العيد

- الفصل الخامس : ردود

- ٤٨٨ ١٢٠ فزاعة المنهج الأزهري
- ٤٩١ ١٢١ زيارة الجفري وجمعة للأقصى بين الحقائق والشبهات
- ٥٠٤ ١٢٢ الفكر الصوفي عند علي جمعة
- ٥١١ ١٢٣ الدكتور أحمد الطيب والتصوف الفلسفي
- ٥١٨ ١٢٤ البوطي بين التصوف الفكري والتصوف السياسي
- ٥٢٤ ١٢٥ حب النبي الكريم اتباع لا ابتداء
- ٥٢٧ ١٢٦ تحريفات المتكلمين الجدد قراءة في كتاب الأقليات المسلمة في مواجهة
"فوييا" الإسلام
- ٥٣٣ ١٢٧ م. عبد المنعم الشحات والدولة الحديثة ومحاولة تغيير العقل السلفي

- ١٢٨ تقرير حول كلية الحقوق في جامعة حلب الحرة ٥٣٨
- ١٢٩ ملاحظات عن دراسة "هيكلية نظام الحكم في تركيا وتطوره" ٥٤١
- ١٣٠ لبيب النحاس وحوار صحيفة الحياة ٥٤٥
- ١٣١ تعليق على تعميم منع إصدار الفتاوى ٥٤٨
- ١٣٢ حول بيان إدارة الشؤون السياسية ٥٥٣
- فهرس الكتاب -** ٥٥٦